الرسائل العلمية (٣)
من النسخ الخزائنية النادرة

إيثار الحق على الخلق

في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد

للإمام المجدد
عز الدين محمد بن إبراهيم بن الوزير الحسني الهاشمي اليمني
ت (٨٤٠ هـ) رحمه الله

ومعه «الأنوار شرح الإيثار»

للعلامة المجتهد
محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني
ت (١١٨٢ هـ) رحمه الله
[يرى النور لأول مرة]

تقديم القاضي العلامة
محمد بن إسماعيل العمراني
حفظه الله وسلمه

دراسة وتحقيق
أبي نوح عبد الله بن محمد بن عبد الحميد اليمني
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الأول

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

الرسائل العلمية (٣)
من النسخ الخزائنية النادرة

إيثار الحق على الخلق

في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد

للإمام المجدد
عز الدين محمد بن إبراهيم بن الوزير الحسني الهاشمي اليمني
ت (٨٤٠ هـ) رحمه الله

ومعه «الأنوار» شرح «الإيثار»

للعلامة المجتهد
محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني
ت (١١٨٢ هـ) رحمه الله
[يرى النور لأول مرة]

تقديم القاضي العلامة
محمد بن إسماعيل العمراني
حفظه الله ورعاه

دراسة وتحقيق
أبي نوح عبد الله بن محمد بن عبد الحميد اليمني
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الأول

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

اليمني، محمد إبراهيم الوزير الحسنى الهاشمي

إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد/ محمد إبراهيم الوزير الحسني الهاشمي اليمني؛ عبدالله محمد عبدالحميد الفقيه- الرياض، ١٤٣٦هـ.

٢ مج.

ص؛ ٦٢٣ سم: ١٧×٢٤

ردمك: ١- ٢- ٤٢- ٨١٧٢- ٣- ٦٠٣- ٩٧٨ (مجموعة)

٨- ٢- ٤٢- ٨١٧٢- ٣- ٦٠٣- ٩٧٨ (ج١)

١- ابن المرتضى، محمد بن إبراهيم، ت ٨٤٠هـ ٢- التوحيد ٣- علم الكلام أ. الفقيه، عبدالله محمد عبدالحميد (محقق) ب. العنوان

ديوي: ٢٤٠ ١٤٣٦/٩١٩٣

رقم الإبداع: ١٤٣٦/٩١٩٣

ردمك: ١-٢-٤٢- ٨١٧٢- ٣- ٦٠٣- ٩٧٨ (مجموعة)

٨- ٢- ٤٢- ٨١٧٢- ٣- ٦٠٣- ٩٧٨ (ج١)

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

دار الصميعي للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي السويدي، شارع السويدي العام -الرياض

ص.ب: ٤٩٦٧/ الرمز البريدي: ١١٤١٢ هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥، ٤٢٥١٤٥٩ فاكس: ٤٢٤٥٣٤١

فرع القصيم: عنيزة، بجوار مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية

هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨، فاكس: ٣٦٢١٧٢٨ مدير التسويق: ٠٥٥٥١٦٩٠٥١

المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: daralsomaie@hotmail.com

دار الصميعي للنشر والتوزيع

شكر وتقدير واعتراف بالجميل

أشكر الله - عز وجل - أولاً وآخرًا على ما علمني وهداني، ووفقني وأعانني على إخراج هذا الكتاب وغيره من الكتب.

ثم أشكر لفضيلة الوالد العلامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني - حفظه الله وسدد على الخير خطاه، ومتعنا بعلمه - على توجيهه لي في إخراج هذا السفر العظيم، وعلى تقديمه للكتابين «الإيثار» و «الأنوار».

وأشكر للأستاذ ياسر الوزير الذي أعطاني نسخ «الإيثار» بعد معاناتي الشديدة في البحث عنها.

وأشكر للإخوة الكرام في مكتبة الملك عبد العزيز - وفقهم الله - على تسليمهم لي نسخة «الإيثار» التي في مكتبة عارف حكمت، رحمه الله.

وأشكر لكل من ساعدني بنصيحة أو إرشاد أو مقابلة.

وأشكر للأخ الأستاذ المكرم (إبراهيم بن عبد ربه مرزق) - حفظه الله وسلمه- على تعبه وجهده في الصف والإخراج، فقد عشنا مع هذا الكتاب العظيم ما يقارب ثلاث سنوات، نحن وإياه، بارك الله فيه وله ونفع به الإسلام والمسلمين.

وأشكر لأهلي على تعبهم وصبرهم معي، جزاهم الله خيرًا.

وأشكر للأخ الأستاذ العزيز فهد بن ناصر عتش، والأخ بحري قاسم الأندونيسي، والأخ فهد العمري، الذين قابلوا معي النسخ، حفظهم الله وجزاهم خيرًا ووفقهم للعلم النافع والعمل الصالح. آمين.

والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحقق

أبو نوح عبد الله بن محمد اليمني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة شيخنا القاضي العلامة

محمد بن إسماعيل العمراني

حفظه الله وسلمه ومتعنا بعلمه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا كتاب «إيثار الحق على الخلق» تأليف الإمام العلامة الكبير محمد ابن إبراهيم الوزير، رحمه الله، لَمِن أفضل المؤلفات وأنفعها لطالب العلم الذي يؤثر الحق على التقليد، و هكذا كتاب «الأنوار» للإمام المجدد الشهير محمد بن إسماعيل الأمير - رحمه الله- من أحسن ما أخرج للناس من المؤلفات النافعة.

وقد قيض الله لهذين الكتابين من حققهما، وراجع أصولهما، وأخرجهما في ثوب جديد قشيب، ليعم النفع زيادة على ما كان الناس قد انتفعوا بهذين الكتابين، ألا هو ولدي العزيز الشاب العلامة النشيط (أبو نوح عبد الله بن محمد عبدالحميد الفقيه) فجزاه الله خيرًا[1] وكتب أجره وضاعف حسناته، وزاد في شباب العلماء من أمثاله، آمين. وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

(محرم ١٤٣١هـ)

محمد بن إسماعيل العمراني

---

(١) وجزاك الله خيرًا على تعليمك لنا وتوجيهنا ونصحنا، بل وتربيتنا على التواضع الجميل الذي تتحلى به، فثبتك الله ومتعك بالعلم وعافاك وسلمك ورفعك في الفردوس الأعلى يا شيخنا محمد بن إسماعيل.

مقدمة «الأنوار» لشيخنا

محمد بن إسماعيل العمراني

حفظه الله وسلمه

بسم الله

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وجنده. وبعد:

فهذا كتاب «الأنوار»[1] للسيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، الذي كتبه على «إيثار الحق» للإمام الكبير محمد بن إبراهيم - رحمهما الله - لمن أحسن المؤلفات التي ألفها الأمير، وبه يعرف القارئ علم الوزير وعلم الأمير، الإمامان الكبيران، ولا سيما وهي أول طبعة، وهي الطبعة التي طالما تمنينا إخراجها.

جزى الله المؤلف والمحقق خيرًا، آمين.

(ذو القعدة ١٤٣٠هـ)

محمد بن إسماعيل العمراني

---

(١) وقد استشرت شيخنا العلامة محمد بن إسماعيل العمراني - حفظه الله - أن أضيف حاشية أخرى على حاشية الإمام الصنعاني - رحمه الله - فقال: تكفي «حاشية الأمير». وكأنه يقول تكفي حاشية أهل السنة، ولا نريد حاشية المخالفين للإمام ابن الوزير - رحمه الله - أمثال المؤيدي وغيره.

بسم الله الرحمن الرحيم

أستعين بالله الكريم وبه ثقتي واعتمادي

مقدمة المحقق

الحمد لله الذي فطر العباد على معرفته، وجعل الكائنات أدلة على علمه وحكمته وقدرته، وأضل من لم يهتد بهدايته.

«الحمد لله الذي اجتبى من صفوة عباده عصابة الحق وأهل السنة، وخصهم من بين سائر الفرق بمزايا اللطف والمنة، وأفاض عليهم من نور هدايته ما كشف به عن حقائق الدين، وأنطق ألسنتهم بحجته التي قمع بها ضلال الملحدين، وصفَّى سرائرهم من وساوس الشياطين، وطهَّر ضمائرهم من نزغات الزائغين، وعمَّر أفئدتهم بأنوار اليقين، حتى اهتدوا بها إلى أسرار ما أنزله على لسان نبيه وصفيه محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - سيد المرسلين»(١).

ومَحَوا ما جاء به الفلاسفة والمعتزلة من تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع، وما أُتُوا إلا من خبث الضمائر، فمالوا إلى الإفراط والتفريط، والواجب المحتوم في قواعد الاعتقاد ملازمة الاقتصاد والاعتماد على الصراط المستقيم (الكتاب والسنة) وهما النور المبين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، قاهر المشركين، ومدمر المعاندين من المبتدعين والزائغين، وهادي الموحدين الصادقين. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وعلى صحبه الغر الميامين، الحامين حمى التوحيد والدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) انظر: مقدمة الغزالي (الاقتصاد في الاعتقاد) ص(٣-٤).

أما بعد:

فإن كتاب «إيثار الحق على الخلق» كتاب عظيم، من تراثنا السلفي الجدير بالعناية والاهتمام، وشرحه «الأنوار» ظل حبيس عالم المخطوطات ردحًا من الزمن، وكذلك «الإيثار» النسخة الأم التي تكاد أن تكون مفقودة، إلا هذه التي بين أيدينا، وقد قوبلت على نسخة المصنف، رحمه الله.

وهو كتاب نفيس في بابه - شبيه «التدمرية» و«الحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - حشد فيه المؤلف ابن الوزير، رحمه الله، العشرات من النصوص والآثار التي توضح عقيدة أهل السنة والجماعة، في مسائل التوحيد؛ توحيد الألوهية والأسماء والصفات والربوبية، ورد المذاهب المخالفة إلى المذهب الحق، كما هو عنوان الكتاب.

أمور الدين متصلة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فأمور الدين ترجع إلى سند متصل إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- فلذلك كان لأهل السنة سندهم المتصل، فيقال لأهل البدع: هذه أصولنا وأسانيدنا متصلة إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأصولكم لا سند لها ولا متن، بل إسنادها إلى الهوى والعقل المخالف للشرع. وممن وضح وفضح أمركم الإمام ابن الوزير - رحمه الله - في «العواصم» و«الإيثار» وغيرهما.

***

مصادر تلقي العقيدة

مصادر تلقي العقيدة الحق هي: الكتاب والسنة وإجماع السلف، وهذه هي مصادر الدين.

وإذا اختلفت فهوم الناس لنصوص الدين فإن فهم السلف هو الحجة، وهو القول الفصل في مسائل الاعتقاد.

ومنهج السلف في تقرير العقيدة هو الأعلم والأسلم والأحكم، ويتمثل ذلك بآثارهم المبثوثة في المصنفات الأثرية وفي كتب السنة والآثار.

العقيدة توقيفية لا يجوز تلقيها من غير الوحي.

العقيدة غَيْبِيَّة في تفاصيلها، فلا تدركها العقول استقلالاً، ولا تحيط بها الأوهام.

وكل من حاول تقرير العقيدة من غير مصادرها الشرعية افترى عليها كذبًا، وقال عليها بغير علم.

كما أن العقيدة مبناها على التسليم والاتباع؛ التسليم لله تعالى والاتباع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والصحابة - رضي الله عنهم - وأئمة التابعين وتابعوهم وأعلام السنة كانوا على هدي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وسبيلهم هو سبيل المؤمنين، وآثارهم هي السنة والطريق المستقيم.

وبهذا يتبين الفارق بين أهل السنة والأهواء.

فأهل السنة يذعنون ويسلمون للوحي، وأهل الأهواء ينازعون في ذلك.

وأهل السنة يتبعون السلف، وأهل الأهواء يجانبون آثار السلف.

وأهل السنة يعتقدون أن مبنى الدين على التصديق والإذعان والتسليم والطاعة لله تعالى ولرسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - ولسبيل المؤمنين، وأهل الأهواء يعتمدون على عقولهم وعملهم ومعرفتهم وأهوائهم. فلذلك تعددت مصادر الدين لأهل الأهواء؛ من الرأي والعقل، والأوهام والظنون، والذوق، وإيحاء الشياطين، وآراء الرجال، والفلسفات، والروايات الضعيفة والمكذوبة، وما لا أصل له كدعوى الكشف ونحوها، والتلقي عن مصادر وهمية ومجهولة، والتلقي عن الأمم الضالة والفرق الهالكة.

ومن سمات أهل السنة والجماعة أنهم لا يختلفون، فلم يختلفوا في أصل من أصول الدين وقواعد الاعتقاد، فقولهم في مسائل الاعتقاد قول واحد بحمد الله تعالى. خلاف أهل الأهواء، فإنهم لا يوافقون أهل السنة في الأصول أو بعضها، كما أنهم لا يتفقون على أصولهم، بل كل حزب بما لديهم فرحون، بل إن الفرقة الواحدة منهم لا يتفق أفرادها على أصل كل الاتفاق.

واختلاف أهل السنة إنما كان في الاجتهادات من أمور الأحكام، أو فرعيات المسائل الملحقة بالعقيدة، ما لم يقطع به بنص قاطع، كمسألة رؤية النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لربه في المعراج؛ هل كانت يقظة أم مناماً؟ ومسألة ابن صياد؛ هل هو الدجال الذي يخرج في آخر الزمان أو غيره؟ ونحو ذلك.

ومرد اتفاق أهل السنة والجماعة أمور كثيرة، منها:

١ - اعتصامهم بحبل الله جميعاً.

٢ - مصدرهم واحد، وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. بخلاف أهل الأهواء، فإنهم تعددت مصادرهم من القول بالرأي فيما لا تدركه الآراء، والتعويل على العقليات فيما لا طاقة للعقول به، والأخذ عن الفلاسفة

والأمم الهالكة، وقد نُهُوا عن ذلك.

٣ - اعتقادهم ابتداءً يقوم على التسليم لله تعالى، وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. بخلاف أهل الأهواء، فإنهم لم يسلموا أو لم يذعنوا، وإن ادعى بعضهم ذلك؛ لأن مقتضى التسليم التزام ألفاظ الشرع.

٤ - أنهم انتهَوا عما نهى الله عنه، فلم يخوضوا في الغيبيات، ولم يقولوا على الله بغير علم، ولم يجادلوا ولم يماروا ولم يؤولوا. بخلاف أهل الأهواء، فقد ارتكبوا جميع هذه المنهيات.

٥ - أنهم تلقَّوا الدين بالاهتداء والاقتداء والاتباع على بصيرة، فقد أخذوا الدين عن العدول «الثقات» بدليله. فالصحابة أخذوا عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- والتابعون أخذوا عن الصحابة، وهكذا حمل هذا الدين من كل خلف عُدولُه ومن كل جيل «ثقاته» ومن كل عصر علماؤه. بخلاف أهل الأهواء والزيغ فقد تعددت مناهجهم في تلقي الدين، وخلطوا في وسائلهم وأساليبهم حتى تقطعت بهم السُّبل، نسأل الله العافية.

٦ - الإنصاف والعدل. فهم يراعون حق الله تعالى لا حق النفس أو الطائفة، ولهذا لا يغلون في مُوَالٍ ولا يجورون على معادٍ، ولا يغمطون ذا فضل فضله أيًّا كان، ومع ذلك فهم لا يقدمون الأئمة والرجال على أنهم معصومون، وقاعدتهم في ذلك «كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- وأنه لا عصمة إلا للوحي، ثم إجماع السلف».[١]

***

(١) انظر مقدمة «العواصم» الطبعة الأخيرة (١/ ١٣-١٥).

تعليم العقيدة في عصور الركود

عاش العالم الإسلامي بضعة قرون يتقهقر حضاريًّا واجتماعيًّا، ويسوده الركود في جانبه الفكري، حتى بداية العصور الحديثة. وقد اكتفى عامة العلماء في تلك العصور فيما يتعلق بعلم العقيدة بتراث المتأخرين ممن كتبوا في ذلك؛ يشرحونه إن كان وجيزًا، ويختصرونه إن كان موسعًا، وينظمونه إن كان منثورًا، ونحو ذلك.

وكان السائد غالباً الاتجاهين: الماتريدي والأشعري اللذين راجت كتبهما واعتُمِدَت ملخصاتهما في المدارس والجوامع العلمية في كثير من بقاع العالم الإسلامي، مثل: «شرح جوهرة التوحيد» للباجوري، ومؤلف متن «الجوهرة» وهي أرجوزة أبي الإمداد اللقاني (ت ١٠٤١هـ) و«شرح العقائد النسفية» لمسعود التفتازاني المتوفى في القرن الثامن، والمتن لأبي حفص النسفي. وشروح كتاب «المواقف» لعضد الدين الأيجي وغيرها، وقد استمر بعضها حتى وقتنا الحاضر.

***

ظهور التجديد في هذه العصور

ولا شك أنه ظهر مجددون في المجال العقدي خلال عصور الركود تجاوزوا دائرة متون المتأخرين الكلامية، ليستمدوا من الكتاب والسنة، معتمدين على فهم السلف، يعالجون أوضاع بيئتهم، ويناقشون التراث الرائج حسب قدراتهم وطاقاتهم في الفهم والحركة كـ(ابن المرتضي اليماني محمد بن إبراهيم الوزير - والإمام السرهندي في الهند، والإمام محمد بن عبد الوهاب، والإمام الصنعاني، والشوكاني) وغيرهم.

وقد يكون هذا التجديد شموليًّا للمفاهيم والسلوكيات الإنسانية ذات الصلة بالعقيدة، كما في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد يكون جزئيًّا، أي أنه محصور في جانب من هذه الجوانب، ومثل دعوة الإمام السرهندي (١٠٣٤هـ) التي تركزت على تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى الصوفية، وهم عامة أهل بلاده، مما يتعلق بوحدة الوجود، والولاية، والاستغناء عن الشريعة، وفكرة البدعة الحسنة ونحوها[١].

***

(١) «مناهج البحث في العقيدة الإسلامية» ص(٤٧-٤٨) للشيخ عبد الرحمن الزبيدي حفظه الله. ط إشبيلية ١٤١٨هـ.

طمس تراث الإمام ابن الوزير

طمس غلاة الزيدية آثار الإمام ابن الوزير - رحمه الله- ودفنوا محاسنه، وإذا كان هؤلاء أعداء الحق، فمن للرجل غير أهله ينقلون محاسنه! كيف ومعاصروه قد سعوا جاهدين بكل ما يملكون من قوة علمية وعملية في نصب العداوة له ومحو آثاره العلمية والثقافية والاجتماعية.

وقد حاول بعضهم الرد عليه بما سماه «الغضب الصارم في الرد على صاحب الروض الباسم» لرجل مجهول في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، وهذا بعد خمسة قرون مضت لوفاة الإمام ابن الوزير، رحمه الله، وهو يذكرني بقول المتنبي:

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا[1]

ومع هذا لم يستطع أن يسمي نفسه، والإمام ابن الوزير متوسد التراب، فكيف لو كان العكس!

وهذا هو العامل الرئيسي في طمس آثار الإمام ابن الوزير العلمية ومفاخره الأدبية، فالزيدية كما وصفهم الشوكاني - رحمه الله - بقوله: (لهم عناية كاملة ورغبة وافرة في دفن محاسن أكابرهم، وطمس آثار مفاخرهم)[2].

وكان بعض حساده وخصومه لا يجهر له بالقول؛ لأنه لا يقوى على مناظرته، لما اشتهر به من شدة المعارضة وقوة الحجة[3]. وهكذا صاحب الحق، قوي بنصر الله له، وقوته من قوة الحق الذي يستمده منه.

---

(١) «العرف الطيب شرح ديوان المتنبي» ص (٤٣٤) لليازجي ط بيروت.

(٢) «البدر الطالع» (٢/ ٨٥-٩٠).

(٣) مقدمة الدكتور علي الحربي لكتابه «ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية» (١/ ٨).

كيف لا يحسد وقد فاقهم وانتصر عليهم.

وإذا أراد الله تعالى نشر فضيلة　　طويت أتاح لها لسان حسود

وهذه مني محاولة في تحقيق الكتاب وشرحه، أخرجهما في صورة طيبة وثوب قشيب، لأستفيد ويستفيد العلماء وطلبة العلم من هذين الكتابين، خاصة وقد أهمل الكتاب من المحققين المشهورين، وكذلك من بين الكتب المشهورة، وكذلك أهمل من أهل اليمن لظروفٍ أو لأخرى، وأيضًا أهمل بعد محاولة إخراج النصف منه في رسالة علمية، والنصف الآخر لم يخرج، ولعل عدم إخراجه زهد مكروه، أو أنه قد أثقل على المحقق كثرة المراجع والإحالات أكثر من الجزء الأول، على أي احتمال من قرأ الكتاب عرفه، ومن عرفه إن شاء الله يهتم به.

وقد تنبه بعض الأفاضل إلى الاهتمام بكتب ابن الوزير - رحمه الله - في دراسة آرائه العقدية، ومناهجه الحديثية، وإخراج وتحقيق بعض كتبه الكبيرة، والمتوسطة، وكذا أخرج بعضهم آراءه الكلامية، وهي:

١ - «ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية»

تأليف الدكتور علي بن علي الحربي - وفقه الله- وكانت هي رسالته العلمية في درجة الدكتوراه في جامعة أم القرى، والكتاب طبع في مجلدين، مكتبة عبد الله علي عامر. مكة ١٤١٧هـ، وقد أفاد وأجاد، جزاه الله خيرًا.

وقد كان بعض الأفاضل من طلبة العلم يود لو أن الشيخ الحربي - حفظه الله - توسع في مسائل القدر ومناقشة الإمام ابن الوزير في ذلك. وفي نظري أن هذه المسألة تحتاج أن يناقشها علماء كبار، وفي رسائل علمية كبيرة، ومجالها لا يتسع أن يناقشها حسب علمي في «الإيثار» و«العواصم».

٢ - تحقيق «الروض الباسم»

للشيخ علي بن محمد العمران - وفقه الله- وقد أجاد وأفاد في تحقيق الكتاب في مجلدين، ط عالم «الفوائد». وقد طبع من قبل، وفيه أخطاء كثيرة، حقق على عدة مخطوطات.

٣ - تحقيق «العواصم والقواصم»

للشيخ الفاضل شعيب الأرنؤوط - وفقه الله - في تسع مجلدات، تحقيقًا جيدًا، ط مؤسسة الرسالة. ولم يفهرس الكتاب، فهو في أمس حاجة لذلك حتى يرجع إلى الكتاب ويستفيد منه الباحث.

وقد طبع طبعة جديدة في ثلاث مجلدات كبار، وعملوا له فهارس جانبية، جعلت هذه الطبعة أفضل من سابقتها، إلا أن العيب أنها لم تفهرس، وكثير من المراجع لم تُحَلْ إلى مصادرها. وقد حقق على عدة نسخ خطية. وهناك تحقيق آخر في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية.

٤ - «إيثار الحق»

تحقيق الأخ أحمد بن مصطفى صالح (نصف الكتاب) وهو الجزء الأول، رسالة ماجستير في جامعة محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، ط الدار اليمنية للنشر (١٤٠٥هـ) مع ما فيه من الأخطاء المطبعية الفظيعة، وتغيير الموضوع، وتدخل الدار اليمنية، وهي من المخالفين المعادين للإمام ابن الوزير، يرحمه الله. وقد قابلها على بعض المخطوطات. والجزء الثاني حبيس الأدراج منذ سنوات كثيرة.

وقد طبع الكتاب طبعات كثيرة على نسخة خطية واحدة، وهي من أجمل النسخ، وهي كما جاء في تاريخها: نسخت من خط تلميذ المؤلف، رحمهما الله تعالى. وفي هذه النسخة أخطاء، وبعض العبارات والكلمات التي تسقط من خلال النسخ، وكذلك إخراج الأحاديث والمصادر، والتعليق على بعض الألفاظ والكلمات، غير موجود فيها. وهو مما يستلزم الحاجة إلى خدمة الكتاب. وأول طبعة له (١٣٥٣هـ) تقريبًا دار الكتب - بيروت، وطبعت بدار الكتب المصرية عام (١٩٥٣م) وبعدها في عام ١٩٧٥م في مكتبة ابن تيمية - مصر، تقريبًا. وفي عام ١٤٠٤هـ طبع مرة أخرى بدار الكتب العلمية - بيروت، وعليها تصحيح لما فات الطبعات الأولى، إلا أنهم أخطأوا في التعليقات.

٥ - «ابن الوزير اليمني ومنهجه الكلامي»

طبع ونشر ١٤٠٤هـ لرزق حجر، وعليه تعقبات وملاحظات تعقبها عليه الدكتور علي الحربي في كتاب «ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية» ١/ ٩-١٠).

٦ - «ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان»

كتاب قيم في بابه، حققه الدكتور سعيد بن أحمد الأفندي الغامدي ١٤٢٨هـ طبعة مؤسسة المختار - القاهرة. رسالة ماجستير.

٧ - «قواعد المنهج عند ابن الوزير اليماني» (بين النظرية والتطبيق) ١٤٢٨هـ

مؤسسة المختار - القاهرة، وهو جزء من رسالة الماجستير، في كلية دار العلوم بالقاهرة. للأفندي الغامدي.

٨ - «ترجيح أساليب القرآن»

تحقيق الأخ جمال بن محمد هاجر اليمني، جامعة ذمار ١٤٢٩هـ، ولما يطبع.

٩ - كتاب «القواعد عند ابن الوزير»

تحقيق الأخ الأستاذ وليد بن عبد الرحمن الربيعي، رسالة ماجستير بالسودان ١٤٢٧هـ. تحت الطبع.

١٠ - «قبول البشرى بتيسير اليسرى»

رسالة ماجستير بالسودان، تحقيق الأخ الشيخ أحمد أهيف وفقه الله. تحت الطبع ١٤٢٨هـ.

١١ - ترجيحات الإمام ابن الوزير الفقهية

يعمل فيها أحد الإخوة من غامد (رسالة دكتوراه) أسأل الله أن يعينه.

١٢ - «تقريب علوم الإمام ابن الوزير»

أبو نوح عبد الله بن محمد عبد الحميد اليمني.

١٣ - «مصادر ومؤلفات الإمام ابن الوزير»

أبو نوح عبد الله بن محمد عبد الحميد اليمني.

١٤ - «الفوائد المنتقاة للإمام ابن الوزير» رحمه الله

أبو نوح عبد الله بن محمد عبد الحميد اليمني.

١٥ - اختصار «إيثار الحق على الخلق» مخطوط

تحقيق أبي نوح عبد الله بن محمد عبد الحميد اليمني، وفقه الله وسدده.

***

حِفْظُ الله لكتب العلماء، ومنهم ابن الوزير

ونرى في حفظ الله لهذا الكتاب وغيره من كتب الإمام تصديقًا لما قاله بعض العلماء:

ولولا أن الله تعالى لطف وأعان ومنّ وأنعم، وخرق العادة في حفظ أعيان كتبه وتصانيفه، لما أمكن أحدًا أن يجمعها، ولقد وقع من خرق العادة في حفظ كتبه وجمعها، وإصلاح ما فسد منها، ورد ما ذهب منها ما لو ذكرته لكان عجبًا يعلم به كل منصفٍ أن لله عناية به وبكلامه؛ لأنه يذب عن سنة نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وحق أن الله حفظ هذه الكتب «العواصم» و«الروض الباسم» و«إيثار الحق» و«ترجيح أساليب القرآن» وغيرها من كتب إمامنا ابن الوزير - رحمه الله- وإلا فإنهم لو استطاعوا أن يحرقوها أو ينفوها من الأرض لفعلوا؛ لأنهم أعداء الحق، لا يريدون إلا الباطل.

وإذا أراد الله نشر فضيلةٍ طويت أتاح لها لسان حسود

***

«إيثار الحق» ليس له نظير

قال الإمام الأمير الصنعاني رحمه الله:

فإنه لما كان ديوان الإمام الحافظ الكبير محمد بن إبراهيم الوزير - قدس الله روحه ونور ضريحه - «ديوانًا» اشتمل على مدح الرب الخلاق، وضمنه علومًا واسعة تضيق عن بسط شرحها الأوراق، حتى كأنه عصارة كتابيه «العواصم» و«الإيثار» اللذين لم يؤلّف لهما نظير في سالف الأعصار، ولا حام حول ما حوياه المحققون من العلماء النظار.

وقال: وكان لي بمؤلفات هذا الإمام منذ عرفتها نهاية المحبة والغرام، لما اشتملت عليه من علوم قصرت عن بلوغها الأفهام، وحوت كلّ نفسٍ من التحقيق بعبارات ترشفها الأذهان رشف الرحيق.

وقد شرحت من مؤلفاته «تنقيح الأنظار» شرحًا نفيسًا سميته «توضيح الأفكار» وشرعت أكتب حاشية على الإيثار سميتها بـ«الأنوار» وقد كتبت بعضًا منها، وأسأل الله الإعانة على إكمالها ببيان تفصيلها وإجمالها... والله أسأل أن يخلص أعمالنا لوجهه الكريم، ويضمنا إلى هذا الرجل الصالح وإخوانه في جنات النعيم، وجوار رسوله العظيم صلى الله عليه وآله أهل الإجلال والتعظيم[1].

***

(١) «فتح الخالق شرح مجمع الحقائق» (١/ ٦٢-٦٣)، ط المكتبة الإسلامية - مصر.

حاجة الناس إلى هذا الكتاب

وإن الكلام في التوحيد، والصفات، والشرع والقدر، لمسيس الحاجة إلى تحقيق هذين الأصلين، وكثرة الاضطراب فيهما، فإنهما مع حاجة كل أحدٍ إليهما، ومع أن أهل النظر والعلم، والإرادة والعبادة لابد أن يخطر لهم في ذلك من الخواطر والأقوال ما يحتاجون معه إلى بيان الهدى من الضلال، لا سيما مع كثرة من خاض في ذلك بالحق تارة، وبالباطل تارات، وما يعتري القلوب في ذلك من الشبه التي توقعها في أنواع الضلالات. فالكلام في باب التوحيد والصفات هو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات، والكلام في الشرع والقدر هو من باب الطلب والإرادة الدائر بين الإرادة والمحبة، وبين الكراهة والبغض نفيًا وإثباتًا.

وهذا هو كتاب «التدمرية» ومثله «إيثار الحق على الخلق».

***

اهتمام العلماء بكتاب «إيثار الحق على الخلق»

١ - العلامة المقبلي - رحمه الله- فقد استفاد كثيرًا حين كتب كتابه العلم الشامخ، بل نقل منه كثيرًا.

٢ - ابن الأمير الصنعاني - رحمه الله - في كتبه: «إيقاظ الفكرة» و«فتح الخالق» و«إقامة الدليل» و«الدراية شرح الغاية» و«الأنوار» وغيرها.

٣ - الإمام الشوكاني - رحمه الله- كما في «البدر الطالع».

٤ - صديق حسن خان الحسيني. كما في «أبجد العلوم» و«الدين الخالص».

❊❊❊

يجب الاطلاع على هذا الكتاب

قال الشيخ محمد رشيد رضا وهو يذكر «كتاب إيثار الحق»:

إنه كتاب جليل وسفر كبير، ألفه السيد أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني، أحد مجتهدي القرن الثامن الهجري، وقد طبعته شركة طباعة الكتب العربية بمصر، لما رأت فيه من عظيم الفائدة على كل ناطق بالضاد.

والكتاب في أصول العقائد، وقد اقتصر فيه على ما نطق به الكتاب والسنة غالبًا، وترك الخوض في النظريات والفلسفة التي نراها في علم عقائد الدين.. والمزية الكبرى التي امتاز بها كتابه على كتب العقائد المتداولة أنه لم يتعصب لمذهب مخصوص، ولم يَخَفْ اللائمة في تقرير ما يعتقده إن كان مخالفًا لما عليه الناس؛ لأنه آثر الحق على الخلق، وهو التقرب إلى أهل الأثر منه إلى أهل النظر، وعهدنا في أكثر المتكلمين التقصير في علم الرواية. ويمكننا أن نقول: ينبغي لكل مشتغل بعلم الدين الاطلاع على هذا الكتاب[1].

***

(١) مجلة المنار ١٦ ذو القعدة ١٣١٨هـ.

الإمام ابن الوزير والسماحة

قال العلامة الأمير الصنعاني رحمه الله:

انتهى شرح ديوان الممادح الإلهية. ثم ختم الديوان جامعة بالأبيات الضادية التي أولها:

أصول ديني كتاب الله لا العرض وليس لي في أصولٍ غيره غرض

وشرعت أشرحها، ثم نظرت وإذا هي كلها في الإشارة إلى رد أدلة الأكوان، وفيه دقة على الأذهان، ومتوقفة على معرفة قواعد لا يعرفها أكثر الموجودين من أهل الزمان، ثم رأيته يتفرع على شرحها شرح جواب المهدي عليها، ثم جوابُ الناظم - رحمة الله عليه- وفيهما شيء من الهجاء، لا يجوز له الإملاء، ولا يحل به الاعتناء، وقد صحت توبتهما عما دار بينهما كما قرأت بخط السيد محمد ابن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم، رحمهم الله، ما لفظه: (ولما كان في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة، في سنة الفناء، سعى الفقيه الأفضل العابد الزاهد المحاسب لنفسه المجاهد محمد بن علي بن إسماعيل - رحمه الله - فيما بين الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضي - رحمه الله- وبين السيد الإمام الحجة حافظ العصر محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى - رحمه الله - في المبارة فيما جرى بينهما من المسائل والرسائل والقصائد والمخالفة في العقائد، فكان ذلك وتم، واجتمع شمل أهل البيت وانتظم، ليعلم ذلك من وقف عليه من الأولاد والسادة الأمجاد والأصحاب، وطوي ما بينهما طي السجل للكتاب) انتهى.

فقلت في ذلك:

ذببت عن المختار في كل حالة وقدمته في يقظتي ومنامي
فحينًا بأقلامي وحينًا بمنطقي وحينًا بكتب كالحماة حوامي
فلو مكنت من نصره بعد ميتتي عظامي حمته في القبور عظامي
وإني على بعد المزار موجه إليه صلاتي دائمًا وسلامي
ولله في ذا المن والشكر والثنا وليس لأقلامي ولا لخصامي

وقال رحمه الله:

وكان قبل تمام الشرح عند دخول سنة ثمانين من الأعوام، وهي أيضًا موافقة عمري ثمانين من مولدي، ولله الحمد ذي الإنعام العام، قلت أبياتًا أحببت أن أختم بها هذا الشرح؛ لأني فعلتها حمدًا لله وذكرًا لإنعامه، وتأسيًا بالسيد الإمام صاحب الديوان - رحمه الله- فإنه تحدث بإنعام الله بالحج مرتين وتقديم ثلاثةٍ من ولده قبله، وتأليف «العواصم» و«الإيثار» وغير ذلك فقلت لنفسي:

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

وقلت:

الحمد كل الحمد للخلاق رب العباد وقاسم الأرزاق
وله المحامد كلها من كلنا حمدًا بعمد الحمد باستغراق
ألبستني حلل الثناء تفضلًا ونشرتها فضلًا على الآفاق
حتى أتتني بالثناء رقاع من أدري ولا أدري بلا استحقاق[1]

وذكر مثل هذا بخط اتفاق المبارة ما بين السيد محمد وبين شيخه علي بن

---

(١) انظر «فتح الخالق» (١/ ٣٩٩-٤٠١).

محمد بن أبي القاسم.[١]

قال: وكانت هذه المبارة في مواقف متعددة.

قلت (ابن الأمير): وذنب قد تاب من ارتكبه يحرم ذكره وإعادة الخوض فيه، ويدخل تحت حديث: «**لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**... ».[٢] هذا سبب تركي لشرح ذلك، وكذلك لم أشرح قصيدته العينية ردًّا على ابن سينا في النفس الناطقة، ولقد أدركت عند شروعي في شرح الضادية ظلمة تغشت قلبي، وضيقًا في صدري، وكنت كتبت كثيرًا منها، فعلمت أنه من ذلك، فلما ألقى الله في القلب ترك ذلك انشرح صدري، ولله الحمد، فإن علوم الابتداع لا تثير إلا تغيرًا في الطباع. وآخر ما في أبياته ما قدمناه وشرحنا أنه قال - أي ابن الوزير رضي الله عنه: رأيت في المنام أني أذب عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- وذلك في رمضان عام ثمان وثلاثين وثمانمائة.

وما أكثر حساد ابن الوزير

قال الشيخ عائض القرني، حفظه الله تعالى، وهو يتكلم على الثناء والمدح: محمد بن إبراهيم الوزير - رحمه الله- من علماء اليمن، العالم الكبير النظار، أكبر علماء اليمن على الإطلاق. شكا من حساده - وذكر أبيات هي في الترجمة - ومن الوشاة كذلك.قال: وله كتاب عظيم في ٩ مجلدات «العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم. وذكر مدح الشوكاني له. قال: وليس العواصم من القواصم لأبي بكر ابن العربي[٣].

(١) الذي رد عليه ابن الوزير بكتاب «العواصم».

(٢) «صحيح البخاري» (١٣٩٣).

(٣) محاضرة الأسطورة (٩ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ).

إمامنا لم يتراجع عن الحق بل ثبت عليه

الدليل على ذلك أن الله - عز وجل - أبقى كتبه وجعلها باقية في المسلمين إلى ما شاء الله سبحانه، وكذلك أنكم أيها المعتزلة الرافضة تردون عليها فتزيد انتشارًا.

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

***

المبتدع يكره الحق

لذلك همُّ المبتدع الرد على أهل السنة، ورد الحق الذي جاءوا به، بل رد الأدلة وتحريفها بالتأويل الفاسد. ولو كان هؤلاء الأئمة الأعلام من أهل بيت النبوة، فلا يُقبلون ولا يُقبل الحق الذي معهم.

فالأقزام عليهم الذلة والصغار، يطعنون في علماء الإسلام، فلا هم للدين نصروا ولا للعدوا كسروا. من هؤلاء رجل نكرة في المجتمع يدعى عبد السلام الوجيه، أكثر من الطعن في الإمام الشوكاني - رحمه الله تعالى- وكما يزعمون أنه لا يكون العالم من القبائل، إذًا فممن؟ قالوا: من السادة آل البيت. قلنا: تحجرون رحمة الله. قالوا: نحن سادة، وليس للعرب سيادة. قلنا: إذًا أنتم لستم عربًا، فأنتم عجم، والمسيدة زعم منكم. والنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عربي، بل سيد العرب صلوات الله وسلامه عليه، وهذه نغمة يقولها أبناء الفرس الذين كانوا في اليمن من بعد قتالهم للأحباش، بما أن هناك في أول الإسلام كان الغالب أن الأبناء أهل سنة، والتاريخ يشهد بذلك.

لكن بعد انتشار البدع ودخل فيها جماعات من هؤلاء، قالوا هذه المقولات، فعبد السلام الوجيه كلامه غير وجيه، فهو ينتقص العلماء، ولحوم العلماء مسمومة، من انتقص عالمًا فإنما يذم نفسه، فكيف بعلماء اليمن الداعين للحق الرادين على الباطل وأهله، بل ومن جاء بهم، فليبشر بالحرب، فكيف وإن كانوا من أهل البيت! فهل أطعتم الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في أمره بالحفاظ على أهل بيته! إذًا أنتم تكذبون أنكم تنصرون آل بيت النبوة، وإنما تزعمون أنكم تنصرون بعض أهل البيت لأغراض سياسية، ومن أجل نشر بدعكم السيئة، وقد زعم قبلكم كبراؤكم أن زيد بن علي - رحمه الله- معتزليٌّ،

وهذا طعن فيه، وكذب على زيد بن علي (ع) فإنه من أهل السنة ومن علمائهم، وقد أثبتنا هذا في مقدمة كتاب «إقامة الدليل في الرد على التكفير بالتأويل» وهو رد من المنصفين من علماء الزيدية على المكفرين من الزيدية لأهل السنة، فتأمله.

يا عبد السلام، تنتقص الإمام الشوكاني - رحمه الله- فجئت بظلام يرد ضوء الشمس، إنه الظلم بعينه.

تهمل العلماء الأعلام فلا تمدحهم بسبب أنهم نصروا الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وهديه، مثل يحيى بن الحسين بن القاسم في كتابك «الأعلام».

أم تطعن في جبال العلم الذين جاهدوا في الله حق جهاده، كالإمام الكبير محمد بن إبراهيم الوزير، عليهم رحمة الله جميعًا.

فيا أيها الناطح للجبل العالي ليوهنه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل.

قلتَ يا عبد السلام: (محمد الشوكاني) في ترجمته، ولم تقل (العلامة الإمام) بل لم تقل (القاضي) ولم تترحم عليه كما يترحم على المسلم، هذا ما تظهر، والله رقيب على ما تبطن ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنفال:٤٣].

أظهرت أنه اقتطع الصدقات له، والله رقيب على ما تقول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

بينت أنه كان يهتم بمظهره واجتماعاته مع الأشياخ وأنه متعال! وما الكبر والغرور إلا طبعكم يا أيها المنتقد.

قلتَ: (دخل في خصومه فكرية مع علماء عصره بسبب آرائه التي خالف بها مذهب آل البيت...).

الجواب عليك: ليست خصومة فكرية كما تزعم إنما هي نشر للكتاب

والسنة، وترك ما قالت عمتي وجدتي، وليتها قالت حقًّا بدليله وبرهانه.

ولماذا تهرب وتقول (فكرية) ولا تقل (عقائدية) حتى يتضح أو تظهر عقيدتك، هل هي معتزلية؟ أم رافضية؟ أم تقليدية؟

أما المعتزلية فيكفي أنكم قلدتم فرقة ضالة (المعتزلة) الذين اعتزلوا الحق واعتقدوا الباطل، وقد رد عليهم الإمام زيد بن علي - رحمه الله - وناظر واصلَ ابن عطاء الذي طعن في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- ولكنها عميت عليكم فلم تروها. بل تفترون على زيد بن علي أنه معتزلي، فأي جهل أعظم من هذا يا أصحاب الفكر المثلوث.

أما الرافضة فهم الذين رفضوا زيد بن علي - رضي الله عنه- وسماهم رافضة، وقد رد عليهم أسيادك علماء الزيدية في اليمن، ولماذا تخالف الزيدية إن كنت زيديًّا فتتخذ أفكارًا هدامة من الرافضة وتزعم أنك زيدي؛ لماذا كل هذا يا عبد السلام!

وأما التقليد عندكم فهو التقليد الأعمى لابن حريوة السماوي وللحوثي وغيرهما ممن حملوا الفكر الغالي المتعسف من أسيادكم.

الإمام الشوكاني - رحمه الله - لم يتأثر بشيخ الإسلام ابن تيمية - عليه رحمة الله - إنما تأثر بالعلم الذي جمعه شيخ الإسلام ابن تيمية من الكتاب والسنة، وهذا يدل على أن العالم يأخذ الحق من كل أحد، فكيف لا يأخذ العلم من العلماء الربانيين المنصورين بنصر الله لهم، وحسبك من هذا أن علماء اليمن الذين تحرروا أخذوا من كل المذاهب الفقهية القديمة، اتباعًا للنصوص واستنباطات أهل العلم، وليسوا متحجرين أو مقلدين. لو كان لك عقل سليم لما وسعك إلا اتباعهم ونصرهم، ولكن الشبهات تفتك بالقلوب والعقول.

قلتَ: (إنهم نسبوا إليه الغرور العلمي والتعالي والتطاول وتسفيه الآراء الذي لا توافقه...) الخ.

الجواب: أنه كان إمامًا متواضعًا متخلقًا بأخلاق الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ولكن الخصم يقول في العالم الأقاويل الباطلة، خاصة إذا كان لدودًا في الخصومة مثل الذين ذكرتهم.

الإمام الشوكاني لم يسفه الآراء إنما سفه المذاهب التي خالفت القرآن والسنة، وهذه كتبه تشهد بذلك، فما كان من رأي مخالف للقرآن فيرد في وجه صاحبه، بل وصاحبه سفيه أعمى جاهل.

وهذه سنة الأولين الذين ذموا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فما زادوه إلا رفعةً وعزًّا، قلنا (محمد) قلتم (مذمم) قلنا (سنة) قلتم (رأي وفكر) فهذه منقبة كبيرة للإمام الشوكاني - رحمه الله - أن تذموه يا أهل الرأي والفكر المأخوذ من الشبهات الزائفة.

قلتَ: (وذهب البعض إلى أن كثرة مؤلفاته وأبحاثه ورسائله لم تكن بجهده).

هذا كلام باطل، فإنه - رحمه الله - كتب الكتب والرسائل بخط يده، وهذا «نيل الأوطار» قد فضح شبهتكم الهزيلة، فقد كنتم تزعمون أنه يسب الصحابة -رضي الله عنهم- ثم فضحكم الله أن الكتاب بخط مؤلفه ليس فيه سب ولا لعن.

قلتَ: (ولست حريصًا على مدحه أو ذمه).

كيف تنقل ذمه، ولم تترحم عليه - رحمه الله - وتناقض قولك لترضي أسيادك، أو من تقلدهم، أو من تخاف منهم، كالمحطوري الرافضي حطه من رأس شاهق[1].

(١) إن شاء الله سيكون رد موسع على هؤلاء قريبًا.

إمام أهل اليمن ابن الوزير، رحمه الله

قلتَ: محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى، الحسني القاسمي، أبو عبد الله عز الدين. عالم شهير، أصولي، لغوي، نحوي، أديب، شاعر. ولد بشَظَب صعدة، وبها نشأ وأخذ عن أخيه العلامة الهادي بن إبراهيم، ورحل إلى صنعاء وتعز وتهامة ومكة، فتتلمذ على كبار علمائها وشيوخها حتى بلغ مرحلة الاجتهاد.

ثم قلت مفتريًا: خرج في بعض اجتهاداته عن مذهب أئمة أهل البيت!

والجواب عليك: خرج عن اجتهادات الزيدية المعتزلة الذين خالفوا الكتاب والسنة وجاءوا بالبدع والمحدثات.

والحمد لله أنك قلت: اجتهادات.

هو مجتهد، كيف يقلد؟ فأنتم تركتم الاتباع، وأخذتم الاجتهاد، واجتهادكم في التأويل والتحريف.

بل اجتهادكم في التقليد، تقليد الآباء والمشايخ، وتسمونه اجتهادًا!

نعم خالفتم العقل والنقل، من اجتهد بحق وخرج عن التقليد قلتم: خالف الاجتهاد. وإن جاء بالأدلة قلتم: خالف أهل البيت! فمتى تتركون التجاهل!

وعلى زعمكم أن علماء السنة خالفوا أهل البيت، فإنكم تطعنون في أهل البيت المتمسكين بالحق؛ لأنكم ومن تزعمونهم أئمتكم مخالفون لكتاب الله ولسنة نبيه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فجعلتم مرتبة أئمتكم فوق مرتبة النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وهذا هو الواقع الحق ما تدندنون به (مخالفة آل البيت، تركوا آل البيت) وأنتم من خالف وانتحل مذاهب وعقائد

وأفكارًا مخالفة للشرع والعقل، حتى وصل الأمر بأناس من أصل عجمي فارسي أنه يزعم أنه من آل البيت، وهذا ما روجتم له، وما تروجونه لهم.

فقولوا: خالفتمونا. خالفتم الشيعة، خالفتم المعتزلة، قولوها وأظهروا ما تخفون، فإنه ظاهر في أعمالكم وكتبكم وإن غطيتموها بالظلام.

قلتَ: وألف ردًّا على بعض مشايخه، وكتب كتابات أثارت الجدل ورُدّ عليه في أغلبها، وأوردَ من الاعتراضات والمباحث ما يدل على حفظ ومعرفة واطلاع كبير، لولا دافع الحماس والجدل والاندفاع الذي يحس به القارئ من خلال اطلاعه على كتبه، فيشعره أن الهدف الانتصار للرأي، وقد أطنب في وصفه المعاصرون وبعض المتأثرين بالحشوية، وأوغل في قدحه المتقدمون من كبار أئمتنا وعلمائنا وردوا عليه، ولقبه الإمام شرف الدين بـ(إمام الحشوية) وقال إنه أكثر الناس تخليطًا في أمر دينه، وعلمه وعمله، واعتقاده!

الجواب عليكم: رد على شيخه علي بن قاسم بكتابه العظيم «العواصم والقواصم» فعصم الله به الدين، وقصم الله به المبتدعين الضالين أمثالكم.

قلتم: رد عليها في كتابه «العواصم» مئات الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم من الصحابة وأتباعهم الصالحين إلى زمانه - رحمه الله- فعلى ماذا رددتم! وكيف انتصرتم! إنكم وما تكتبون مفترون ملبسون، فلم تفلحوا، ولن تفلحوا في باطلكم المزعوم.

والحق ما شهدت به الأعداء

فإنك قلتَ: (وأورود من الاعتراضات والمباحث ما يدل على حفظ ومعرفة واطلاع كبير).

نعم والله، إنه حق علم وبحث وحفظ للعلم، ومعرفة بالدين، وبطرق الفرق الضالة، كالرافضة والخوارج والقرامطة والمعتزلة والمقلدة والجهلة.

فلماذا تردون كتبه! إما أنكم مقلدة للجهل والضلال، وإما أنكم تدافعون عن هذه الفرق، وأنتم منها، فحددوا مع أي الفريقين أنتم.

قلت هداك الله للحق: إن الهدف من كلام الإمام ابن الوزير - رحمه الله - الانتصار للرأي.

أنت لا تعرف العلم ولا الرأي، فيحتاج أنك تطلب العلم أولًا ثم تخلص لله - عز وجل - وتترك حب الظهور فإنه يقسم الظهور، فلا تسود وجهك بالمداد ولا قلبك بهذه الأفكار التي قلتها، إنك لم تقرأ كتب إمام أهل اليمن ابن الوزير - رحمه الله - لتعرف الحق أو تستفيد منه، إنما قرأته لتتأكد من كلام مشايخك الذي قد اشرأب في قلبك، ومن أجل أن تقول: قد قرأت كلامه. وهكذا تحطون من قدر أهل البيت الصادقين، أهل العلم العاملين المتمسكين بالدين. فرأيك سقيم، وكلامك عقيم، ونعوذ بالله من كلام اللائم.

***

وصف أهل زمانه المعاصرين بالعلم والدين

هكذا يعرف الفضل لأهل الفضل، ويمدح العلماء ويذكرونهم بالخير، فإنهم مصابيح الهدى والنور في ظلمات الجهل، ليسوا أهل ظلمات في وسط النهار وأبواقًا لكل ناعق وجاهل.

يصيبكم المرض وتأتيكم الحمى، إن لم يكن إسهالًا شديدًا، حين تسمعون أو تقرأون اسم شيخ الإسلام إمام المسلمين ابن تيمية - رحمه الله - أو تلميذه ابن القيم، أو أئمة الإسلام أحمد ومالك وأبو حنيفة والشافعي ومحمد الصادق وغيرهم، وكما قيل قديمًا (ذيل السارق يوز)[1] فتصابون بالفالج حين يذكر العلماء، وترمونهم بالحشوية، وهذه كلمة تدل على أن قائلها مبتدع يرد على أهل السنة.

فكن شجاعًا وقل: أنا رافضي، أو معتزلي، ودع المزيدة.

وقولك: إنه قدح في أئمتكم.

اذكرهم ولا تُوهِم وكن واضحًا، لا تُخْفِ اسمك كالحية، وكن أسدًا ما تظن، ومنهم الرافضة أم المعتزلة أم من؟ وهنا قد أظهرتَ ما كنت تخفي أن لك أئمة، ومعروف أن إمامنا - رحمه الله - رد على أئمة أهل البدع، فلك أئمة مبتدعة، لكنك منهم، فإنه رد على كثير من الفرق.

وأما إمامك شرف الدين فإنه زفر بكلمة الباطل التي تدل على كلام المبتدعة، وقد وقع في ضلال كبير، فإنه ادعى أن إمامنا ابن الوزير مخلط في عقيدته وعمله وعلمه ودينه، فلم يكن منصفًا، بل كان مبطلًا ظالمًا فحق أن يلقب بـ«ظلام الدين»

---

(١) مثل عامي يقال: سبلة السارق توز. أي: يرتجف ويرتبك.

فشرف الدين يكون منصفًا ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة:٨] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣] أي: عدل، فأين العدل؟ ولا عدل عند أهل البدع ولا علم ولا بصيرة.

قلت: اعتزل آخر عمره من الناس.

نعم، اعتزل عن الناس، ونصحهم حكامًا ومحكومين، يمنيين وغير يمنيين، فكتب لهم كتابًا حقق فيه النصيحة التي أمره بها جده رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - التي هي «**الدين النصيحة**» ألا وهو «إيثار الحق على الخلق» كتابنا العظيم الذي هو مختصر في الاعتقاد، وأثبت فيه أنه جعله ناصرًا لكتبه الأخرى، فكيف تزعمون أنه تراجع! وهل يتراجع عالم مجاهد عن دينه وجهاده! ولو كان عندكم شيء من الحياء لكنتم مفتخرين به أنه مَن آل بيت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- وأنه من علماء اليمن، لكن مصيبة حلت على رؤوسكم، وجثت على قلوبكم، فماذا تفعلون! تردون عليه وتطعنون فيه! وما ضر البحر ما يرمى فيه.

قال الشيخ عبد الرحمن الصنعاني حفظه الله: رحم الله الإمام الشوكاني، وخذل من انتقصه، كالجاهل مؤلف هذا الكتاب «أعلام الزيدية» ولا بارك الله فيه. ومؤلف هذا الكتاب مكابر هو (عبد السلام الوجيه)[1].

وقال: هذا المؤلف لا يوثق بنقولاته، فهو يترجم للرافضة ويحشرهم مع الزيدية، وإن كان يجمعهم اسم الشيعة، لكن هناك فرق بين الزيدية والرافضة، والمؤلف أقرب إلى الرافضة.

(١) حاشية على غلاف كتاب «أعلام المؤلفين الزيدية».

وهناك كلام جيد في كتاب «رافضة اليمن على مر الزمن» على المؤلف عبدالسلام الوجيه.

وله كذبات وافتراءات على أهل السنة في كتبه، منها:

١ - أن أهل الحديث هم الحشوية.

٢ - تقديم أسانيد أهل البيت على غيرهم، وإن خالفوا الحق.

٣ - يصحح حديث العرض والسفينة.

٤ - مدحه لبعض المعاصرين بما ليس فيهم.

٥ - مدحه للرافضي أحمد الحسيني أمين مكتبة آية الله المرعشي في (قم) وقال عبد السلام: وكنت ممن تشرف بلقائه.

هه: [الطيور على أشكالها تقع] فما أقربك إلى الرفض(١).

***

(١) انظر: «أعلام الزيدية المؤلفين» ص(١٦، ٢١، ٢٢) وسنؤجل الرد على ما في هذا الكتاب من الضلالات إلى كتاب آخر إن شاء الله تعالى.

الحق ما شهدت به الأعداء

من الذين مدحوا كتاب «إيثار الحق على الخلق» من الخصوم

ما كتبه الغمر الشيعي عبد الله بن حمود العزي الصعدي في مقدمته لتحقيق الكتاب المظلم «العلم الواصم في الرد على هفوات الروض الباسم» قال: ومن الجدير الإشارة إلى أن شيخنا السيد العلامة الولي مجد الدين المؤيدي قد ذكر أن السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير قد تراجع في آخر عمره عما اعتقده من العقائد المخالفة لما عليه أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ولما احتواه كتابه «العواصم والقواصم» ومختصره «الروض الباسم» من المقالات الجدلية.

وقد ترجم له في كتابه «التحف شرح الزلف» قال: ومحمد بن إبراهيم الوزير، ومن مؤلفاته «إيثار الحق على الخلق» وهو من أجل المؤلفات في التوحيد والعدل، والرد على نفاة الحكمة، والبرهان القاطع... «والعواصم والقواصم» ومختصره «الروض الباسم» وأكثر ما اشتمل عليه من الأقوال مما أثار الجدال، وقد صح رجوعه عنها، من رواية الإمام الشهير محمد بن عبد الله الوزير، وصاحب «مطلع البدور» يعني ابن أبي الرجال..الخ[١].

قال الغمر: وقد توسع المؤيدي في الكلام عنه أيضًا في كتابه «لوامع الأنوار»[٢].

أقول: الرد على هذه الكلمات وتلك الزلات وما فيها من الضلالات

فإن الإمام العالم القدوة محمد بن إبراهيم الوزير السني، رحمة الله عليه، لم يتراجع عن كتبه التي فيها عقيدته «العواصم» أو «الروض الباسم» والدليل على

(١) التحف شرح الزلف ص(٢٨٧) الطبعة الثالثة.

(٢) لوامع الأنوار (١/ ١١٠) والعلم الواصم ص(١٨).

أنه أثبت هذه العقيدة التي في الكتابين، في كتابه العجاب «إيثار الحق على الخلق».

وسبحان الله العظيم، كيف جعل أهل الباطل لا يبصرون، ولا إلى الحق يهتدون ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج: ٤٦] يمدحون «إيثار الحق على الخلق» ولا ينظرون إليه أنه مختصر في العقيدة، والتفسير والرد على أهل البدع، وتقرير عقيدة الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة أهل البيت والصحابة، رضي الله عنهم أجمعين. هذا أمر.

والأمر الثاني: أن الحق ما جاء به القرآن والسنة، فهل ما في «العواصم» و«الروض» متبع لما جاءت به الآيات والأحاديث أم على ما جاءت به الأهواء!

نعم، ما جاء موافقًا للكتاب والسنة فهو الحق الذي لا باطل فيه، والإمام ابن الوزير - رحمه الله- استدل بالكتاب والسنة، على فهم الصحابة، رضي الله عنهم، ومن اتبعهم بإحسان، وهذا هو الحق الذي هدي إليه، فكيف يتراجع عن الحق! إنه لم يتراجع عن شيء من الحق الذي جاء به الشرع، ولم يتراجع عن الكتابين، فهذا زعم باطل لم يثبت عن الإمام محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله.

الأمر الثالث: أنكم مدحتم كتاب «إيثار الحق على الخلق».

وهذا حق، وهو رد قوي جدًّا، يدحض ما جئتم به من الكلام الباطل ويرد عليكم، فإنه لم يتكلم في مسألة إلا وقال: وقد ذكرت ذلك في «العواصم» فارجع إليه. إلا اليسير من المسائل.

ويكفي هذا الرد عليكم من كلامكم المقرر في كتبكم. وإن النصر حليف الصادقين المتبعين للحق.

هذا الرد المختصر على صاحب «العلم الواصم» وعلى مجد الدين المؤيدي.

وأما المحقق عبد الله العزي فأقول له: قد سودت وجهك بالمداد.

ومن العجب أن يتطاول الأقزام على عمالقة التاريخ الإسلامي وأئمة الحديث النبوي، ولا يزال الحق يتعرض لحملات التشويه من أعدائه، وليس هذا غريبًا، إنما الغريب أن يتعرض للطعن والتشويه من أبنائه، والسبب في أكثر الحالات هو الجهل الذي خطط لأمتنا أن تتجرع غصصه عبر قرون طويلة، حتى وجد من يرفع عقيرته بالتشكيك والطعن في الثوابت وفي علماء الأمة وحملة الراية فيها، منهم البخاري ومسلم وأحمد والشافعي وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه والإمام ابن الوزير والإمام ابن الأمير الصنعاني وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب والشيخ ابن باز والألباني والشيخ الوادعي، وغيرهم رحمهم الله تعالى.

وهناك رد على كتاب «العلم الواصم» بعنوان «العواصم والقواصم في الدفاع عن الروض الباسم» يزهق الله به الباطل، ويقصم به ظهور الغلاة والمبتدعين الغلاصم.

***

دفعني إلى خدمة هذا الكتاب

١- ما تضمنه من مادة علمية هامة في بابها، وإضافة إلى المنهج السلفي الذي سلكه هذا الإمام في تقرير الحق وإثباته.

٢- لم يحقق الكتاب تحقيقاً كاملاً شاملاً.

٣- لحاجتنا إليه وحاجة العلماء وطلاب العلم إلى ما فيه من علم وأصول وقواعد مهمة كثيرة.

٤- أنه لا توجد منه نسخ في الأسواق، حتى النسخة القديمة كثيرة الأخطاء والنقص، ولا النسخة الناقصة منها الجزء الثاني، إلا نسخًا قليلة في مكتبة أمام جامعة أم القرى في مكة المشرفة.

٥- ولأنه لم يخرج مع شرحه «الأنوار» من قبل هذا.

٦- لما وفق الله تعالى فيه مؤلفه من الإخلاص والصدق. يجد ذلك جليًّا من يقرؤه. والحمد لله رب العالمين.

٧- استشرت بعض مشايخي حفظهم الله، ومنهم القاضي العمراني حفظه الله فوافق وأعجب بذلك.

ولأهمية الكتاب وموضوعه جعلت له دراسة مختصرة موضوعية كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

***

مميزاته العلمية والأخلاقية

أهمها:

١- استخدامه للعقل في تأييده في استئثاره بالدليل الديني من قرآن وسنة بفكره، وهو مستند إلى الشرع. فالعقل عنده يستضيء بنور الشرع، ويفهم بعقله النصوص الشرعية الدينية فيما للعقل فيه مجال، لأن الله خلق فيه أداة الفهم والتعقل، فكان مدركًا للنصوص عاملًا بها.

قال: ولابد من نظر العقل، وكذلك أمر الله بتدبر كتابه، فبأي شيء يتدبر إلا بالعقل[١].

٢ - اتصف، رحمه الله، بالذكاء وحضور البديهة وسعة الذاكرة التي مكنته من كتابة بعض المصنفات اعتمادًا عليها دون وجود مراجعه، حين كان معتكفًا في الجبل، وكذلك شهادة خصومه له بذلك.

وهذه بعض مميزاته الفكرية وتحريه للحقيقة الشرعية في حدود الأمان والبحث عن اليقين، يقول رحمه الله:

(واعرض ما أورد عليك فيه من الأدلة على النصحاء والأذكياء من العلماء حتى تعرف الوجوب يقينًا من غير تقليد، ثم حرر النية الصحيحة بعد ذلك في معرفة الحق، ومن القواعد المقربة إلى النجاة: كل قولين مختلفين يخاف الكفر والعذاب الأخروي في أحدهما دون الآخر فابعد عنه واحذره)[٢].

---

(١) انظر: العواصم (٢/ ١١٤).

(٢) إيثار الحق ص(٣٣، ٣٤).

وهذا يدل على أنه كان على طريقة العلماء الكبار المتقدمين، قال الإمام الشوكاني رحمه الله:

وكلامه لا يشبه كلام أهل عصره ولا كلام من بعده، بل هو من نمط كلام ابن حزم وابن تيمية[١].

ومن أبرز صفاته النفسية والخلقية حبه للحقيقة، وأمانته العلمية في التعبير عنها. فالأمانة العلمية تستلزم الإخلاص والتصحيح والتضحية والصبر والتواضع، وكل هذه الخلال اجتمعت للإمام ابن الوزير وتحققت في شخصيته[٢].

ومن الأمانة إشارته إلى المصادر التي ينقل منها بصدق ووضوح، وكذلك الإنصاف، لا عدم الفهم، ولا يتردد في كشف أخطاء العلماء، ولا يتكلم في فرقة إلا بعد جمع الطرق واستقصاء ما ذهبوا إليه، حتى يكون رده على علم وبينة. ويحترم التخصص، فيرد بالاحتجاج في كل فن بكلام أهله[٣].

٣ - كما أنه يتصف بالشجاعة الأدبية، كما في رده على شيخه ابن أبي القاسم في العواصم، وهذا فن يرسم لنا الإمام ابن الوزير الطريق إليه، ويعلمنا كيف نتأدب في الرد على الخصوم، وأخذ الحق ممن كان وإن كان مخالفًا، والأدب أصل لا يتخلى عنه الشخص ولو كان في مناظرة مع الخصوم.

***

(١) البدر الطالع (٢/ ٩١).
(٢) ابن الوزير ومنهجه الكلامي لرزق حجر ص(٧٧)بتصرف.
(٣) وانظر: الروض الباسم (١/ ١٢٣) والإيثار (٣، ٤و٣٦).

مميزات ابن الوزير الفكرية

قبل الدخول في عرض بعض النماذج من مميزات ابن الوزير الفكرية - وإن كانت كتبه خير شاهد على ما أقول - أعرض عليك شهادة عدلين خبيرين إمامين في العلم، هما الإمام المعروف بالأمير الصنعاني ت ١١٨٢هـ والإمام الشوكاني ت سنة ١٢٥٠هـ من أن ابن الوزير يأت بفرائد علمية لم يسبق إليها:

١- قال الصنعاني يمدح ابن الوزير: (وكتابه «العواصم والقواصم».... ووشحه بفوائد وفرائد[١] لا توجد إلا فيه، ولم تخرج إلا من فيه)[٢].

ما أبلغ هذه الشهادة التي عبر عنها البلاغيون بالحصر والقصر بطريقة النفي والاستثناء بتخصيص «العواصم» ومؤلفه بفوائد وفرائد مقصورة عليه[٣].

٢-وما وصفه به الصنعاني يتفق مع ما وصفه به الشوكاني بقوله: (يشتمل- أي «العواصم» - على فوائد في أنواع من العلوم لا توجد في شيء من الكتب... وقد يأتي في كثير من المباحث بفوائد لم يأت بها غيره، كائنًا من كان)[٤].

قلت: من ذلك قول ابن الوزير في معرض حديثه عن الاشتغال بالأهم فالمهم من العلوم، فهي وإن كانت حقًّا: (فقد يكون من الحق ما هو حرام بالإجماع والنص، كالغيبة والنميمة...)[٥] فالاشتغال بذلك حرام لما تضمنه من المفاسد والله أعلم.

---

(١) الفرائد جمع فريدة، وهي الجواهر النفائس، والدر إذا نظم، والشيء الذي لا نظير له اهـ القاموس المحيط للفيروزآبادي (١/ ٣٢٢).

(٢) توضيح الأفكار للصنعاني شرح تنقيح الأنظار لابن الوزير (٢/ ٢١٣).

(٣) انظر: جواهر البلاغة لأحمد الهاشمي ص(١٨١).

(٤) البدر الطالع للشوكاني (٢/ ٩١).

(٥) «إيثار الحق على الخلق» ص(١٤١).

وقوله في القدر: (إن فسر القدر بالعلم ونحوه، فالمذموم من نفاه، وإن فسر بالجبر والإكراه، فالمذموم من أثبته).

وحكايته الإجماع على أن القدر يُتعزَّى به في المصائب ولا يحتج به في المعائب[١]. وغير ذلك مما سيأتي إن شاء الله تعالى.

***

(١) «إيثار الحق على الخلق» ص(٣٠٧).

نماذج من (العواصم والقواصم)

١-قال ابن الوزير: (قال المعترض: المسألة الثالثة في رواية كفار التأويل وفساقه[١] وقد قدمنا أن قاضي القضاة روى الإجماع على رد روايتهم وتأويل كلام الفقهاء) أي أن المعترض قدح على أهل الصحاح في روايته لأحاديث فساق التأويل وكفاره الذين يرتكبون المعاصي متأولين، وكذلك أصحاب البدع المتضمنة للتكفير والتفسيق، مع أن هؤلاء المتأولين قائمون بأركان الإسلام، وقد سمى الرسول - عليه الصلاة والسلام - أصحاب معاوية مسلمين في مناقب الحسن، بل سماهم الله، عز وجل، مؤمنين بقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات:٩].

وقد رد ابن الوزير على هذه المسألة في فصلين:

الفصل الأول:

تتبع فيه كلام المعترض، وأورد عليه ما يبلغ مائتي إشكال أو تزيد، صرح بذلك ابن الوزير أكثر من مرة، فقد ذكر هذه الأرقام التي ذكرها ابن الوزير الإمام الشوكاني، وذكر الصنعاني[٢] أنها مائة وزيادة على سبعين إشكالاً، والغريب هل يوجد من يورد هذا العدد من الإشكالات في مسألة واحدة! وقد وشح هذه الإشكالات بفوائد وفرائد لا توجد في غيره.

---

(١) الفسق: الترك لأمر الله تعالى والعصيان والخروج عن طريق الحق، أو الفجور. انظر القاموس المحيط (٣/ ٢٧٦)، الصحاح للجوهري (٤/ ١٥٤٣) وأساس البلاغة للزمخشري ص(٧١٤).

(٢) في توضيح الأفكار (٢/ ٢٣٣).

وأما الفصل الثاني:

فقد خصصه ابن الوزير لذكر الأدلة على قبول المتأولين، ومعارضة الحجج التي أوردها خصمه من العمومات ودعوى الإجماع على رد رواياتهم، وقد حوى هذا الفصل مسألتين:

المسألة الأولى:

الكلام على قبول خبر فاسق التأويل، كما ذكر الأدلة على ذلك، وعارض الحجج التي أبرزها المعترض بخمس وثلاثين حجة في قبول خبر فساق التأويل بعشرات الطرق والوجوه عن أئمة الزيدية وعلمائهم الذين يجب على المعترض قبول رواياتهم، وأسند كل طريق إلى أصحابها، كما ذكر كتبهم التي ادعَوا فيها إجماع الصحابة -رضي الله عنهم- على قبول خبر أهل التأويل مطلقًا؛ كفارهم وفساقهم، وهي مدرسة الزيدية ومعتمدها[1].

وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (فلو ترك رواية الحديث عنهم، أي: أهل البدع لاندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم)[2].

المسألة الثانية:

في الكلام على قبول خبر كفار التأويل، وقد أتى فيها بالعجب العجاب بكثرة ما أورده من الوجوه وطرق الاستدلال، وكل ما يلزم الخصم على قواعد مذهبه، وبهذا يكون المعترض قد هدم مذهبه، وخالف جميع سلفه، وكذب ثقات

(١) انظر: العواصم والقواصم لابن الوزير (١/ ٨٣-١٢٤-١٣٩)، الروض الباسم له (٢/ ٢٣٧) وما بعدها، توضيح الأفكار للصنعاني (٢/ ١٩٨-٢١٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢١٢).

أصحابه، وقدح على كبار أئمته، لأن الظاهر من مذهب الزيدية قبول أهل التأويل مطلقًا، كفارهم وفساقهم.

قال الصنعاني بعد أن ذكر حجج ابن الوزير المقررة في كتب الزيدية، الدالة على قبول خبر كفار التأويل بدلالة الإلزام، قال الصنعاني: (ولا يخفى أن هذا إلزام لا محيص عنه)[1].

وبهذا يتبين أن غرض ابن الوزير إلزام خصمه الزيدي من معتقد الزيدية ومدرسها، وإلا فقد ذكر الخلاف في قبول خبر فساق التأويل وكفاره عند أئمة الحديث كمالك (ت سنة ١٧٩هـ) وأحمد (ت سنة ٢٤١هـ) والشافعي (ت سنة ٢٠٤هـ) وابن الصلاح (ت سنة ٦٤٣هـ) وزين الدين العراقي والخطيب البغدادي الشافعي وغيرهم، وجماعة من المتكلمين والأصوليين في مسألة قبول رواية المبتدع، ومنهم فساق التأويل وكفاره؛ كالجبرية والمشبهة والروافض والخوارج، ومع هذا فأهل القبلة مختلفون في كفرهم، كما هو مذكور، وسيأتي في الكلام على افتراق الأمة.

كما ذكر حجج القابلين لروايتهم والمخالفين في ذلك، وأتى بما هب ودب في هذا من قواعد المحدثين والأصوليين والمتكلمين[2]. فيراجع الأصل من له عليه قدرة، وإلا فليراجع مختصره.

بعد كتابة هذا وجدت كلامًا للحافظ ابن حجر ذكره السخاوي بعد أن ذكر أقوال أهل هذا الشأن في هذه المسألة قال: (قال شيخنا: والتحقيق أنه لا يرد كل

---

(١) توضيح الأفكار للصنعاني (٢/ ٢٢٧).

(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير (١/ ١٣٩) وما بعدها، الروض الباسم له (٢/ ٢٣٧-٢٣٩) توضيح الأفكار للصنعاني (٢/ ٢٢٠)، إيثار الحق لابن الوزير ص(٤١٤) وما بعدها، علوم الحديث لابن الصلاح ص(١٠٣-١٠٤) تدريب الراوي للسيوطي (١/ ٣٢٤-٣٢٨).

مكفر ببدعة، لأن كل طائفة تدعي أن مخالفيها مبتدعة، وقد تبالغ فتكفرها، فلو أخذ ذلك على الإطلاق لاستلزم تكفير جميع الطوائف، فالمعتمد أن الذي ترد روايته من أنكر أمرًا متواترًا من الشرع معلومًا من الدين بالضرورة-أي إثباتًا ونفيًا - فأما من لم يكن بهذه الصفة، وانضم إلى ذلك ضبطه لما يرويه، مع ورعه وتقواه، فلا مانع من قبوله أصلًا. وقال أيضًا: والذي يظهر أن الذي يحكم عليه بالكفر من كان الكفر صريح قوله، وكذا من كان لازم قوله وعرض عليه فالتزمه، أما من لم يلتزمه وناضل عنه فإنه لا يكون كافرًا، ولو كان اللازم كفرًا)[1].

٢-مسألة القدر. جمع في القدر ووجوب الإيمان به سبعة وثلاثين حديثًا ومائتي حديث من غير الآيات القرآنية التي تقارب المائة. وذكر فيما ورد من النهي عن الخوض في القدر عشرة أحاديث، وأسندها إلى مصادرها، وبين ما فيها من صحة وضعف.

قسم أحاديث القدر إلى قسمين:

أحدهما: ما يدل على ثبوت القدر وصحته.

وثانيهما: ما يدل على وجوب الإيمان به، وذم من كذب به

بعضها في (الأمهات الست)[2] وبعضها في غيرها، ونبه على ما في أسانيد غير الأمهات، ليتمكن الباحث من الوقوف على ذلك في كتب الرجال.

أورد فيما يعلق بالقسم الأول - وهو ما يدل على ثبوت القدر وصحته -

(١) فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي تأليف محمد بن عبد الرحمن السخاوي (١/ ٣٣٣-٣٣٤) وانظر توضيح الأفكار للصنعاني (٢/ ٢٣٦) حيث نقل هذا النص بحروفه ما عدا قوله: والذي يظهر... ففيه اختصار غير مخل بالمعنى. وانظر التفاصيل في المسألة فتح المغيث للسخاوي (١/ ٣٢٧) وما بعدها.

(٢) الأمهات الست: هي الصحيحان والسنن الأربع لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

خمسة وخمسين ومائة حديث بألفاظها. وسرد في القسم الثاني - وهو ما يدل على وجوب الإيمان بالقدر وذم منكره - اثنين وسبعين حديثًا[١] بألفاظها أيضًا، وبعد هذا الجمع الكثير ذكر ابن الوزير أنه فاته بعض الأحاديث الصحيحة.

وإليك أنموذجًا من كلامه في الأفعال والدواعي المتعلقَين بمسألة القدر، وهو قوله: (... ثم إن الله تعالى بعد ترجيح العاصي للعصيان باختياره الموافق لعلم الله وقدره ومشيئته، لا يزال سبحانه يفعل مرجحات الطاعة والموقظات عن الغفلة ما يؤكد الحجة البالغة ويجددها، تفضلًا منه سبحانه، تارة بما يفعله من الأمراض، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة:١٢٦] وتارة بما يريهم من مصارع آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وجيرانهم، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢] وتارة بما يقرع أسماعهم من مواعظ الله-عز وجل-وحججه على ألسنة أنبيائه وأوليائه.

فلا يزال سبحانه وتعالى يقابل الدواعي إلى معصيته بالدواعي إلى طاعته، والعاصي لا يزداد إلا تماديًا على سوء اختياره وطول غفلته، كما شكاه نوح-عليه السلام-من قومه[٢]. ولذلك عظم الله تعالى شأن التذكر والموجب للترجيح، وقال في غير آية: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال:٥٧] أي: لمحبته ذلك لهم وطلبه منهم عند أهل السنة، وقال في الغافلين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير (٣/ وهم ٢٨ ص (٢٠٦-٢٧٢).

(٢) لعل ابن الوزير يشير إلى شكوى نوح عليه السلام من قومه فيما قصه الله سبحانه في مواضع كثيرة من القرآن حتى أنزل الله سورة باسمه وفيها ما يشير ابن الوزير إليه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝﴾ [نوح:٥-٧].

ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩] وتأمل قوله تعالى: (بل هم أضل) فإنه يدل على أن الله تعالى مكنهم من اختيار الصواب بخلاف الأنعام... ومع ذلك فإن اختيار العبد لا يكون إلا موافقًا لعلم الله وقدره ومشيئته)[١].

٣-بسط الكلام في مسألة الرؤية في مقدار ثمانين ورقة في العواصم[٢] ونقل عن ابن القيم من حادي الأرواح ٤٩ صفحة على التوالي وسبعة وعشرين حديثًا عن سبعة وعشرين أو ثلاثين صحابيًّا، من الصحاح والسنن والمسانيد. كما سرد أقوال كبار التابعين والأئمة الأربعة ونظرائهم، كل هذا في معرض الرد على المعتزلة الزيدية النافين رؤية الله تعالى في الآخرة، كما ذكر أقوالهم وأدلتهم من الأصول الخمسة، وطول الكلام في هذه المسألة ليؤيد مذهب السلف وأهل الحديث في إثبات رؤية الله - عز وجل - في الآخرة.

٤-أورد في إثبات حكمة الله تعالى في أقواله وأفعاله ما يقارب مائة آية في العواصم[٣] ردًّا على من ينفيها من غلاة الأشعرية[٤].

والآن ننتقل إلى نماذج أخرى من العواصم وغيره.

١) إعمال النظر

يستخدم ابن الوزير العقل في فهم النصوص وفيما للعقل فيه مجال، يبدو ذلك واضحًا في قوله: (ولما وقف المشار إليه - أي خصمه - على أبياتي هذه التي منها:

---

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير (٣/ وهم٢٨ ص٢٠٥).
(٢) (ج٢وهم١٦ فصل٢).
(٣) (ج٣/ وهم ٢٨).
(٤) انظر غاية المرام في علم الكلام للآمدي ص(٢٢٤).

أصول ديني كتـاب الله لا العرض وليس لـي في أصول غيـره غرض

حسب أني استدللت بالسمع على السمع، وظن أن مرادي أصول ديني السمع لا العقل، وظن أن أهل السنة لا يرون العقل شيئًا، كأنه لا يعلم إجماع المسلمين أنه لا تكليف على صبي ولا مجنون، ولا بد من نظر العقل، وكذلك أمر الله-عز وجل - بتدبر كتابه، فبأي شيء يتدبر إلا بالعقل، وإنما منعوا من وضع النظر في غير موضعه، ومن الطرائق المبتدعة)[1].

٢) كثرة الاطلاع

كثرة الاطلاع على أقوال أهل الملل والنحل، وشدة التعمق في استقصائها وشرحها، وإسنادها إلى مراجعها وقائليها غالبًا، حتى ليغلب على ظن القارئ أنه يجيدها أحسن من أصحابها.

من ذلك على سبيل المثال ما في كتابنا «إيثار الحق على الخلق» حصرت المراجع التي أشار إليها فيه فبلغت مصدرًا، وهذا بالنسبة للمصادر المتعلقة بالعقيدة وأصول الفقه، من كتب أهل السنة الذين هم أهلها، ومن كتب المنتسبين إليها، ومن كتب العترة والزيدية والمعتزلة والشيعة والروافض والمرجئة وغيرهم. هذا بالنسبة لهذا المؤلف المختصر القيم، فكيف لو حصر ما في كتابه «العواصم والقواصم» الذي هو أضخم وأجود مؤلفاته الذي وصفه الشوكاني بأنه: (يشتمل على فوائد في أنواع من العلوم لا توجد في شيء من الكتب)[2].

---

(١) العواصم والقواصم (ج٢ وهم١٥ ورقة ١١٤).

(٢) البدر الطالع (٢/ ٩١) ونحن في عمل كتاب (مؤلفات الإمام ابن الوزير ومصادره في «العواصم») وآخر في بقية الكتب. يسر الله إكمالها ونشرها.

وبالجملة فإن ابن الوزير إذا تكلم في المسألة الواحدة أشبعها بحثًا لا في علم من العلوم فحسب، بل يتناولها من علوم شتى، وكلما تكلم في فن من الفنون ظن القارئ أنه لا يحسن غيره، حتى إذا انتقل إلى فن آخر يتعلق بالمسألة ذاتها يظن القارئ ما ظنه قبل ذلك، وهكذا كما قال الشوكاني: (وهو - أي ابن الوزير - إذا تكلم في مسألة لا يحتاج الناظر بعده إلى النظر في غيره من أي علم كانت)[1] وخير شاهد على ذلك مصنفاته لا سيما (العواصم والقواصم).

٣) الدقة وعمق التفكير

ولعل ذلك من فوائد عزلته أثناء التصنيف، فقد أخبرني بعض آل الوزير ممن لديهم معرفة تامة بأحواله أنه صنف «العواصم والقواصم» في جبال بني مسلم[2] وبعضهم أخبرني أنه في كهف من كهوف جبل نقم[3] وبعضهم في غير ذلك، ويمكن الجمع بين الأقوال بأنه صنف بعض الكتاب في هذا وبعضه في ذاك، أو بعض مصنفاته هنا وبعضها هناك، والأمر سهل إن شاء الله تعالى[4].

ومعلوم أن الباحث الخالي عن الضوضاء يصفو له الجو، ويساعده ذلك على حسن التفكير وعمقه، وحينئذ يغوص في بحار العلم، متى شاء وكيف شاء، ويستخرج منه نفائسه وفرائده التي قد يعجز عن استخراجها الكثير من العلماء.

---

(١) البدر الطالع (٢/ ٩١).

(٢) في بلاد (يريم) منطقة (ذمار) تبعد عن صنعاء بمسافة ٢٠٠ كيلو تقريبًا وكان يسمى قديمًا يحصب ولا يعرف هذا الاسم إلا الخاصة. كذا في حاشية الإكليل للهمداني تحقيق الأكوع (٨/ ١٨٧).

(٣) هو الجبل المطل على صنعاء من الجهة الشرقية.

(٤) هذا كلام الشيخ الحربي والأفندي الغامدي ولكن المعروف عنه أنه ألف (إيثار الحق) في جبال يحصب و(العواصم) صنعاء.

من ذلك تعليقه على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] بقوله: (جمع بين الرد على طوائف المبطلين، فأولها رد على المشبهة، وآخرها رد على المعطلة، وفي ترتيبها سر لطيف[١] لأنه لو قدم الرد على المعطلة لخيف سبق وهم أو خيال من شبه أهل التشبيه، فلذا بدأ بما يعصم عن ذلك من غاية التقديس والتنزيه)[٢].

وقد أشار إلى هذا الشوكاني بقوله: (وقد يأتي في كثير من المباحث بفوائد لم يأت بها غيره كائنًا من كان)[٣].

وإذا ما قارنت بين كلامه وكلام أهل عصره، بل شيوخه، فإنك لا تجد مقارنة، لا في الأسلوب ولا في الأفكار، ولا في شدة المعارضة وقوة الحجة، إذ منحه الله تعالى من الملكة في تقوية بعض الأدلة التي يقويها على اختلاف أنواع ذلك بوجه صحيح ولفظ صريح، مع الجمع بين البراهين العقلية والنقلية، وهكذا في تضعيف بعض الأدلة.

وحينما تطلع على كلامه في بعض المسائل قبل معرفته تظن أنه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، أو تلميذه ابن قيم الجوزية، أو ابن حزم، لما أشرت إليه من شدة المعارضة وقوة الحجة، وقد تظن أنه تتلمذ على شيخ الإسلام، هذا لما بين كلامهما من الشبه، شاهد ذلك في مصنفاته، يؤيد ذلك ما قاله الشوكاني: (وكلامه - أي ابن الوزير - لا يشبه كلام أهل عصره، ولا كلام من بعده، بل هو من نمط كلام ابن حزم وابن تيمية)[٤].

---

(١) وهو تقديم التنزيه.

(٢) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص(١٣٨).

(٣) البدر الطالع للشوكاني (٢/ ٩١).

(٤) البدر الطالع للشوكاني (٢/ ٩١) وانظر مطلع البدور لابن أبي الرجال (٤/ ٢٧٣).

٤) كثرة النقول فيما يقوي حجته على الخصم

لا سيما إذا كان في معرض سياقه لكلام السلف وأهل السنة والمحدثين وأدلتهم، فإنه يأت بما يبهر[١] لب القارئ لكثرة ما يورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعلمائهم، خاصة من جمع منهم بين النقل والعقل، رضي الله عنهم أجمعين.

من ذلك على سبيل المثال ما نقله في «العواصم والقواصم» في سياق دفاعه عن أهل الحديث الذين وصمهم بعض غلاة المتكلمين بالبله وجمود الفطنة لقلة ممارستهم للعلوم النظرية واقتصارهم على فن الحديث[٢].

وكان من جواب ابن الوزير على هذا أنهم لم يتركوا علم الكلام لجمود فطنهم أو لدقته وغموضه بل للنهي الوارد عن ذلك، وأنه قد خاض ودقق في علم الكلام غير واحد من المحدثين، ومن أخصر ما يستشهد به على ذلك كما يقول ابن الوزير: (كلام شيخ الحنابلة المتكلم أحمد بن تيمية الحراني). ثم نقل الأصلين والمثلين والقواعد الست من الرسالة التدمرية لابن تيمية، وبلغ مجموع ما نقله على التوالي حوالى سبعين صفحة[٣] خلاصة ذلك ما يلي:

أما الأصلان فأحدهما: أن القول في بعض الصفات كالقول في بعض. وأما الأصل الثاني: فإن القول في الصفات كالقول في الذات. وقس على ذلك سائر كلامه المتضمن الرد على الفرق الضالة في إثبات وجود الله تعالى والكلام في

---

(١) من باب نفع أي غلبه وفضله، ومنه قيل للقمر (الباهر) لظهوره على جميع الكواكب – المصباح المنير للفيومي (١/ ٧١).

(٢) انظر العواصم والقواصم لابن الوزير خ ج٢ الوهم ١٥ ورقة ٣٤.

(٣) انظر العواصم والقواصم ج٢ ورقة ٥٩ وما بعدها، وانظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٧-٨٨).

أسمائه وصفاته والرد عليهم بمجمل عقيدة السلف[١].

ويظهر من هذا أن ابن الوزير معجب بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كثير من القضايا والمسائل كما هو واضح من مصنفاته.

٥) الأمانة العلمية في النقل

إنه يسند ما نقله أو ذكره إلى مؤلفه مع ذكر الباب أو الفصل من الكتاب كما فعل ذلك في عدة مواضع:

أ - من ذلك ما ذكره عن صاحب الجامع الكافي معتمد فقه الزيدية في آخر الجزء السادس من النهي عن تكفير المختلفين في أصول الدين[٢].

ب - وذكر عن الدميري حكمة الله في خلق الداء والدواء في جناحي الذباب.. وقال: ذكره الدميري في حياة الحيوان من حرف الذال.

جـ - وقال: وذكر الذهبي في ترجمة عكرمة في الميزان ما يدل على تعليل الأحكام في موضوع الحكمة[٣].

د - وقال: وذكر ابن كثير في الأول من البداية والنهاية في قصة نوح -عليه السلام- وتفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤][٤].

هـ - وقال ابن الوزير: (وبوب البخاري بابًا في ذلك - أي في إثبات الحكمة- قال في التوحيد والرد على الجهمية: باب قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ

(١) راجع التفاصيل في مجموع الفتاوى (٣/ ١٧-٨٨).

(٢) إيثار الحق لابن الوزير ص(١٤٨).

(٣) إيثار الحق (٢٠٠-٢٠١).

(٤) انظر الإيثار ص(٢٠١) والبداية والنهاية لابن كثير (١/ ١٠٩).

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:٧٣] وذلك من البخاري إشارة إلى مذهب أهل السنة في إثبات الحكمة)[١].

و - وقال أيضًا: (ومن ذلك ما رواه الحافظ ابن كثير من طرق في خلق آدم من الجزء الأول من البداية والنهاية)[٢].

ز - ومن ذلك ما ذكره عن الغزالي في القصور عن الإحاطة بحقيقة معرفة الله تعالى وأسمائه ونعوته من جميع الوجوه، فقال: (قال الغزالي في الفصل الرابع من مقدمات المقصد الأسنى كذا وكذا)[٣].

ح - وقال أيضًا في أثناء حديثه عن توحيد المعتزلة: (ذكره مختار في الباب السادس من خاتمة أبواب العدل في كتابه المجتبى)[٤].

ط - وقال أيضًا في أثناء حديثه على الفائدة الخامسة في الكلام على القضاء والقدر: (الوجه السادس ما ذكره ابن قيم الجوزية في الجواب الكافي)[٥].

التصنيف من حفظه أحيانًا، كما صرح بذلك في عدة مواضع:

١ - منها في مسألة قبول كفار التأويل في العواصم[٦] حيث قال: (وجملة ما حضرني من الطرق عشر طرق) وعدَّدها، وهذا فيما عدا النقل.

٢- كذلك في موضع آخر[٧] منه قال: (وأحسبه في مجموع زيد) وهذا أيضًا

(١) الإيثار ص(٢٠٥) وانظر البخاري ج٨ كتاب التوحيد ص(١٦٧).
(٢) الإيثار ص(٢٢٦).
(٣) الإيثار ص(١٨٩).
(٤) الإيثار ص(١٠٤).
(٥) العواصم والقواصم (٣/ وهم ٢٨ ص(٣١٢).
(٦) (ج١ ورقة ١٢٤).
(٧) (ج١ ورقة ١٤٨).

يدل على أنه يكتب من حفظه غالبًا.

٣- كذلك في موضع آخر[١] منه قال: (وجاء في فضل أويس القرني ما لم يحضرني) وهذا يدل على أنه يكتب أيضًا من حفظه.

٤- وفي (الترجيح) له[٢] ذكر اثنين وعشرين وجهًا من حفظه كما هو ظاهر كلامه، تؤيد القول بأن المتشابه لا يعلمه إلا الله عز وجل.

٥ - وقال في الروض الباسم[٣] بعد أن ذكر كلام الخطابي في معالم السنن في معنى القدر، وابن الأثير في جامع الأصول، والجويني في البرهان، قال بعد ذلك: (وفي كلام الفخر ابن الخطيب الرازي أشياء من ذلك فاتني لفظها).

٦- وفي الروض[٤] أيضًا في سياق الكلام على الروايات من طريق مروان ابن الحكم قال: (قد خاض الناس في ذلك خوضًا كثيرًا قديمًا وحديثًا) وبعد كلام كثير قال: (ولم يحضرني وقت كتابة هذا الجواب شيء من الكتب... ولا حفظت في ذلك ما يقنع إلا ما ذكره الحاكم المحسن بن كرامة المعتزلي في كتابه شرح العيون).

٧- ولما جاءته رسالة المعترض تردد في كيفية الجواب بين الإيجاز والإطناب وصده عن التوسع عدة أسباب أهمها عدم توفر الأسفار، وقال: (ومن أين يتأتى ذلك أو يتهيأ لي وأنا في بوادٍ خوالٍ وجبال عوالٍ، فتمصصت من بلل أفكاري بَرْضًا، وما أكفى ذلك وأرضى، إذا كان طيبًا محضًا)[٥].

---

(١) (ج١ ورقة ١٤٤).
(٢) ص(١٤٩) وما بعدها.
(٣) (٢/ ٢٣١).
(٤) (٢/ ١٣١-١٣٢).
(٥) مقدمة العواصم والقواصم ورقة ١ والروض الباسم (١/ ١١) والبرض بسكون الراء القليل يقال ماء برض قليل أ.هـ الصحاح للجوهري (٣/ ١٠٦٦).

٨- كذلك ذكر في كتابه «إيثار الحق على الخلق»[١] في سياق حديثه عن خروج عصاة الموحدين من النار قال: (والذي حضرني[٢] الآن من الأحاديث المصرحة بخروجهم من النار أحاديث كثيرة جدًّا عن أكثر من عشرين من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

٩- كذلك ذكر الخلاف في مسألة تعذيب أطفال المشركين، ومن لم يبلغهم الدعوة، والشيخ الفاني والمعتوه والأصم، وذكر الأقوال والأحاديث وما في أسانيدها من صحة وضعف. وبعد أن ذكر كلامًا كثيرًا قال: (وهذا جملة ما حضرني من صحيح وضعيف في حجة أهل هذا القول)[٣] أي بأنهم في الجنة، والدليل على ذلك الاستفاضة عند الكثير من علماء اليمن من أن ابن الوزير صنف «العواصم والقواصم» في بطون الأودية الخوالي ورؤوس الجبال العوالي.

وقوله الآتي شاهد على ذلك حينما وصف الحالة التي يعيشها: (ومن أين يتأتى ذلك، أو يتهيأ لي وأنا في بواد خوالٍ وجبال عوالٍ) وأنشد أبياتًا منها:

فحينا بطود تمطر السحب دونه ... أشم منيف بالغمام مؤزر
وحينًا بشعب بطن واد كأنه ... حشا قلم تمسي به الطير تصفر[٤]

ومما يدل على أنه يؤلف من حفظه أحيانًا أنه نسب حادي الأرواح إلى شيخ الإسلام ابن تيمية[٥] ومعلوم أنه لتلميذه ابن قيم الجوزية، ولو كان الكتاب موجودًا

---

(١) ص(٣٨٦).
(٢) حضرني كذا أي خطر ببالي أ.هـ مصباح (١/ ١٥٢).
(٣) العواصم والقواصم لابن الوزير (ج٣ وهم ٣٠ ص(٤٨٢).
(٤) الروض الباسم له (١/ ١٠).
(٥) إيثار الحق له ص(١٢٣-١٢٤).

لديه لما حصل هذا الوهم، ولكنه في مواضع أخر نسبه إلى ابن القيم والله أعلم.

١٠- وفي أثناء حديثه عن المنع عن التصرف في عبارات الكتاب والسنة، لجواز الخطأ على العلماء في فهم المعنى، أو التعبير عما فهموا، أو فيهما معًا، قال: (والدليل على ذلك أمور كثيرة، أذكر منها ما حضر، والله الهادي)(١).

وفي أثناء حديثه عن إثبات الحكمة قال: (والذي حضرني منها سبعة أمور) وعددها واحدًا واحدًا من حفظه، كما هو ظاهر كلامه(٢).

وبالجملة فهذه عادة كثير من العلماء الحفاظ الذين يكتبون ويحدثون من حفظهم، وهذا مشهور، فلا غرابة إذا كتب ابن الوزير من حفظه، فقد شهد له بالحفظ جماعة من كبار العلماء كابن أبي الرجال (ت سنة ١٠٩٢هـ) والصنعاني (ت سنة ١١٨٢هـ) والشوكاني (ت سنة ١٢٥٠هـ) وغيرهم.

٦) ثقته بنفسه :

لا عبرة عند ابن الوزير بمن قال، وإنما العبرة بما قال كائنًا من كان، ومن هذا المنطلق نبه على حديث رواه البخاري في صحيحه بأنه مقلوب، وقداحتج به نفاة الحكمة-على حد تعبير ابن الوزير - غلاة الأشعرية.

والحديث من طريق صالح بن كيسان عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «**اختصمت الجنة والنار إلى ربهما، فقالت الجنة: يا رب ما لها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم**» وفي رواية: «**ما لي لا يدخلني إلا... وقالت النار**(٣)

---

(١) إيثار الحق على الخلق ص(١٤١-١٤٣).

(٢) إيثار الحق ص(٢٨٤) والعواصم والقواصم (٣/ وهم ٢٨).

(٣) قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٣٦) (قال ابن بطال: سقط قول النار هنا في جميع النسخ وهو محفوظ في الحديث).

- يعني أوثرت بالمتكبرين[1] - فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي. وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها» قال: «فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدًا، وأنه ينشئ للنار من يشاء فيلقَون فيها، فتقول: هل من مزيد. ثلاثًا، حتى يضع فيها قدمه فتملئ ويرد بعضها إلى بعض فتقول قط قط قط»[2].

وجه استدلال القائلين بنفي الحكمة من الحديث: إذا كان الله تعالى ينشئ خلقًا للنار بلا ذنب فما وجه الحكمة في خلقهم؟ وفي ذلك دلالة عند هؤلاء على انتفاء الحكمة.

وهذا الاستدلال يتضمن قصر باع المتكلمين في الحديث وعلومه، وإلا لما استدلوا به وهو مقلوب.

وفي مناقشة ابن الوزير لما قيل حول هذا الحديث ما يقتضي أنه من أهل هذا الشأن، وفرسان هذا الميدان، وليس الخبر كالعيان، فلا سبيل إلى استقصاء ما قاله من مصطلحات الحديث، لأنه يطول المقام، وسنلمح إلى ذلك لمحة سريعة مع الإشارة إلى مظان ذلك من مؤلفات ابن الوزير.

***

---

(١) ابن الوزير لم يثبت هذه الكلمة في الحديث كما في كتابه إيثار الحق على الخلق ص(٢٣٤).

(٢) البخاري ج٨ كتاب التوحيد باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف:٥٦] ص(١٨٦-١٨٧) وانظر إيثار الحق لابن الوزير ص(٢٣٤).

فكر الإصلاح الذي جاء به ابن الوزير

فكر الإمام ابن الوزير - رحمه الله - فكر إصلاحي تأثر به علماء اليمن بعده:

الإمام ابن الوزير - رحمه الله - صاحب مدرسة ممتدة للفكر الإصلاحي الذي اختطه في تلك البلاد، متمثلاً في ذلك المنهج الذي أثر في نخبة من العلماء لهم مواقف مسطورة، على تفاوت بينهم بين مقل ومستكثر، منهم:

١- العلامة المجدد صالح بن مهدي المقبلي اليمني الذي يعتبره البعض من المجددين في الإسلام في القرن الحادي عشر للهجرة فضلاً عن علماء آخرين مشهورين.

٢- القاضي محمد بن داود النهمي، رفيق ابن الوزير في الطلب.

٣- الحسن بن أحمد بن صلاح الجلال (١٠٨٤هـ).

٤- محمد بن علي بن قيس (١٠٦٩هـ) وقد نسخ كتاب «العواصم» وأوقف نسخة منه «الروض الباسم».

٥- محمد بن الحسين بن القاسم (١١٠٠هـ).

٦- البدر المنير محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (١١٨٢هـ) وهو وارث علوم الوزير وشارح كتبه.

٧- محمد بن عبد الملك الآنسي (١٣١٦هـ).

٨- الحسين بن علي العمري (١٣٠١هـ) أحد الذين درَّسُوا الإيثار.

٩- أحمد بن عبد الله الجنداري (١٣٣٧هـ).

١٠- عبد الله بن محمد العيزري (١٣٦٤هـ).

١١- حسين بن أحمد بن قاسم الحوثي (١٣٨٦هـ).

١٢- الإمام محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ).

١٣- الحسين العمري (١٣١٣هـ).

١٤- العلامة مقبل بن هادي الوادعي (١٤٢١هـ).

١٥- شيخنا العلامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني حفظه الله تعالى.

وإذا كان الإصلاح الذي خطه الرائد يسير ببطء، فليس هو المتسبب في ذلك، وإنما ذلك يرجع إلى طبيعة الزمان والمكان، وضعف المقتضيات، وقوة الموانع وحسبه أنه حرك الخامد، وزعزع الجامد، وأجال اليد المصلحة[1].

***

(١) من كلام الشيخ البشير الإبراهيمي انظر آثاره (٣/ ٥٥٠) ومقدمة الروض (١/ ١٣).

قواعد المنهج العقدي عند الإمام ابن الوزير - رحمه الله-

١- قاعدة الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسنة. انظر إيثار الحق (١/ ١٦٥) ومجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٤١) وشرح الطحاوية ص(٤).

٢- قاعدة اشتمال الكتاب والسنة على أصول الدين؛ دلائله ومسائله. انظر: إيثار الحق (١/ ١٠٧) ومجموع الفتاوى (١٩-١٥٥) ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤١٣).

٣- لا نسخ في الأخبار ولا في أصول الدين. انظر: الروض الباسم لابن الوزير (١/ ٢٠٠) وإعلام الموقعين (١/ ٥٣) والأحكام للآمدي (٢/ ٢٣٦) ودرء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٠٨).

٤- رد التنازع إلى الكتاب والسنة. انظر: إيثار الحق (١/ ١٠٧) واقتضاء الصراط لابن تيمية (١/ ١٢٦) وجامع بيان العلم لابن عبد البر (٢/ ٣٥) وإعلام الموقعين (١/ ٤٩).

٥- درء التعارض بين العقل والنقل. انظر: إيثار الحق (١/ ١٨) وترجيح أساليب القرآن ص(١٧-٢٠) وإعلام الموقعين (١/ ٣٣١) والاعتصام للشاطبي (٢/ ٣١٩).

٦- حجية فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة. انظر: الروض الباسم (١/ ١٠٣) والعواصم والقواصم (٣/ ٣٧٤) وإعلام الموقعين (١/ ٧٩).

٧- ظواهر النصوص مطابقة لمراد الشارع. انظر: إيثار الحق (١/ ١٢٩) والعواصم والقواصم (٨/ ٢٦٩) ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ١٦٤).

٨- الإيمان بالمتشابه والعمل بالمحكم: انظر: إيثار الحق (١/ ٩٠) والمسودة لابن تيمية ص(١٦٠) وتفسير البغوي (١/ ٢٦٨) وأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٩-١٠) وابن كثير (١/ ٣٤٥).(١)

٩- إثبات الأسماء والصفات كما عند السلف. انظر: إيثار الحق (١/ ٥٨) والقصيدة النونية ص(١٥٢) لابن القيم. ومجموع الفتاوى (١١/ ٣٣٨).

١٠- إثبات الصانع (توحيد الربوبية). انظر: البرهان القاطع ص(٥١) وما بعدها. والنبوات لشيخ الإسلام ص(١٤٧-١٤٨).

١١- إثبات الإلهيات. انظر: إيثار الحق ص(٢٩٣) وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٨) وشفاء العليل لابن القيم (١/ ٦٠٤) والعواصم والقواصم (٣/ ٣٠).

١٢- الإيمان بالغيبيات. انظر: الإيثار (٢/ ٣٨٥) والعواصم والقواصم (٤/ ٣٧) وفتاوى ابن تيمية (٢/ ١٤٧) وحادي الأرواح ص(٣١٤).

١٣- إثبات النبوات. انظر: إيثار الحق (١/ ٦٤) والفصل لابن حزم (١/ ٥٥) والروض الباسم (٢/ ٢٥٣) ومجموع الفتاوى (٩/ ١٥) والإيثار ص(٧٩-٨١) والبرهان ص(١٩) و(٣٣-٣٥).

١٤- القول في الصحابة، رضي الله عنهم، قول أهل الحق أهل السنة. «العواصم» و«الإيثار».

١٥- السياسة والإمامة. كما جاء في معتقد أهل الحق.

١٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أوجبه الله في الكتاب والسنة. وانظر العواصم، والبرهان القاطع.

---

(١) انظر كتاب «قواعد المنهج عند ابن الوزير» ص(١٩٥-٣٥٤) للأفندي.

١٧- الرد على الرافضة، كما رد عليهم علماء الدين. كما في «إيثار الحق على الخلق».

١٨- الرد على الخوارج (الإيثار).

١٩- الرد على المعتزلة والزيدية. الإيثار، والروض.

٢٠- الرد على الأشاعرة وغيرهم من أهل البدع. الإيثار والعواصم.

٢١- الرد على الباطنية (القرامطة). كما في «الإيثار» و»العواصم»

***

منهج ابن الوزير - رحمه الله - في البحث والمناظرة

بعد الدراسة والتمحيص والتعمق في مختلف المذاهب والمدارس الفكرية الإسلامية في اليمن، وعلى الرغم من سيادة المذهب الزيدي بها، خرج ابن الوزير على المذهب السائد والفكر المسيطر منذ قرون طويلة في اليمن، ونهج نهجًا سلفيًّا في معالجة مسائل العقيدة، بل كل مسائل الدين، استنادًا إلى أحكام الشريعة، ومعتمدًا في ذلك على القرآن والسنة النبوية.

***

العلوم العقلية تخدم العلوم الدينية

كان يؤثر الاستدلال على العقائد الدينية بالبراهين القرآنية إيمانًا أنها براهين عقلية صريحة لجميع العقول.

وبما انتهى إليه سلفه ابن تيمية الذي تأثر به إلى حد كبير وصدر عنه في كثيرٍ من أموره، من عدم تعارض بين السمع الصحيح والعقل الصريح.

أوجه الشبه بين الموقف السلفي عمومًا وابن الوزير خصوصًا، في تأييد العقائد الإسلامية بالعقل والفطرة.

***

ابن رشد وابن الوزير واستخدامهما للعقل والتعويل عليه

١ - إن الأدلة التي قررها المتكلمون ليست هي الأدلة البرهانية التي توصل إلى اليقين... بل كثير من الأصول التي بنت عليها الأشعرية معارفها هي سوفسطائية[١]. فإذا كانت مقدمات المتكلمين مثارًا للشكوك وموردًا لتلك الإلزامات، فكيف يصح أن تكون مبدأ لمعرفة الله تعالى! فهذه الشكوك ليس في قوة صناعة الجدل حل، فلا يجعل هذا مبدأً لمعرفة الله تعالى.. فإن طريق معرفة الله تعالى أوضح من هذا[٢].

هذه الطريقة تتفق مع ما ذكره العلماء في المدرسة السلفية كابن تيمية وابن القيم وتبعهم ابن الوزير رحم الله الجميع في (إيثار الحق) وترجيح أساليب القرآن.

فشيخ الإسلام يرى في تعليقه على طريقة المتكلمين في الاستدلال على حدوث العالم يقرر أنها عن المحققين طريقة باطلة، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها مطلقًا[٣].

وقد عبر ابن الوزير - رحمه الله - عن هذا المعنى أوضح تعبير حين قال:

إن خوض جميع المتكلمين في عقائدهم الخلافية بين الفرق الإسلامية يتوقف دائمًا أو غالبًا على الخوض في مقدمات لتلك العقائد، وتلك المقدمات مختلف فيها أشد الاختلاف بين أذكياء العالم وفحول علم المعقولات من علماء الإسلام، ودع عنك غيرهم، ومن شرط المقدمات أن تكون أجلى، وألا تكون بالشك والاختلاف أولى، فلينظر بإنصاف من كان من أهل النظر من علماء

---

(١) فصل المقال في الاتصال بين الشريعة والحكمة ص(٣٦).

(٢) المصدر السابق ص(١٤٠).

(٣) انظر: تعارض العقل والنقل (١/ ٣٩).

الكلام في تلك القواعد الدقيقة، والمباحث العميقة.. الخ[١].

والنتيجة ما قرره ابن تيمية، وتبعه ابن الوزير، تكاد لا تختلف عما قرره ابن رشد من قبل.

قال ابن الوزير: وقد أجمع أهل الملل الدينية وأهل الفرق الإسلامية على وضوح الطريق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، واشتد اختلافهم في الأكوان، وعلمت دقته بالضرورة عند من حققه..الخ[٢].

٢-الطرق الكلامية ليست هي الطرق التي نصبها الشرع لجميع الناس.. والمتكلمون لم يعرفوا أي الطرق المشتركة للجميع التي دعا الشرع من أبوابها جميع الناس،.. فأخطأوا وضلوا وأضلوا[٣].

إن الطرق الكلامية.. قد اعترف حذاق أهل الكلام كالأشعري وغيره بأنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم، ولا سلف الأمة وأتباعهم، وذكروا أنها محرمة.. وباطلة[٤].

وهكذا يرى ابن الوزير أن الطرق الكلامية مخالفة للطرق العقلية التي جاء بها الشرع.. فأخطأوا لما تركوا الاعتماد على تعلم الحق من الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. وتعرضوا لما لا يمكن من إيضاح المحارات التي لا تتضح التي لا توصل، والموازين التي لم ينزلها الله تعالى، ولا علمتها رسله، ولا اجتمعت عليها عقول العقلاء[٥].

---

(١) إيثار الحق على الخلق ص(١٥)، ط قديمة.
(٢) ترجيح أساليب القرآن ص(٩٤).
(٣) مناهج الأدلة لابن رشد ص(١٣٦).
(٤) تعارض العقل والنقل (١/ ٣٩).
(٥) إيثار الحق ص(١٩).

أساس المناظرة والمحاورة

يسلك ابن الوزير في المناظرة إيراد كلام الخصم ثم نقضه.

وللنقاد في ذلك مذهبان كما قال في العواصم:

المذهب الأول:

إيراد كلام الخصم بنصه، ليتخلص من التهمة بتغييره ونقصه، فإن ترك كلام الخصم ظلم ظاهر وحيف واضح.

المذهب الثاني:

أن يحكوا مذاهبهم بالمعنى. وهذا لا يرضاه ابن الوزير، إذ يقول: وفي هذا المذهب شوب من الظلم، لأن الخصم قد اختار له لفظًا وحرر لدليله عبارة.. الخ[1].

كما سلك - رحمه الله- طريقة التقريع، وهو ما يكون على جهة التنبيه لأهل الفضل والعلم بقوارع الكلام الموقظة على سبيل الحدة في الموعظة.. فليس أحد أحقر من أن يقول لغيره: اتق الله! ولا أحد أكبر من أن يقال له: اتق الله[2].

***

(١) العواصم والقواصم (١/ المقدمة).

(٢) نفس المصدر.

سبب علم الكلام

يقرر الإمام ابن الوزير أن منهج السلف هو منهجه والطريقة لفهم شريعة الله والعمل وفقًا لها، وأن الإهمال لكتاب الله تعالى هو المدخل الوحيد لعلم الكلام، وأن أهله تركوا الاعتماد على تعلم الحق من الكتاب والسنة.

***

موقف ابن الوزير من علم الكلام

والقارئ لمؤلفات ابن الوزير يدرك على الفور كراهته وذمه لتلك الأدلة الكلامية التي أتى بها المتكلمون، لا المسائل التي اعتبرها الشرع أصولًا للدين والتي تمثل موضوع علم الكلام، ولذلك يقول: «ليس القصد بهذا إنكار صحة علم الكلام، فإن فيه ما يعلم صحته بالضرورة، وإنما فيه إنكار اعتماد الأنبياء ومن عاصرهم من المؤمنين على أدلة الكلام الملخصة، وبيان أن الذي كانوا يكفي المسلمين»[١].

ولذلك كان نقد ابن الوزير موجهًا إلى المتكلمين وطرائقهم لا إلى الكلام نفسه، ومن هنا ينحصر نقده في الموضوعات التالية:

* نقد المتكلمين.
* بيان بطلان الأسس التي أدت إلى نشأة البدع في الإسلام.
* تأويل نصوص السمع.
* مدى الحاجة إلى علم الكلام.

١-نقد ابن الوزير للمتكلمين

إضافة إلى المطاعن التي يوردها خصوم علم الكلام عليه، رأى ابن الوزير أن هناك كثيرًا من الأخطاء المنهجية التي وقع فيها المتكلمون، وأدت إلى اختلافهم الشديد.

---

(١) ابن الوزير: البرهان القاطع ص(٥٦)، المطبعة السلفية القاهرة عام ١٣٤٩هـ.

١ - أنهم قد خاضوا في عقائدهم الخلافية معتمدين غالبًا على الخوض في مقدمات لتلك العقائد، وجميع هذه المقدمات مختلف فيها أشد الاختلاف بين أكياس العالم وفحول علم المعقولات، ولذلك تكون النتائج المستخلصة منها محل اختلاف كبير.

لأنه «من شروط المقدمات أن تكون أجلى، وألا تكون بالشك والاختلاف أولى، فلينظر بإنصاف ما كان من أهل النظر من علماء الكلام في تلك القواعد الدقيقة والمباحث العميقة والمعارضات والمناقشات اللطيفة في أحكام القدم، ومتى يصح من الله تعالى إيجاد الحوادث، وما لزم كل خائض في ذلك، حتى التزم بعض شيوخ الكلام نفي القدرة على تقديم الخلق على وقته، وبعضهم قال: إن الحوادث لا نهاية لها في الابتداء كما لا نهاية لها في الانتهاء. فعلى قدر ما في تلك القواعد من الشكوك والاحتمالات تعرف ضعف ما تفرع عنها»[(١)].

٢ - أنهم جدوا في البحث عما لا يدرك «فبحثوا أمورًا لا يوصل البحث عنها إلى يقين ولا إلى الوفاق، وهي مع ذلك لم تظهر للخوض فيها مع طوله ثمرة نافعة، لا باليقين صادعة، ولا لافتراق جامع، ولا روى عن أحد من الأنبياء عليهم السلام، ولا صح عن أحد من السلف الكرام»[(٢)].

٣-أن المتكلمين كثيرًا ما استدلوا على معارف واضحة جلية بأدلة دقيقة خفية، مما أدى إلى مفاسد كثيرة، منها إيجاب ما لا يجب من الاستدلال وتكلفه وتكليفه المسلمين، ومنها تكفير من لا يعرف ذلك أو تأثيمه، ومنها تمكين أعداء الإسلام من التشكيك على المسلمين فيه وفي أمثاله.

---

(١) ابن الوزير: إيثار الحق ص(١٠، ١١).

(٢) المصدر نفسه، ص(٤، ٥).

وهذا واضح في موقف البهاشمة في الاستدلال على وجود الله تعالى، فهم لا يرتضون الاستدلال على وجوده بما هو معلوم بالفطرة بالضرورة أنه سبحانه أوجد الموجودات وخلق العوالم ودبرها، ويذهبون إلى أننا بعد العلم بذلك كله نشك فيما إذا كان سبحانه وتعالى موجودًا أو معدومًا، ونحتاج لإثبات وجوده إلى النظر الدقيق «وغفلوا عن كون وجود الخالق القيوم بخلقه أقوى في التعريف بوجوده من الدليل الذي يتكلفونه على ذلك في فطر العقلاء، وأنه إن أمكن الشك في هذه الفطرة في دليلهم عليها، إذ لا يمكن أن يكون أقوى منها بل هو أخفى بغير شك»(١).

٤ - أن كثيرًا من المتكلمين تركوا الاعتماد على تعلم الحق من كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - ذلك الكتاب الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت: ٤٢] وفيه معايير الحق وموازين الصدق ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧].

فترك الأكثرون الاعتماد عليه وتعرضوا لما لا يمكن من إيضاح المحارات التي لا تتضح، والسير في الطريق التي لا توصل، والوزن بالموازين التي لم ينزلها الله تعالى ولا علمتها رسله ولا اجتمعت عليها عقول العقلاء، ولذلك ينعى عليهم فقدانهم المعيار الواضح بقوله: «ومن خرج عن ذلك كله فمن أين له الوضوح حتى يمكن أن يكون له ميزان يميز له الحق من الباطل عند الدقة والخفاء والاختلاف الشديد»(٢) ومن هنا يجب الاتباع(٣) لا الابتداع.

---

(١) ابن الوزير: إيثار الحق ص(١١، ١٢).

(٢) السابق ص(١٤)، وترجيح أساليب القرآن ص(٨).

(٣) وينبغي التمييز بين لفظي التقليد والاتباع، فالتقليد هو قول الغير بلا حجة، أما الاتباع فإنه السير على منهاج رسول الله ﷺ بعد قيام الأدلة على نبوته المنقولة إلينا بواسطة أهل الإتقان والثقات وما لا يعد كثرة من المعجزات والبراهين والدلالات.

٥ - أن المتكلمين بسبب اختلافهم رمى بعضهم بعضًا بالكفر، ومع ما في تكفير المخطئ في هذه الدقائق من مفاسد ومخاطر على الدين، فإنه قد أدى إلى مفسدة في العلم ذاته، وهي عدم جرأة الناظر على المخالفة خوف أن تلصق به تهمة الكفر، فقد صارت المخالفة كالردة في الدين، ولولا ذلك لاتضح كثير من الدقائق «فلما كفروا المخالف كتم بعضهم المخالفة، وتكلف بعضهم الموافقة بالتأويل البعيد، وفسد الأكثرون»[(١)].

٢-منشأ البدع في الإسلام

يرى ابن الوزير أن **منشأ البدع في الإسلام يرجع إلى أمرين** واضح بطلانهما:

أحدهما: الزيادة في الدين بإثبات ما لم يذكره الله ورسوله من مهمات الدين الواجبة.

وثانيهما: النقص في الدين بنفي بعض ما ذكره الله تعالى ورسله بالتأويل الباطل أو بالتصرف في الدين بالعبارات المبتدعة.

أ ـ الزيادة في الدين

تمثل الزيادة في الدين بدعة، وقد نهى الإسلام عن الابتداع في الدين، والبدعة ضد السنة. وفاعل البدعة يسمى مبتدعًا، والفعل مبتَدَعًا.

ففي صحيح مسلم عن جابر مرفوعًا: «**وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة**

(١) ابن الوزير: إيثار الحق ص(١٥) والبرهان القاطع ص(٥٥، ٥٦) وما بعدها وانظر د. مصطفى حلمي: قواعد المنهج السلفي ص(٨٢، ٨٣).

ضلالة»[١] ومعلوم شرعًا أن كل بدعة ضلالة «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٢] وهناك الكثير من الأحاديث التي تنهى عن الابتداع في الدين.

وقد أفاض ابن الوزير في قضية الابتداع في الدين ومنشئه ومرجعه، بل فصل القول فيه بدقة تبين أن منشأ معظم البدع التي تسربت إلى أهل الإسلام كلها ترجع إلى أمرين واضح بطلانهما.

أحدهما: الزيادة في الدين بإثبات ما لم يذكره الله ورسله من مهمات الدين الواجبة.

وثانيهما: النقص منه بنفي بعض ما ذكره الله ورسله بالتأويل الباطل[٣].

ويلحق بهما التصرف في الدين بالعبارات المبتدعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والزيادة في الدين أنواع:

١ - رفع المظنون من العقليات أو الشرعيات إلى مرتبة العلوم. وهذا حرام بالإجماع، كما حكاه ابن الوزير، وإنما يختلف الناس في التفطن لأسباب[٤] منها:

أ - هل الأدلة العقلية الموجبة للتأويل قطعية أم لا؟

---

(١) «صحيح مسلم» (٢/ ٥٩٢) والابتداع في الدين صنفت فيه مؤلفات عديدة كالاعتصام للشاطبي، وتلبيس إبليس لابن الجوزي، والسنن والمبتدعات للشقيري، وبيان تلبيس الجهمية في بدعهم الكلامية لابن تيمية الذي فندها وردها بالبراهين النقلية والعقلية.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) ابن الوزير: إيثار الحق على الخلق ص(٨٦-٨٧).

(٤) راجع تفاصيل الأسباب في الصور الأربع التي ذكرها في كتابه إيثار الحق ص(١١٧، ١١٨).

ب - ومنها أنهم أسرفوا في التقصير في علم السمع.

جـ - ومنها أن طائفة من أهل السمع أتقنوه، ثم نازعوا علماء المعقولات المقصرين في السمع في نفي الشفاعة للموحدين، ونفى الرجاء للمذنبين وإيجاب خلودهم في النار مع المشركين، فظن أولئك الذين أتقنوا ما علموا من السمع أن العلوم العقلية معارضة للسمع الحق في ذلك، لشبهة أن معارضيهم يدعون التحقيق في المعقولات، فعادَوا علم المعقولات وأهله، وظنوا أن النظر فيه يستلزم البدعة لا محالة. ولو نظروا بعين التحقيق لعلموا أن خصومهم إنما أُتُوا من التقصير في علم السمع وإقلال البحث عنه، وما شابوا به جدالهم من المعقولات، فإنهم ادعوا على العقل ما هو بريء منه.

٢- أن يدخل في الدين ما لم يكن على عهد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- وعهد أصحابه، رضي الله عنهم، مثل القول بأنه لا موجود إلا الله كما هو قول الاتحادية[١] وأنه لا فاعل ولا قادر إلا الله كالجبرية، وكالقول بأن لله صفة لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا هي من أسمائه الحسنى، وأن معرفة هذه الصفة المخترع اسم لها واجبة، وهي الصفة الأخص عند بعض المعتزلة، فيسمونها أيضًا صفة المخالفة، وأنها المؤثر في سائر صفات الكمال الذاتية الأربع، وهي كونه حيًّا قديمًا قادرًا عالمًا، لا بعلم وقدرة وحياة، هي صفات قديمة ومعان قائمة به، عللوا ذلك بأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص أوصافه لشاركته في الإلهية[٢].

(١) نسبة إلى القول بالاتحاد وهو قول بوحدة الوجود كما يقول ذلك أهل الوحدة كابن عربي وابن سبعين وغيرهم من غلاة الصوفية.

(٢) ابن الوزير: إيثار الحق ص(١٠٣، ١٠٤).

أما عند أهل السنة فالصفة الأخص مثل كونه تعالى رب العالمين، وأنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، وغير ذلك مما لا يجوز أن يتصف به غيره سبحانه وتعالى. كذلك ما انفردت به الأشعرية من دوام وصف الله تعالى بالكلام ووجود ذلك في القدم والأبد وجعله مثل صفة العلم، وهو خلاف ما ورد به الشرع، فالشرع ورد بأن الله متكلم، وأنه كلم موسى تكليمًا، ونحو ذلك، فما زاد عن هذا فهو في نظر ابن الوزير بدعة في الدين قد أدت إلى التفرق المنهي عنه.

٣- الكذب في الدين عمدًا. وهو كما قال ابن الوزير: «يضر من لم يكن من أئمة الحديث والسير والتواريخ، ولا يتوقف على نقدهم فيه بحيث لا يفرق بين ما يتواتر عند أهل التحقيق وبين ما يزوره غيرهم»[١].

أما علاجه عند ابن الوزير «وليس له دواء إلا إتقان هذا الفن والرسوخ فيه، وعدم المعارضة لأهله بمجرد الدعاوى الفارغة، وهو علم صعب يحتاج إلى طول المدة ومعرفة علوم الحديث»[٢].

أما السبب الرئيس للزيادة في الدين في نظر ابن الوزير فيمكن إجماله فيما يلي:

تجويز خلو كتب الله وسنن رسله الكرام - عليهم الصلاة والسلام - عن بيان بعض مهمات الدين اكتفاء بدرك العقول لها، ولو بالنظر الدقيق ليكون ثبوتها بعد رسول الله - صلى الله عليه وآله سلم - بطريق النظر العقلي. هذا مذهب أهل الكلام. ومذهب أهل الأثر أنه ممنوع[٣] **لعدة أوجه منها:**

١-قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي

(١) ابن الوزير: السابق ص(١٢٨).
(٢) السابق ص(١٢٨، ١٢٩).
(٣) ابن الوزير: إيثار الحق ص(١٠٧).

وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣] والقول بوجوب ما أوجبه أهل الكلام يلزم منه أنه بقي أهل الدين من تقرير القواعد التي يجب بها تأويل السمع على التفصيل في آيات الصفات وكثير من الأسماء الحسنى. وهذا يتناقض مع مدلول الآية الكريمة السابقة.

٢-أن الزيادة في الشريعة لما لا يدركه العقل لا تجوز اتفاقًا، وإنما النزاع فيما تدركه العقول مثل نفي الولد عن الله تعالى ونفي الثاني، وأمثال هذه الأمور لم يخل السمع ببيانها.

فقد أجمع علماء الإسلام من جميع الطوائف على أن القرآن يفيد معرفة أدلة التوحيد من غير ظن أو تقليد، وإذا كان المتكلم ينظر في كتب شيوخه ليتعلم منها الأدلة من غير تقليد، فإن القرآن العظيم هو الذي تعلم منه المتكلمون النظر، لكنهم غالوا في النظر ولم يقتصروا على القدر النافع المذكور في كتاب الله تعالى[(١)].

٣-قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ولا معنى للإرسال «إلا البيان، وإلا صح أن يرسل الله رسولًا أبكم غير ناطق... وقد نص الله تعالى على أنه أرسل كل رسول بلسان قومه ليتم لهم البيان»[(٢)] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ ﴾ [إبراهيم:٤].

٤-إن الله وصف القرآن بأنه تبيان لكل شيء فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩] وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍۚ﴾ [الأنعام:٣٩] وفي هذا دلالة على أن القرآن الكريم لم يترك شيئًا من مهمات الدين الاعتقادية، وإن كانت عقلية، ويدخل فيه ما بينه

---

(١) ابن الوزير: ترجيح أساليب القرآن ص(١٠٧، ١٠٨).

(٢) ابن الوزير: إيثار الحق ص(١٠٩).

النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧] وقال للنبي: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤] وهذا بيان جملي. أما الفروع العملية فيرى ابن الوزير «أنه لا حرج في الخوض فيها بالظنون بالنص والإجماع»[١].

٥-الإجماع على تحريم البدع في الدين، ولا يزال الصحابة والتابعون لهم بإحسان يحذرون من ذلك، وقد قامت الحجة بموافقة المتكلمين والغلاة على ذلك في الجملة حتى رمى بعض المتكلمين بعضًا بذلك كما يقول ابن الوزير: «عند الضجر من الخوض في المباحث الشنيعة».

٦ - قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - في الصحيحين: «**دعوني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم**»[٢]. وفي هذا المعنى أحاديث جمة مجموعها كما يقول ابن الوزير «تفيد العلم بأن الشرع ورد بحصر الواجبات والمحرمات، إن السؤال عما لم يرد به حرام»[٣].

٧-أن الدين قد جاء به الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وفرغ منه ولم يبق بعد تصديقه به بدلالة المعجزات الباهرات إلا اتباع الدين المعلوم الذي جاء به لا استنباطه بدقيق النظر، كما صنع الفلاسفة الذين لم يتبعوا الرسل. وعلى هذا درج السلف، ولذلك قال مالك: «أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا لجدله ما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم! ولو كان الدين مأخوذًا من النظر لكنا قبل النظر غير عالمين ما هو دين الإسلام، وإنما نخترعه نحن،

(١) إيثار الحق ص(١٠٩، ١١١) وترجيح أساليب القرآن ص(١٧).

(٢) متفق عليه البخاري جـ٨ كتاب الاعتصاب باب الاقتداء بسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ص(١٤١) مسلم واللفظ له ج٢ كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر.

(٣) ابن الوزير: العواصم ص(١١٥).

وهذا باطل ضرورةً. كما أن الأمة أجمعت على تكفير من خالف الدين المعلوم بالضرورة، فلو كان الدين مستنبطًا بالنظر لم يكن جاحده كافرًا(١).

٨ – أن العقول بريئة مما ادعَوا عليها من معرفة وجوب ما لم يرد به كتاب الله تعالى ومن معرفة صحة ما يناقض القرآن الكريم، فقد وضح للمحققين من نظار العقلاء وأذكيائهم أنه لا تعارض بين صحيح السمع وصحيح العقل، وأن أصل البدع كلها يوهم التعارض بينهما(٢).

٩–إن الله سبحانه قد أمر بالتحاكم عند النزاع إلى الله ورسوله في عدة مواضع من القرآن لا في الأحكام الفرعية العملية فقط، بل في جميع المجالات، والاعتقادات أولى، إذ الفروع الفقهية مجال الاجتهاد فيها واسع، ولا يقال للمخطئ فيها (كافر) وإنما سمعنا التكفير في الخطأ بين أهل الكلام الخائضين في أصول الدين.

وقد نفى الله تعالى الإيمان عن المعرضين عن ذلك بقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ولم يكتف بذلك بل لابد من الإذعان والقبول ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

***

(١) ابن الوزير: العواصم (٢/ ١١٦) الوهم الخامس عشر.

(٢) السابق (٢/ ١١٦، ١١٧)، وانظر د. رزق الحجر: ابن الوزير ومنهجه الكلامي ص(١٤٢، ١٥٠).

النقص في الدين وأسبابه

وقد وضحه ابن الوزير بقوله: أنه رد حقائق النصوص والظاهر إلى المجاز من غير طريق قاطعة تدل على ثبوت الموجب للتأويل إلا مجرد التقليد لبعض أهل الكلام في قواعد لم يتفقوا عليها(١).

وقد أطال ابن الوزير في هذا المقام، ونختصر بعض أقواله فيما يأتي:

١ - القرامطة في تأويل الأسماء الحسنى كلها ونفيها عن الله تعالى، كما يزعمون، على سبيل التنزيه له عنها وتحقيق التوحيد بذلك، وزعموا أن إطلاقها عليه يقتضي التشبيه، وهذا غلو شديد، بل بالغوا حتى قالوا إنه لا يقال إنه موجود ولا معدوم، وأن المراد بها إمام الزمان عندهم. وهذا متواتر عنهم، وهذا هو الكفر بعينه.

وكل مسلم يعلم أن هذا كفر صريح، وأنه ليس من التأويل المسمى بحذف المضاف المذكور في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٣]، أي: أهل القرية وأهل العير. كذا قرره ابن الوزير(٢).

٢ - طريقة بعض المتكلمين في تأويل بعض أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وردها إلى المجاز، كالرحمة والرحيم والسميع والبصير والحكيم، فقد عظمت الشناعة في إنكار حقيقتها والتمدح بها حين وافق ذلك مذهب القرامطة الباطنية وأسلافهم من المشركين، خاصة أن الله تعالى عظم اسمه الشريف حيث قال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء:١١٠].

---

(١) ابن الوزير: إيثار الحق ص(٣٠).

(٢) ابن الوزير: إيثار الحق ص(٣٠).

أما السنة الصحيحة فكثيرة شواهدها، ففي حديث سلمان الفارسي، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن لله مائة رحمة، فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم، وتسعة وتسعون ليوم القيامة**»(١) وحديث أبي هريرة أيضاً مرفوعاً: «**إن رحمتي تغلب غضبي**»(٢) وفي رواية: «**سبقت غضبي**».

٣- التصرف في عبارات الكتاب والسنة بالعبارات المبتدعة. يقرر ابن الوزير أنه قد تفاحش الأمر في التصرف في عبارات الكتاب والسنة بظن المترادف واعتقاده من غير يقين، والاختلاف في معاني كتاب الله تعالى، ورواية ما قال الله ورسوله بالمعنى. قد أدى ذلك إلى الحرام المنصوص.

ويرى باحث معاصر(٣) أن تشدد ابن الوزير هنا يحمل على قاعدته المعروفة وهي الأخذ بالأحوط في الدين، وهذه القاعدة التي التزمها لا شك أنها مأمونة الخطر الناتج عن التصرف في عبارات الكتاب والسنة الواضحة، لا سيما إذا كانت في باب الأسماء والصفات التي لم يؤثر الخوض فيها عن السلف الصالح، لا بطريقة التأويل المؤدى إلى التعطيل، ولا بالتشبيه المؤدي إلى مماثلة المخلوق، ولا بطريقة المقدمات والنتائج.

وإذا اعترض البعض على ابن الوزير في مؤلفاته لا سيما «العواصم والقواصم» و«الروض الباسم» أنه قد خاض في التأويل بتبديل عبارات الكتاب والسنة في حديث الشفاعة الطويل وفيه ذكر المجيء والرجل والقدم والرؤية وغير ذلك، فإن ذلك في الحقيقة ليس إلا من باب الجدل المبني على مقدمات مشهورة، أو مسلمة عند الناس أو الخصم، والغرض منه - كما هو معروف -

(١) مسلم ج٤ كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله.

(٢) متفق عليه البخاري ج٨ كتاب التوحيد، ومسلم ج٤ كتاب التوبة.

(٣) د. علي بن علي بن جابر الحربي: ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية ص(٥٨٣).

إلزام الخصم وإفحامه، وإقناع القاصر عن درجة البرهان، سواء كانت المقدمات والنتائج حقيقية أم باطلة، بخلاف ما قرره ابن الوزير هنا في كتابه «إيثار الحق على الخلق» فإنه المختار عنده؛ بدليل أنه شدد النكير على من يخالف هذا المنهج(١) إضافة إلى أنه من آخر الكتب التي كتبها في حياته.

أما أسباب الزيادة والنقص في الدين - وهما منشأ معظم البدع - فأصلان: عقلي وسمعي.

الأول بسبب الخوض فيما لا تدركه العقول من الخفيات التي أعرض عنها السلف، نحو ما عرض للبراهمة الذين حكموا برد النوبات من إيجاب أمور سكت الشرع عن بعضها ونهى عن بعضها، واستقباح أمور ورد الشرع بتحسينها؛ ولكنهم خالفوا البراهمة في أنهم صدقوا قواعد الشرع في الجملة، وصدقوا هذه القوادح في تفاصيل الشرع، وراموا الجمع بينهما، فوقعوا لذلك في أشياء واهية... ولزمهم ما التزموا من أن رسل الله قصروا في البيان عمدًا امتحانـًا للمكلفين وتعريضـًا للعلماء الراسخين للثواب العظيم في التأويل لكلام رب العالمين(٢).

ومن هنا علينا - في نظر ابن الوزير - أن نعتقد أن الحق في تلك القوادح التفصيلية هو فيما جاء من عند الله تعالى، بدليل المعجزات الباهرات، ونعلم أن للبصائر أوهامـًا في الخفيات من الأحكام مثل ما ثبت للأبصار في الخفيات من الأوهام، فلا نتبع في الخفيات وهم البصائر ولا وهم الأبصار، والجلي من المنقول والمعقول أولى بالاتباع، ورد ما خفي على العقول إليه، وننتفع بالجلي ونقف فيما دق، ونصنع في الانتفاع بالبصائر كما صنعنا في الانتفاع بالأبصار، ولا نقف الجلي على الخفي، ولا نرجحه على الجلي، وبهذه الطريقة نكون قد

(١) ابن الوزير: إيثار الحق ص(١٥٠، ١٥٢).

(٢) ابن الوزير: إيثار الحق ص(٨٧).

أغلقنا منافذ يتسرب منه الاختلاف والابتداع في الدين[١].

أما الثاني من هذه المنافذ الذي يتسرب منها الاختلاف والابتداع في الدين تأويل المتشابه، وهذا هو الذي لا يرضاه ابن الوزير، ومن هنا أكثر الكلام على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وقرر الوقف على لفظ الجلالة، كما قرر أن قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ جملة مستأنفة لا معطوفة كما يقول البعض، ذكر ذلك في معرض الرد على المعتزلة الذين ادعوا العلم بتأويل المتشابه.

كما استدل بكلام ابن تيمية في القاعدة الخامسة من التدمرية في وجوه التأويل الثلاثة. كما ذكر أدلة القائلين أيضـًا بأنهم يعلمون تأويل المتشابه، ثم رد عليهم بأن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه الذي هو مذهبه، بل معتقده من ستة أوجه أيدها باثنين وعشرين دليلاً[٢].

وعامة فالدليل السمعي يحمل في أن اختلاف المتكلمين في أمرين:

أحدهما: معرفة المحكم والمتشابه أنفسهما والتمييز بينهما حتى يرد المتشابه إلى المحكم.

ثانيهما: اختلافهم هل يعلمون تأويل المتشابه، ثم اختلافهم في تأويله على تسليم أنهم عرفوه، وقد فصل ابن الوزير في ذلك على ما سنرى بعد[٣].

---

(١) السابق ص(٧٨، ٨٨).

(٢) ابن الوزير: ترجيح أساليب القرآن ١٤١٢-١٦٧ وإيثار الحق ص(٨٨، ٨٩).

(٣) إيثار الحق ص (٨٨ ، ٩٣).

أما علاج كل ذلك في نظر ابن الوزير فيتلخص في أمور:

١ - الامتناع عن الكلام في ذات الله تعالى على جهة التصور والتفصيل، أو على جهة الإحاطة على حد علم الله تعالى. فالكلام في ذلك من المتشابه الممنوع الذي لا يعلمه إلا الله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠] وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] فإنما تتصور المخلوقات وما هو نحوها. وقد روى عنه نهيه عن التفكر في ذات الله تعالى والأمر بالتفكر في آلائه[1].

وحاصل هذا الأمر أنه من التحكم بالنظر في ذات الله تعالى، وهو من المتشابه، والخوض في ذلك من البدع المحرمة، فالعلم بكيفية الصفات غير حاصل لنا، إذ العلم بكيفية الصفة فرع عن العلم بكيفية الموصوف، فإذا امتنع العلم بكيفية الموصوف فكذلك كيفية الصفة[2].

ومن باب التفكر في ذات الله دخل كثير من البدع المتعلقة بذات الله تعالى وصفاته، مثل قول البهاشمة من المعتزلة: «إن الله - تعالى عن قولهم - لا يعلم من ذاته غير ما يعلمون، وكذلك قول المشبهة والمعطلة على اختلاف أنواعهم؛ فالفريقان المشبهة والمعطلة إنما أتوا من تعاطي ما لا يعلمون، ولو أنهم سلكوا مسالك السلف في الإيمان بما ورد من غير تشبيه لسلموا»[3].

٢-الامتناع عن الكلام في سر القدر السابق الشرور. فإنه من المتشابه الواضح تشابهه والمنع منه. وإذا كان الملائكة الكرام مع قربهم من الله تعالى قد تحيروا واستفسروا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ فكان الجواب

(١) انظر «صحيح الجامع» حرف التاء.

(٢) شيخ الإسلام في مجموع فتاويه (٦/ ٣٩٩).

(٣) ابن الوزير: إيثار الحق ص (٩٥، ٩٦)، والعواصم والقواصم ج٢ ص الوهم ١٥.

الجملي ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠] فاعترفوا بما قرره عليهم من قصور علمهم وقالوا: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢] وإذا كفى الملائكة العلم الجملي كفى كثيرًا من المسلمين.

ومما يؤكده ابن الوزير أن الله تعالى لم يخلق الشر كونه شرًّا محضـًا، بل فيه من الخير الكامن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، بل لا يريده لكونه شرًّا قطعـًا، ومثل بأم الصبي التي ترى الحجامة شرًّا محضـًا، والغبي الذي يرى القصاص شرًّا محضـًا يقول: والسر في ذلك أن الله تعالى لا يريد الشر لكونه شرًّا قطعـًا، وإنما يريده وسيلة إلى الخير الراجح، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَـٰبِ﴾ [البقرة:١٧٩].

وقد جمع ابن الوزير في «العواصم والقواصم» في مسألة القدر كثيرًا من الأقوال والردود، وعلى الرغم من نهيه عن الكلام في سر القدر وسره، إلا أنه عالجه بإسهاب لا مزيد عليه في الوهم الثامن والعشرين، وتقصى البراهين في الرد على المعترض المعتزلي وغيره، وبلغت أحاديث وجوب الإيمان بالقدر اثنين وسبعين حديثـًا، وأحاديث صحته مائة وخمسة وخمسين حديثـًا، غير الآيات القرآنية الكثيرة التي استشهد بها(١).

كما أشار ابن الوزير إلى مصنفات ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية في بيان الحكمة في العذاب الأخروي، وهي تتفق مع وجهة نظر ابن الوزير.

٣- الامتناع عن الجدل حول معاني الحروف المقطعة أوائل السور. فذلك من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى. ودليل ذلك أن الجهل بهذه الفواتح معلوم كالألم والصحة، والفرق بينها وبين ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ونحوها ضروري، ودعوى

---

(١) ابن الوزير: العواصم والقواصم ج٣وهم ٢٨، ٢٩، ٣٠ والإيثار ص(٩٩).

التمكن من معرفة معانيها تستلزم جواز أن ينزل الله تعالى سورة كلها كذلك أو كتاباً من كتبه، وتستلزم جواز أن يتخاطب العقلاء بمثل ذلك، ويلوم من طلب بيان مقاصدهم. وهذا - كما يقول ابن الوزير - هو اختيار زيد بن علي، عليه السلام، وأما قول من خاضوا في بيان معانيها بأنا مخاطبون بها فيجب أن نفهمها، فهو قول مقلوب، وصوابه أنا لا نفهمها فيجب ألا نكون مخاطبين بفهمها[1].

٤-المجمل الذي لا يظهر معناه بعلم ولا ظن، سواء كان بسبب الاشتراك في معناه أو لغرابته أو عدم صحة تفسيره في اللغة والشرع وغير ذلك. وقد وقع الوهم في المجمل لنوح، عليه السلام، فكيف لغيره، وذلك فيما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود:٤٥-٤٦][2].

ويعلق باحث معاصر على هذه الأمور الأربعة التي اختارها ابن الوزير ونبه عليها على أنها من المتشابه، وذلك بعد ذكره لوجوه المتشابه الثلاثة التي نقلها عن ابن تيمية، وإضافة رابع إليهما بقوله: «إذا تأملت ذلك تجده موفقاً من حيث الجملة للقاعدة التي نهجها في أصول الدين، بل في كتابه (إيثار الحق) الذي هو آخر مؤلفاته وهي الأخذ بالأحوط، وهو كذلك لأنه مأمون الخطر على من اعتقد هذا من الزلل في الدنيا ومن العذاب في الآخرة»[3].

---

(١) ابن الوزير: إيثار الحق ص (١٠١).

(٢) وانظر الإيثار ص(١٠١).

(٣) د. علي جابر الحربي: ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية ص (٦٠٥، ٦٠٦).

وما يراه الباحث صحيح؛ فإننا نجد ابن الوزير يضع لنا قاعدة للنجاة في هذه الأمور الصعبة، خاصة منها المتصلة بالسمعيات وهي: أن كل قولين مختلفين يخاف الكفر والعذاب الأخروي في أحدهما دون الآخر، فابعد عنه واحذره، ألا تراك تألفه الكفر في جحد العلوم لا في ثبوتها، وفي جحد الرب لا في الإيمان به، وفي جحد النبوات لا في إثباتها، وفي التفريق بين الرسل لا في الإيمان بجميعهم، وفي عدم الإيمان بما جاء به القرآن والسنة، لأن خلاف السمع المعلوم كفر إجماعًا، لا في خلاف العقل المعلوم، لأنه ليس بكفر إجماعًا، وبالفطرة تدرك القوي من الضعيف، في تلك المباحث إلا ما دق وغمض فاتركه لا سيما مع دقة الشبه المعارضة كما تترك ما دق على بصرك من المرئيات[1].

***

(١) ابن الوزير: إيثار الحق ص (٣٣، ٣٤).

موقف ابن الوزير من تأويل نصوص السمع

يرى المتكلمون وجوب تقديم الأدلة العقلية على أدلة السمع عند وجود تعارض بينهما، لأن العقل -كما يقولون - «أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل معاً، فوجب تقديم العقل، ثم النقل إما أن يتأول وإما أن يفوض»[١].

وقد نص الغزالي على ذلك، وسبقه إلى ذلك الباقلاني والجويني، حيث قررا تقديم العقل على السمع عند التعارض. وإنصافاً للغزالي ينبغي أن نذكر أنه قد عنى ببيان مذهب السلف في ذلك، وبرهن على أنه هو الحق الصريح الذي لا مراء فيه[٢] كما صرح بالكف عن تعيين التأويل عند تعارض الاحتمالات وأن ذلك هو الأسلم[٣].

وكان الرازي أكثر المتكلمين إلحاحاً في بيان قانونهم في التأويل وتقديم على النقل وحمل الظواهر النقلية على التأويل[٤].

ولقول المتكلمين بوجوب تأويل النصوص السمعية عند التعارض المزعوم جلبوا كثيرًا من الخلاف والتعارض والابتداع إلى الدين.

ومن هنا حاول ابن الوزير بيان تهافت هذا التعارض المزعوم بين العقل والنقل، ورأى أن هذا وهم نشأ لأسباب هي:

---

(١) انظر ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل ص(٥، ٦).

(٢) الغزالي: إلجام العوام عن علم الكلام ص(٦٢) وما بعدها (مجموعة القصور العوالي).

(٣) الغزالي: قانون التأويل ص(١١).

(٤) الرازي: المطالب العالية ص(٣٠٩، ٣١٠) ومحصل الأفكار ص(٣١) وأساس التقديس ص(١٧٢).

أ-التقصير في علم المعقول

«فإن جماعة من المشتغلين بعلم المعقول لم يتقنوه، فتوهموا في بعض الأمور أنه صحيح بدليل عقلي توهموه قاطعًا وليس بقاطع، وفي معرفة القاطع وشروطه اختلاف بين المنطقيين وبعض المتكلمين»(١).

فهؤلاء قد اختلفوا فيما إذا كان الواجب بناء الدليل على الضرورة فيما ينتهي إليه النظر، أو بناؤه على سكون النفس؛ فالمنطقيون وأبو الحسين البصري وأكثر المحققين على أنه لابد من الانتهاء إلى الضرورة التي تؤدي إلى التسلسل، بينما جمهور المعتزلة على أنه يكفي أن ينتهي إلى سكون النفس.

وقد اعترض ابن الوزير على المعتزلة بأنه يرد عليهم هنا سكون نفوس المبطلين ببواطلهم، وقد قصد من هذا الاعتراض إلى بيان أمرين:

أولهما: أن كون الدليل العقلي قاطعًا من المواضع الدقيقة التي اختلف فيها مُدَّعُو الذكاء وكمال التدقيق.

ثانيهما: أنه يجوز أن يقع الخطأ على المحققين في مثل هذا، وينبغي على المنصف أن يحذره «فإن كثيرًا من أهل العقول يقصر في هذا الموضع، فيظن في بعض العقليات أن دليله قاطع، وليس بقاطع في نفس الأمر. ولو لم يكن في ذلك عبرة للمعتبرين إلا ما جرى لموسى الكليم حيث قطع بالنظر العقلي على قبح ما فعله الخضر، فانكشف له خلاف ما قطع عليه.. فإذا كان هذا في حق أرفع البشر مرتبة، فمَن الناس بعدهم!»(٢).

---

(١) ابن الوزير: إيثار الحق ص(١١٧).

(٢) السابق ص (١١٩).

وجانب الحذر الذي يلتزم به ابن الوزير هنا، ويراه في ترك التأويل لأنه الأحوط يعتمد على:

ما علم من الاختلاف في أن الأدلة العقلية موجبة للتأويل عند المتأولين قطعية أم لا، وقد تقدم مثال ذلك.

أن الإجماع قد انعقد على أن مخالفة العقل إذا تجرد عن السمع ليست بكفر ولا فسق وإن كان فيها مخالفة ضرورة العقل.

أن أحدًا لا يشك في أن الفوز بالأمان من الكفر الذي يوجب الخلود في النار أرجح من الفوز بالظفر بالحق في دقائق الجواهر والأعراض ونحوها.

وإذا كانت الأدلة الموجبة للتأويل قد انتهت إلى غاية الدقة ووردت عليها الشكوك الصعبة حتى اختلف في صحتها أئمة العقول، فإن مخالفتها لا تكون كفراً ولا فسقاً على جميع قواعد العقلاء. وما دام قد ثبت أنه لا تعارض بين صحيح السمع وصحيح العقل، فإنه لا موجب للتأويل الذي أدى إلى الاختلاف والابتداع.

ب- التقصير في علم السمع

فإن المتكلم قد يتقن بعض الأدلة التي لا يشك في صحتها، وتكون هذه الأدلة صحيحة بالفعل، ولكنه لتقصيره في علم السمع يعتقد أنه ورد نقيض ذلك الأمر المعلوم عنده، ولذلك وقع الكثيرون في الكفر الصريح، كابن الراوندي وبعض الفلاسفة وأكثر البراهمة، إذ اجتمعت كلمتهم على أن عذاب الآخرة خال من المصلحة والحكمة، وأن ذلك لا يجوز على مختار عليم مختار حكيم.

ويضيف ابن الوزير «وقد زاد إسراف البعض في التقصير في علوم السمع، تارة

في معرفة نصوصه وألفاظه وطرق صحتها، وتارة في كيفية الجمع بين المتعارض، فقدموا العموم على الخصوص والظواهر على النصوص.. فوقعوا في «البدعة» وهؤلاء كالنواصب والروافض وكثير من الوعيدية، ومن هذه الجهة كذلك كان خبط كثير من الناس في مسألة القرآن[١].

جـ- معاداة العلوم العقلية

وهذا السبب يقوم على تقصير من جانبين: جانب أهل المعقولات وجانب أهل السمع. أما الأول فجماعة منهم قصروا في السمع كبعض المعتزلة، فذهبوا إلى نفي الشفاعة للموحدين ونفي الرجاء للمذنبين منهم، وأوجبوا خلودهم في النار مع المشركين.

أما أهل السمع فظنوا أن العلوم العقلية التي ينفي المشتغلون بها الشفاعة والرجاء ونحوها هي المعارضة لما عرفوه من السمع الحق في ذلك، فعادوا في ذلك عالم المعقول ومن خاض فيه حتى من أهل السنة[٢].

وقد لاحظ الدكتور السيد رزق الحجر بحق فارقًا هامًّا بين ابن الوزير وغيره من بعض أهل الحديث الذين لزموا جانب السمع ونهوا عن الخوض في العقليات، فهو لا يمنع من ذلك شريطة أن يتسلح الخائض فيها بالإتقان الكامل لعلوم العقل وعلوم السمع معًا، بحيث يكون كواحد من الأئمة في كلا العلمين.

ومن هنا يقول ابن الوزير بعد أن بين هذه الأغلاط التي وقع فيها جماعات من المتكلمين، وبعد أن بين أن بعض أهل السنة يتحمل نصيبًا من هذه الأغلاط:

---

(١) ابن الوزير: إيثار الحق ص(١٢٣، ١٢٤).

(٢) السابق ص(١٢٣، ١٢٧).

«واعلم أنه لا يكاد يسلم من هذه الأغلاط إلا أحد رجلين: إما رجل ترك البدعة كلها والتمذهب والتقليد... وبقي مع الكتاب والسنة كرجل نشأ قبل حدوث المذاهب... ورجل أتقن العلمين العقلي والسمعي، وكان من أئمتهما معًا بحيث يرجع إليه أئمتهما في وقائعهما ومشكلاتهما، مع حسن قصد وورع وإنصاف وتحر للحق. وأما من عادى أحد هذين العلمين وعادى أهله، ولم يكن على الصفة الأولى من لزوم ما يعرف وترك ما لا يعرف، فإنه لابد أن تدخل عليه البدع والأغلاط والشناعات»(١).

***

(١) ابن الوزير: إيثار الحق ص(١٢٨).

ابن الوزير ومدى الحاجة إلى علم الكلام

يعرف الإيجي علم الكلام بأنه «علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه»[١]. ويعرفه ابن خلدون بأنه: «علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنصرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة».

ويتبين لنا من هذه التعريفات وظيفتان: إحداهما توضيح العقائد الإسلامية وتقديم الأدلة العقلية التي يؤيدها. والثانية الدفاع عن هذه العقائد في مواجهة الشبهات والشكوك التي توجه إليها.

ولكن ألا يمكن توضيح العقائد الدينية وإثباتها بطريق آخر غير طريق الكلام والمتكلمين؟

يجيب ابن الوزير على ذلك بالإيجاب، ويستدل على ذلك بأن صحابة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وغيرهم ممن سبقوا نشأة هذا العلم، قد عرفوا هذه الأمور، ولم تكن لديهم هذه المعرفة غير كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. فالصحابة لم تتوقف معرفتهم بأصول العقيدة على براهين المتكلمين، كما أنهم قاموا بدورهم في الدعوة إلى الدين والذود عنه في مواجهة شبهات الملحدين، متبعين رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - والأنبياء السابقين. وهذا ما أكده ابن الوزير ويرى كفاية القرآن الكريم في البرهنة على عقائد التوحيد من غير حاجة إلى أدلة المتكلمين[٢].

---

(١) الإيجي: المواقف (١/ ٣٤، ٣٥).

(٢) ابن الوزير: ترجيح أساليب القرآن ص(١٧).

ويؤيد ما ذهب إليه ابن الوزير الإمام يحيى بن حمزة في كتابه «التمهيد» على أن القرآن مشتمل على ذكر الأدلة وشرحها[١] بل صرح بذلك مشاهير المتكلمين والمعتزلة والأشاعرة، بل ترى القاضي عبد الجبار المعتزلي يقول: «إن الله سبحانه ينبه على المعاني التي يستخرجها المتكلمون بمعاناة بألفاظ قليلة تحتوي على معان كثيرة»[٢].

فإذا كان القرآن - كما شهد بذلك أعلام العلماء وأئمة المتكلمين - متضمناً لأدلة أصول الدين مع سهولة أدلته وجلائها، لم تكن هناك حاجة إلى معرفة ذلك من أدلة الكلام. كما أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والصحابة والسلف الصالح لم يشتغلوا بالنظر كما عرف لدى المتكلمين، ولم يأخذوا عقائدهم أو بينوها من هذا الطريق.

ويبرهن ابن الوزير بكثير من الأدلة والبراهين في كتبه ورسائله على ثبات الأنبياء على اعتقادهم، بينما لا يسلم المتكلمون من طروء الشبهات على معتقداتهم[٣] ولا وقع بينهم من الخلاف والاختلاف مثل ما وقع بين الفلاسفة والمتكلمين الذين اختلفوا في كثير من البديهيات، كالتواتر والتحسين والتقبيح وأفعال العباد وغير ذلك، ويكفينا أن نقف على كلام الطائفة الواحدة منهم بعضهم في بعض، وما فيه من وصف كل منهم للآخر بالكفر والبدعة[٤].

كما أن الفرق الكلامية مجانبة لطريقة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- في

---

(١) السابق ص (١٩).

(٢) السابق ص (٢١) ويحيى بن حمزة أحد أئمة الزيدية في اليمن، وكتابة «التمهيد في العدل والتوحيد» مطبوع في مصر حديثاً في مجلدين.

(٣) ابن الوزير: البرهان القاطع ص (٥١، ٥٢) والروض الباسم (٢/ ١٣٦)، وإيثار الحق (١١٤).

(٤) ابن الوزير: إيثار الحق ص (١١١)، والبرهان ص (٥٢).

بيان العقائد والبرهنة عليها، على الرغم من وجود اليهود والنصارى والمشركين في زمنه، وقد ناظروه فلم يأت في مناظرته لهم بشيء من جنس علم الكلام[١].

كذلك كان موقفه من الزبعري الذي زعم أن المسيح والملائكة ممن يعبدون، وأنه يلزم من ذلك أنهم معذبون، أو موقفه من أبي سفيان عندما لم يشهد له بالنبوة في بادئ الأمر أو بدليل عقلي واكتفى بالدليل السمعي، وكذلك فعل عندما سئل عن الروح.

وقد أمر أحدنا أن يقول عندما يكثر سؤال الناس «آمنت بالله ورسله» كما ثبت ذلك في الصحيح عن أبي هريرة، وفي معناه قول الله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ ﴾ [آل عمران: ٢٠] وقد عرضت مثل هذه المواقف للصحابة من خلال براهينهم عليها وما أمكن تحقيقه من غير حاجة إلى تنظير المتكلمين، بدليل أن كل من سبقوا نشأة علم الكلام قد عرفوا تلك العقائد ووقفوا على أدلتها من القرآن الكريم، مع تميز أدلة القرآن بجلائها وسهولتها ونفعها للخواص والعوام.

أما الدفاع عن الدين ورد شبهات الملحدين «فلا يغني علم الكلام هنا، وإنما ينفع علم الغيب، ومن الجائر بالإجماع أن ترد هذه الشبهات على دقائق الكلام وتحير المبرز فيه، وتبلد المعجب به، وربما تولدت من تدقيقه على قدرة، وكان بالنظر كالباحث على حتفه بظلفه»[٢].

كما أن الأدلة الكلامية لا تصلح في حق شبهات الملحدين، لأن الحجة لله تعالى عليهم قد تمت قبل تحرير هذه الأدلة بما خلق لهم العقول وأرسل إليهم الرسل وبين لهم ما في كتبه الكريمة من الأدلة، فإذا كانوا قد جحدوا آيات الله وبراهين القرآن الجلية فهم لدقائق الكلام أجحد ومن قبولها أبعد.

---

(١) ابن الوزير: ترجيح أساليب القرآن ص (٥٣)، والبرهان ص(٥٧)، والروض الباسم (٢/ ١٣٩).
(٢) ابن الوزير: ترجيح أساليب القرآن ص (٤٥٣).

ويدل على أن المعول هنا إنما هو فيما أقامه الله تعالى على الكفار من حجة لا فيما يحرره المتكلمون من أدلة[1] كما أن العلم بصحة الإسلام في قلوب الكفار غير مقدور للمسلمين، لا بأدلة الكلام ولا بأدلة السلف، لأن وجود العلم بذلك متوقف على نظر الكفار على الوجه الصحيح أو على خلق الله تعالى له، وكلاهما غير مقدور لنا، فلم يبق لنا إلا أن تأمرهم «بأن ينظروا فيما نظرنا فيه على مقتضى ما خلق الله في عقولهم السليمة ومقتضى ما علمهم الله لسنة أنبيائه الكرام عليهم السلام، فبمجموع العقل وبعثة الرسل تمت الحجة عليهم بإجماع العقلاء المنصفين، قال تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ ﴾[النساء: ١٦٥].

وهكذا يورد ابن الوزير كثيرًا من الأدلة والبراهين على أن الخوض في علم الكلام وطرائقه خاصة تلك الأدلة التي يسوقها للبرهنة على أن الخوض في علم الكلام على وجه التقصي للشبهة والإصغاء إليها والتفتيش عن مباحث الفلاسفة والمبتدعة المشكلة في كثير من الجليات - يؤدي إلى أضرار عظيمة ويمرض الكثير من القلوب الصحيحة، ورفع المضرة المظنونة واجب عقلاً، وقد شهدت بذلك التجارب مع النصوص وضل بسببه اثنتان وسبعون فرقة من ثلاث وسبعين فرقة[2].

والنصوص التي يشير إليها ابن الوزير كثيرة وتتمثل فيما ورد في الكتاب والسنة من النهي عن البدع والنهي عن المراء مطلقـًا، وعن المراء في القرآن، وفي

(١) ابن الوزير: الروض الباسم (٢/ ١٣٠)، وترجيح أساليب القرآن ص (٤٦، ٤٧).

(٢) ابن الوزير: ترجيح أساليب القرآن ص(٥٢، ٥٣) وحديث افتراق الأمة مشهور وهو في رواية ابن عمر مرفوعـًا: «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قال: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» (جامع الترمذي بتحفة الأحوذي (١٧/ ٣٩٩-٤٠٠) وفي رواية عن أبي هريرة مرفوعـًا: «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة». ولنا تحقيق على هذا الحديث وكلام علماء اليمن فيه (في كتاب مستقل إن شاء الله يطبع قريبـًا. أبو نوح).

القدر خاصة، والأكبر النهي عن التفكر في ذات الله تعالى، وما ورد فيهما بالأمر عند الوسوسة بما ينافي طرائق أهل الكلام، وذلك كما يقول في خمسة عشر حديثًا في كتب السنة ومجمع الزوائد.

وعلى الرغم من كل ذلك، فلا يغيب عنا أن ابن الوزير ومعه أهل الحديث والأثر لا يستنكرون النظر مطلقـًا، وكيف قد أمر الله تعالى به، ونحن إنما دفاعنا عن الكتاب والسنة، ولكننا نبطل مبتدع النظر بمسنونه ونبطل من النظار ما أدى إلى القدح في أصحابه - رضي الله عنهم - وإلى القطع في صفات الله تعالى بغير تقدير ولا هدى ولا كتاب منير(١).

فالذي يبطله ابن الوزير وأهل السنن من النظر نوعين: أحدهما: ما كان متوقفـًا على المراء واللجاج الذي لا يفيد ويثير الشر.

وثانيهما: الانتصار للحق بالخوض في أمور يستلزم الخوض فيها الشك والحيرة والبدعة لما في تلك الأمور من الكلام بغير علم(٢).

فابن الوزير وأصحاب الحديث عامة لا يبطلون النظر ولا يقبحونه ما دام خاليـًا من الآفتين السابقتين، وإنما يبطلون النظر على طريقة المتكلمين والتعمق في دقائقهم لأنه لا يخلو عنها.

***

(١) ابن الوزير: الروض الباسم ص(٢/ ١٣٦).

(٢) ابن الوزير: البرهان القاطع ص(٥٦، ٥٧)، والروض الباسم (٢/ ١٧).

انفتاحه على مذهب أهل السنة والجماعة

إن كتاب «العواصم والقواصم» في الذب عن سنة أبي القاسم - صلى الله عليه وآله وسلم- يمثل تحولاً هامًّا بين علماء الزيدية في الانفتاح على مذهب أهل السنة والجماعة وتعظيم رجالهم، بخاصة سلف الأمة وعلماء الحديث منهم، إيثارًا للحق على تقليد أئمة مذهبه.

يرى العلماء أن عدة عوامل ساعدت على تفتح ابن الوزير على مذهب أهل السنة، منها:

١ - أنه لم يقتصر في تلقي العلم على علماء المذهب الزيدي، وإنما أخذ من علماء المذاهب الأخرى، بخاصة الشافعية، منهم:

- الشيخ محمد بن عبد الله بن ظهيرة المكي القرشي، رأس الشافعية في زمانه رحمه الله (٨١٧هـ).

- والشيخ نجم الدين محمد بن أبي الخير القوصي الشافعي. وغيرهما.

٢ - أنه كان قد اتجه في أول مرحلة في طلب العلم إلى دراسة علم الكلام، ولكن العداوة والبغضاء بين المتكلمين، وتكفير الفرق بعضها بعضًا لم يصادف في نفسه هوى، بل كان معارضًا لمزاجه، فذهب إلى دراسة علم الكتاب والسنة. والهداية من الله.

قال رحمه الله:

أول ما قرع سمعي ورسخ في طبعي، وجوب النظر والقول بأن من قلد في الاعتقاد كفر، فاستغرقت في ذلك باكورة علمي، وما زلت أرى كل فرقة من المتكلمين تداوي أقوالاً مريضة، وتقوي أجنحة مهيضة، فلم أحصل على طائل،

وتمثلت بقول القائل:

كل يداوي سقيمـًا من معائبه   فمن لي بصحيح ما به سقم

فرجعت إلى كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وقلت: لا بد أن يكون فيها براهين وردودًا على مخالف الإسلام.(١)

ويقول أيضًا:

أما كون الحق فصحيح، ولكن لا يستلزم أن يكون الصواب في جميع المواضع المتفرقة قد اجتمع لبعض الفرق إلا ما حصل فيه أحد الإجماعات القاطعة من الأئمة والعترة، فيجب الترجيح له والنصرة. فاستخرت الله، وقصدت إحياء هذه السنة الميتة، التي هي ترك العصبية(٢).

فالعبارة واضحة الدلالة، لا إلى ترك العصبية لمذهبه فحسب، بل في التماس الحق حيثما كان(٣).

***

(١) مقدمة «العواصم».
(٢) «إيثار الحق» ص(٣٠).
(٣) «كتاب الزيدية» (٢/ ٥٤١).

طريقة السلف أسلم

حدد الإمام ابن الوزير - رحمه الله- أنه يلتزم في فهم العقيدة طريقة السلف، رضوان الله عليهم، لأن فيها السلامة التي يبحث عنها، فيقول:

واعلم يا ولدي أني كنت مثلك، طالب علم صغير السن كثير الجدل، قليل التجارب، وما كنت مثلي طالب سلامة كبير السن، قليل الجدل، طويل التجارب، وأعني بقولي (طالب سلامة) أني غير ملتفت إلى غيرها من الفوائد، على قول القائل: (رضيت من الغنيمة بالإياب).

ولذلك قيل: (طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم) والمجرب لا يعدل بالسلامة، ولا يرتاع من عدوان الضلامة والملامة.[1]

تصويب للقول السابق:

إن طريقة السلف أسلم وأعلم، كما قال السلف: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

***

(١) «ترجيح أساليب القرآن» ص(٦٧).

مصادر عقيدته «الكتاب والسنة»

أصول ديني كتاب الله لا العرض | وليس لي في أصول بعده غرض

قال: (أعني الاستدلال على أصول ديني بإعجاز القرآن، وإحكام خلق المخلوقات لجلائها، لا العرض الكوني، لاستغنائي عنه مع كثرة الشبه فيه).

ويورد أقوال العلماء على بطلان دليل الأكوان، والاختلاف الكبير بين من يثبتون هذا الدليل، فيصل في النهاية إلى أنه لا يمكن معارضة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - بهذا الدليل المضطرب غاية الاضطراب[1].

***

(١) «ترجيح أساليب القرآن» (٧٥-٧٦).

دفاعه ومدحه لمواقف أهل السنة

إنما يدل على عقله وعلمه الإشادة بمذهب أهل السنة، واعتماده له، ودفاعه الشديد عنهم، وترجيحه لآرائهم إذا كانت تخالف آراء غيرهم من الفرق، ولو كانت الزيدية إذا تبين له وجه الصواب:

ففي مسألة: عصمة الأنبياء - عليهم السلام - مثلاً يقول بعد أن بين أقوال أهل السنة: (فبان بهذا أنهم أكثر تنزيهاً للأنبياء - عليهم السلام- من المعتزلة والزيدية؛ لأن مذهبهم تجويز تعمد الصغائر على الأنبياء...).(١)

ويقرر - رحمه الله - بأنه يتبع الكتاب والسنة، ولا يتبع أي مذهب آخر من المذاهب، ويتمسك بهما فيقول: فعقيدة أهل السنة أصح مبانيَ وأوضح معانيَ، وحسبك أنها جامعة لمحاسن العقائد: (من حسن الظن بالله، ورجاء مغفرته، مع خوف عذابه، والحذر من غضبه، وإن مات العاصي على الإسلام فلا بد من الخوف والرجاء لذي الجلال والإكرام).(٢)

نظرة الشيعة للصحابة - رضوان الله عليهم- ونظرة أهل السنة والفرق بينهما:

يقول الإمام ابن الوزير رحمه الله:

فإن قلت: فما الفرق بين مذهب أهل الشيعة وأهل الحديث في الصحابة؟ قلت: من وجوه:

الأول: الخلافة. وهو معروف.

الثاني: أن أهل الحديث يحملون من أظهر التأويل من الصحابة أنه متأول.

---

(١) «الروض الباسم» (١/ ١١٩).

(٢) «الروض» (٢/ ١١٣)، و«الإيثار» ص(٣١٩). ط قديمة.

الثالث: أن أهل الحديث لا يكرهون العاصي من الصحابة، وإنما يكرهون معصيته ويحبونه لإسلامه وصحبته، ويترحمون عليه ويترضون عنه، ويذكرون ما له من الفضائل، ولا يسبونه ولا يؤذونه اهـ.[1]

***

(١) «الروض الباسم» (١/ ١٣١).

إثباته الرؤية لله - عز وجل - والإيمان بها

في رده على من نفى الرؤية، ومن نفى الحديث الذي من طريق جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - أثبته وقال: إن المحدثين رووا في الرؤية أحاديث كثيرة تزيد على ثمانين حديثاً عن خلق كثير من الصحابة، أكثر من ثلاثين صحابيًّا منهم أبو بكر وعمر وعائشة، رضي الله عنهم. وقال: وذكر منها الحافظ الكبير البارع الشهير ابن قيم الجوزية في كتابه حادي الأرواح إلى دار الأفراح...)[1] الخ.

***

(١) «الروض الباسم» (١/ ٩١).

تعديل الصحابة - رضي الله عنهم-

ذكر الاحتجاج بكلام الصحابة، وما فيه من خلاف لأهل الباطل، ثم قال: وفي هذا الاحتجاج ما يؤخذ منه عدالة الصحابة كلهم رضي الله عنهم[١].

***

(١) نفس المصدر (١/ ٤٩).

شهادته في حق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال رحمه الله: وأعظم من هذا سؤال عمر بن الخطاب لحذيفة؛ هل هو منافق؟ وقول حذيفة بعد تزكيته: لا أزكي بعدك أحدًا. ولم يخف، رضي الله عنه، من النفاق الذي هو الشك في الإسلام، فإنه يعلم براءة نفسه منه، بل نحن نعلم براءته، رضي الله عنه، بما يشهد له به رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من الفضائل الكبيرة والمناقب الكثيرة...

دفاعه عن أهل السنة في أخذهم أحاديث معاوية رضي الله عنه

دافع الإمام ابن الوزير، رحمه الله، عن الأئمة في كتبهم الصحيحة عن الصحابي معاوية، رضي الله عنه، ثم أوردها، وأورد أنها شواهد عن غيره وقال:

(وهذا دليل على صدق أهل ذلك العصر وعدم انحطاطهم إلى مرتبة الكذابين، ولو لم يدل على ذلك إلا أن معاوية - رضي الله عنه - لم يرو شيئًا قط في ذم علي، رضي الله عنه، ولا في استحلال حربه ولا في فضائل عثمان، ولا في ذم القائمين عليه، مع تصديق جنده له وحاجته إلى تنشيطهم بذلك، فلم يكن منه في ذلك شيء على طول المدة، لا في حياة علي ولا بعد وفاته، ولا انفرد برواية ما يخالف الإسلام ويهدم القواعد.

ودفاعه عن أهل العلم وأئمة السنة منثور في كتبه، ومنهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم رحمهم الله.

وهذا هو الحق والإنصاف الذي كان عليه إمامنا ابن الوزير رحمه الله.

***

شبهة والرد عليها

قالوا: إن الإمام ابن الوزير - رحمه الله - يزعم أن المتكلمين قد اقتصروا على دليلَي الأكوان والتمانع، مع أن عمدة الأدلة القرآنية وهي الاستدلال بالمصنوع على الصانع، قد أشار إليه كثير من المتكلمين، بل إن هذا الدليل قد اشتهروا به أكثر من شهرتهم بهذين الدليلين(١).

والجواب: أن هذا انتقاد جانبي، وأن المتكلمين قد غيروا كثيرًا حين خالفوا الأدلة القرآنية والنبوية، وكلام أهل العلم فيهم واضح، منه:

- أنهم استخدموا العقل أكثر من استعمالهم النصوص.
- تقديمهم للعقل على النقل ولو أنهم يستدلون بالنقل، لكن بعد أن يستدلوا بالعقل على النقل، وهذا هو الخطأ الكبير؛ لأن العقل يتبع النقل.
- ولعل انتقاد الإمام ابن الوزير لهم من باب الاستدلال الذي أمر الله به. فتنتفي حينها الشبهة، التي ذكرها من له علاقة بقواعد المتكلمين كالمعتزلة والزيدية.

***

(١) «كتاب الزيدية» (٢/ ٥٩٣).

شبهة أخرى

عبد المتعال الصعيدي، صاحب كتاب «المجددون في الإسلام» انتقد الإمام ابن الوزير - رحمه الله - انتقادات تعسفية تدل على جهله، وضعف علمه، وقلة بصيرته؛ حيث إنه أثبت التجديد لأناس ليسوا في العير ولا في النفير، وأنهم كما زعم من المجددين.

فدل كتابه على أنه ذكر بعض العلماء من المجددين، رحمهم الله، ثم أدخل السم الزعاف بين العلماء، وذكر من ليس بعالم، بل من ليسوا أهلًا أن يكونوا من أهل الحق، وأنهم من أهل الباطل، مثل الطوسي الرافضي، والمعري الزنديق، وابن عربي الحلولي الزائغ عن الحق، والفلاسفة، وبعض الذين ليس لهم في العلم باع، ولا عرفوا بنصر الدين.

وقد طعن في الصحابي الجليل معاوية، رضي الله عنه، وهذا دليل على ما يحمل من الباطل، وأن فيه نزعة رافضية هذا أمر.

والأمر الثاني: أنه يطعن في صاحب «عون المعبود» لأنه نفى أن يكون المجدد شيعيًّا[1].

فنقول له: تشكر لذكرك العلماء، وأما غيرهم فدع عنك التجاهل والاجتهاد السيئ والتعالم الفظيع.

وهذه شُبَهٌ، وليست شبهة واحدة عنده، قال في كتابه هذا «المجددون في الإسلام والضلال»: إن ابن الوزير - رحمه الله - أبى إلا أن يختم حياته بالخروج على المدرسة التي صار عليها من كراهية التقليد، فغفل مثلما فعل الغزالي في

(١) انظر: «المجددون في الإسلام والضلال» ص(١٤-١٥)، و ص(٣٩-٤٤).

آخر أمره، وندم على ما مضى له من المعارك العلمية، فاعتزل الناس، وأقبل على العبادة، وتوحش في الفلوات، وهجر الاشتغال بالعلم، وآثرت عليه تلك العزلة عن الناس(١).

الجواب: أن هذا المتعالم لا يعرف حياة الإمام ابن الوزير - رحمه الله - ولا كتبه، ولا كيف اعتزل الناس ومجالس التدريس، وأما العلم فلم يهجره، إنه غذاء روحه - رحمه الله- إن الكتب والعلم كان خير جليس له، وخير مذكر.

فيا أيها الكاتب اتق الله تعالى واعرف كيف تنتقد، وابدأ أولاً بنفسك فانهها عن غيها؛ إن الإمام ابن الوزير - رحمه الله - لم يهجر العلم في عزلته؛ لأنه قد ألف كتابه الكبير الضخم «إيثار الحق على الخلق» في عزلته، وها هو الكتاب بين يديك، فاقرأه، وانظر إلى تحاملك على العلماء، وقبلهم الصحابة، هداك الله وكفى الأمة شرورك.

قال الأخ أحمد مصطفى صالح، جزاه الله خيرًا: أما تقليد الإمام ابن الوزير للإمام الغزالي فليس بتقليد حقيقةً؛ لأن ابن الوزير له أسباب من أجلها اعتزل الناس، ولم يكن اعتزاله لأجل التقليد أو الهوى، وهي أسباب ذكرها في هذا الكتاب وغيره، وانظر هذه المقدمة فلا وجه لكلامك من قريب ولا من بعيد، فدع عنك الكتابة لست منها(٢).

***

(١) «المجددون في الإسلام والضلال» ص (٤٠).

(٢) انظر: مقدمة أحمد مصطفى صالح -جزاه الله خيرًا- لـ «إيثار الحق» فقد أجاد فيها وأفاد، واستفدنا منه كثيرًا، وجزاه الله خيرًا.

ابن الوزير يقرر مذهب السلف

وقد جعل المذهب السلفي عماد دعوته في الأمور السبعة السابقة، وهذا المذهب يقوم على أساس من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهو في ذلك يقول بعد أن ذكر مخاطر البحث والتعمق في علم الكلام، وما يجر إليه من العداوة والمباعدة والشك والحيرة والتكفير: (فلما عرفت ذلك كله علمت من غير شك صعوبة معرفة طريق النجاة من هذا الفن على الأكثرين وقد ألهم الله تعالى، وله الحمد والشكر والثناء، إلى أسهل طريق وأخصره - في علمي - إلى اليقين والنجاة ونصرة طريق الصحابة والسلف، التي علم تقريرهم عليها بالضرورة من الدين، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وإنما عنيت في توضيحها وتجديدها بعد دروسها ومداواة ما قد وقع من تغيير المغيرين لها، كما أشار إلى ذلك الحديث في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه**»[(١)]. كما يقرر أن الإهمال لكتاب الله تعالى هو المدخل الوحيد لعلم الكلام، وأهله غير متهمين بالتقصير - في نظر ابن الوزير - وإنما أُتُوا من أنهم تركوا الاعتماد على تعلم الحق من الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[(٢)].

كما سلك في كتابه هذه الطريقة الآتية:

١- جعل الكتاب والسنة المصدر الأساسي لاستنباط العقائد.

---

(١) «إيثار الحق على الخلق» ص(١٧) والحديث أخرجه البخاري (ج٧) كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين ص(١٢٠-١٢١)، ومسلم (ج٤) كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة ص(٢٠٤٧)..

(٢) «إيثار الحق» ص(١٤).

٢- ترك كل ما يخاف من القول فيه العذاب الأليم كالتشبيه والتعطيل، والتأويل الذي يحرف الكلم عن مواضعه.

٣- الوقوف عند المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، عز وجل، ورد علمه إليه سبحانه.

٤- القول بعدم المجاز إلا عند وجود إحدى القرائن الثلاث الآتية:

أ- **العقلية التي يعرفها المخاطِب والمخاطَب**. كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢] أي: أهلها.

ب- **العرفية**: مثل ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ [غافر:٣٦] أي: مُرْ من يبني. لأن مثله في العرف لا يبني، أو بنى السلطان سور المدينة.

جـ- **اللفظية**. مثل أسد يرمي، أو على فرسه ونحو ذلك[١].

وهذا من المسائل المختلف فيها، فبعض العلماء منع هذا التقسيم، منهم شيخ الإسلام، وبعضهم يمنعه في القرآن ويجيزه في غيره، وبعضهم يجيزه مطلقًا، منهم السيوطي وغيره[٢] من علماء البلاغة والأصول والله أعلم.

والأولى والأحوط عدم القول بالمجاز في نصوص الوحي، لأنه العصا العوجاء التي يتوكأ عليها المؤولون، وهو الذي أدى بهم إلى تأويل الأسماء والصفات وتعطيلها، فأولوا الاستواء بالاستيلاء، واليد بالقدرة وغير ذلك، والله أعلم.

٥- خلع قيود العصبيات المذهبية وترك التقليد في تكفير الخصوم، وترك جميع العبارات المبتدعة.

---

(١) انظر التفاصيل في إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص(١٤٤-١٦٦) والروض الباسم.

(٢) انظر التفاصيل في الإيمان لابن تيمية ص(٧٥) وما بعدها صححه وعلق عليه محمد خليل هراس، والإتقان للسيوطي (٢/ ٣٦) وما بعدها، وروضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه لابن قدامة ص(٣٤-٣٥)، ومذكرة أصول الفقه لمحمد الشنقيطي ص(٥٧).

٦- الأخذ بالأحوط في الدين مخافة الوقوع فيما يؤول إلى عذاب الله، عز وجل، كالقول بحكمة الله تعالى في تدبيره ومخلوقاته وأقواله، وذلك أحوط من النفي لها، وإثبات صفات الكمال لله تعالى وحده، ونفي صفات النقص، والوقف عند الخفي.

٧- أن الكلام في ذات الله تعالى على جهة التفصيل والتصور أو الإحاطة على حد علم الله تعالى باطل، بل من المتشابه الممنوع الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه، لقوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه:١١٠] وإنما تتصور المخلوقات وما هو نحوها، وللنهي عن التفكر في ذات الله تعالى[١].

٨- أن النظر في سر القدر السابق في الشرور - مع عظم قدرة الله تعالى ورحمته - من المتشابه الواضح تشابهه ومنعه، فقد تحير الملائكة الكرام مع قربهم من الله عز وجل واستفسروا ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ فكان الجواب الجملي ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٣٠] فاعترفوا بما قرره عليهم من قصور علمهم وقالوا: ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة:٣٢] فإذا كفى الملائكة العلم الجملي كفى كثيرًا من المسلمين[٢].

٩- إن ابن الوزير سلك في إثبات وجود الله، عز وجل، طريقة القرآن التي وصفها بأنها أصح الطرق وأوضحها وأمنها من المهالك، وأنها طريقة السلف الصالح، رضي الله عنهم، وهي كما يلي:

---

(١) معنى حديث متفق عليه البخاري ج٤ كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس ص(٩٢) مسلم ج١ كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة ص(١١٩-١٢٠) وانظر إيثار الحق على الخلق ص(٩٣).

(٢) «الروض الباسم» لابن الوزير: ص(٢١٩).

* دلالة الفطرة.
* دلالة الأنفس.
* دلالة الآفاق.
* دلالة المعجزات.

١٠ - سلك في الكلام على توحيد الأسماء والصفات طريقة السلف؛ إمرارها كما جاءت في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، على الوجه اللائق بجلال الله، عز وجل، وعظمته بلا تعطيل ولا تشبيه ولا تأويل، على ضوء قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١] وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه:١١٠].

١١ - وضع ابن الوزير - رحمه الله - قاعدة أساسية لمن يريد الحكم على مذهب معين، أن يدرسه من مصادره الأصلية المنتسبة إلى أهله ويطلع على جزئياته، ولا يأخذه من كتب خصوم هذا المذهب، لأنهم قلما يصورونه بصورته الحقيقية، وهذا هو التثبت والتبين اللذين حث عليهما القرآن الكريم(١).

١٢-الإنصاف، فهو لا يغمط أحدًا حقه، بل يضع كل شخص في مكانته اللائقة به فلا يمنعه من ذلك الإنصاف، مخالفة ذلك الشخص له في الرأي لمجرد كراهة أو عداوة. وهذه صفة ما أحوج الكثير من العلماء إليها، خصوصًا في أيامنا هذه.

١٣-القرآن مصدر أدلة التوحيد.

ثم أورد التنبيهات المشار إليها وما فيها من الآيات القرآنية الدالة على وفاء القرآن بإثبات العقائد وغيرها ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً

---

(١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص(٦٦).

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾ [الأعراف:٥٢] وختم تلك التنبيهات بإجماع علماء الإسلام من جميع الطوائف على أن القرآن الكريم يفيد ما ادعاه من معرفة أدلة التوحيد، من غير ظن ولا تقليد. فكما أن المتكلم ينظر في كتب شيوخه ليتعلم منها الأدلة من غير تقليد غيره، فكذلك من نظر في القرآن يتعلم منه الأدلة من غير تقليد، بل القرآن العظيم هو الذي منه تعلم المتكلمون النظر، لكنهم غالوا في النظر فلم يقتصروا على القدر الكافي النافع المذكور في كتاب الله تعالى(١).

ويعني ابن الوزير بالنظر في القرآن الكريم استخدام العقل في فهم نصوصه وتدبره لا طريقة أهل الكلام.

ومما يهتم له ابن الوزير في منهجه اختصاص القرآن الكريم بنوع من الاحتياط، يبدو فيما يلي:

أولًا: التعريف بمراتب المفسرين، وهما عنده مرتبتان:

الأولى: مرتبة الصحابة.

وعلى رأسهم ابن عباس وابن مسعود رضي الله عن الجميع. لما ثبت من الثناء عليهم في القرآن الكريم.

الثانية: مرتبة التابعين.

ومن أشهرهم مجاهد بن جبر المكي وعطاء بن أبي رباح وقتادة بن دعامة، وغيرهم ممن خرج عنهم في دواوين الإسلام الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها.

---

(١) انظر التفاصيل في الترجيح ص(٩-١٧).

ثانيًا: التعريف بمراتب التفسير فيما يرجع فيه إلى الدراية. وهي عنده سبعة أنواع:

النوع الأول: تفسير المتكررات تكريرًا كثيرًا.

مثل آيات الأسماء الربانية، والصفات، والمشيئة، والأسماء المعروفة بالدينية، وهي الإسلام والإيمان والإحسان، والمسلمون والمؤمنون، والمحسنون، وكذلك أسماء الظالمين والفاسقين والكافرين وسائر ما يتعلق بالاعتقاد.

وهذا النوع - في نظر ابن الوزير - ينبغي أن يكون مفردًا في مقدمات التفسير حتى يشبع فيه الكلام من غير تكرير، فإن اشتبه الصواب على أحد في هذا القسم، أو خاف وقوع فتنة من الخوض والبحث عنها والمناظرة، ترك ذلك وكفاه الإيمان الجملي، لما ثبت من حديث جندب بن عبد الله، رضي الله عنه، عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال: «**اقرأوا القرآن ما أتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فيه فقوموا**»(١). والمراد عند ابن الوزير الاختلاف مع التعادي والتفرق، دون الاختلاف مع التوالي والتصويب، لما في حديث عمر مع هشام بن حكيم في اختلافهما في القراءة، وتقرير النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لهما على الاختلاف في القراءة، ونهيهما عن الاختلاف في التخطئة والمناكرة(٢).

النوع الثاني: تفسير القرآن بالقرآن حيث يتكرر ذكر الشيء في كتاب الله تعالى، **ويكون بعض الآيات أكثر بيانًا وتفصيلًا.**

ومنه تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾

---

(١) متفق عليه البخاري (٦/ ١١٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٣-٢٠٥٤).

(٢) إشارة إلى القصة المذكورة في البخاري (٦/ ١١١)، وانظر شرح مسلم للنووي (٦/ ٢١٣-٢١٩) وفتح الباري (٩/ ١٠١-١٠٣).

[النساء:٢٧] بأهل الكتاب، كقول مجاهد، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ [النساء:٤٤].

النوع الثالث: التفسير النبوي.

وهو مقبول بالنص والإجماع ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر:٧] ومنه تخصيص العمومات، مثل تحريم الصلاة على الحائض، وتفصيل أحكام الصلاة والزكاة والصوم والحج، وشروط قطع يد السارق، ويلحق بذلك أسباب النزول.

النوع الرابع: الآثار الصحابية الموقوفة عليهم، وأجودها ما لا تمكن معرفته بالرأي سواء رجعنا بالرأي إلى العقل أو إلى الاستنباط من اللغة.

وقد كانت عادتهم الإشعار بالرأي في ذلك كما ذكره أبو بكر، رضي الله عنه، حين فسر الكلالة برأيه[1] أما إذا جزموا بالتحريم ونحوه كان دليلاً على رفعه، وهذا يحتاج إلى معرفة الإسناد إليهم.

النوع الخامس: ما يتعلق باللغة العربية على الحقيقة.

وتؤخذ من مصادرها الأصلية، مع مراعاة تقديم الحقيقة الشرعية، ثم العرفية، ثم اللغوية، كحقيقة الصلاة في الشرع بأنها أقوال وأفعال مخصوصة مبتدأة بالتكبير مختتمة بالتسليم[2] على اللغوية التي هي الدعاء، مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة:١٠٣] أي: ادع لهم. وكالدابة في اللغة اسم لكل ما يدب، خصصها

(١) انظر تفسير ابن جرير (٤/ ٢٨٤-٢٨٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٠٠).

(٢) كشاف القناع لمنصور بن يونس البهوتي (١/ ٢٥٥) وتسهيل الوصول إلى فهم علم الأصول لعطية سالم ص(١٩).

العرف بالبهائم[١] ومعرفة تفسير المشترك كالقرء بالأطهار والحيض[٢].

النوع السادس: المجاز. وتعتبر فيه القرائن الثلاث، وقد سبقت.

النوع السابع: ما لم يصح فيه شيء من جميع ما تقدم، ويختلف فيه أهل التفسير.

كتفسير الحروف التي في أوائل السور، وتفسير الروح ونحو ذلك مما لم يصح دليل على تفسيره، وليس معنا ضرورة تلجئ إلى وجوب البحث عنه.

وهذا النوع قسمان:

قسم فيه مخاطرة كبيرة وخوف البدعة والعذاب، وهو ما يتعلق بذات الله تعالى ونحو ذلك من المتشابهات.

وقسم دونه، مثل تعيين الشجرة التي أكل منها آدم واسمها، وأسماء أهل الكهف، وأسماء سائر المبهمات وتطويل القصص والحكايات، فهذا - في نظر ابن الوزير - لا بأس بنقله مع بيان أنه لم يصح فيه شيء، وعدم تعلق مفسدة به ولا دخوله شبهة في تحليل أو تحريم[٣] والله أعلم.

١٤ - الأحاديث التي يحتج بها من السنة النبوية الصحيحة، قلما يوجد فيها حديث ضعيف أو موضوع، وإن وجد فلا يفوته التنبيه عليه، وهذا يدل على أن ابن الوزير على علم تام بما يستند إليه، وأنه من كبار المحدثين، لأنه يتكلم بكلام أئمته، كما قال الشوكاني وقد أثنى على ابن الوزير: (ويتكلم في

---

(١) الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٠٢) المصباح المنير للفيومي (١/ ٣٧١) تفسير القرطبي (١/ ١٤٨)، روضة الناظر لابن قدامة ص(٨٩).

(٢) انظر هذا المنهج في إيثار الحق على الخلق ص(١٦١) وما بعدها.

(٣) إيثار الحق على الخلق ص(١٦٦)، والروض الباسم لابن الوزير (٢/ ٢٠٥).

الحديث بكلام أئمته المعتبرين، مع إحاطته بحفظ غالب المتون، ومعرفة رجال الأسانيد شخصًا، وزمانًا، ومكانًا)[١].

وكتابه (العواصم والقواصم) ومختصره (الروض الباسم) في الذب عن سنة أبي القاسم - صلى الله عليه وآله وسلم - يدلان دلالة واضحة على علو مكانة ابن الوزير العلمية، خاصة في الحديث وعلومه، فارجع إليهما إن شئت.

وله كتاب في علوم الحديث سماه (تنقيح الأنظار في علوم الآثار) شرحه الأمير الصنعاني بـ (توضيح الأفكار) مطبوع.

ثم إن ابن الوزير، رحمه الله تعالى، يوجه نصيحته إلى الذين أفنوا حياتهم في البحث عن علم الكلام، كما أفنى ابن الوزير معظم شبابه فيه، إلى الرجوع إلى طريقة السلف، لأنه قد علم بالتجربة الضرورية أن أكثر جهل الحقائق إنما سببه عدم الاهتمام بتعرفها على الإنصاف، لا عدم الفهم، فإن الله سبحانه قد أكمل الحجة بالتمكين من الفهم وإنما أُتِيَ الأكثرون من التقصير في الاهتمام، ألا ترى أن المهتمين بمقاصد المنطقيين والمتكلمين يفهمونها، وإن دقت، مع الصبر وطول الطلب، فكيف لا يفهم طالب الحق مقاصد الأنبياء والمرسلين والسلف الصالح مع الاهتمام بذلك وبذل الجهد في طلبه، ولطف أرحم الراحمين[٢].

ثم إن ابن الوزير - رحمه الله - يوجه هذه النصيحة القيمة الخصيصة لطلاب العلم، وحاصلها كالآتي:

ما اختلف فيه اختلافًا تُخاف مضرته في الآخرة، وكان الخوض فيه ليس بواجب شرعًا، لا سيما إذا عظم الخطر في الخوض فيه، فاضرب عنه وطالب من دعاك إليه

(١) «البدر الطالع» للشوكاني (٢/ ٨٤).

(٢) «إيثار الحق على الخلق»: ص(٢٦).

بالدليل الواضح على الوجوب، واعرض ما أورد عليك فيه من الأدلة على النصحاء والأذكياء من العلماء حتى تعرف الوجوب يقينًا من غير تقليد، ثم حرر النية الصحيحة بعد ذلك في معرفة الحق، ومن القواعد المقربة إلى النجاة.

كل قولين مختلفين يخاف الكفر والعذاب الأخروي في أحدهما دون الآخر، فأبعد عنه واحذره، ألا ترى أنك تخاف الكفر في جحد العلوم لا في ثبوتها، وفي جحد الرب لا في الإيمان به، وفي جحد النبوات لا في إثباتها، وفي التفريق بين الرسل لا في الإيمان بجميعهم، وفي عدم الإيمان بما جاء به القرآن والسنة، لأن خلاف السمع المعلوم كفر إجماعًا لا في خلاف العقل المعلوم؛ لأنه ليس بكفر إجماعًا، وبالفطرة تدرك القوي من الضعيف في تلك المباحث إلا ما دق وغمض فاتركه، لا سيما مع دقة الشبه المعارضة، كما تترك ما دق على بصرك في المرئيات[1]. والله أعلم.

***

(١) «الإيثار» (١/ ٣٣-٣٤).

أصول الزيدية والمعتزلة وموقف ابن الوزير منها

١ - التوحيد

سلك ابن الوزير في إثبات وجود الله طريقة الأنبياء وطريقة القرآن الكريم، طريقة السلف الصالح، رضي الله عنهم، وهي دلالة الفطرة ودلالة الأنفاس...

ففي معرض إنكاره على المعتزلة الزيدية في الأسماء والصفات ورد بدعهم يقول:

وكذلك القول بأن لله صفة لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم- ولا هي من أسمائه الحسنى، ولا من مفهوماتها ولوازمها، وأن معرفة هذه الصفة المخترع اسم لها، وهي الصفة ولوازمها، وأن معرفة هذه الصفة المخترع اسم لها، وهي الصفة الأخص عند بعض المعتزلة ويسمونها صفة المخالفة أيضًا[١].

وموقف ابن الوزير من القول بخلق القرآن:

فقد طول في الرد عليهم في «العواصم والقواصم» وذلك في قصة محنة القول بخلق القرآن وصمود الإمام أحمد بن حنبل في الفتنة، وما أثر عن السلف الصالح، وأن المسلمين لا يزالون على أن الله متكلم، وأن كلامه على ظاهره من غير تأويل ولا تشبيه[٢].

---

(١) «إيثار الحق على الخلق» (١/ ١٠٣)، وانظر: «مقارنة التدمرية» «مجموع نفائس» ص(١٧).

(٢) «العواصم» (١/ ٣٣٣-٥٠٠) ط جديدة.

٢ - موقفه من العدل

لقد أطال ابن الوزير في الرد عليهم في كتابه «العواصم» في الرد على أصل العدل، الذي يتضمن تكذيب القدر...

٣ - الوعد والوعيد، وموقف ابن الوزير منه

قد ذكر أكثر من أربعمائة حديث في الرد على المعتزلة والزيدية، في قولهم أن مرتكب الكبيرة خالدًا مخلدًا في النار، والأدلة التي تدل على الشفاعة، وخروج العصاة من النار، وتقرر عنده أن أبين آية في الوعد والوعيد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [النساء:٤٨].(١)

٤ - المنزلة بين منزلتين

استبدلها الزيدية بمسألة الإمامة: فموقف إمامنا ابن الوزير - رحمه الله - من المنزلة بين المنزلتين، وهي أن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، فقد أيد مذهب أهل البيت المخالف للمعتزلة في صحة الصلاة من الفاسق إذا كان من أهل الشهادتين، والحكم أنه مسلم. وكذلك إعادة الحج من مرتكب الكبيرة؛ لأنه قد حبط عمله. ورد عليهم بخلاف هذا. وكثير من أئمة الزيدية لا يقطعون بخلود الفساق في النار(٢).

أما مسألة الإمامة فهي شغل الزيدية الشاغل (وهي التي أخذت من الشيعة للزيدية) وهي سبب الانشقاق بين المعتزلة والزيدية، وصرح السيد حميدان بن

---

(١) «العواصم» (٤/ ٥٥)، والحربي «ابن الوزير وآراؤه»(١/ ٥٠-٥١).

(٢) «الروض الباسم» (٢/ ٢٢٦)، والحربي (١/ ٢٥٢).

يحيى حميدان من علماء الزيدية بشق عصا الطاعة للمعتزلة وقال: وافقناهم في الأصول، ولم يوافقونا في الإمامة، فعلام الاتفاق؟[١]. وأصبح المعتزلة لدى الزيدية فساق تأويل لتأولهم الإمامة[٢].

٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال ابن الوزير: متى قدر على ذلك، ولم يكن أمره ونهيه يؤديان إلى فعل منكر غير الذي نهى عنه، أو ترك معروف غير الذي أمر به[٣]. ويبدو أنهم في هذا الأصل يهدفون إلى جواز الخروج على الظلمة وأئمة الجور، قال الأشْعَرِي: والزيدية بأجمعها ترى السيف والعرض على أئمة الجور وإزالة الظلم وإقامة الحق[٤].

وموقف ابن الوزير - رحمه الله- إنكار المنكر بضوابطه الشرعية، وأنه لا ينكر المنكر بمنكر مثله أو أكبر منه، والرجوع إلى الكتاب والسنة[٥].

***

(١) «الزيدية» لأحمد صبحي ص(٤٨٥).

(٢) الحربي (١/ ٢٥٢).

(٣) «مصباح العلوم» للرصاص ص(٢١).

(٤) «مقالات الإسلاميين» (١/ ١٥٠).

(٥) «العواصم» (٤/ ٧٩) قديم.

موقف الإمام ابن الوزير من أشعرية اليمن

لم يكن بينه وبينهم مجادلات؛ لأنهم كانوا في سواحل اليمن البعيدة عن مناطق الزيدية، والأشعرية الذين يقطنون في بلاد الزيدية لا يتكلمون ولا يناظرون، فإنهم في استضعاف. هذا خلاصة القول في اليمن[1].

***

(١) انظر: «ابن الوزير وآراؤه» (١/ ٢٧٧) للحربي.

موقف ابن الوزير من الأشعرية عمومًا

متنوع:

١ - فتارة يقف موقف الحكم حينما يتعرض لحكاية أقوالهم ومعتقداتهم في معرض جوابه على خصمه.

٢ - وتارة يقف موقف المدافع عنهم إذا وصمهم خصمه بالجبر والتشبيه، وفرع عن ذلك تكفيرهم.

٣ - وتارة يقف منهم موقف الخصم، إذا كان الخلاف شديدًا بينهم وبين أهل السنة؛ لأنه أحيانـًا يعدهم من أهل السنة، وذلك في المسائل التي يوافقون أهل السنة، وأحيانـًا يعدهم طائفة مستقلة عن أهل السنة... مثلاً أهل السنة يثبتون الحكمة، والأشعرية ينفونها.

٤ - وتارة يقف منهم ومن سائر الفرق موقف المتألم المتحسر على هذه الفرق، التي أدت إلى تفسيق وتكفير الطوائف بعضها بعضًا بسبب عدولهم عن منهج السلف الصالح، منهج الكتاب والسنة إلى تقليد أهل الكلام أهل البدع والأهواء.

وهذا الموقف موجود واضح في كتابنا القيم «إيثار الحق على الخلق في رد الخلالفات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد» ألف في آخر حياته - رحمه الله- وهو بهذا العنوان دل على مسماه، فقد بذل فيه جهدًا كبيرًا في المحاولة للتوفيق بين الأقوال وبيان الصواب والخطأ منها، حسب ما وصل إليه علمه واجتهاده[١].

(١) «ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية» (١/ ٢٧٧-٢٧٨) بتصرف.

الإمام ابن الوزير - رحمه الله تعالى - يقوي ما ذهب إليه بكلام العلماء

قال: فلو ادعى مدعٍ إجماع العلماء المتأخرين مع إجماع المتقدمين من المسلمين على ذلك لما بعد عن الصواب[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

إنه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة، فهذا قول أكثر المسلمين وغير المسلمين، وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وغيرهم، وقول أكثر أهل الحديث والتصوف والتفسير، وقول قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم[(٢)].

ونقل في «الإيثار» كلاماً شبيهاً به في «فتح الباري» للحافظ ابن حجر رحمه الله[(٣)].

***

---

(١) إيثار الحق (٢/ ٢٠٤)، والعواصم (٣/ ١٩٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٨٨-٨٩).

(٣) الروح ص(٣٠٦)، و «فتح الباري» (١٣/ ٣).

السنة في اليمن وموقف ابن الوزير من سلفية اليمن

كانت اليمن قلعة من قلاع السنة؛ لدخول أهل اليمن في الإسلام في وقت مبكر، واتصالهم برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- فقد جاءت الوفود إلى النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فاستمعوا إلى قوله وفعله، فاتبعوه وأطاعوه، واطلعوا على طرق من سيرته فعملوا وجاهدوا، وقد شهد لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قال لأصحابه: «**أتاكم أهل اليمن، هم أضعف قلوبـًا وأرق أفئدة، الإيمان يمان، والحكمة يمانية**»[(١)].

وكان العلم هو الأساس بعد القرآن الكريم لنشر الإسلام في اليمن على يد المبعوثين الأوائل من عند النبي - صلى الله عليه وسلم- أمثال معاذ بن جبل، وعلي ابن أبي طالب، وأبي موسى الأشْعَرِي، وخالد بن الوليد، وأمثال عم أبي موسى عبيد الأشْعَرِي، وكعب بن عاصم، والحارث الأشْعَرِي، وأبيض بن حمال المأربي، وفروة ابن مسيك المرادي وغيرهم، رضي الله عنهم[(٢)].

وكذلك من التابعين الذي التقوا بالصحابة في مواسم الحج مثل طاووس بن كيسان، ومعمر بن راشد، ووهب بن منبه، وهمام الصنعاني، وهشام بن يوسف الصنعاني، وعبد الرزاق الصنعاني، رحمه الله، فأخذوا العلم والفقه والحديث، وكان منهم أئمة في العلم[(٣)]. وقد قصدهم كثير من أئمة الإسلام مثل الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل، وابن معين، والإمام ابن المبارك، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن يحيى النيسابوري، وغيرهم من الفقهاء وأساتذة الحديث.

---

(١) «صحيح مسلم» (١/ ٧١-٧٣) كتاب تفاضل أهل الإيمان.

(٢) «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢/ ١٣١١)، و «تهذيب التهذيب» ابن حجر (٥/ ٧٦، ٢٠١)

(٣) «الميزان» للذهبي (٤/ ٣٥٣).

سلفية اليمن في عصر ابن الوزير

وصفها الإمام الشوكاني - رحمه الله - بقوله: إن في الديار الزيدية من أئمة الكتاب والسنة عددًا يجاوز الوصف، يتقيدون بالعمل بنصوص الأدلة ويعتمدون على ما صح في الأمهات الحديثية، وما يلتحق بها من دواوين الإسلام المشتملة على سنة سيد الأنام، لا يرفعون إلى التقليد رأسًا، لا يشوبون دينهم بشيء من البدع التي لا يخلو أهل مذهب من المذاهب من شيء منها، بل هم على نمط السلف الصالح في العمل بما يدل عليه كتاب الله تعالى وما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

وعلى الرغم من انتشار الفرق الضالة والمذاهب الكلامية، خاصة منها الشيعية المائلة إلى الاعتزال، مثل الزيدية الذين رسخت أقدامهم لقرون عديدة، إلا أن وجود الاتجاه السلفي وأئمة أهل الحديث لا ينكره أحد، وعلى رأس هؤلاء الإمام ابن الوزير والعلامة المقبلي والأمير الصنعاني والإمام الشوكاني وغيرهم - رحمهم الله - يدافعون عن مذهب أهل السنة والجماعة، الحق بالحق.

***

(١) «البدر الطالع» (٢/ ٨٣) ترجمة الإمام ابن الوزير، وانظر: «قواعد المنهج» ص(٧٣) للأفندي جزاه الله خيرًا.

نور الإسلام في اليمن لا يذهب أبدًا

ساعد على انتشار نور الإسلام في اليمن تخرج عدد كبير من العلماء على أيدي العبادلة وغيرهم من أهل العلم من التابعين اليمنيين، كطاووس، وعطاء ابن أبي رباح، ومالك بن أنس الأصبحي، والقاضي عامر بن شراحيل، ومسروق الهمداني، وإبراهيم النخعي، وعمر بن دينار، وغيرهم رحمهم الله[١].

ومن بعدهم مثل: عبد الرزاق الصنعاني العالم المحدث وهشام بن يوسف الصنعاني ومعمر بن راشد وغيرهم، ثم خفتت أضواء هذه المدرسة العلمية، فانتشر المذهب المالكي والحنفي والشافعي في سواحل اليمن وجنوبه، وكانت مدينة (زبيد) آنذاك قد ضمت جماعة كثيرة من أصحاب هؤلاء وغلب عليها المذهب الشافعي، فأصبحت ثالث المدن العلمية في الجزيرة العربية[٢].

***

(١) «تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن» ص(١٤-١٧).

(٢) «طبقات فقهاء اليمن» ص(٦٦).

النور يضيء في اليمن من جديد

أما في القرن الثامن الهجري الذي نشأ فيه ابن الوزير، فقد غلبت على اليمن العلوم العقلية، خاصة بعد انتشار المذهب الزيدي المعتزلي الذي تعصبوا له كثيرًا، وتنكروا للمنهج العلمي السلفي، حيث انتشرت فيهم البدع الاعتقادية، وساد فيهم التأويل العقلي، وشاع بينهم التعصب والتقليد في القرون المتأخرة - على الرغم من دعوة المذهب الزيدي إلى الاجتهاد وإعمال العقل - فتجمد العقل لديهم، وغفلوا عن النقل، بل غفلوا عن المزية التي خص بها النبي - صلى الله عليه وسلم - الحديث وحفاظه وناقليه إلى من بعدهم من الأجيال بأمانة بقوله: **«نضر الله امرءًا سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع»**[(١)].

ومن هنا كان هجومهم على أهل السنة والسلفيين شديدًا، فخيم عليهم التعصب والجمهود والإعراض عن الاجتهاد وحرية الرأي، وساد الاهتمام بالعلوم العقلية على النقلية، ولولا حفظ الله تعالى لدينه لانطمست معالم الإسلام، لولا أنه تعالى يبعث الأئمة والصالحين ليجددوا لهذه الأمة دينها، كما أخبرنا النبي - صلى الله عليه وسلم - الصادق بقوله: **«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»**[(٢)].

وقد كان ابن الوزير أحد هؤلاء العلماء والأئمة في القرآن الثامن الهجري، حيث وجد معالم السنة تكاد أن تنطمس بتنكب علماء الزمان طريقها إلى الطرق

---

(١) صحيح، «مسند أحمد» (١/ ٤٣٧-٢٢٥) (٤/ ٨)، «سنن أبي داود مع عون المعبود» كتاب العلم باب فضل نشر العلم (١٠/ ٩٤-٩٥)، «سنن ابن ماجه» (١/ ٨٤-٨٩)، «سنن الدارمي» (١/ ٦٥٠٦٦)، «سنن الترمذي» كتاب العلم (٧/ ٤١٦، ٤١٧)، وقد روى هذا الحديث بعدة ألفاظ، وهذا لفظ الترمذي، وقال: حسن صحيح.

(٢) صحيح، «سنن أبي داود» كتاب الملاحم (١١م٢٨٥-٢٨٦) اتفق الحافظ على تصحيحه.

الملتوية العوجاء، من كلامية وفلسفية إلى جدلية يونانية، فنهض للدعوى بالرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وترك الجمود والتعصب للمذاهب، والدعوى إلى حمل لواء الاجتهاد ثانية ونبذ التقليد، لأخذ المدلول من الدليل الثابت الصحيح.

وعندها قام عليه علماء عصره، وعلى رأسهم شيوخه، يرمونه بكل القبائح ويناظرونه بالمراسلات في معارك كلامية طاحنة، مما دفعه إلى تأليف الرسائل والمؤلفات للرد عليهم وإفحامهم، وكانت ردوده عليهم تتوالى وهو في فترة اعتزاله لهم في الجبال العوالي، وكانت ثمرة هذه الردود العلمية كتابيه «العواصم والقواصم» وملخصه «الروض الباسم» ثم مؤلفه الدقيق والعميق «إيثار الحق على الخلق» في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد».

وبفضل جهود ابن الوزير وأمثاله من العلماء ظهر تيار قوي أظهر رجحان الحديث وعلومه على الجدل والكلام، فكانت ذروته ابن الوزير إضافة إلى المقبلي والصنعاني والشوكاني ومن سار على نهجهم[1]. فليس غريبًا أن نجد ابن الوزير يمدح علم الحديث وعلماءه والمؤلفات المشهورة فيه بقوله: (ومن أحب أن يعرف حق المحدثين واجتهادهم في التحري للمسلمين فليطالع تآليف نقادهم في الرجال والعلل والأحكام، مثل: «ميزان الاعتدال» في «نقد الرجال» للذهبي، و«التهذيب» للمزي، و«العلل» للداقطني، و«علوم الحديث» لابن الصلاح، وزين الدين العراقي وغير ذلك، ثم ليطالع بعد ذلك كتب «الصحاح» و«السنن» لاحظًا ما فيها من اختيار أصح الأسانيد، والإشارة إلى مهمات ما يتعلق بالأحاديث من «العلل» القادحة والمرجحات الواضحة، ثم ليوازن بينها وبين مصنفات سائر الفرق في الحديث،

(١) انظر الشوكاني: «البدر الطالع» (٢/ ٩٢)، والحبشي: دراسات في التراث اليمني ص(٤٥) وما بعدها.

يجد الفرق بين التصانيف واضحًا، والبون بين الرجال نازحًا)[(١)].

وهكذا نجد أن ابن الوزير لم يكن مصدر إشعاع أو امتدادًا للدعوى السلفية في بلده اليمن فحسب، بل كان وسيكون نبراسًا يهتدي به دعاة الفكر الإسلامي الاجتهادي في سائر البلاد الإسلامية، حيث حمل دعوته من بعده في تصحيح الاتجاه الإسلامي وتجديده بالدعوة إلى العودة إلى منابع الإسلام الأولى من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، الأمير الصنعاني في القرن الثاني عشر الهجري والشوكاني في القرن الثالث عشر الهجري، ولا تزال مؤلفاته ورسائله مصدر نور لمن يطلعون عليها ويسبرون أغوارها البعيدة. ومن هنا لم يكن غريبًا أن ينظم ابن الوزير كثيرًا من الشعر ليؤكد التزامه بالسنة النبوية وحبه الشديد للمصطفى - صلى الله عليه وسلم - في قصيدة أنشأها عام ٨٠٨هـ مطلعها:

ظلت عواذله تروح وتغتدي ... وتعيد تعنيف المحب وتبتدي
يا صاحب على الصبابي والهوى ... من منكما في حب أحمد مسعد
حسبي بأني قد شهرت بحبه ... شرفًا ببردته الجميلة أرتدي

إلى أن قال:

يا حبذا يوم القيامة شهرتي ... بين الخلائق في المقام الأحمدي
بمحبتي سنن الشفيع وإنني ... عصيب معنفي ومفندي
وتركت فيها جيرتي وعشيرتي ... ومكان أترابي وموضع مولدي[(٢)]

***

(١) ابن الوزير: «العواصم والقواصم» (١/ ٢٣٦).

(٢) ابن الوزير: «الروض الباسم» (١/ ٨) و«العواصم والقواصم» (٢) في الترجمة ورقة (١٨٨).

الباطنية في اليمن وموقف ابن الوزير منها[1]

تمهيد:

إن مذهب الباطنية قد امتلأت به كتب التاريخ من أحداث دامية وفتن طامية[2] في شتى الأصقاع، والسعي في زعزعة عقيدة الإسلام ونور الإيمان في كثير من القلوب المريضة المنخدعة بتلبيساتهم الشيطانية على مراحل تدريجية منذ منتصف القرن الثالث الهجري.

فترى نار فتنهم تخبو مرة وتذكو مرات على توالي القرون، مع تغافل الحكام في بلاد الإسلام عن الحركات الإلحادية وقلة اهتمامهم بالروحيات، إلى أن يستفحل الشر ويصبح قوي الجانب بحيث لا يمكن اجتثاث جذوره بسهولة، مع أن الواجب السهر الدائم على مداخل الفساد في كيان الإسلام، والقيام بهذا الواجب دائمًا بكل اهتمام، والذود عن حياض التعاليم الإسلامية التي فيها السعادة كلها، وإلا شمل الذل والمهانة، وضاع الحرث والنسل والكرامة.

والباطنية وإن تعددت أسماؤها إلى إسماعيلة (نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق) وإلى قرامطة (نسبة إلى حمدان قرمط) وقيل غير ذلك فالمبادئ واحدة.

والباطنية بصفة عامة فرقة ضالة، بل ملحدة، جحدوا الشرائع وعطلوا النصوص بالتأويلات المزخرفة الكاذبة، بل جحدوا الرب - جل جلاله - وقالوا:

---

(١) نقلت هذا من كتاب الشيخ علي الحربي حفظه الله «ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية» وتركت الكلام على موقفه من الرافضة والزيدية والمعتزلة لما هو موجود منثور في المقدمة وفي حواشي الكتاب. وإن شاء الله تعالى أكتب كتابًا في ذلك.

(٢) مأخوذ من طما بمعنى ارتفع تقول: طما البحر: ارتفع بأمواجه، أو من طم الشيء إذا عظم، وطم الماء إذا كثر وهو طام أ.هـ نهاية ابن الأثير (٣/ ١٣٩).

لا يقال: موجود، ولا معدوم. إشارة إلى النفي خوفًا من التصريح، وقالوا: إن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، الظاهر للسذج، والباطن لا يطلع عليه إلا الإمام المعصوم ودعاته، لأن الله أطلعه على أسرار الشرائع، ولابد عندهم من إمام معصوم يرجع إليه، والغرض من هذا تعطيل الشريعة.

ومن منهجهم مخاطبة كل فريق من الناس بما يوافق رأيهم، وهم يستترون بالتشيع لأهل البيت وبالانتساب إليهم ليوهموا على الناس بذلك، وسميت دولتهم بالفاطمية في مصر والمغرب، وحكامهم بالفاطميين، وكذلك سميت دولتهم في اليمن في عهد علي بن الفضل الآتي ذكره، ثم بالصليحيين من بعده.

وقد فضحهم كثير من العلماء وبينوا عقائدهم الباطلة، وذلك عن طريق من دخل معهم، ثم تبين له ما هم عليه من الكفر والإلحاد، ومن أشهر العلماء الذين فضحوا الباطنية أبو حامد الغزالي (ت سنة ٥٠٥هـ) في (فضائح الباطنية) وابن الجوزي (ت سنة ٥٩٧هـ) في كتابه (القرامطة) وغيرها من كتب المقالات.

هذا بالنسبة للباطنية بصفة عامة، أما الباطنية في اليمن فهم وإن كانوا يختلفون في المناهج والأساليب فالأهداف والمبادئ متحدة، وستأتي فضائحهم عن طريق من دخل معهم، بغرض الاطلاع على حقيقة معتقداتهم ثم بيانها للمسلمين ليكونوا على حذر منهم. كما فضحهم أيضًا كثير من العلماء اليمنيين، ستأتي الإشارة إلى مؤلفاتهم إن شاء الله تعالى.

وأية فضيحة، بل أي كفر أشد من مهاجمة حرم الله الآمن مكة المكرمة، وقتل من فيها من الحجاج، وهدم زمزم، وفرش المسجد الحرام بالقتلى يوم التروية، بقيادة أمير القرامطة أبي طاهر الجنابي، وكان جالسًا على باب الكعبة المشرفة والرجال تصرع حوله، وكان يقول: أنا لله، وبالله أنا، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا. وكان الفارون

يتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئًا، وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها، وشققها بين أصحابه، وأمر بقلع الحجر الأسود فأخذوه معهم إلى البحرين، فمكث عندهم ثنتين وعشرين سنة، حتى ردوه سنة ٣٣٩هـ.

وقد اتفق علماء المسلمين على أنهم كفار خارجون عن الملة مرتدون عن دين الإسلام، بل أكفر من اليهود والنصارى، وأنهم كاذبون في انتسابهم إلى أهل البيت - عليهم السلام - أفتى بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وممن حكى ذلك الاتفاق ابن كثير وشيخ الإسلام مجدد القرن الثالث عشر الهجري محمد بن عبدالوهاب (ت سنة ١٢٠٦هـ) وغيرهم[١].

***

(١) انظر التفاصيل في فضائح الباطنية بكامله للغزالي. وكشف أسرار الباطنية بكامله للحمادي تحقيق الكوثري مطبعة الأنوار وطبقات فقهاء اليمن للجعدي ص(٧٧) والقرامطة بكامله لابن الجوزي والكامل لابن الأثير (٦/ ٢٠٣-٢٠٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٦١-٦٢-٣٤٥)، ومنهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٢٣٨-٢٣٩)، ومجموع فتاويه (٢٨/ ٤٨٣)، وما بعدها (٣/ ٣٥٥-٣٥٦)، وما بعدها (٣٥/ ١٤٩-١٥٨)، وتاريخ ابن خلدون (٣/ ٣٧٩)، وظهور الإسلام لأحمد أمين (٤/ ١٣٣)، والأديان والفرق لعبد القادر شيبة الحمد ص(٧٩)، وكشف الشبهات في التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب ص(٢٠).

ابتداء أمر الباطنية في اليمن وتعاليمها السيئة

اختلف المؤرخون في ذلك، فقيل إن ابتداء أمرهم سنة ٢٦٧هـ وقيل ٢٦٨هـ وقيل ٢٧٧هـ وقيل ٢٨٢هـ وسبب دخولهم اليمن أن علي بن الفضل الخنفري الحميري ت سنة ٣٠٣هـ حج وزار قبر الحسين بن علي بالعراق، فوجد عنده ميمون القداح، وكان مجوسيًّا، وقيل من أحبار اليهود وأهل الفلسفة، ادعى أنه من ولد إسماعيل بن جعفر وتلقب بالهادي، وأنه أحد الأئمة المستورين، فرأى من بكاء ابن الفضل على القبر وتشيعه ما يضمن نجاح الدعوة إن هو ضمه إلى رجل من كبار الشيعة يدعى الحسن بن فرج بن حوشب[1] الكوفي، لقب واشتهر فيما بعد بمنصور اليمن.

وبعد اختبارهما ونجاحهما كلفهما بالخروج إلى اليمن، لنشر الدعوة فيها باسم ابنه عبيد الله المهدي قائلًا لهما: إن لليمانية نصيبًا في هذا، فتوجها معًا إلى اليمن عن طريق (غلافقة) ميناء زبيد ثم توجه كل منهما إلى جهة معينة. وكان قد أوصاهما القداح بالتظاهر بالزهد والتقشف، وكثرة التعبد ليلًا ونهارًا في بطون الأودية، ورؤوس الجبال، وذلك بغرض المكيدة للإسلام. وفي الظاهر كان أصل الدعوة إلى الله ورسوله، والاختصاص لعلي بن أبي طالب بالإمامة، والطعن على جميع الصحابة. وفي الباطن على المنهج الآتي بيانه قريبًا إن شاء الله تعالى.

واستمرت دعوتهما سرًّا المدة سنتين، فلما صار لكل منهما أتباع وقوى مادية وحربية، أعلن كل منهما دعوته في جهته. فأما منصور اليمن الكوفي فتوجه إلى جبال مسور[2] ولاعه، وأخذ في نشر الدعوة سنتين سرًّا، فلما أعلنها سنة ٢٧٠هـ ناجزه الحواليون[3] فدمرهم، ثم

---

(١) حوشب مضبوط في بعض الكتب اليمنية بالجيم وبعضها بالحاء.

(٢) جبل شاق منيع شرقي مدينة حجة.

(٣) أسرة من زعماء اليمن وولاؤها للدولة العباسية آنذاك.

استولى على حصون كثيرة، منها كحلان[١] وكوكبان[٢] واستمر الصراع حتى جاءت دولة الإمام الهادي سنة ٢٨٤هـ وقيل سنة ٢٨٥هـ وتمركز في مدينة (صعدة)[٣] فقاتلهم الهادي وهزمهم هزيمة منكرة[٤]. وهكذا استمر الصراع المسلح بين الباطنية والأئمة الزيدية، تساعدهم الأمراء من آل يعفر الحواليين وغيرهم، والحرب سجال، ومن عادة الباطنية إذا هزموا خفتوا وإذا استعادوا قوتهم نهضوا، إلى أن أعلنها الصليحي الآتي ذكره[٥]. وتوفي منصور اليمن الكوفي سنة ٣٠٢هـ والله أعلم.

وممن أشار إلى دعاة الباطنية الملاحدة الذين يعتقدون ألوهية علي، رضي الله عنه، الذين أمر بإحراقهم في حياته، ممن أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (ومن أتباع هؤلاء الملاحدة أهل دور الدعوة الذين كانوا بخراسان، والشام واليمن، وغير ذلك)[٦].

***

(١) مدينة ما بين صنعاء وحجة تبعد عن صنعاء إلى الشمال الغربي ٤٥ ك تقريبًا.

(٢) جبل عال منيع مطل على مدينة شبام التي تبعد عن صنعاء غربًا ٦٥ كم تقريبًا.

(٣) كانت عاصمة الزيدية يومها تبعد عن صنعاء شمالاً...

(٤) انظر: التحفة العنبرية خ صنعاء لأبي علامة ورقة ٦٧ وما بعدها أحداث سنة ٢٩٧هـ وقراءة في فكر الزيدية لعبد العزيز المقالح ص(١٤٠-١٤٩) ط بيروت سنة ١٩٨٢م، أخبار القرامطة لسهيل زكار ص(٤١٣) وما بعدها، وتاريخ اليمن السياسي لمحمد بن يحيى الحداد ص(١٨٤) وما بعدها، وتاريخ اليمن للواسعي ص(١٦٩) وما بعدها.

(٥) انظر العسجد المسبوك للخزرجي ج٤، ص(٣٦-٣٧)، والحور العين لنشوان الحميري (١/ ١٩٨)، وتاريخ اليمن الثقافي لأحمد شرف الدين (٤/ ٨١) وما بعدها وكشف أسرار الباطنية للحمادي اليماني ص(١٦-١٧)، وتاريخ الإسلام السياسي والثقافي... لحسن إبراهيم حسن (٤/ ١٩٧) وما بعدها، وغاية الأماني للشهاري (١/ ١٩٢) وتاريخ اليمن للواسعي اليماني (١٦٩) وما بعدها، وتاريخ اليمن السياسي للحداد ص(١٧٤) وما بعدها.

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/ ٤٨٤)، وانظر التفاصيل الفاضحة فيما قبلها وبعدها.

علي بن الفضل وآثاره السيئة

وأما علي بن الفضل الخنفري الحميري، فإنه توجه إلى (أبين عدن)[١] و(يافع)[٢] بعد أن تعلم المذهب الإسماعيلي، ففتن الناس لشدة ما أظهره من التعبد في رؤوس الجبال، فسألوه أن ينـزل من جبل كان يختلي فيه، فشرط عليهم أن يعاهدوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسمع والطاعة، ففعلوا، وأبدى في سيرته مزيدًا من الصلاح والعدل، مما جعل الأهالي يقدسونه ويجمعون إليه الزكوات من كل الجهات المجاورة، فبنى الحصون وهاجم الأمراء، ودارت المعارك المسلحة، فهزم وخفت، ثم أغار على من حوله من الأمراء على غرة، فقتل منهم واستباح ما كان لهم، وهكذا كلما هزم يخفت ويتحين الفرص، حتى نشبت معركة حاسمة كان لها أثرها في اشتهار اللعين واتساع نفوذه، حتى تمكن من صنعاء ولم يحسن بها صنعًا -قبحه الله - بل أظهر مذهب الخبث المشئوم، ورقي منبر جامع صنعاء فخطب خطبة منكرة، صرح فيها بعقيدته الكفرية وأحل المحرمات، وخرب الكثير من المساجد، واتخذ جامع صنعاء إصطبلًا للخيل، ومع هذا كان يدعي النبوة، وكان مؤذنه يقول: أشهد أن علي بن الفضل رسول الله.

ولبث الباطنية القرامطة في صنعاء وجهاتها ثلاث سنين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

وقد عمر ابن الفضل الخبيث دارًا واسعة يجمع فيها غالب من تابعه نساء ورجالًا متزينين متطيبين، ثم توقد الشموع بينهم ساعة، ثم تطفأ، ويضع كل واحد من الرجال يده على أية امرأة ويقع عليها، ولو كانت من محارمه.

---

(١) بلد مشهور في جنوب اليمن.

(٢) بلد مشهور في جنوب اليمن أيضًا.

ولما استفحل أمر ابن الفضل استقل بالأمر لنفسه بعد أن كان داعية لعبيد الله المهدي بن ميمون القداح مع زميله منصور اليمن[1].

***

(١) انظر: هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، لأحمد مقبل العبدلي ص(٥٢-٥٣) ط السلفية بالقاهرة، سنة ١٣٥١هـ وتاريخ اليمن المسمى المفيد بأخبار صنعاء وزبيد لعمارة اليمني ص(٥٩-٦٢)، وطبقات فقهاء اليمن للجعدي ص(٧٦)، وقواعد عقائد آل محمد (قسم الباطنية) لمحمد الحسن الديلمي أحد علماء القرن الثاني عشر الهجري ص(٩٧)، تقديم الكوثري، ط السعادة. بمصر، والمخلاف السليماني للعقيلي (١/ ١٢٢-١٢٧)، وتاريخ اليمن الثقافي لأحمد شرف الدين (معاصر) (٤/ ٨٧) وغاية الأماني للشهاري، (١/ ١٩٥-١٩٩)، والعلم الشامخ للمقبلي ص(٣٣٧)، وتاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن للواسعي ص(١٥٩-١٦٠)، والإكليل للهمداني (٨/ ٤٨).

أنموذج من كلام علي بن الفضل الباطني الحميري

صرح بعض المؤرخين اليمنيين بذكر بعض فضائحه، والبعض الآخر تحاشى عن ذكرها تنزيهًا لكتاباتهم عن إيراد كلامه القبيح، كما اختلفوا في مكان وزمان هذا الكلام، فبعضهم ذهب إلى أنه كان في مسجد (الجند)[١] في أول خميس من رجب سنة ٢٩٢هـ وذهب البعض الآخر إلى أنه كان في جامع صنعاء سنة ٢٩٣هـ وقيل ٢٩٤هـ، ولا معارضة في ذلك لإمكان الجمع بالتعدد؛ وذلك أن ابن الفضل بدأ دعوته من جنوب اليمن - كما سبق - ثم نهض من (الجند) المذكور متجهًا لاحتلال اليمن الأعلى فاحتل (ذمار) و(صنعاء) وضواحيها ثلاث سنين.

وإليك الأبيات الآتية من كلامه الخبيث، مع تقديم وتأخير، وزيادة ونقصان في بعض المصادر التاريخية:

خذي الدف يا هذه واضربي   وغني هزاريك[٢] ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم   وجاء نبي بني يعرب
أحل البنات مع الأمهات   ومن فضله زاد حل الصبي
لكل نبي مضى شرعة   وهذي شرائع هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلا   ة وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلَّوا فلا تنهضي   وإن صاموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا   ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعزبين   من الأقربين مع الأجنبي

---

(١) الجند منطقة قرب تعز وهي التي بنى فيها معاذ بن جبل مسجده المشهور.

(٢) الهزار العندليب وهو البلبل وقيل هو كالعصفور يصوت ألوانًا وقيل هو طائر يقال له الهزار اهـ. مصباح (٢/ ٨٣).

فكيـف تحلي لهذا الغريب وصـرت محرمـة لـلأب
أليـس الغـراس لمـن ربـه وسقاه في الزمن المجدب؟
وما الخمر إلا كماء السماء حلال فقدست من مذهب[1]

وهي طويلة أباح فيها المحرمات.

والحمادي نسبها إلى شاعر الباطنية، والظاهر أنه الأقرب إلى الصواب لأنه قال في البيت الثالث: أحل البنات مع الأمهات ولم يقل أحللت، وفي الرابع قال: شريعة هذا النبي. ولم يقل: شريعتي. وفي الخامس قال: حط عنا فروض الصلاة... وهو الظاهر من الأبيات ذاتها، فهذا وإن كان فيه مخالفة لجمهور المؤرخين اليمنيين فالحق يقال. والله أعلم.

***

(١) انظر: بهجة الزمن في تاريخ اليمن لعبد الباقي عبد المجيد اليماني، خ بمكتبة المركز بجامعة أم القرى ص(١٨)، والعسجد المسبوك للخزرجي (٤/ ٢٢-٣٧-٤٧)، وكشف أسرار الباطنية للحمادي ص(٣٣)، وغاية الأماني في تاريخ القطر اليماني للشهاري (١/ ١٩٥-١٩٧)، وطبقات فقهاء اليمن للجعدي ص(٧٦)، والعلم الشامخ للمقبلي ص(٣٣٧)، والحور العين لنشوان الحميري، (١/ ١٩٩).

موت ابن الفضل مسمومًا

يستفاد من تاريخ الباطنية الإسماعيلية في اليمن أنه قد اشترك في محاربتهم عدد من السلاطين وزعماء القبائل اليمنية، ومن أبرزهم الأئمة الزيديون، والسلاطين من آل يعفر الحوالي، وغيرهم.

وقد أراح الله تعالى العباد بهلاك الطاغية علي بن الفضل بسم عن طريق طبيب سنة ٣٠٣هـ بعد أن أفسد في الأرض - كما ذكر الحمادي - سبعة عشر عامًا في عهد الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالي، أحد أمراء اليمن الحميريين بتدبير منه.

أما عند بعض المؤرخين اليمنيين أتباع الباطنية، فهذا التدبير كان عن أمر المهدي المزعوم المستور، كونه خرج عن طاعته واستقل بالأمر لنفسه[1].

والعقل يميل إلى التدبير الأول لأنه صادر من عدو قريب موجود والثاني صادر من مستور مزعوم.

***

(١) انظر: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن للحرازي، ص(٤٦)، دار المختار للطباعة والنشر دمشق، والتحفة العنبرية ح صنعاء لأبو علامة ورقة ٦٧.

إعلان الدعوة الباطنية في حراز

وقد ظلت الدعوة الباطنية، بعد موت علي بن الفضل ومنصور اليمن الكوفي، تسري في إطار من الكتمان حتى أعلنها علي بن محمد الصليحي سنة ٤٣٩هـ في مسار[١] حراز، وكانت علاقتها بمركزها الرئيسي بمصر في أيام المستنصر الفاطمي بل العبيدي قوية، بل كان الصليحي هذا نائبًا وداعيًا للفاطمي المزعوم[٢].

قال الهمداني الحرازي في هذا المعنى: (.....كما ساعدت رياسة الدعوة في القاهرة على تغذية هذه المنظمة السرية باليمن بكتب الدعوة وغيرها)[٣].

***

(١) جبل عال بأعلاه حصن فوق مناخة انظر صفة جزيرة العرب للهمداني، ص(١٢٥).

(٢) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص(٧٦)، وتاريخ اليمن الثقافي لأحمد شرف الدين (٤/ ٩٠-١١٠) وغاية الأماني ليحيي بن الحسين بن القاسم الشهاري (١/ ٢٠٨)، والعسجد المسبوك للخزرجي (٤/ ٦٠) وما بعدها وتاريخ الإسلام السياسي... لحسن إبراهيم (٤/ ١٩٨-٢٠٣)، والصليحيون للهمداني ص(٣٠٢-٣٠٣)، والفتح العثماني الأول لمصطفى سالم ص(٢٨) وما بعدها.

(٣) الصليحيون للهمداني ص(٦١)، طبقات فقهاء اليمن للجعدي، ص(٨٧-٨٨).

مجمل تعاليم الباطنية وأثرها السيئ

قال الحمادي اليماني أحد علماء السنة محذرًا المسلمين من مقاربة هذا الصليحي الباطني، ومبينًا منهجه في دعوته بقوله:

(الحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربته ومخالطته والركون إلى قوله، فإنه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلون من ركن إليهم، لقد سمعته مرارًا وهو يقول لأصحابه: قد قرب كشف ما نحن نخفيه، وزوال هذه الشريعة المحمدية. وذلك أكرم من أن يبلغه مأموله من فساد الدين... وذلك أن الصليحي الباطني ومن على مذهبه يدعون إلى ناموس خفي... بعهود مؤكدة ومواثيق مغلظة مشددة على كتمان ما بويع عليه ودعا إليه، وأنه لا يكشف لهم سرًّا ولا يظهر لهم أمرًا، ثم يطلعه على علوم مموهة وروايات مشبهة، يدعوه في بدء الأمر إلى الله ورسوله، كلمة حق يراد بها باطل، ثم يأخذه بعد ذلك بالرفض والبغض لأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فإذا انقاد له وطاوعه أدخله في طريق المهالك تدريجيًّا، ويأتيه بتأويل كتاب الله - عز وجل - تحريفًا وتعويجًا، بكتب مصنفة وأقوال مزخرفة، إلى أن يلبس عليه الدين ويخرجه منه كما يخرج الشعرة من العجين، وقصارى أمره إبطال الشرائع وتحليل جميع المحارم)[1].

وهكذا استمرت الدعوة الباطنية في اليمن تساندها الزعامة الصليحية الباطنية، إلى أن اغتيل الصليحي على يد سعيد الأحول بن نجاح أحد أمَراء اليمن العباسيين في (المهجم) وهو في طريقه إلى مكة، ولكن لم تفتر الدعوة الباطنية

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص(٤٣-٤٤)، وانظر تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي لحسن إبراهيم ج٤-ص(١٩٦-١٩٨)، وما بعدها.

للعبيدي صاحب مصر بوفاة الصليحي، بل ولا العلاقة السياسية، فقد كتب المستنصر[1]- على حد تعبيرهم - إلى أحمد بن علي الصليحي يعزيه في وفاة أبيه ويقره على ملكه، ويعهد إليه بشئون الدعوة الفاطمية[2] بل العبيدية.

ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعلي بن محمد الصليحي فإنه استولى على اليمن سهله وجبله، شرقه وغربه، شماله وجنوبه، إلى أن قتل في (المهجم)[3] حين قصده السنيون وعلى رأسهم سعيد الأحول وأخوه جياش فطعنه بحربته[4] سنة ٤٧٣هـ وقيل سنة ٤٥٩هـ، ورجح هذا الأخير الهمداني كما رجح الأول الكوثري. والله أعلم[5].

***

(١) انظر: اليمن في ظل الإسلام لعصام الدين عبد الرؤوف الفقي ص(١٦٥).

(٢) تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم ج٤ ص(٢٠٣)، وانظر الفتح العثماني الأول لليمن لمصطفى سالم ص(٢٨).

(٣) موضع في تهامة اليمن في وادي سردد ما بين ملحان وبلدة الزيدية وهو الآن خراب ما عدا المنارة اهـ. طبقات فقهاء اليمن الحاشية ص(٨٨).

(٤) تاريخ اليمن المسمى بفرجة الهموم والحزن للواسعي ص(١٦٢)، وتاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد لعمارة اليمني، ص(٩٤).

(٥) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن للهمداني ص(١٠٣)، تاريخ اليمن للواسعي ص(١٧٢)، وما بعدها وحاشية كشف أسرار الباطنية ص(٤٤)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٤١١) وما بعدها، وشذرات الذهب لابن العماد (٣/ ٣٤٦)، وما بعدها، وانظر السلوك في طبقات العلماء والملوك لمحمد يعقوب الجندي، تاريخ اليمن إلى سنة ٧٢٤هـ ج٢ ورقة (١٧٥-١٧٦).

مقتطفات من كلام الحمادي اليماني وآثارها السيئة

من الجدير بالذكر أن أورد مقتطفات تفصيلية من كلام الشيخ الحمادي باعتباره كاتبًا يمنيًّا ومن فقهاء السنة، وأحد أولئك الذين دخلوا في مذهب الباطنية اليمنية، لا رغبة فيه، ولكن ليقف على حقيقة ما ينسب إلى هذا المذهب اللئيم.

والغرض من إيراد هذه المقتطفات إطلاع المسلمين الذين لم يطلعوا عليها بصفة عامة، وإطلاع من ينكر هذا من اليمنيين بصفة خاصة، لأن آثار هذا المذهب باقية إلى يوم الناس هذا في بعض المناطق اليمنية، متسترين باسم قبيلة حراز التي أعلن الصليحي الباطني دعوته منها وجعل مسار حراز مركزًا للدعوة وقاعدة حربية لشن الغارات على خصومه وأعدائه(١).

وليس هذا في اليمن فحسب، فالمذهب الباطني متستر في كثير من بلاد المسلمين، ففي الشام باسم العلويين، وفي العراق وإيران باسم الجعفرية، وفي باكستان والهند باسم البهرة، وغير ذلك من البلدان، أقمأهم الله جميعًا(٢).

وقد صنف بعض الكتاب اليمنيين في موضوع حركات الباطنية المصنفات وسموها بأسماء غير أسمائها الحقيقية، نهج بعضهم منهج المؤرخين الذين يهتمون بالحوادث التاريخية والسياسية والعسكرية، وأهملوا ما هو أهم من ذلك من النواحي الدينية والاعتقادية والاجتماعية والخلقية، وجهلوا أو تجاهلوا أن الشرارة الأولى لتسعير الحرب تنقدح من القاعدة الأساسية الدينية الاعتقادية كما هو معلوم، وإلا فما الداعي إلى الصراع الدموي إذا اتفق الفكر العقدي!

---

(١) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص(٧١).

(٢) انظر: الفتح العثماني الأول لليمن لمصطفى سالم ص(٢٨) وما بعدها.

والدفاع المخالف للواقع عن الباطنية وجرائمها البشعة المنكرة المخرجة من الملة، سواء كان هذا الدفاع عن الباطنية بصفة عامة أو عن الباطنية في اليمن بصفة خاصة، هذا الدفاع يثير الدهشة وتوجيه علامات الاستفهام إلى هؤلاء المدافعين، ماذا يريدون بهذا الدفاع؟ أيريدون قلب الحقائق؟ أم يريدون أن يمحوا فضائحهم التي سودت وجه التاريخ وبالأخص علي بن الفضل الخنفري وعلي محمد الصليحي وأمثالهما الآتية فضائحهما في هذا الفصل؟

فلا عتب، بل لا لوم على من شم رائحة القرمطة من كلام هؤلاء أو اتهمهم بذلك أو بأن بضاعتهم في التاريخ الديني مزجاة، أو أن هناك أغراضًا أو دوافع غير دينية أو.. أو..

والآن إليك هذه المقتطفات المنكرة من كلام الحمادي[١] الذي دخل في مذهب الصليحي الباطني الحرازي الذي خلف علي بن الفضل الحميري ومنصور اليمن في الدعوة الباطنية باسم الفاطميين، بل العبيديين في مصر حيث قال: (أول ما أشهد به.. وأوضحه للمسلمين أن له[٢] نوابًا يسميهم الدعاة المأذونين، وآخرين يلقبهم بالمكلبين تشبيهًا بكلاب الصيد، لأنهم ينصبون للناس الحبائل، وينقبضون عن كل عاقل، ويلبسون على كل جاهل بكلمة حق يراد بها باطل.

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن مالك الحمادي اليماني من فقهاء السنة باليمن في أواسط المائة الخامسة وقد طبع كتابه مرتين في مصر سنة ١٩٣٩م، وسنة ١٩٥٥م، وقد اعتمده كثير من المؤلفين اليمنيين وغيرهم منهم الجعدي والجندي، والكتاب في حوزتي بعنوان (كشف أسرار الباطنية) وانظر: طبقات فقهاء اليمن للجعدي ص(٧٨).

(٢) الضمير عائد على الصليحي الباطني.

المرحلة الأولى:

وفيها يحضون المدعو على شرائع الإسلام كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شركه، فيقيم أكثر من سنة ينظرون صبره، ويتصفحون أمره، ويخدعونه بأحاديث محرفة، وأقوال مزخرفة، ويتلون عليه القرآن على غير وجهة، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فإذا رأوا فيه القبول والإعجاب بجميع ما يعلمونه قالوا له: الصلاة من صلاها مرة في العام فقد أقام الصلاة بغير تكرار، والزكاة مفروضة في كل عام مرة، فالصلاة صلاتان والزكاة زكاتان، وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلا وله باطن، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام:١٢٠] ومعنى الصلاة والزكاة: ولاية محمد وعلي، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة. وهكذا حتى يوقعوا المخدوع في موقع الموافقة، لأنه يريحهم مما تلزمهم به الشريعة من الطاعة ويبيح ما تحرمه عليهم. فإذا قبل منهم ذلك المغرور هذا قالوا له: قرب قربانًا لمولانا يحط عنك الصلاة، فيدفع اثني عشر دينارًا فيقول الداعي: يا مولانا، إن عبدك فلانًا قد عرف الصلاة ومعانيها فاطرح عنه الصلاة. ويقرأ له: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [الأعراف:١٥٧] فيهنئه أهل هذه الدعوة بقولهم: الحمد لله الذي وضع عنك وزرك الذي أنقض ظهرك(١).

المرحلة الثانية:

وفيها يقول الداعي الخبيث للمخدوع: قد عرفت الصلاة، وهي أول درجة، فاسأل وابحث، فيقول: عم أسأل؟ فيقول: اسأل عن الخمر والميسر اللذين نهى

---

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص(١٣-١٤) وانظر قواعد عقائد آل محمد (قسم الباطنية) للديلمي ص(٢٣).

الله عنهما، هما أبو بكر وعمر، لمخالفتهما علي وأخذ الخلافة دونه. أما ما يعمل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك فليس بحرام، لأنه مما أنبتت الأرض. ويتلو عليه أيضًا: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ [المائدة:٩٣].

ومعنى الصوم الكتمان، أي: كتمان الأئمة في وقت استتارهم خوفًا من الظالمين. ويتلو عليه: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم:٢٦] فلو كان عنى بالصيام ترك الطعام لقال: فلن أطعم اليوم شيئًا، فدل على أن الصيام الصموت. فيزداد المخدوع طغيانًا وكفرًا وينهمك إلى قول ذلك الداعي الملعون، لأنه أتاه بما يوافق هواه وشهوته والنفس أمارة بالسوء.

ثم يقول له: ادفع النجوى تكن لك سلمًا ووسيلة، حتى نسأل لك مولاك يضع عنك الصوم، فيدفع اثني عشر دينارًا، فيمضي به إليه قائلًا: يا مولانا عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة، فأبح له الأكل برمضان، فيقول: قد وثقته وأمنته على سرائرنا؟ فيقول: نعم، فيقول: قد وضعت عنه ذلك(١).

المرحلة الثالثة:

ثم يأتي ذلك الداعي الخبيث إلى المخدوع بعد مدة فيقول له: قد عرفت ثلاث درجات - أي الصلاة والخمر والميسر والصوم - فاعرف الطهارة ما هي، ومعنى الجنابة في التأويل، فيقول: فسر لي ذلك، فيقول له: اعلم أن معنى الطهارة طهارة القلب، وأن المؤمن طاهر بذاته، والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره، وأن الجنابة هي موالاة الأضداد، أضداد الأنبياء والأئمة، فأما المني فليس بنجس، منه خلق الله الأنبياء والأولياء وأهل طاعته، وكيف يكون نجسًا ومنه خلق

---

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادي، ص(١٣)، والباطنية للديلمي، ص(٢٤).

الإنسان! فلو كان التطهر منه من أمر الدين لكان الغسل من الغائط والبول أوجب، لأنهما نجسان، وإنما معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ۚ﴾ [المائدة:٦] معناه فإن كنتم جهلة بالعلم الباطني فتعلموا. ثم يأمره ذلك الداعي أن يدفع اثني عشر دينارًا، ويقول: يا مولانا عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة، وهذا قربانه إليك، فيقول: اشهدوا أني قد حللت له ترك الغسل من الجنابة(١).

المرحلة الرابعة:

ثم يقيم مدة فيأتيه ذلك الداعي الملعون قائلًا له: قد عرفت أربع درجات وبقي عليك الخامسة، فاكشف عنها فإنها منتهى أمرك وغاية سعادتك. ويتلو عليه ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧] فيقول له: دلني عليها. فيتلو عليه ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:٢٢] ثم يقول له: أتحب أن تدخل الجنة في الحياة الدنيا؟ فيقول: وكيف لي بذلك؟ فيتلو عليه: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [الليل:١٣] ويتلو عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ﴾ [الأعراف:٣٢] والزينة هاهنا ما خفي على الناس من أسرار النساء التي لا يطلع عليه إلا المخصوصون بذلك. وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١] والزينة مستورة غير مشهورة، ثم يتلو عليه قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:٢٢-٢٣] فمن لم ينل الجنة في الدنيا لم ينلها في الآخرة، لأنها مخصوص بها ذوو الألباب دون الجهال، والمستحسن من الأشياء ما خفي، ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة.

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادي، ص(١٤)، وانظر: الباطنية للديلمي، ص(٢٥).

فالجنة هاهنا ما استتر عن الخلق المنكوس الذين لا علم لهم ولا عقول، فيزداد المخدوع انهماكًا ويقول لذلك الداعي الملعون: تلطف في حالي، وبلغني ما شوقتني إليه، فيقول: ادفع النجوى اثني عشر دينارًا تكن لك قربانًا وسلمًا، فيمضي به فيقول: يا مولانا إن عبدك فلان قد صحت سريرته، وهو يريد أن تدخله الجنة، وتزوجه الحور العين، فيقول له: قد وثقته وأمنته؟ فيقول: يا مولاي قد وثقته وأمنته وخبرته، فوجدته على الحق صابرًا، ولأنعمك شاكرًا، فيقول: علمنا صعب مستعصب، لا يحمله إلا نبي مرسل، أو ملك مقرب، أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان، فإذا صح عندك حاله فاذهب به إلى زوجتك، فاجمع بينه وبينها، فيقول: سمعًا وطاعة لله ولمولانا، فيمضي به إلى بيته، فيبيت مع زوجته، حتى إذا كان الصباح قرع عليهما الباب وقال: قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس، فيشكره ذلك المخدوع، فيقول له: ليس هذا من فضلي، هذا من فضل مولانا. فإذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة، فلا يبقى منهم أحد إلا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعي الملعون(١).

قلت: وتحمل هذه البيوته - إذا صح الخبر - على الجيران أو أهل القرية، أما بقاؤه على ظاهره وعمومه ففيه نظر، لأن المرأة لا تطيق قطرًا بكامله بل لا عشرة، إلا أن يقال إن هذا في بدء الدعوة الخبيثة وقلة أهلها فالله أعلم.

المرحلة الخامسة:

ثم يقول الداعي للمخدوع: لا بد لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا فادفع قربانك فيدفع اثني عشر دينارًا فيصل به قائلًا: يا مولانا عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم وهذا قربانه، حتى إذا جن الليل، ودارت الكؤوس وحميت

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادي، ص(١٥-١٦).

الرؤوس، وطابت النفوس، أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم، فيدخلن عليهم من كل باب، وأطفأوا السرج والشموع وأخذ كل واحد منهم ما وقعت عليه يده، فيشكر المخدوع الداعي الملعون على ما فعل، فيقول له: ليس هذا من فضلي، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين، فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقكم ووضع عنك أوزاركم، وحط عنكم آصاركم، ووضع عنكم أثقالكم، وأحل لكم بعض ما حرم عليكم جهالكم ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٥] (١).

قلت: ويحمل تعميم عملية هذه المرحلة الخبيثة على ما سبق في المرحلة الرابعة والله أعلم.

ثم قال محمد بن مالك الحمادي بعد ذلك: (هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم، والله تعالى لهم بالمرصاد، والله تعالى عليَّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم، والله يشهد علي بجميع ما ذكرته، عالم به، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين عليه، فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته، فأديت هذه النصيحة إلى المسلمين حسبما أوجبه الله علي من حفظ هذه الشهادة، فإن الله سبحانه أمر بحفظ الشهادة ومراعاتها، وأدائها إلى من يسمعها، قال الله سبحانه: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف:١٩] والله أسأل أن يتوفانا مسلمين، ولا ينزع عنا الإسلام بعد إذ آتانا الله بمنه ورحمته)(٢).

---

(١) وانظر كشف أسرار الباطنية للحمادي ص(١٥-١٦).

(٢) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص(١٦)، ومن أراد التوسع فليراجع فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي.

ألا فليعلم المسلمون أن الباطنية - أخزاهم الله - أشد خطرًا على الإسلام والمسلمين من عبدة الأوثان، لأنهم يبطنون الكفر ويتظاهرون بالإسلام - كما رأيت - ويختفون حتى تمكنهم الوثبة لإظهار الكفر، وهم ملاحدة بالإجماع(١).

وهم يُسَمَّون بالإسماعيلية، لأنهم ينسبون أئمتهم المستورين - كما يزعمون - إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وبالعبيدية لدعائهم إلى عبد الله بن ميمون القداح، الذي نسبته الباطنية - إلى ما يزعمون - من الأئمة المستورين.

وبالجملة فللباطنية قضايا شنيعة وأعمال فظيعة، كالإباحية وغيرها، وأن للشريعة ظاهرًا وباطنًا، فالباطن لا يعلمه إلا الإمام أو من ينوب عنه، وأن معنى الكعبة النبي، والباب علي، والصفا النبي والمروة علي أيضًا، والميقات الإمام، والتلبية إجابة الداعي إلى باطنهم، والطواف بالبيت سبعًا هو الطواف بمحمد إلى تمام الأئمة السبعة، وغير ذلك من الرموز الخبيثة.

وهم إذا وجدوا في أنفسهم قوة أعلنوا الكفر، وإن غلبوا كمنوا كما تكمن الحية في جحرها، وهم مع ذلك يؤملون الهجوم على عباد الله، وقد تابعهم على ذلك من ذهب عنه نور الإسلام، واستولى على قلبه هوى الشيطان والله المستعان(٢).

***

(١) بلوغ المرام في من تولى اليمن من ملوك وإمام للعرشي ص(٢١-٢٢).

(٢) انظر: الباطنية للديلمي ص(١٧).

موقف أئمة الزيدية وغيرهم من الباطنية

مما لا شك فيه أن أئمة الزيدية وقفوا موقفًا من الباطنية يشكرون عليه، يشهد لذلك تاريخ اليمن الحافل بمحاسن الأئمة وغيرهم من سلاطين اليمن آل يعفر الحواليين وبني زياد وبني رسول ضد الباطنية، فقد دارت الحرب رحاها بين هؤلاء وبين الباطنية في عصر ابن الوزير وقبله وبعده، وكانت الحرب كعادتها سجالًا، بغض النظر عن الحروب فيما بينهم، وكانت الدائرة في النهاية على الباطنية على يد الأئمة الزيدية، فخفتت الباطنية من الناحية العسكرية، لكن - مع الأسف الشديد - لم تخفت من الناحية الثقافية والعقدية، فآثارها السيئة بل عقيدتها باقية في بعض البلاد اليمنية وغيرها إلى يوم الناس هذا، وقد وقف منهم أئمة الزيدية موقفًا قويًّا صلبًا من جميع النواحي ثقافيًّا وسياسيًّا وعسكريًّا، واستمرت شوكتهم إلى سنة ١٢٧٨هـ في حراز وذي مرمر ثم إلى سنة ١٢٨٥هـ[1].

فمن الناحية الثقافية بثوا الوعي الإسلامي ضدهم وألفوا كتبًا كثيرة منها:

١- مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار/ للإمام يحيى بن حمزة ت سنة ٧٤٥هـ طبع عدة مرات الأخيرة ت سنة ١٤٠٣هـ.

٢- الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام/ له مطبوع.

٣- الرد على الباطنية/ للقاضي حميد الشهيد المحلي.

٤- القاطعة في الرد على الباطنية/ لمحمد بن يحيى حنش.

٥- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة/ لمحمد بن مالك الحمادي.

---

(١) انظر: تاريخ اليمن للواسعي ص(١٦٣-١٧٨-٢٠٦)، والتحفة العنبرية ورقة ٦٧، وما بعدها والإكليل للهمداني (٢/ ١٧٨)- مع الحاشية للمحقق الأكوع.

هذه بعض الكتب الخاصة بالرد على الباطنية.

أما الكتب التي تضمنت الرد عليهم فهي كثيرة كـ(العلم الشامخ) للمقبلي، و(غاية الأماني) للشهاري، وسائر كتب التاريخ اليمنية.

أما المؤلفون ضد الباطنية غير اليمنيين فهم مشهورون، ومن أشهرهم الغزالي وكتابه (فضائح الباطنية).

***

موقف ابن الوزير من الباطنية

مما لا شك فيه أن موقف ابن الوزير من الباطنية في اليمن هو موقف كل مسلم غيور على دينه وعقيدته، وبما أن الباطنية لا يجهرون بعقيدتهم إلا لمن وثقوا فيه من أتباعهم - بعد العهود والمواثيق - بل ويستخفون بكبتهم أشد الاستخفاء لذلك لم يكن بينهم وبين ابن الوزير ولا غيره من أهل السنة مناقشات ولا مناظرات.

وأما الكتب المؤلفة ضدهم المشار إليها سابقًا فهي بعد أن تفشى سرهم واستفحل أمرهم وتمت سيطرتهم على بعض المناطق اليمنية، وبعضهم على معظمها وبعضهم على جميع القطر اليماني، ومع هذا فكتبهم كانت مخفية، لم يطلع عليها أحد إلا بعد مصادرة ممتلكاتهم بعد الحصار الشديد والحروب الطاحنة على أيدي أئمة الزيدية وغيرهم من سلاطين اليمن، لذلك لم يذكرهم ابن الوزير في مؤلفاته إلا على سبيل الاستطراد، وفي معرض الذم والتكفير.

وقد وصفهم ابن الوزير - في عدة مواضع من كتبه - بالإلحاد والزندقة والكذب؛ لأن الكذابين إنما يأتون بما يوافق الطباع[1] وابن الوزير لم ينفرد بهذا فقد سبق أن ذكرت حكاية الإجماع على كفرهم وأشرت إلى المحضر الذي ذكره ابن كثير وغيره.

وإذا اكتفيت بالقول بأن موقف ابن الوزير من الباطنية في اليمن وغيره موقف علماء المسلمين، فذلك في نظري كاف، ولكن إليك هذه النماذج من كلام ابن الوزير.

---

(١) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص(٨٩-١٢٩-١٣٠-١٣٥-١٣٦).

قال ابن الوزير في سياق نقده لأهل البدع من غلاة المتكلمين الذين ضاهوا الباطنية الملحدين في رد النصوص والظواهر، ورد حقائقها إلى المجاز، من غير طريق قاطع على ثبوت الموجب للتأويل إلا مجرد التقليد لبعض المتكلمين في قواعد لم يتفقوا عليها حيث قال:

١- (وأفحش ذلك وأشهره مذهب القرامطة الباطنية في تأويل الأسماء الحسنى كلها، ونفيها عن الله - عز وجل - على سبيل التنزيه له وتحقيق التوحيد بذلك، ودعوى أن إطلاقها عليه يقتضي التشبيه، وقد غالوا في ذلك وبالغوا حتى قالوا إنه لا يقال: إنه موجود ولا معدوم. بل قالوا إنه لا يعبر عنه بالحروف، وقد جعلوا تأويلها - أي الأسماء الحسنى - كلها إمام الزمان عندهم، وهو المسمى الله، والمراد بلا إله إلا الله، وقد تواتر هذا عنهم، وأنا ممن وقف عليه فيما لا يحصى من كتبهم التي في أيديهم وخزائنهم ومعاقلهم التي دخلت عليهم عنوة، أو فتحت بعد طول محاصرة، وأخذ بعضها عليهم من بعض الطرقات وقد هربوا به، ووجد بعضها في مواضع قد أخفوه بها)[(١)]. ولم يقف ابن الوزير عند حكاية هذا الكلام الباطل فحسب، بل قرر أن كفرهم معلوم عند جميع المسلمين لأن تأويلهم هذا ليس من العلم في شيء، فقال: (فكما أن كل مسلم يعلم أن هذا كفر صريح، وأنه ليس من التأويل المسمى بحذف المضاف المذكور في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يوسف:٨٢] أي: أهل القرية وأهل العير)[(٢)].

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص (١٢٩-١٣٠) وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢/ ٢٠٢).

(٢) إيثار الحق ص(١٣٠).

٢- وفي أثناء رده على المتأولين لأسماء الله الحسنى أيضًا، ومنها الرحمن الرحيم، وأنهما ثابتتان في السبع المثاني المعظمة، متلوتان في جميع الصلوات الخمس، مجهور بهما في محافل المسلمين، مجمع على أنهما من أحسن الثناء على الله تعالى وأجمله ومن أحب المدح إليه، ولذلك كررا تكريرًا كثيرًا في أوائل السور وغيرها، يقول ابن الوزير في هذا المعنى:

(وعظمت الشناعة في إنكار حقيقتهما ومدحتهما، حين وافق ذلك مذهب القرامطة ومذهب أسلافهم من المشركين في إنكارهم الرحمن، ونص القرآن على الرد عليهم في ذلك والصدع بالحق فيه حيث حكى عنهم قوله: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان:٦٠] فقال عز من قائل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان:٥٩-٦٠] ... وجاءت الصوادع القرآنية مادحة لله تعالى بأعظم صيغ المبالغات في هذه الصفة الشريفة الحميدة، بأن الله -عز وجل- خير الراحمين وأرحم الرحمين)[1] أكثر من خمسمائة مرة في القرآن الكريم، منها باسمه الرحمن أكثر من مائة وستين مرة، وباسمه الرحيم أكثر من مائتي مرة، وجمعهما للتأكيد مائة وست عشرة مرة[2].

٣- ويصور لنا ابن الوزير إنكار الباطنية لأسماء الله الحسنى والجنة والنار، في مناقشة بينهم وبين المعتزلة والأشعرية على سبيل الإنكار والتقريع، في استقباح كل منهما تأويل الطائفة الأخرى، وأن كل واحدة تلزم المنكر عليها

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص(١٣١-١٣٢).
(٢) ذكر هذه الأرقام ابن الوزير في الإيثار ص(١٣٢) معرضًا بأهل التأويل.

مثل ما ألزمته، وهو أن الأشعرية والمعتزلة إذا كفروا الباطني بإنكار الأسماء الحسنى والجنة والنار، يقول لهم الباطني: أنا لم أجحدها، إنما قلت: هي مجاز، مثلما أنكم لم تجحدوا الرحمن الرحيم الحكيم، وإنما قلتم إنها مجاز، وكيف كفاكم المجاز في الإيمان بالرحمن الرحيم، وهما أشهر الأسماء الحسنى أو من أشهرها، ولم يكفني في سائرها، وفي الجنة والنار، مع أنهما دون أسماء الله بكثير! وكم بين الإيمان بالله وبأسمائه، والإيمان بمخلوقاته - أي من الفرق - فإذا كفاكم الإيمان المجازي بأشهر الأسماء الحسنى، فكيف لم يكفي مثله في الإيمان بالجنة والنار والمعاد[1].

رحم الله ابن الوزير، لقد أحرج المتناظرين وأوقعهم في فخ التأويل، فانظر من المنقطع! ومن العار على أية فرقة إسلامية تنقطع أو تنهزم أمام الملحدين الطغام. وهل هذا إلا نتيجة لاستعمال سلاح التأويل! فاعتبروا يا أولي التأويل[2].

***

(١) إيثار الحق ابن الوزير ص(١٣٦)، وانظر المواقف للإيجي في تأويل الرحمن الرحيم من أنهما بمنزلة الندمان والنديم، أي مريد الإنعام على الخلق، فمرجعهما صفة الإرادة، وقيل: معطي جلال النعم ودقائقها، فالمرجع حينئذ صفة فعلية، وهذا هو نص كلام الإيجي في الموقف الخامس الإلاهيات ص(٣٥٧) وأما المعتزلة فتأويلهم وتعطيلهم مشهور.

(٢) انظر ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية للشيخ علي الحربي -حفظه الله- وقد اقتبسته منه، وتركت ذكر موقفه من الرافضة والمعتزلة؛ لأن الكلام عليهم منثور في المقدمة، وفي الجزء الثاني من الإيثار بتوسع.

الإمام ابن الوزير -رحمه الله - وتأليفه «إيثار الحق على الخلق»

هذا الكتاب ألفه ابن الوزير في أواخر حياته، بدليل قوله في سياق حديثه عن قرب الساعة، وتغير الأحوال: (فكيف بنا اليوم، وقد دخلنا في المائة التاسعة أكثر من ثلثها)(١).

ولكن هذا معارض بقوله أيضًا في كتابه «العواصم»: وقد أوضحت في كتاب «إيثار الحق على الخلق» كذا وكذا(٢).

والراجح أن إيثار الحق على الخلق هو الأخير، لأنه كثيرًا ما يحيل فيه على العواصم في عشرات المواضع، فيكون هذا آكد في تقدم (العواصم) وتأخر (الإيثار).

والكلمة التي تشير في «العواصم» إلى أنه صنفه بعد «الإيثار» تحمل على أن ابن الوزير زادها بعد تصنيفهما، والله أعلم.

وقد صرح ابن الوزير وغيره أنه فرغ من تصنيف العواصم سنة ٨٠٨هـ وألف «إيثار الحق على الخلق» سنة ٨٣٧هـ كما سبق في مؤلفاته، وقد نهج فيه منهجًا غير منهجه الجدلي في «العواصم والقواصم» ومختصره «الروض الباسم».

ويبدو أن صيانة هذا الكتاب الجليل من المقدمات الجدلية لعوامل منها:

١- أن قسوة طباع ابن الوزير- رحمه الله - من آثار علمي الكلام والجدال قد هدأت، كما هدأت المعارضة من قبل خصومه.

---

(١) «إيثار الحق على الخلق» لابن الوزير ص(٧٧).

(٢) «العواصم والقواصم» له (٤/ ٨٠).

٢- أن شدة الخلاف بين الطوائف المسلمة، وشدة العصبية، وتقليد المتكلمين أثار عاطفة ابن الوزير الدينية إلى محاولة جمع الناس على الحق.

٣- ما رآه من التباعد والتباغض، والتقاطع والتكفير والتفسيق نتيجة هذا الخلاف فأراد أن يزيله.

٤- ما رآه من تغير الفطرة التي فطر الله الناس عليها إلى أن صارت شيئًا آخر لا يتفق مع ما طبعها الله - عز وجل - عليه، فأراد الرجوع بها إلى أصلها.

لهذه العوامل وغيرها من الرحمة بطوائف المسلمين المختلفين في أصول الدين، حاول ابن الوزير -رحمه الله - جاهدًا مشكورًا التوفيق بين الأقوال ورد الخلافات إلى المذهب الحق، كما هو ظاهر عنوان الكتاب ومحتواه.

وهذا الكتاب ليس موجهًا - في نظر ابن الوزير - إلى أهل الكمال من العلماء الأعلام، لا لهداية أئمة الكفر المعاندين لأهل الإسلام المتعلقين بمذاهب الفلسفة، فقد أقام الله - عز وجل - عليهم الحجة بالفطرة وبعث الرسل والجوارح، وإنما هو موجه إلى الأوساط الذين لم يتمكن فيهم شذوذ الفرق.

***

مسالك الإمام ابن الوزير في كتابه الإيثار

جعل الكتاب والسنة المصدر الأساس لاستنباط العقائد.

ترك كل ما يخاف من القول فيه العذاب الأليم كالتشبيه والتعطيل، والتأويل الذي حرف الكلم عن مواضعه.

الوقوف عند المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، ورد علمه إليه.

القول بعدم المجاز إلا عند وجود القرائن الثلاث:

أ - **القرينة العقلية**: (واسأل القرية التي كنا فيها).

ب - **القرينة العرفية**: (يا هامان ابن لي صرحًا) أي: مر من يبني.

جـ - **القرينة اللفظية**: مثل أسد على فرسه[1].

ويرى ابن الوزير أن عدم القول بالمجاز في نصوص الوحي، لأنه الذريعة التي يتذرع بها أهل التأويل الباطل.

خلق قيود العصبيات المذهبية وترك التقليد في تكفير الخصوم، وترك جميع العبارات المبتدعة.

الأخذ بالأحوط في الدين مخافة الوقوع فيما يؤول إلى عذاب الله، كإثبات صفات الكمال لله ونفي النقص عنه والتوقف عند الخفي.

أن الكلام في ذات الله تعالى على جهة التفصيل والتصور أو الإحاطة باطل، بل من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله (ولا يحيطون به علمًا).

عدم النظر في سر القدر السابق، فهو من المتشابه.

(١) إيثار الحق (١٤٤) والروض الباسم.

سلك في إثبات وجود الله تعالى طريقة القرآن التي وصفها بأنها أصح الطرق وآمنها، وأنها طريقة السلف الصالح وهي:

أ - دلالة الفطرة.

ب- دلالة الأنفس.

جـ- دلالة الآفاق.

د - دلالة المعجزات.

سلك الإمام ابن الوزير في توحيد الأسماء والصفات طريقة السلف؛ إمرارها كما جاءت في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة على الوجه اللائق بجلال الله تعالى وعظمته، بلا تعطيل ولا تشبيه، ولا تأويل، على ضوء قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

وضع قاعدة أساسية لمن يريد أن يحكم على مذهب معين أن يدرسه من مصادره الأصلية المنتسبة إلى أهله، ويطلع على جزئياته، ولا يأخذه من كتب خصوم هذا المذهب؛ لأنه قلما يصورونه بصورته الحقيقية، وقد وجد كثير من الأقوال والآراء هي من لوازم المذهب التي يلزمها الخصوم دون أن يقر بها أصحاب المذهب. وهذا هو التبين والتثبت اللذان حث عليهما القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦][١].

الإنصاف، فهو لا يغمط أحدًا حقه، بل يضع كل شخص في مكانته، فلا يمنعه من ذلك الإنصاف مخالفة ذلك الشخص له في الرأي لمجرد كراهة أو عداوة.

الأحاديث التي يحتج بها من السنة النبوية الصحيحة، فقلما يوجد فيها حديث

---

(١) وانظر ترجيح أساليب القرآن ص(٦٦) للمزيد.

ضعيف، وإن وجد فلا يفوته التنبيه عليه، وهذا يدل على أن الإمام ابن الوزير - رحمه الله- على علم تام بما يستند إليه، ولذلك يقول الشوكاني عنه: ويتكلم في الحديث بكلام أئمته المعتبرين، مع إحاطته بحفظ غالب المتون، ومعرفة رجال الأسانيد، شخصًا وحالًا، وزمانًا ومكانًا(١).

ومن تصفح العواصم والروض الباسم والإيثار وقبول البشرى، وكل كتبه، عرف معرفة تامة أنه كان متعمقًا في علم الحديث ورجاله، وله كتاب عظيم في علوم الحديث سماه «تنقيح الأنظار في علم الآثار» طبع، وشرحه العلامة ابن الأمير - رحمه الله- وسماه «توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار».

ولذلك مدحه الإمام الصنعاني - رحمه الله - مدحًا رفيعًا، ومدح كتابه العواصم، فقال: ووشحه بفوائد وفرائد لا توجد إلا فيه، ولم تخرج إلا من فيه(٢).

وقد بسط الكلام على مسألة الرؤية في مقدار ثمانين ورقة في العواصم، وهو يتتبع المسائل الكلامية المتصلة بالإشكالات الاعتقادية والرد عليها.

ومما يدل على حفظه واستدلاله إيراده في إثبات حكمة الله تعالى في أقواله وأفعاله ما يقارب مائة آية في العواصم.

***

(١) انظر: البدر الطالع (٢/ ٨٤).

(٢) توضيح الأفكار (٢/ ٢١٣).

مدرسة ابن الوزير تدعو إلى المذهب الحق

مدرسة ابن الوزير مستقلة تدعو إلى التفتح على المذاهب الأخرى خاصة المذهب الحق مذهب أهل السنة، فهو بحق أحد رواد المذهب المتحرر في اليمن، فقد غرس الإمام ابن الوزير بذور هذه الطريقة الطيبة، فظهر بين الزيدية طريقًا قويًا قيمًا رجح حديث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - على علم الجدل والكلام. فبدأ هذا الطريق بابن الوزير، وبلغ ذروته لدى الشوكاني، مرورًا بالمقبلي وابن الأمير الصنعاني - رحمهم الله تعالى - طريقًا ومدرسةً تؤثر الحديث والفقه على الجدل والكلام[١].

وقد جر عليه هذا الاتجاه المصاعب، وهكذا أتباع السنن أتباع الرسل - عليهم السلام- فلم تجد طريقته قبولًا في الأوساط العلمية والسياسية، فمن يقرأ كتبه يشعر بأن موجة النقد التعصبي والحقد المذهبي توجهت ضده، فجعلته يلجأ إلى العزلة على رأس جبال يحصب[٢] وتخلى عن كل شيء إلا من وضع كتابه الجليل الخالد «إيثار الحق على الخلق»[٣].

وقد أشار بهذا في كتابه «الروض الباسم» فقال: (وإني لما تمسكت بعروة «السنن» الوثقى، وسلكت سنن الطريقة العتيقة، تناولتني الألسنة البذيئة من أعداء السنة النبوية، ونسبوني إلى دعوى في العلم كبيرة، وأمور غير ذلك كثيرة، حرصًا على ألا يتبع ما دعوت إليه من العمل بسنة سيد المرسلين، والخلفاء الراشدين، والسلف الصالحين فصبرت على البلاء، وعلمت أن الناس ما زالوا هكذا).[٤]

---

(١) انظر: «كتاب الزيدية» (٢/ ٢٦٨)، ومقدمة أحمد مصطفى جزاه الله خيرًا.

(٢) جبال يحصب غرب مدينة يريم، قريب محافظة ذمار. وهو الآن تابع محافظة إب.

(٣) «تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن» ص(١٩٠).

(٤) «الروض الباسم» (١/ ٨)، ط قديمة.

من أعلام التجديد في اليمن

الإمام المجدد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله

انتشرت في العالم الإسلامي بعد القرن الثاني الهجري بعض المدارس العقلية وابتعدت عن العلوم السمعية (القرآن والسنة) ودخلت اليمن منذ وقت مبكر (مثل الهادوية والمعتزلة).

وترتب على دخولها ظهور أفكار ومعتقدات بعيدة عن منهج السلف. في هذه الأجواء المشحونة بالصراعات السياسية والمذهبية، وبعد سبعمائة سنة من الهجرة، ظهر الإمام محمد بن إبراهيم الوزير، فناظر أئمة هذه الفرق وبين انحرافاتهم، ودافع عن السنة بقلمه ولسانه وبكل ما أعطى من وسائل الدعوة، فكان جهادًا عاشه كغيره من العلماء، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي وابن حجر وغيرهم من أهل العلم، رحمهم الله.

وقد كان للإمام ابن الوزير مواقف عادلة وحاسمة في الرد على أهل البدع، ولو كانوا من أهل البيت، فإنهم في الصف الأول إذا كانوا يخالفون ما جاء به جدهم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- فكتب العديد من الكتب الكبيرة والصغيرة والرسائل.

وقد وصفه الإمام الشوكاني، رحمه الله، بقوله: وهو إذا تكلم في مسألة لا يحتاج الناظر بعده إلى النظر في غيره[١].

ومن كتبه العظيمة التي تبين موقفه من المبتدعة ورده عليهم «إيثار الحق على الخلق»[٢].

(١) البدر الطالع ص(٦٠٩).

(٢) جريدة صوت الإيمان العدد (٢٠١) جماد أول ١٤٣٠هـ، اليمن. مكتبة د/ حسان شريان.

وقد ظهر مجددون في كل قرن كان تجديدهم خاصًّا منحصرًا في قطر أو شعب كأبي إسحاق الشاطبي صاحب «الاعتصام» في الأندلس... والمقبلي والشوكاني، وابن الوزير في اليمن.[1]

***

(١) «المجددون في الإسلام» ص(١٤)، من كلام رشيد رضا.

مدرسة الإمام ابن الوزير التصحيحية

إنها مدرسة الإمام ابن الوزير العلمية الخبرية، لا عقلية ولا تقليدية، إنها المدرسة النبوية، مدرسة تدعو إلى الوضوح والتفتح على المذاهب الأخرى، خاصة مذهب أهل السنة، المذهب المتقيد بالكتاب والسنة على ما كان عليه الصحابة الكرام عليهم السلام.

فهو بحق الرائد الأول للتحرر المذهبي التقليدي في اليمن، فقد غرس الإمام ابن الوزير - رحمه الله - بذور هذا التيار، فظهر بين الزيدية تيارًا قويًّا؛ لأنه الحق، إذ رجح حديث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - على الجدل والتقليد والكلام، فبدأ بالإمام ابن الوزير، وبلغ ذروته لدى الشوكاني، مرورًا بالمقبلي والنعمي وابن الأمير الصَّنْعاني - رحمه الله تعالى- تيارًا ومدرسة تؤثر الحديث والفقه على الجدل والكلام[1].

***

(١) كتاب «الزيدية» (٢/ ٦٢٨).

قال الشيخ علي بن محمد العمران حفظه الله:

تمهيد

إن عَلَمًا كابن الوزير - رحمه الله - لم يستوف حقّه من الدراسة الواعية الشاملة لجوانب حياته وآثاره! تلك الدراسة القائمة على السّبر والاستقصاء والتتبّع، هذا رغم ما لهذا الإمام من أهمية عظمى في التغيّرات الفكرية والعقدية في اليمن، فإنه وقف بقوّة وصلابة أمام الامتداد الزّيدي المعتزليّ، ناقضًا لمبانيه، داحضًا لشبهاته ومباغيه.

وتكمن أهميّة دراسة هذه الشخصيّة في جانبين:

أولهما: في تلك الثروة العلمية التي خلّفها. حيث جمع بين العلوم النقلية والعلوم العقلية، وقلّما يجتمعان!

أما العلوم النقليّة فهذا الفنّ هو الذي أعجز الخصوم، إذ لا عناية لهم به، بل هم من أبعد الفرق عن الاعتناء بعلوم الحديث تدريسًا وتصنيفًا[1] وقد اعترفوا له بذلك، فقد «حُكي عن السيد العلامة شمس الدين أحمد بن محمد الأزرقي أنّه قال: لا يبلغ أحد في زماننا هذا من الاجتهاد ما بلغ إليه السيّد عز الدين محمد بن إبراهيم، وقد أحسنّا كل شيء إلا ما بلغ إليه، فلم نقدر عليه، لتمكّنه من معرفة الحديث ورجاله، وتبحّره في السمعيات»[2].

---

(١) انظر «الروض»: ص(٦١). وهذا الجهل في عمّوم فرق الشيعة -والزيدية منهم- كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر «منهاج السنّة» (١/ ٥٩).

(٢) تاريخ بني الوزير (ق/ ٣٦ب) نسخة المكتبة الغربية.

وهو كما قال، فقد وصفه بالحفظ جماعة من العلماء واعترفوا له بذلك كالنفيس العلوي شيخه، والهادي الوزير، والصنعاني، والشوكاني. والناظر في كتبه(١) يجده واسع الحفظ(٢) غزير الإطلاع، فهو يسرد في المسألة الواحدة أزيد من مئتي حديث مستحضرًا لتراجم الرواة وما قيل فيهم، وله اختيارات وترجيحات وعبارات تدلّ على تمكنه من هذا الفنّ، وله كلام على دقائق علوم الاصطلاح والجرح والتعديل(٣) وهو بكتب الحافظ الذهبي أشدّ عناية، بل يكاد يستظهرها خصوصًا «النبلاء» و«الميزان»(٤).

أما العلوم العقليّة(٥) فقد بلغ منها الذروة العليا، بل هو جذيلها المحكّك، وعذيقها المرجّب «شهد له بذلك جميع أهل الزّمان، من الأقارب والأباعد، والمخالف له في الاعتقاد والمساعد»(٦).

ولا عجب أيضًا لأن هذه الفنون هي التي أفنى فيها ابن الوزير عنفوان شبابه، وزهرة أيّامه، إلا أنه لم يقف منها موقف العاجز المسلّم، بل فحص وحقّق، وبحث ودقّق، حتى اتضحت له مناهج الصواب فسلكها، وانكشفت له سبل الباطل فزيّفها وردّها(٧) وذلك بعد رجوعه إلى الكتاب والسنة، فقد وجد فيهما الشّفاء كلّه دقّه وجلّه.

---

(١) قال الشوكاني في «البدر الطالع»: (٢/ ٩٠) «ومن رام أن يعرف حاله ومقدار علمه فعليه بمطالعة مصنفاته، فإنها شاهد عدل على علوّ طبقته، فإنه يسرد في المسألة الواحدة من الوجوه ما يبهر لبّ مطالعه ويعرّفه بقصر باعه»اهـ.

(٢) دلّلنا على كون المؤلف يكتب من حفظه، انظر المقدمة ص(٨٤).

(٣) انظر الفهارس الموضوعية.

(٤) انظر موارد المؤلف.

(٥) كالأصول، والنحو، والمنطق وغيرها.

(٦) «تاريخ بني الوزير» (ق/ ٣٥ب).

(٧) انظر «ترجمة ابن الوزير»: (ق/ ٥-٦أ).

قال ابن الوزير[١] رحمه الله: «فإني ما زلت مشغوفًا بدرك الحقائق، مشغولاً بطلب المعارف، مؤثرًا الطلب لملازمة الأكابر، ومطالعة الدفاتر، والبحث عن حقائق مذاهب المخالفين، والتفتيش عن تلخيص أعذار الغالطين، محسّنًا في ذلك للنيّة، متحريًا فيه لطريق السويّة، متضرّعًا إلى الله تضرّع مضطر محتار، غريق في بحار الأنظار، طريح في مهاوي الأفكار، قد وهبت أيام شبابي ولذّاتي، وزمان اكتسابي ونشاطي، لكدورة علم الكلام والجدال، والنظر في مقالات أهل الضلال، حتى عرفت صحّة قول من قال:

لقد طفت في تلك المعالم كلها ... وسيّرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعًا كفّ حائر ... على ذقن أو قارعًا سنّ نادم[٢]

وسبب[٣] إيثاري لذلك وسلوكي تلك المسالك أنّ أول ما قرع سمعي، ورسخ في طبعي وجوب النّظر والقول بأنّ من قلد في الاعتقاد فقد كفر، فاستغرقت في ذلك حدّة نظري وباكورة عمري، وما زلت أرى كلّ فرقة من المتكلمين تداوي أقوالًا مريضة، وتقوّي أجنحة مهيضة، فلم أحصل على طائل، وتمثلت بقول القائل:

كلٌّ يداوي سقيمًا من مقالته ... فمن لنا بصحيح ما به سقم

فرجعت إلى كتاب الله، وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وقلت: لابدّ أن يكون فيها براهين وردود على مخالفي الإسلام، وتعليم وإرشاد لمن اتبع الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) العواصم»: (١/ ٢٠١-٢٠٢).

(٢) عارض الإمام الصنعاني هذين البيتين بقوله:

لعلّك أهملت الطّواف بمعهد الرّ ... سول ومن والاه من كلّ عالم
فما حار من يهدي بهدي محمد ... ولست تراه قارعًا سنّ نادم

(٣) في «العواصم»: «وبسبب» وهو خطأ.

فتدبّرت ذلك، فوجدت الشّفاء كلّه، دقّه وجلّه، وانشرح صدري، وصلح أمري، وزال ما كنت به مبتلى، وأنشدت متمثلًا:

فألقت عصاها واستقرّ بها النّوى　　　كما قرّ عينًا بالإياب المسافر» اهـ.

وثانيهما: تلك المدرسة الممتدّة للفكر الإصلاحي الذي اختطه ابن الوزير - رحمه الله - في تلك المنطقة، متمثلًا ذلك المنهج في نخبة من العلماء، لهم مواقف مسطورة، على تفاوت بينهم، فمن مقلّ ومستكثر، ومنهم:

- القاضي محمد بن محمد بن داود النهمي، رفيق ابن الوزير في الطلب[١].
- الحسن بن أحمد بن محمد بن علي بن صلاح الجلال (١٠٨٤هـ).
- محمد بن علي بن قيس (١٠٩٦هـ).
- يحيى بن الحسين بن القاسم (١١٠٠هـ).
- صالح بن مهدي المقبلي (١١٠٨هـ).
- محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (١١٨٢هـ) وهو وارث علوم ابن الوزير، وشارح كتبه[٢].
- محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ).

---

(١) وقد نسخ كتاب «العواصم» وأوقف نسخة من «الروض الباسم» انظر مخطوطات الكتاب.

(٢) فثناؤه على ابن الوزير منقطع النظير، وقد شرح عددًا من كتبه:
فشرح «تنقيح الأنظار» بـ«توضيح الأفكار».
وشرح الديوان المسمّى بـ«مجمع الحقائق والرقائق في ممادح ربّ الخلائق» بـ«فتح الخالق...».
وشرح عبارة لابن الوزير في «الروض» برسالة مستقلة وهي: «إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد».
وله حاشية على «إيثار الحق» سمّاها: «الأنوار على كتاب الإيثار». ومن فضل الله -عز وجل- أنها الآن بين يديك.
وله حواشٍ على «الروض».

- محمد بن عبد الملك الآنسيّ (١٣١٦هـ).

- أحمد بن عبد الله الجنداري (١٣٣٧هـ).

- عبد الله بن محمد العيزري (١٣٦٤هـ).

- حسين بن أحمد بن قاسم الحوثي (١٣٨٦هـ).

«وإذا كان الإصلاح الذي اختطه الرائد يسير ببطء، فما هو المتسبّب، وإنما ذلك لطبيعة الزمان والمكان، وضعف المقتضيات، وقوة الموانع، وحسبه أن حرّك الخامد، وزعزع الجامد، وأجال اليد المصلحة»[1].

ومن نافلة القول أن هذه الدراسات الوصفية لهذه المدارس الفكرية لن تؤتي أكلها، ولن تقوم على سوقها إلا بدراسة مسبقة شاملة عن رائد تلك المدرسة، ولمّا يحصل ذلك فيما أعلم.

وبعد، فلم يحض ابن الوزير - رحمه الله - بالترجمة لا من معاصريه، ولا من بعدهم. أما معاصروه فلم يترجم له أحد منهم في كتبهم المشهورة كالمقريزي (٨٤٥هـ) في «درر العقود الفريدة» فقد ترجم فيه لمعاصريه، ولا الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) في «إنباء الغمر» وهو على شرطه[2] ولا العيني في «عقد الجمان» ولا الفاسي (٨٣٢هـ) في «العقد الثمين»[3] ولا ابن تغري بردي (٨٧٤هـ) في «المنهل الصافي».

إلا ابن فهد (٨٧١هـ) فقد ترجمه ترجمة موجزة في «معجمه» نقل السخاوي في «الضوء اللامع» (٦/ ٢٧٢) جلّ ما فيها.

---

(١) من كلام الشيخ البشير الإبراهيمي بتصرف، انظر: «آثاره»: (٣/ ٥٥٠).

(٢) وأورده عرضًا في ترجمة أخيه الهادي.

(٣) ووهم الشوكاني في البدر (٢/ ٩٢) فادّعى أن الفاسي ترجم له! ولا وجود لذلك.

ثم ترجم له السخاوي ترجمة موجزة في «الضوء» جلّها من «معجم ابن فهد» وهذا يدل على عدم معرفته به، خاصّة أنه وهم فيها عدة أوهام!

ولذلك قال الشوكاني: «وكذلك السخاوي لو وقف على (العواصم والقواصم) لرأى فيها ما يملأ عينيه وقلبه، ولطال عنان قلمه في ترجمته، ولكن لعله بلغه الاسم دون المسمّى».

ثم قال: «ولا ريب أن علماء الطوائف لا يكثرون العناية بأهل هذه الديار لاعتقادهم في الزيدية ما لا مقتضى له إلا مجرد التقليد لمن لم يطلع على الأحوال، فإن في الديار الزيدية من أئمة الكتاب والسنة عددًا يجاوز الوصف يتقيدون بالعمل بنصوص الأدلة، ويعتمدون على ما صح في الأمهات الحديثية... ولا يرفعون إلى التقليد رأسًا، لا يشوبون دينهم بشيءٍ من البدع التي لا يخلو أهل مذهب من المذاهب من شيء منها، بل هم على نمط السلف الصالح...»[1] اهـ.

أما أهل بلده فقد انتصبوا لعداوته، والطعن فيه، والترسّل عليه، لا لشيء إلا لأنه «ذبّ عن السنة ودفع عن أعراض أكابر العلماء وأفاضل الأمة، وناضل أهل البدع، ونشر علم الحديث، وسائر العلوم الشرعية في أرض لم يألف أهلها ذلك، لا سيما في تلك الأيام»[2].

وكان قائد تلك الحملة شيخه جمال الدين علي بن محمد بن أبي القاسم (٨٣٧هـ) وهو المردود عليه في «العواصم والقواصم» ومختصره «الروض الباسم».

قلت: بل بُلي بمن يطعن فيه من أهل بيته[3]! ويقول: إنّه ممن أضله الله

---

(١) البدر (٢/ ٨٣).

(٢) قاله الشوكاني (٢/ ٩٢)

(٣) .انظر «هِجَر العلم»: (١/ ١٩٤-١٩٥).

على علم! وهذا كما قيل:

وظلـم ذوي القربى أشـدّ مضاضةً على النفس من وقع الحسام المهنّد[1]

ومن أبشع ما وقفت عليه في الكلام على المؤلف - رحمه الله - والتعصب عليه مافاه به يحيى بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى المرتضى (٩٦٥هـ) فقد ساق القاضي الأكوع في «هجر العلم»[2] نقلاً عن هذا الرجل كلامًا شنيعًا مُقذعًا في حق الإمام ابن الوزير رحمه الله.

والشأن ما قاله الشوكاني: «إن هذه قاعدة مطردة في كلّ عالم يتبحّر في المعارف العلمية، ويفوق أهل عصره، ويدين بالكتاب والسنة، فإنه لا بدّ أن يستنكره المقصّرون، ويقع له معهم محنة بعد محنة، ثمّ يكون أمره الأعلى، وقوله الأوْلى، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدقٍ في الآخرين، ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره....»[3]اهـ.

أمّا من ترجم له من أهل بلده فهم:

١- تلميذه محمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم الوزير (٨٩٧هـ) في ترجمة مستقلة، وهي التي نشرتها هنا في مقدمة هذا الكتاب.

٢- أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الوزير (٩٨٥هـ). في «تاريخ بني الوزير» (ق/ ٣٥ب-٤١ب).

٣- أحمد بن صالح بن محمد بن علي بن أبي الرجال (١٠٩٢هـ) في «مطلع البدور ومجمع البحور» (مخطوط).

(١) البيت لطرفة بن العبد «ديوانه»: ص(١١٣) ضمن معلقته

(٢) (٣/ ١٣٢١-١٣٢٥).

(٣) البدر الطالع (١/ ٦٥)، ونحوه في «الفضل المبين» / ص(٣٢٨) لجمال الدين القاسمي.

٤- يحيى بن الحسين بن القاسم (١١٠٠هـ) في «طبقات الزيدية الصغرى» (مخطوط).

٥- إبراهيم بن القاسم بن المؤيد (١١٥٣هـ) في «طبقات الزيدية الكبرى» (مخطوط).

٦- الوجيه العطّاب في «تاريخه»[(١)].

٧- الشوكاني (١٢٥٠هـ) في «البدر الطالع» (٢/ ٨١-٩٣). وقال: إن ترجمته تحتمل مجلدًا. وقد ترجم له ترجمة هائلة، ونعته بعبارات ضخمة لم يطلقها ولا مثلها على أحد ممن ترجم له في كتابه أجمع.

وغير هؤلاء......

أما المحدثون فقد قدّم حوله عدد من الدراسات العلمية هي:

- «ابن الوزير اليمني ومنهجه الكلامي» لرزق الحجر، طبع سنة (١٤٠٤هـ). وعليه انتقادات.
- «إيثار الحق على الخلق» لابن الوزير، دراسة وتحقيق، الجزء الأول، لأحمد مصطفى حسين صالح، رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود عام (١٤٠٣هـ) وطبعت سنة (١٤٠٥هـ) بصنعاء، وعليه انتقادات، وأخطاء في النسخ، وفي المطبوع.
- الجزء الثاني من «الإيثار» رسالة ماجستير بالجامعة نفسها، لمحمد بن زيد العسكر، عام (١٤٠٨هـ)، ولمّا تطبع.

---

(١) نقل منه صاحب ترجمة ابن الوزير، وصاحب تاريخ آل الوزير والشوكاني

- وهذا تحقيق الكتاب كاملًا مع شرحه (الأنوار) الذي بين يديك بتحقيق عبدالله محمد عبد الحميد، أبو نوح، وهو كتابنا هذا.
- «ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية» رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، لعلي بن علي الحربي سنة (١٤٠٦هـ) وطبعت سنة (١٤١٧هـ) في مجلدين. وقد استفدت منها.
- «منهج ابن الوزير في الحديث» رسالة دكتوراه، بالمغرب، لأخي العزيز محمد ابن عبد الله باجعمان، ولمّا تناقش بعد.
- كما أفرده أحمد العليمي بباب كامل في رسالته للماجستير «الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار» ص(١٠٩-١٣٨) لم يقدم فيها جديدًا!
- ورسالة ماجستير «قواعد المنهج عند ابن الوزير» للأفندي الغامدي، ط في مصر.
- الإمام ابن الوزير وكتابه العواصم، للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع.

ولمّا لم أرد تكرار الجهد، واجترار المعلومات رأيت أن أسهم هنا بنشر «ترجمة ابن الوزير» لحفيد أخيه محمد بن عبد الله بن الهادي (٨٩٧هـ).

***

وهذه ترجمته من كتاب «هجر العلم ومعاقله في اليمن» (١/٤٥٠-٤٥١).

هو: «محمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الوزير[1]. عالم مبرز في كثير من العلوم، نسّابة شاعر أديب، وكان له خط جميل.

وقرأ على عمّ أبيه الإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير. طُلب منه أن يدعو إلى نفسه بالإمامة فوافق في بداية الأمر، ثم أعرض عنها. ذكره البريهي في تاريخه المطوّل، فقال: «إنه التزم بمذهب الزيدية، وكان وزيرًا للإمام الناصر، ثم عزله، وقال: إنه اطلع على قصيدة للفقيه إبراهيم الإخفافي ينتقد فيها مذهب الزيدية، مطلعها:

مذهبكم يا أيها الزيديه　　　مذهب حق جاء للعدليه

قال: ذلك تهكمًا، فأجاب عليه محمد بن عبد الله الوزير بقوله:

قصيدة فريدة دريّه　　　رائعة في الوزن والرويّه

وهي (٩٢) بيتًا تعرّض فيها للمذهب الشافعي، فردّ عليه علي بن أبي بكر السّحولي بقصيدة سماها «الشهب الثاقبة الدامغة للفرقة القدرية الزائغة» وهي في (٢٦٠) بيتًا مطلعها:

ما بالكم يا معشر الزيدية

ثم قال البريهي: «وله يد باقعة في علم النحو والأدب والشعر».

توفي بحدّة ليلة السبت المسفرة عن (١٥ شعبان ٨٩٧هـ) وذكر إبراهيم بن القاسم في «طبقاته» أنه توفي بصنعاء وقُبر في جربة الروض. وكان مولده بصعدة سنة (٨١٠هـ) انتهى.

---

(١). وانظر: «الضوء»: (٨/ ١٢٠)، و«ملحق البدر الطالع»: ص(٢٠٢).

أما النسخة الخطية فتقع في (٧) ورقات في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، بخط لطف بن سعد السّميني. وهي نسخة جيدة ومقابلة، فرغ من نسخها في ذي القعدة سنة (١٣٣٦هـ) وفي نهايتها فائدة عن ابن الوزير لمّا سافر إلى الحج.

***

مرتبته العلمية وشهادة العلماء له

لقد بلغ الإمام ابن الوزير - رحمه الله- مرتبة الاجتهاد في العلوم الشرعية لا سيما بعد أن أخذ آلات العلوم على أكابر العلماء، وأحاط بغالب المتون، وحفظ الكثير، وتبحر في جميع العلوم الشرعية والعقلية، ويشير هو بنفسه إلى ذلك حين قال له شيخة ابن ظهيرة:

ما أحسن يا مولانا لو انتسبت إلى الإمام الشافعي أو أبي حنيفة! فغضب ابن الوزير وقال: لو احتجت إلى هذا النسب والتقليدات ما اخترت غير الإمام القاسم بن إبراهيم أو حفيده الهادي[١].

فهو يعلم أن التقليد لا يجوز، وبهذا فإنه قد بلغ درجة الاجتهاد.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: في ترجمة الهادي: وله أخ يقال له محمد مقبل على الاشتغال بالحديث، شديد الميل إلى السنة، بخلاف أهل بيته[٢].

قال الإمام الشوكاني تعليقًا: ولو لقيه الحافظ ابن حجر بعد أن تبحر في العلوم لأطال عنان قلمه في الثناء عليه، فإنه يثني على من هو دونه بمراحل، ولعلها لم تبلغ أخباره إليه، وإلا فابن حجر قد عاش بعد صاحب الترجمة زيادة على اثني عشر عامًا. وكذلك السخاوي لو وقف على «العواصم والقواصم» لرأى فيها ما يملأ عينيه وقلبه، ولطال عنان قلمه في ترجمته، ولكن لعله بلغه الاسم دون المسمى[٣].

(١) «البدر الطالع» (٢/ ٩٠).
(٢) «أنباء الغمر» (٧/ ٢٧٢).
(٣) «البدر الطالع» (٢/ ٨٣).

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله:

هو الإمام الكبير، المجتهد المطلق، المعروف بابن الوزير، تبحر في جميع العلوم، وفاق الأقران، واشتهر صيته، ورفع الله ذكره، وطار علمه في الأقطار[١]. والذي يغلب على الظن أن شيوخه لو جمعوا جميعًا في ذات واحدة لم يبلغ علمهم إلى مقدار علمه، وناهيك بهذا. ولو قلت: إن اليمن لم تنجب مثله، لما أبعد عن الصواب.[٢]

وقال العلامة صديق حسن خان:

كان فريد العصر، ونادرة الدهر، خاتمة النقاد، وحامل لواء الإسناد، وبقية أهل الاجتهاد بلا خلاف ولا عناد، رأسًا في المعقول والمنقول، إمامًا في الفروع والأصول.[٣]

وقال العلامة أحمد بن محمد بن الإمام يحيى بن حمزة:

لا يبلغ أحد في زماننا هذا في الاجتهاد ما بلغ إليه السيد عز الدين محمد بن إبراهيم، وقد أحسنا كل شيء إلا ما بلغ إليه فلم نقدر عليه، لتمكنه من معرفة الحديث ورجاله، وتبحره في السمعيات.

وقال أشهر خصومه شيخه علي بن القاسم الذي ألف «العواصم» في الرد عليه: هو أذكى الناس قلبًا، وأزكاهم لبًّا، كأن فؤاده جذوة نار تتوقد ذكاءً[٤].

---

(١) «مقدمة توضيح الأفكار» (١/ ٦٧).

(٢) «البدر الطالع» (٢/ ٩٢).

(٣) «أبجد العلوم» (٣/ ١٩٠).

(٤) ابن الوزير (٣٢).

وقال الشيخ رشيد رضا:

والمزية الكبرى التي امتاز بها... أنه لم يتعصب لمذهب مخصوص، ولم يخف اللائمة في تقرير ما يعتقده إن كان مخالفًا لما عليه الناس؛ لأنه آثر الحق على الخلق(١).

وقال الإمام الصنعاني:

وعليك أيها الطالب للحديث بالنظر في علوم الحديث... والبحث عما ذكروه فيها من المصنفات الحوافل، فإنما وضعوه ليبصروك في علومه... والحمد لله الذي حفظ بهم الشريعة، وكفانا بهم المؤنة، نسأل الله أن يجزيهم عنا أفضل ما جزى أمثالهم من أئمة الإسلام والعلماء والأعلام، ومنهم المصنف (ابن الوزير) رحمه الله تعالى وجزاه خيرًا، فلقد أفاد وأجاد، وأتى فيما جمعه بما هو غاية المراد، اللهم وألحقنا بهم تفضلًا، واشملنا في جوارهم تطولًا، وارزقنا خدمة سنة نبيك أبدًا ما أحييتنا، ووفقنا على العمل بها وتعظيمها إذ توفينا(٢).

وهذا والله حق، فإنك ترى كتبه فتتعجب لشدة حفظه وسرده الأدلة، وفهمه الثاقب لوضعها في مواضعها. وحق إنه رجل عرفه الأكابر، وجهله الأصاغر، وليس ذاك مختصًا بعصره، بل هو كائن فيما بعده من العصور إلى عصرنا هذا.

والحق أن اليمن لم تنجب مثله.

قال شيخنا القاضي العمراني حفظه الله:

بل جاء بعدهم من فتحوا باب الاجتهاد المطلق على مصراعيه، غير هيابين

---

(١) «مجلة المنار» (١٦) ذو القعدة ١٣١٨هـ.

(٢) «توضيح الأفكار» (٢/ ٥٠٦).

ولا خائفين ولا وجلين، ودخلوا منه غير هيابين ولا مبالين بمخالفة أي عالم مهما كان علمه ما داموا قد تمسكوا بالكتاب والسنة، فتركوا المذاهب الفقهية والأصولية والكلامية، أجمع، ورجعوا إلى أصول الدين الإسلامي، وأدلته الشرعية الصحيحية، وأعلنوا اجتهادهم المطلق، أصولًا وفروعًا وكلامًا وتفسيرًا وحديثًا وفقهًا، في عصور عز الاجتهاد في واحد منها.

أولئك: أمثال: السيد محمد بن إبراهيم الوزير مؤلف (العواصم والقواصم) و(إيثار الحق على الخلق) و(الروض الباسم) وغيرها من المؤلفات القيمة، والسيد محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، مؤلف (سبل السلام) و(منحة الغفار) و(التحبير) و(تطهير الاعتقاد) وغير ذلك[1].

***

(١) انظر رسالة الزيدية في اليمن ص(١٣-١٤).

إمام أهل السنة في اليمن

محمد بن إبراهيم الوزير:

هو إمام أهل السنة في زمانه، بل مجدد الإسلام في اليمن في القرن الثامن الهجري، مولده سنة ٧٧٥هـ، وقد نشأ على طريقة قومه الزيدية المعتزلة، ثم رغب عنها وتركها وتحول إلى الطريقة السلفية، فبرع في علوم الكتاب والسنة، واستكمل أدوات الاجتهاد، واضطهد لذلك؛ فصبر وصابر وألف وناظر، ولو لم يكن له إلا كتابه العظيم «العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم» صلى الله عليه وسلم لكفى، كيف وله مؤلفات فائقة كثيرة سواه، مثل «إيثار الحق على الخلق» وهو رأس المدرسة السلفية التي ما زالت - والحمد لله - قائمة إلى اليوم، لا يكاد مؤرخ من مؤرخي اليمن إلا وهو يشيد بفضلاه، وقد ترجمه من يصعب حصرهم، وأثنى عليه من يخالفه من الزيدية وغيرهم[1] اهـ.

***

ترجمة ابن الوزير

- رحمه الله -

تأليف

محمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم الوزير

ت (٨٩٧ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

رب عونك

الحمد لله الذي أمرنا بحمده، وزادنا من فضله ورفده، وصلاته وسلامه على رسوله وعبده، وعلى آله وصحبه من بعده.

أما بعد (فإنّه سألني من لاح لي صدقه، وعظم عليّ حقّه من الإخوان المتّقين، ذوي الفضل والإخلاص واليقين أن أجمع ترجمة مباركة لحيّ الوالد السيّد الإمام عزّ الدين، محيي سنة سيّد المرسلين: محمد بن إبراهيم - رحمه الله تعالى - وأضمّنها كلامًا وسيطًا، لا مختصرًا ولا بسيطًا[١] وعلى أساليب تراجم المحدثين دون أساليب المبتدعين المحدثين؛ فأجبته إلى ذلك بقدر طاقتي وإمكاني، وحسب قدرتي وإحساني[٢] مستعينًا بالله - سبحانه وتعالى - فأقول:

هو شيخنا وإمامنا وبركتنا وقدوتنا: السيّد السّند، الإمام العلامة الرّحلة[٣] **الحجّة، السنّي الصّوفي، فريد العصر، ونادرة الدّهر، وخاتمة النّقاد، وحامل لواء الإسناد، وبقيّة أهل الاجتهاد بلا خلاف ولا عناد.**

كشّاف أصداف الفرائد، قطّاف أزهار الفوائد، فاتح أقفال اللطائف، مانح أثقال الظرائف[٤]، مصيب شواكل المشكلات بنواقد أنظاره، مطبق مفاصل المعضلات بصوارم أفكاره، مضحك كمائم النّكت من نوادره، مفتح نواظر الطّرف من[٥] موارده ومصادره.

---

(١) أي: مبسوطًا واسعًا.

(٢) غير واضحة بالأصل، ولعلها ما أثبته.

(٣) بضم الراء المشددة، وهو من يُرحل إليه، انظر: «أساس البلاغة»: ص(١٥٨) للزمخشري.

(٤) في هامش النسخة: «في المقابل عليها: أنفال الطرائف» اهـ.

(٥) في نسخة: «في» كذا في هامش النسخة.

عزّ الدين، محيي سنّة سيد المرسلين، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عليّ ابن المرتضي بن المفضّل الحسنيّ القاسميّ الهادوي نسبًا على السّماك عاليًا، ومذهبًا إلى الصواب هاديًا.

كان رأسًا في المعقول والمنقول، وإمامًا في علمَي الأصول[1]. وله ردّ على صاحب «النهاية»[2] و«المحصول»[3] في إنكار التحسين والتقبيح العقليّ، لم يسبق إلى مثله، وكذلك الردود على غيره من غلاة المعتزلة في كثير من المسائل التي عادوا فيها السّمع من نصوص كتاب الله تعالى وسنّة رسوله - صلى الله عليه وسلم- وهي مبسوطة في كتابه الجامع الكبير الموسوم بـ «العواصم» فمن أراد الوقوف عليها فليطالعه موفّقًا.

***

(١) أصول الدين وأصول الفقه.

(٢) نهاية العقول في الكلام في دراية الأصول» ، مخطوط.

(٣) «المحصول في علم الأصول» كلاهما لمحمد بن عمر الرازي الأشعري الملقب بـ «فخر الدين» (٦٠٦) طبع محقّقًا في جامعة الإمام.

مولده

مولده - رضي الله عنه ورحمه - في شهر رجب الأصبّ، من شهور سنة خمس وسبعين وسبعمائة بهجرة الظّهراوين[1] من شظب، وهو جبل عالٍ باليمن. هكذا نقلته من خطّه - رضي الله عنه - وحفظته من غيره من الأهل[2].

***

(١) في هامش الأصل ما نصه: «هجرة الظهراوين هي اليوم خاربة في رأس «جبل شظب» المطل على «سودة شظب» من بلاد همدان في الشمال الغربي من صنعاء، على مرحلتين للمجدّ، والطريق إليها من عمران؛ فجبل عيال يزيد» اهـ.

(٢) وعليه؛ فما قاله السخاوي في «الضوء اللامع» (٦/ ٢٧٢) من أنه ولد تقريباً سنة خمس وستين وسبعمائة، ليس بصحيح!

مؤلّفاته وبعض شعره

له - رضي الله عنه - مصنّفات عديدة، ومجموعات مفيدة، منها:

١- كتاب «العواصم في الذبّ عن سنّة أبي القاسم ﷺ»

أربعة أجزاء مجلّدة[١] اشتمل من الفوائد على ما لم يشتمل عليه كتاب، وها أنا أذكر ما تضمّنه كل جزء منها لإرشاد الطّالب لذلك، وتنبيه الرّاغب إليه، أرشدنا الله تعالى لما يحبّ ويرضى[٢].

ثمّ إنه - رحمه الله تعالى - ختم كتابه[٣] بهذه الأبيات:

جمعت كتابتي راجيًا لقبوله ... من الله فالمرجو منه قريب
رجوت بنصر المصطفى وحديثه ... تكفّر لي يوم الحساب ذنوب
ومن يتشفع بالحبيب محمد ... إلى الله في أمرٍ فليس يخيب
فياحافظي علم الحديث لي اشفعوا ... إلى الله فالرب الكريم يجيب
لعلّ كتابي أن يكون مذكّرًا ... لكم بالدّعا للعبد حين يغيب
ولا سيما بعد الممات عسى به ... يبلّ غليل أو يكفّر حوب
ولا تغفلوا في أن بليت فودّكم ... وإن بليت منّي العظام قشيب
ومهما رأيتم في كتابي قصوره ... فسترًا وغفرًا فالقصور معيب
ولكنّ عذري واضح وهو أنّني ... من الخلق أخطي تارة وأصيب

(١) طبع في تسع مجلدات عن مؤسسة الرسالة، إلا أنه بحاجة إلى فهارس علمية، أرجو أن ينشط بهض الباحثين النابهين لعمل ذلك [وطبع الآن في ثلاث مجلدات كبار، وما زال في حاجة إلى فهارس كما قال الشيخ].

(٢) ثمّ ذكر محتوى مجلّداته الأربع من (ق/ ١ب-٤ب)، وقد تقدّم الاعتذار عن عدم إثباتها.

(٣) هذه الأبيات ليست في مطبوعة «العواصم» ولا «الروض» فلعلها في نسخة أخرى.

وقـد ينثنـي الصّمصـام وهـو مجرّد ... وينكسـر المـرّان وهـو صليـب
ولكننـي أرجـوه إن حـلّ داركـم ... حـلا منـه ورد بالأجـاج مشـوب
يكـون أجاجًـا دونكـم فـإذا انتهـى ... إليكـم تلقّـى طيبكـم فطيـب

وقال في الدّعاء إلى السنّة بعد هذه الأبيات المذكورة[1]:

عليك بأصحـاب الحديث الأفاضل ... تجـد عندهم كلّ الهـدى والفواضل

إلى آخرها، وهي معروفة، تركتها اختصارًا.

ومنها:

فـلا تقتـدوا إلا بهـم وتيممـوا ... لهـم منهجًـا كالقـدح ليـس بزائل[2]
ألـم تـر أنّ المصطفـى يوم جـاءه الـ ... ـوليـد بقـول الأحـوذيّ المجـادل

وفي هذا البيت إشارة إلى كلام الوليد بن المغيرة، أو عتبة بن ربيعة[3] لرسول الله ﷺ حين عرض عليه المال والرّياسة، ويترك دعوى النبوة، فلم يجب عليه رسول الله ﷺ إلا بتلاوة سورة السجدة[4] وعلى هذا كان أصحابه رضي الله عنهم.

ومنها:

تنكّـب منهـاج المـرا وتـلالـه ... من السّـجدة الآيـات ذات الفواصل

---

(١) هذه الأبيات وما بعدها ليست في مطبوعة «العواصم»، وهي في خاتمة «الروض»: (٢/ ٥٩٥).

(٢) في نسخة: «بمائل».

(٣) هو عتبة بن ربيعة، كما أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى والحاكم، وصححه، وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي -كلاهما في «الدلائل» - وابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضيّ الله عنهما. وساق القصة في ذلك. وجاء من رواية ابن عمر ومحمد بن كعب القرظي، وفي سياقهما اختلاف. انظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/ ٩٨-٩٩)، و«الدرّ المنثور»: (٥/ ٦٧٢/ ٦٧٤).

(٤) والسورة التي تلاها النبي ﷺ هي سورة فصّلت، من قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ إلى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت:١-١٣].

ولـم يجعـل القـرآن غيـر مصـدّق إذا لـم تقـدمـه دروس الأوائـل
كـذا فعـل الطيّـار يـوم خطابـه لأصحمةَ[١] بين الخصوم المقاول[٢]
تـلا لهـم آي الكتـاب فأيقنـوا بهـا بشـهادات الدّمـوع الهواطـل
إلى جمل الإسـلام صـار أولو النّهى وعـادوا إليهـا بعـد بُعـد المراحـل
أبو حامد[٣] وابن الخطيب[٤] وهكذا الإمـام الجوينـي الـذي لـم يماثـل
كـذا ابـن عقيـل[٥] وهـو أبـرع عاقل غـدا وهـو معقـول كبعـض العقائل

ومنها:

عليكم بقـول المصطفى فهو عصمة مـن الزّيـغ إني لسـت عنـه بعـادل
سـعدت بذبّـي عـن حمـاه وحبّـه كمـا شـقيت بالصّـدّ عنـه عواذلـي

فلما وقف صنوه السيد العلامة الهادي بن إبراهيم - رحمه الله - على هذا الكتاب، وعلى هذه الأبيات، تلقّى ذلك بالقبول، وقال مجيبًا لأخيه، وما أحسن ما يقول:

وقفـت على سـمط من الـدّر فاضل تـرقّ لـه شـوقًا قلـوب الأفاضـل
لمتبـع منهـاج أحمـد جـدّه وحامـي حمـى أقوالـه غيـر نـاكل
بديـع المعـاني في بديـع نظامـه وثيـق المبـاني في فنـون المسـائل
إذا لزمـت يمنـاه نصـل يراعـه سـجدن لـه طوعًـا جبـاه المناضـل
وإن خـاض في بحـر الـكلام تزيّنـت بجوهـره عنـق الرّقـاب العواطـل
تبـارى وقـوم في الجـدال فأصبحـوا وإن لجـوا في علمهـم في جـداول

(١) اسم النجاشي، وهو بمعنى عطيّة في الحبشية» تمت. من هامش النسخة.
(٢) في نسخة «المحاول».
(٣) هو: الغزالي (٥٠٥هـ).
(٤) هو: الفخر الرازي (٦٠٦هـ).
(٥) أبو الوفاء الحنبلي صاحب «الفنون». (٥١٣هـ).

أسـمت عيون الفكـر في روض قوله … فأنشدت بيت الأبطحي[١] المواصل
أعـوذ بـربّ النّـاس مـن كلّ طاعـنٍ … علينـا بشـكّ أو مُلِـحٍّ بباطـل
وثنّيـت لمّـا أن تصفحـت نظمـه … بقـول فصيـح نابـه القـول فاضـل
يـروم أنـاس يلحقـون بشـأوه … وأيـن الثّريّـا مـن يـد المتنـاول[٢]
وثلّثـت بالبيـت الشـهير وإنّـه … لـدرّة عقـد المفـردات الكوامـل
وقـد زادني حبًّـا لنفسـي أنّنـي … بغيـض إلـى كلّ امـرئ غيـر طائـل
عـلام افـتراق النـاس في الديـن إنّـه … لأمـرٌ جلـيٌّ ظاهـرٌ غيـر خامـل
عليـك بمـا كان النبـيّ محمّـد … عليـه، ودع مـا شـئت من قـول قائل
هو المسلك المرضيّ والمذهب الذي … عليـه مضـى خيـر القـرون الأوائـل
فَـدِنْ بالـذي دان النبـيّ وصحبـه … مـن الدّيـن واتـرك غيرهـم في بلابل
هـم الشّـامة الغرّا وهم سـادة الورى … وهـم بهجـة الدّنيـا ونـور القبائـل
وأرفـع مـا تدلـي بـه مـن فضائـل … على الخلـق أدنى ما لهم من فواضل
إذا أنت لم تسـلك مسـالك رشدهم … وتمسـك مـن أقوالهـم بالوصائـل
فقـد فاتـك الحظّ السـنيّ ولـم تكن … إلـى الحـق في نهـج السّـبيل بواصل
رضيـت بدين المصطفـى ووصيّه[٣] … وأصحابـه أهـل النّهـى والفواضـل

---

(١) يعني: أبا طالب. كذا في هامش النسخة.

(٢) في نسخة: «المتطاول».

(٣) يعني عليًّا رضي الله عنه. أقول: ولم يثبت أن النبي ﷺ أوصى لعلي بشيء البته مما يتعلق به الشيعة، فقد ثبت في «صحيح البخاري» (الفتح): (١/ ٢٤٦) عن أبي جحيفة السوائي قال: قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطية رجل مسلم، أو مافي هذه الصحيفة. قال: قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر. وقد سأله أيضًا نحو هذه المسألة قيس بن عباد، بضم المهملة وتخفيف الموحدة، والأشتر النخعي، كما ثبت في «سنن النسائي»: (٨-١٩).

هم قادة القادات بعد نبيّهم ... إلى مشرع الحق الرّوي[1] السلاسل
إلى السنة البيضاء والملة التي ... عليها مثار النّقع من كلّ صائل
ولكنها عزّت بدعوة أحمد ... وقامت ببرهان من الحق فاصل
مؤيّدة في حربها بملائك ... مشيّدة في أمرها بعواسل
عصابة جبريل الأمين جنودها ... يحفّ بها في خيلها في قنابل[2]
أقامت مع الرّايات حتّى كأنّها ... من الجيش إلا أنّها لم تقاتل
ولم يعجز الصّدّيق بعد وفاته ... عن الحرب بل شاد الهدى بجحافل
وتابعه الفاروق فاشتدّ ركنه ... وسار بهم في الحق سيرة عادل
وتمّم ذو النّورين سعيًا مباركًا ... وعم جميع المسلمين بنائل
وقام بأعباء الخلافة بعدهم ... عليّ فأمسى الدّين راسي الكلاكل
عليك بهدي القوم تنج من الرّدى ... وتغلو بهم في الفوز أعلى المنازل

وقال بعد هذه الأبيات ما لفظه: كتب هذه الأسطر الفقير إلى رحمة الله ورضوانه: الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى، أرضاه الله بعفوه حامدًا لله، ومصليًا على نبيه، ومسلّمًا ومرضيًا على آله وأصحابه. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا ربّنا إنّك رءوف رحيم.

فهذا الكلام انسحب عليّ من ذكر «العواصم» وأردت تقييد هاتين القصيدتين في هذا الموضع؛ لأنّهما غرّتان في القصائد ودرّتان في منظومات القلائد.

ولنرجع إلى تعداد ما عرفت من تصانيفه - رحمه الله - فمنها:

---

(١) في نسخة «السري».

(٢) قال في «القاموس»: ص(١٣٥٧): «القَنبل والقَنبلة: الطائفة من الناس ومن الخيل» اهـ.

٢ - «ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان»[١].

كتاب مفيد، انتهى من البلاغة والغرابة إلى شأوٍ بعيد، وما أحسن قوله فيه[٢]:

منطق الأولياء والأديان ... منطق الأنبياء والقرآن
ولأهل اللجاج عند التّمادي ... منطق الأذكياء واليونان
فإذا ما جمعت علم الفريقيـ ... ـن فكن مائلًا مع الفرقان
وإذا ما اكتفيت يومًا بعلمٍ ... كان علم المحدّث الربّاني
إنّ علم الحديث علم رجال ... ورثوا هدي ناسخ الأديان
فحصوا عن حديثه ورأوه ... بعيون القلوب رأي العيان
جمعوا طرق ما تواتر عنه ... ورأوا بعده صحيح المباني
ورووا بعده حسان الأحاديـ ... ـث ووهّوا ما دون شرط الحسان
فانظروا في مصنّف ابن عديّ[٣] ... وكتاب «التكميل»[٤] و«الميزان»[٥]
تعرفوا أنّهم قد ابتغوا الحقّ ... وصحوا من علة الإدهان

(١) طبع، وهذه تسمية المؤلف له في بعض كتبه انظر «الإيثار» ص(٩١) وهذا ما ذكره من ترجم لابن الوزير. وسماه ابن الوزير في «العواصم» (١/ ٢١٤): «ترجيح دلائل القرآن على دلائل اليونان». وللكتاب أربع نسخ، انظر «فهرس الغربية» ص(٧٧٠)، و«فهرس مكتبة الأوقاف» (٢/ ٥٦٩)، و «فهرس المكتبات الخاصة» ص(٧٢، ١٩٣) وقد أثنى عليه غير واحد، قال الشوكاني في «البدر الطالع» (١/ ٩١): «وهو كتاب في غاية الإفادة والإجادة، على أسلوب مخترع لا يقدر على مثله إلا مثله» اهـ. أقول: وله تكملة انظر: ص(٣٦).

(٢) هذه الأبيات ليست في المطبوعة، وهي في خاتمة «الروض الباسم»: (٢/ ٥٩٤) من هذه الطبعة، مع اختلاف بينهما.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال» لأبي أحمد بن عدي الجرجاني.

(٤) التكميل في الجرح والتعديل، ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل» لابن كثير الدمشقي، له نسخة في دار الكتب المصرية، عنها صورة في مكتبة الحرم المكي، إلا أنها ناقصة.

(٥) ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للإمام الذهبي.

ومنها:

٣- كتاب «البرهان القاطع في معرفة الصّانع وجميع ما جاءت به الشّرائع»[١]

صنّفه في سنة إحدى وثمانمائة.

ومنها:

٤- «تنقيح الأنظار في علوم الآثار»[٢]

وهو كتاب جليل القدر، جمع فيه علوم الحديث، وزاد ما يحتاج إليه طالب الحديث من علم أصول الفقه، وأفاد فيه التعريف لمذهب الزيدية، وهو يغني عن كتاب «العلوم»[٣] للحاكم، صنّفه في آخر سنة ثلاث عشرة وثمانمائة.

ومنها:

٥- كتاب «التأديب الملكوتي»

وهو مختصر وفيه عجائب وغرائب.

ومنها:

٦- كتاب «الأمر بالعزلة في آخر الزمان»[٤].

---

(١) طبع.

(٢) لم يطبع مفردًا، وطبع مع شرحه «توضيح الأفكار» للإمام الصنعاني (١١٨٢هـ). وللكتاب نسخ كثيرة في اليمن، حصلت على ثلاث منها -وهي أجودها- وشرعت في تحقيقه، يسّر الله إتمامه.

(٣) يعني: «معرفة علوم الحديث» للحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ)، والصحيح أنه لا يغني عن كتاب الحاكم، ولا أدري لم خصّ كتاب الحاكم بالذكر! هل لأنه متشيّع!

(٤) طبع عام (١٤١٢هـ)، تحقيق إبراهيم باجس.

ومنها:

٧ - كتاب «قبول البشرى في تيسير اليسرى»[(١)].

ومنها:

٨ - كتاب «نصر الأعيان على شر العميان». قال فيه ما لفظه:

«وقد ولع بعض أهل الجهل والغرّة بإنشاد الأبيات المنسوبة إلى ضرير المعرّة، وهي أحقر من أن تسطر، وأهون من أن تذكر، ولم يشعر هذا المسكين أنّ قائلها أراد بها القدح في الإسلام من الرّأس، وهدم الفروع بهدم الأساس، وليس فيها أثارة من علم فيستفاد بيانها، ولا إشارة إلى شبهة فيوضح بطلانها، وإنما سلك قائلها فيها مسلك سفهاء الفاسقين والزنادقة المارقين، وما لا يعجز عن مثله الأراذل من ذم الأفاضل، بتقبيح ما لهم من الحسنات وتسميتها بالأسماء المستقبحات، تارة ببعض الشبهات، وتارة بمجرّد التهويل في العبارات، كما فعل صاحب الأبيات. وصدّر الكتاب المذكور بهذه الأبيات:

ما شأن من لم يدر بالإسلام ... والخوض في متشابه «الأحكام»
لو كنت تدري ما دروا مافاه بالـ ... ـعوراء[(٢)] فوك ولا صمت صمام
لكن جمعت إلى عماك تعاميًا ... وعمومة فجمعت كلّ ظلام
فاخسأ فما لك بالعلوم دراية ... القول فيها ما تقول حذام
ما أذكر العميان للأعيان بل ... ما أذكر الأنعام للأعلام

---

(١) منه نسختان في مكتبة الجامع، أقدمهما كتبت سنة (١١٥٨هـ) ، انظر «الفهرس»: ص(٧٦٤-٧٧٠). [وقد حققه أحد الإخوة الأفاضل «رسالة ماجستير» في السودان، وهو تحت الطبع]. وقد كنت بدأت في تحقيقه قبل سنوات، ولكن لم أنته منه لظروف ألمت بي. والله المستعان. (أبو نوح).

(٢) العوراء: الكلمة القبيحة. ومنه قول كعب بن سعد الغنوي: وعندي نسخة خطية، وهو يطبع في بيروت. إذا ما تراءاه الرّجال تحفّظوا فلم تنطق العوراء وهو قريب انظر: «الأصمعيات»: ص(١٠٠).

وإذا سـخرت بهـم فليس بضائـر   أن هـرّ كلـب في بـدور تمـام
مـن لـم يكـن للأنبيـاء معظّمًـا   لـم يـدر قـدر أئمـة الإسـلام
لـم تـدر تغلـب وائـل أهجوتهـا   أم بلـت تحـت الموج وهـي طوامي

وقد أحببت ذكر هذه الأبيات لما فيها من الذّبّ عن أئمة الإسلام رضي الله عنهم. ولنرجع إلى تعداد مصنفاته، ومنها:

٩ - كتاب «إيثار الحق على الخلق»(١)

صنّفه سنة سبع وثلاثين وثمانمائة، في معرفة الله ومعرفة صفاته على مناهج الرّسل والسّلف. رأى - رحمه الله تعالى - بعد فراغه من تسويده قوله تعالى: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:١٧] وقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

ورأى بعد الفراغ من تبييضه سورة النصر بكمالها، ومن سورة الضحى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١] ومن سورة يس ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٢٦] ورأى أنه أعطي فواتح كثيرة من فواتح السور.

وأما الرسائل والردود على المبتدعة من طائفتي المعتزلة والأشعرية؛ فلا يأتي عليها العدّ(٢)

---

(١) مطبوع قديمًا، ثم حقق رسائل علمية في جامعة الإمام، وطبع القسم الأول منها. وهاهو الآن بفضل الله يطبع كاملًا مع الشرح بتحقيق: أبي نوح عبد الله بن محمد، كان الله معه.

(٢) قال الشوكاني في «البدر» (٢/ ٩١) بعد أن ذكر جملة من كتبه: «وله مؤلفات غير هذه، ومسائل أفردها بالتصنيف، وهو إذا تكلم في مسألة لا يحتاج الناظر إلى النظر في غيره من أيّ علم كانت. وقد وقفت من مسائله التي أفردها بالتصنيف على عدد كثير تكون في مجلد، وما لم أقف عليه أكثر مما وقفت عليه» اهـ.

أقول: وبقية كتبه التي لم يذكرها المؤلف هي كالتالي:

١٠- آيات الأحكام الشرعية حصر آيات الأحكام.

مخطوط بالمكتبة الغربية (مجموع رقم ١١٩/ ق٨٥-٩١)، وأخرى مكتوبة سنة (٩٥٧هـ) في مكتبة الأوقاف «الفهرس»: (١/ ١٠٢). وعندي نسخة منه.

١١- الآيات المبينات لقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾.

مخطوط بمكتبة الأوقاف «الفهرس»: (٢/ ٥١٥) في (٧ق) وعندي نسخة منه.

١٢- «الإجادة في الإرادة».

منظومة أكثر من ألف ومائتي بيت. قال ابن الوزير في «الإيثار» ص(٢٠٤): «قلتها أيام النشاط إلى البحث، استعظامًا لخوف الوقوع في الخطأ أو الخطر في هذه المسألة العظمى» يعني في مسألة القدر والحكمة التعليل، وقد ذكرها المؤلف في «العواصم» (٦/ ١٣٤، ٣٤٢) و«الإيثار» ص(٢٠١-٢٠٤) وساق منها أكثر من خمسين بيتًا.

١٣- بحث حول قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾.

منه نسخة في مكتبة الأوقاف في (٥ق) كتبت سنة (٩٥٧هـ)، انظر «الفهرس»: (٢/ ٥٥١).

١٤- «تحرير الكلام في مسألة الرؤية وتجويده».

وذكر ما دار بين المعتزلة والأشعرية.

مخطوط في الجامع الكبير بصنعاء في (٣ق)، انظر «الفهرس»: ص(٧٧٠).

أقول: لعله منتزع من كتابه «العواصم».

١٥ - «التحفة الصفية شرح الأبيات الصوفية».

الأبيات لأخيه الهادي بن إبراهيم الوزير (٨٢٢هـ)، مطلعها

تقدّم وعدكــم فمتى الوفاء وطال بعادكــم فمتى اللّقاء

للكتاب عدة نسخ خطية في مكتبة الجامع، انظر المجاميع: (٢٨، ٩٦، ١١٩) وعندي منه نسختان، قمت بنسخها، وأن نكمل التحقيق مع الشيخ العيرزي حفظه الله.

١٦ - «تخصيص آية الجمعة».

منه نسخة في المكتبة الغربية، انظر «الفهرس»: ص(٨٠٥)، وأخرى في مكتبة الأوقاف، انظر «الفهرس»: (١/ ١٠٤).

وقد حققها الشيخ محمد بن قايد العبدلي، وفقه الله.

١٧ - «التفسير النّبوي».

ذكره في «الإيثار»: ص(١٥٢) فقال: «وجمعت منه الذي في «جامع الأصول» و«مجمع الزوائد» و«مستدرك الحاكم أبي عبد الله»» اهـ. وضمّ إلى «التفسير النبوي» ما له حكم الرفع من تفاسير الصحابة - رضي الله عنهم - انظر «الإيثار»: ص(١٥٤) وقال صلاح الوزير: لم يوجد هذا الكتاب. انظر مقدمة «العواصم»: (١/ ٧٤).

١٨ - «تكملة ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان».

ذكره في مواضع من «الإيثار»: ص(٥٣، ٩٧، ١٠٠)، وقد حققه الأخ/ جمال هاجر، في جامعة ذمار، إضافة إلى الترجيح.

١٩- جواب محمد بن إبراهيم الوزير على فقهاء أبيات حسين في تقدير الدرهم والأوقية.

مخطوط في الجامع الكبير (٤ مجاميع) كذا ذكره الحبشي في «مصادر الفكر»: ص(٢٢١)، ولم أجده في «الفهرس»!.

٢٠- الحسام المشهور في الذّبّ عن الإمام المنصور.

له نسختان في الجامع الكبير، انظر «الفهرس»: ص(٧٦٤، ٧٧١).

٢١- ديوان ابن الوزير مجمع الحقائق والرّقائق.

مخطوط.

٢٢- رسالة جليلة في ثلاث مسائل: في أن الفطرة من البر، وفي حمى الأراك، وفي نكاح اليتيمة.

أشار الحبشي إلى أنها في المكتبة الغربية (٣٢ مجاميع)، ولم أجدها في «الفهرس»!. حققها الأخ عبد الله بن لمخ الخولاني. وفقه الله.

٢٣- رسالة في زكاة الفطر. طبعت (١٤٣٠هـ) بدار الضياء - مصر.

في المكتبة الغربية (مجاميع ١٨٤) في (٨ق) «الفهرس»: ص(٧٩٥).

٢٤- رسالة في مسائل الاجتهاد.

ذكرها في «العواصم»: (١/ ٢٧٩).

٢٥- رسالة في القول بتجزؤ الاجتهاد.

ذكرها في «العواصم»: (١/ ٢٩٨).

٢٦- رسالة في تفسير: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾. ذكرها في «العواصم»: (٦/ ٣٥٩).

٢٧- رسالة في شرح وتفسير قول النبي ﷺ: «إنّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام...».

مخطوط في المكتبة الغربية، انظر «الفهرس» ص(٧٧١) في (٣ق).

٢٨- رسالة في بيان جواز إقامة الجمعة من غير إمام.

مخطوط في «مكتبة الأوقاف» في (١١ق) «الفهرس»: (٣/ ١١٧٧). طبع قريبًا.

٢٩- الروض الباسم في الذّبّ عن سنة أبي القاسم ﷺ.

وهو كتاب نافع (حققه الشيخ علي العمران - حفظه الله - تحقيقًا جيدًا).

٣٠- شرح أبيات في التصوّف.

مخطوط في «مكتبة الأوقاف» في (١٦ق) بتاريخ (٩٥٧هـ) انظر «الفهرس»: (٣/ ١٣٥٢).

٣١- العزلة = الأمر بالعزلة. [وبحوزتي نستختان]

يسر الله نشره. أبو نوح.

٣٢- القواعد.

مخطوط بالجامع الكبير (مجاميع ٩٦)، (ق٦٢ - ١٠٠)، وأخرى بالتيمورية، وثالثة في مكتبة الحبشي. انظر «مصادر الفكر»: ص(١٧٦). وهو الآن تحت الطبع بتحقيق الأخ الأستاذ/ وليد الربيعي وفقه الله.

٣٣- كتاب المبتدأ.

ذكره المؤلّف في «العواصم».

٣٤- كرّاس في لعن يزيد، وهل الأخبار بخلاف ذلك.

ذكره في «الروض»: ص(٤٠٠).

٣٥- مثير الأحزان في وداع رمضان.

مخطوط بمكتبة الأوقاف في (٤ق) مكتوبة في حياة المؤلف سنة (٨٠٧هـ)، انظر «الفهرس»: (٣/ ١٣٨٥ - ١٣٨٦).

٣٦- مجمع الحقائق والرّقائق في ممادح ربّ الخلائق.

منه عدة نسخ في مكتبة الجامع، (مجموع ١١ ق/ ٨٥ - ٩١)، و(مجموع ١٣٠ق/ ١ - ٦٣)، وعندي نسخة منه. وطبع منه منتقى في المدائح الإلهية عام (١٣٨١هـ). وشرحه الأمير الصنعاني في «فتح الخالق بشرح مجمع الحقائق والرّقائق في ممادح ربّ الخلائق».

اطلعت على خمس نسخ خطية منه، ويعمل الآن على تحقيقه الأخ العزيز أبو عبد الرحمن أحمد أبو فارع، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى بمكة المكرمة يسّر الله له. وهو شرح كبير، فيه فوائد، مشحون بالنقول عن ثلاثة من الأئمة: ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وابن الوزير. وطبع بتحقيق الشيخ محمد صبحي حلاق (١٤٢٩هـ) بالمكتبة الإسلامية (مصر).

٣٧ - مختصر في علم الحديث.

له عدة نسخ في «الجامع الكبير» (مجموع ٢٧١ ق/ ١٦٠-١٦٥)، و(مجموع ١١٩ ق/ ١٣٣-١٣٦)، و(مجموع ٧٣ق/ ٣٠٨-٣١٢). ولعلّه ما نقل عنه الصنعاني في «توضيح الأفكار»: (١/ ١٢٧)، فقال: «وقال المصنف في مختصره....».

وقد قمت بنسخه قبل ثلاث سنوات، لعله يخرج قريبًا، بإذن الله عز وجل.

٣٨ - مسائل شافيات وبالمطالب وافيات فيما يتعلق بآيات كريمة قرآنية تدلّ على الله المعبود، وصدق أنبيائه المبلغين عنه.......

له نسخة في مكتبة الجامع، (مجموع ١١٩ ق/ ٩٢-١١٤)، وأخرى في مكتبة الأوقاف، «الفهرس»: (٢/ ٥٧٧).

٣٩ - مسألة الحكمة في العذاب الأخروي.

ذكره في «الإيثار»: ص(٩٦)، فقال: «وصنّف ابن تيمية في بيان الحكمة في العذاب الأخروي، وتبعه تلميذه ابن قيم الجوزية، وبسط ذلك في كتابه «حادي الأرواح إلى ديار الأفراح» فأفردت ذلك في جزء لطيف، وزدت عليه» اهـ.

٤٠ - مسألة النهي عن الرّهبانية، والحث على الحنيفية السمحة.

ذكره في «العواصم»

هذا ما استطعت حصره من كتب المؤلف - رحمه الله - في هذه العجالة، ولعلّ مناسبة تتيح البسط فيها، وقد وقع لكل من ترجم لابن الوزير من الدارسين المعاصرين أخطاء وأوهام كثيرة في تعداد مؤلفاته، لا يتسع المقام لذكرها، ولا يستطاع على ما تضمّنته الردّ!

ذكر شيوخه ورحلته في طلب العلم ورسوخه

أما علم الأدب:

فصنوه السّيّد جمال الدين الهادي، والقاضي العلامة جمال الدين محمد بن حمزة بن مظفر، وكان المشار إليه في علوم العربية واللغة والتفسير في تلك المدة.

وأما علم الأصول:

فالقاضي العلاّمة، ملك العلماء وقاموس الحكماء، عبد الله بن حسن بن عطيّة ابن محمد بن المؤيد الدّواري، والفقيه العلاّمة العلم جمال الإسلام والمسلمين علي بن عبد الله بن أبي الخير، وكان المشار إليه، والمتصدر للتدريس بصنعاء اليمن في علمي الأصول.

قرأ عليه «شرح الأصول» وهو معتمد الزيدية في البلاد اليمنية، و «الخلاصة» و»الغياصة» و»تذكرة الشيخ المتكلم ابن متّويه» وغيرها في علم اللطيف. وسمع عليه «مختصر المنتهى» للفقيه النحوي المالكي ابن الحاجب، وطالع كتب آبائه الكرام في هذا الفنّ كـ «المجزي» للسيد الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني، و «صفوة الاختيار» للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان الحبشي، وغيرهما.

وكذلك مؤلفات جدّه السّيد العلاّمة يحيى بن منصور بن العفيف بن المفضل، ومصنفات السيد العلاّمة حميدان بن يحيى القاسمي، ومثل كتاب «الجامع الكافي» للسّيد الإمام [أبي] عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن

الحسني، وكتاب «الجملة والألفة» للفقيه الإمام العلاّمة [ ][1] علماء الزيدية وقدماء الشيعة: محمد بن منصور المرادي المتفق على علمه، وفضله[2]. وعرف ما وقع فيه الخلاف بينهم وبين المعتزلة، وجمع في ذلك مختصرات مفيدة، ومقالات فريدة.

وكان زميله ورفيقه في طلب هذين العلمين: القاضي محمد بن داود النهمي نفع الله به، فإنه لزمه وصحبه واقتفى آثاره، واستصوب أنظاره، وأخذ يراجعه في مسائل الكلام وتضعيف ما جاء به المتكلمون، مثل قولهم: إنّه من لم يعرف الله بأدلتهم المبنية على المقدمات المنطقية من عامة المسلمين فهو كافر! ومثل ما نصّ عليه شيخهم أبو هاشم وتبعه عليه أصحابه البهاشمة من غير مناكرة ولا مبالاة من قولهم: ما يعلم الله من نفسه إلا ما يعلمونه. وهو ردّ لقوله تعالى في سورة طه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠] بل يقال لهم: ليس الواحد منكم يعلم من نفسه ما يعلم الله منه. حتى قيلت فيهم الأشعار، وسارت بالتشنيع عليهم الركبان في الأقطار، فمن ذلك قول بعضهم:

يا ضلّة الضالين حيث توهّموا ... ما لا يفوه به التّقي المسلم
قالوا إله العرش ليس بعالم ... من ذاته والوصف ما لم يعلموا
هذي مقالة من هوى في متلف ... وعليه ديجور الغواية مظلم

وربما تأوّل بعضهم قول شيخهم: بأنه لا يعلم سبحانه من نفسه إلا بما يعلمونه، بأنه سبحانه يعلم أنه قادر، وأنّا نعلم أنّه قادر، وكذلك سائر الصّفات الواجبة له سبحانه وتعالى.

---

(١) كلمة لم أتبينها، ولعلها: «زمام».

(٢) كأن في الكلام شيء؛ إذ لا صلة لهذا الكلام بما بعده!!.

ممن ذكر هذا التأويل: القاضي العلاّمة فخر الدين في كتابه الموسوم بـ «شريدة القنّاص في شرح خلاصة الرّصاص» وهو تأويل ضعيف يمجّه السّمع، ولا يسوغ سماعه عند المحققين من أهل النظر والسمع! ولو صحّ مثله لصحت تأويلات المبطلين لبواطلهم، وكم لهم من هذا وأمثاله ما لو ذكرناه لأحوجنا إلى التطويل، وأخرجنا عن المقصود.

فلمّا عرّف القاضي المذكور تضعيف هذه المسائل وأمثالها؛ اعترف بفضله ونبله، واغترف من نمير وبله وطلّه.

وقرأ السّيد المذكور كتاب «مختصر المنتهى»(١) على السيد العلّامة جمال الإسلام وواسطة عقد النظام في السّلاة(٢) الكرام: علي بن محمد بن أبي القاسم الهادي، وكان في تلك المدة هو المشار إليه في فنون العلم جميعها، ولما سمع عليه هذا «المختصر» بهره ما رآه من صفاء ذهنه، وحسن نظره، وألمعيّته وبلاغته، وفطنته، وبراعته، وكان يطنب في الثناء عليه، ويرشد طلبة العلم إليه، حتى ترسّل السيد جمال الدين إلي السيد عزّ الدين الرّسالة المعروفة(٣) التي نسب إليه فيها

(١) لابن الحاجب.

(٢) كذا في الأصل، ولعلّها: «السلالة».

(٣) ترسل عليه جمال الدين المذكور برسالتين:

الأولى: في الرد على قصيدته الطويلة في بيان اعتقاده ومحبته للسنة واتباعها، والتي يقول مطلعها:

ظلت عواذله تروح وتغتدي ... وتعيد تعنيف المحبّ وتبتدي

وقد أجاب عما في رسالة جمال الدين هذه من الخطأ والتعنت السيد جمال الدين الهادي ابن إبراهيم الوزير، أخو المؤلّف بكتاب سمّاه «الجواب الناطق بالحق اليقين الشافي لصدور المتقين». وهو مخطوط، وعندي نسخة منه، مكتوبة سنة (٨١٠هـ) أي في حياة المؤلّف.

والرسالة الثانية هي التي ذكرها المترجم هنا، وقد أجاب عنها ابن الوزير بكتابه العظيم «العواصم والقواصم»، ومختصره «الروض الباسم».

القول بالرؤية، وبقدم القرآن، بمخافة أهل البيت - عليهم السلام- وبناها على مجرّد التوهمات الواهية والتخيلات الباردة، ولم يوجب الكلام عليه في ذلك إلاّ العمل بمقتضى مذهب أهل البيت - عليهم السلام - ولا فعل شيئًا إلاّ وفيه خلاف بينهم - عليهم السلام - ولكنه كان يرى أنّهم إذا اختلفوا، وكان مع أحد الفريقين منهم نصّ نبوي وكان الفريق الآخر محتج بالرأي مصرّحين به أو محتجين بحديث ضعيف عنده؛ رجّح العمل بقول ما عضده النّص النّبوي، ولا أقلّ لرسول الله من أن يكون كلامه مرجحًا فقط، وإنكار هذا من عود الدين غريبًا.

وقال - رحمه الله - في شأن المتكلمين في ذلك[(١)]:

إن كان حبي حديث المصطفى زللا[(٢)] ... مني فما الذّنب إلاّ من مصنّفه
وإن يكن حبّه دينًا لمعترف ... فذاك ديمي وهمّي في تعرّفه
ومذهبي مذهب الحق اليقين فما ... تحوّل الحال إلا من تشوّفه
وذاك مذهب أهل البيت إنهم ... نصّوا بتصويب كلّ في تصرّفه
نصّوا بتصويب كلّ في الفروع فما ... لوم الذي لام إلاّ من تعسّفه
فما قفوت سوى أعلام منهجه ... ولا تلوت سوى آيات مصحفه
أمّا الأصول فقولي فيه قولهم ... لا يبتغي القلب حيفًا عن تحنّفه
ففي المجازات أمضي نحو معلمه ... وفي المحارات أبقى وسط موقفه
وإن سعيت فسعيي حول كعبته ... وإن وقفت ففي وادي معرّفه
وحق حبي له أني به كلف ... يغنيني الطبع فيه عن تكلّفه
هذا الذي كثّر العذال فيه فما ... تعجّب القلب إلاّ من معنّفه
ما الذنب إلا وقوفي بين أظهرهم ... كالماء ما الأجن إلا من توقّفه

(١) ذكر المؤلف بعض هذه القصيدة في «الروض»: (١/ ١٢).

(٢) في نسخة: (خللاً).

والمنـدل الرّطـب في أوطانه حطب ... واسـتقر صرف الليالـي في تصرّفه
يسـتأهل القلب ما يلقـاه ما بقيت[١] ... لـه علاقـة تدليـع بمألفـه

ولم يزل - رحمه الله - متمسّكًا بأهل البيت سرًّا وجهرًا، معتنيًا في إظهار عقيدته في ذلك نظمًا ونثرًا[٢]، ومن شعره - رحمه الله - يعرض بالسيد المذكور في اختلاف أقواله فيه، وهي من ألطف العتاب وأحسن ما يدور بين الأصحاب[٣]:

عرفـت قـدري ثـم أنكرتـه ... فمـا عـدا بـالله ممّـا بـدا
في كلّ يـوم لـك بـي موقـف ... أسـرفت بالقـول بسـوء البـدا
أمـس الثّنـا واليـوم سـوء الأذى ... يا ليت شـعري كيـف تضحي غدا
يـا شـيبة العـترة في وقتـه ... ومنصـب التعليـم والاقتـدا[٤]
قـد خلـع العلـم رداء الهـوى ... عليـك والشّـيب رداء الـرّدى
فصـن ردائيـك وطهّرهمـا ... مـن دنـس الإسـراف والاعتـدا

ثم إنّه بعد ذلك انتصب لنشر هذه العلوم، وتصدّر برهة من الزّمان، وأهرع إليه الطلبة من كلّ مكان، فاستناروا بمعارفه، واقتبسوا من فوائده، فظهر أمره وبعد صيته، فلما رأى أن في هذا طرفًا من الدنيا والرياسة، قرّع نفسه وقمعها، ومنعها مما تشوفت إليه وردعها، ثم أقبل على الله بكليته فلزم العبادة والأذكار، وقيام الليل وصيام النّهار، وتأديب النفس وإذلالها للملك الجبار، فألجمها بلجام الزهد، وجرّها بعنان القوى، وأجراها في ميدان الورع، وساقها بسوط الصبر، وأدخلها إصطبل الخلوة، وربطها إلى جدار التوكل، وعلفها الجوع، وسقاها الدموع،

(١) في نسخة: «من تعب».
(٢) انظر في نقاش هذا ودفعه: «الزيدية»: ص(٥٠-٥١) للقاضي الأكوع.
(٣) الأبيات في «تاريخ بين الوزير»: (٣٨ب-٣٩أ)، في ترجمة ابن الوزير.
(٤) في «تاريخ بني الوزير»: «الاهتدا» وكذا في «البدر الطالع»: (٢/ ٩٣).

وألبسها سرابيل الذّل والخضوع، وتوّجها بتاج التبتّل والخشوع، ولم يبق نوع من أنواع الرياضة ولا طريق من طرق السلوك إلا سلك بها مسلكه، وشرع بها في جناحه، وكلّفها بحمل أعبائه.

ولقد كان يخصف نعله، ويتكسب لأهله، وربما تظاهر بأنواع التصرفات والحرف، كحرف الفدادين والجفاة، ويلبس الصوف الخشن، ويفطر على قرص الشعير بلا إدام، ويقصد بذلك رياضة[1] نفسه وتحقيرها وتصغيرها، وردعها وتعريفها بمنزلتها عنده.

وهذه أبيات له - رضي الله عنه - إلى السيد الإمام المهدي أحمد بن يحيى ابن المرتضي، وقد أنفذ إليه بمسائل[2] في الإمامة وغيرها، وكان يومئذ مقيمًا بـ «ثُلأ»[3] فلم يجب عليه، فكتب في ذلك إليه:

أعالمنا هل للسؤال جواب   وهل يروي العطشان[4] منك عباب

إلى آخرها تركتها اختصارًا.

ومن رقائق شعره في بعده من الناس وانقطاعه، أبيات كان كتب بها إلى السيد الإمام المهدي أحمد بن يحيى[5] بن المرتضى الهادوي المفضّلي - رحمه الله تعالى - عقيب دعوته:

أعاذل دعني أرى مهجتي   أزوف الرحيل ولبس الكفن
وأدفن نفسي قبل الممات   في البيت أو في كهوف القنن

---

(١) في نسخة: «إذلال».

(٢) في «تاريخ بني الوزير»: (ق/ ٣٧ب) «سأله عن خمسة وعشرين سؤالاً».

(٣) بالضم مقصور، من حصون اليمن. انظر «معجم البلدان»: (٢/ ٨٢).

(٤) في «تاريخ بني الوزير»: «الظمآن».

(٥) أحمد بن يحيى المرتضى المهدي، صاحب كتاب «الأزهار» (زيدي معتزلي متعصب).

إلى آخرها تركتها اختصارًا.

وله - رضي الله عنه - في ذكر أهل البيت عليهم السلام:

أولئك آبائي على رغم منكر لكوني على منهاجهم في مذاهبي
وحسبي بهم إن رام نقصي معاند شجًا في حلوق الحاسدين النواصب

ومن أبيات كتبها إلى السيد جمال الدين علي بن المؤيد الهادي:

ولو شئت أبكيت العيون معاتبًا وألهبت نيران القلوب رقائقًا

إلى آخرها تركتها اختصارًا.

***

فصل

في ذكر ما سنح من أشعار منه وإليه

فمن ذلك أبيات كتبها إليه حيّ صنوه السيد الإمام العلاّمة جمال الدين الهادي بن إبراهيم، وقد شفى من مرض شديد:

بشرى بعافية العلوم كلامها ... وحديثها وحلالها وحرامها
وأصولها وفروعها وبيانها ... وبديعها وغريبها ونظامها
لمحمد شفيت وزال سقامها ... وبه شفاء الداء من أسقامها
لما ألمّ بجسمه ألم سرى ... منه إلى الأرواح في أجسامها
وشفاه من آلامه ربّ السّما ... فشفى علوم الدين من آلامها
حمدًا لمن أولاك برد سلامة ... وحباك من تحف الهدى بسلامها
الله أحمد قد شفى لي مهجة ... هامت وحقّ لها عظيم هيامها
لمحمد عز الهدى وهو الذي ... قد حلّ في العلياء فوق سنامها
هذا الذي أحيا العلوم وذا الذي ... أحيا التلاوة فهو بدر ظلامها
الله قلدني بذلك نعمة ... عظمى ينوء الشكر تحت مصامها
لو أنّ عدنانًا حبتني كلّها ... ببيان منطقها وحسن كلامها
ما كنت أبلغ شكرها من نعمة ... لو كانت الأشجار من أقلامها
فالله يوزعنا جميعًا شكرها ... ويزيدنا حمدًا على إتمامها
إني أقول مقالة قد قالها ... عمرٌ ببطحا مكة وإكامها
مع حسن خاتمة أفضّ ختامها ... ورضاه عني بالطيب ختامها

قلت: وقد ترجم له الفقيه الأديب البارع وجيه الدين عبد الرحمن بن أبي بكر العطار[١] في تاريخه الذي سمّاه: [ ][٢] فقال ما لفظه: «الإمام الحافظ أبو عبد الله، شيخ العلوم وإمامها، ومن في يديه زمامها، قلّد فيها وما قلّد، وألفى جيد الزمان عاطلًا فطوّقه بالمحاسن وقلّد. صنّف في سائر فنونها، وألّف كتبًا تقدم فيها وما تخلّف، وله في حديث النبي ﷺ الباع المديد، والشأو البعيد، الذي ما عليه من مزيد، وله شعر تحسده زهر النجوم، وتود لو أنّها في سلكه المنظوم».

ثم أورد له القصيدة التي قالها، وقد سأله بعض الطلبة أن يقرأ عليه في المنطق بكمالها التي أوّلها:

يا طالب العلم والتحقيق في الدين ... والبحث عن كلّ مكنون ومخزون

ثم أورد له أبياتًا بعدها ذكرتها لغرابتها وعدم وجودها:

شجتني الدّيار الدّارسات البلاقع ... بنجدٍ وبكّتها الحمام السّواجع
أعارت عيوني دمعها كل مزنةٍ ... لتروى بها تلك الرّبا والمراتع
أيا دمنة ما بين رامة والنقى ... سقتك دموعي والسّحاب الهوامع
وإن قلّ دمعي زدت أمطرت من دمي ... عليها كما قلبي هنالك ضائع
سبته التي كالشمس وجهًا ودونه ... غواش عليها رصدت وأضالع
فقلت لها: ردّيه طوعًا وأحسني ... إليّ فإني مغرم القلب والع
وإلا استبيناها على رغم معشر ... أطارتهم من خوف قومي الفجائع
لأنّا أناس لا تطلّ دماؤنا ... ومن رامنا خسفًا فلسنا نطاوع

(١) كذا بالأصل! والذي في «تاريخ بني الوزير»: (ق/ ٣٧أ)، و «مطلع البدور» مخطوط، و«البدر الطالع»: (٢/ ٩٢)، و «مصادر الفكرة»: ص(٤٧٢): «العطّاب» بالباء.

(٢) بياض في الأصل، وليس في المصادر تسمية تاريخه.

لنـا الـذروة العليـا لنا المجـد والعلا ... لنا الشـرف الأقصـى فأيـن المراجع
ورثنـا رسـول الله مجـدًا ومفخـرًا ... وعلمًـا وفضـلًا كل ذلـك واقـع
وجزنـا بأسـباب السّـماء نزفّهـا ... إلـى حيـث لـم يبلغـه دانٍ وشاسـع
رضعنـا مـن العليـا لبانًـا وحرّمـت ... علـى كلّ خلـق الله تلـك المراضـع
فمـا سـامنا فيمـا فعلنـاه ماجـد ... ولا رامنـا فيمـا ارتقينـاه طامـع

قال: وله القصيدة المشهورة في ذكر العقيدة التي كان عليها، ومحبته للسنة النبوية، وذكر فيها النبي ﷺ أنشأها سنة ثمانٍ وثمانمائة:

ضلّـت عواذله تـروح وتغتدي ... وتعيد تعنيـف المحبّ وتبتدي

إلى آخرها تركتها اختصارًا.

فأجابه عنها صنوه السيد الإمام جمال الدين الهادي بن إبراهيم، رحمه الله، فقال:

عجلـت عواذلـه ولـم تتأيّـد ... وجنـت عليـه جنايـة المتعمّـد

ومنها:

ومحبّـر وافي إلـيّ نظامـــــه ... كالـدّرّ في عنـق الغـزال الأغيد
أربـى علـيّ بلاغـــه ويراعـه ... وأكلّ مـذوده المنـوّه مـذودي

وهي قصيدتان فريدتان شرحهما السيد الإمام جمال الدين، واستوفى ما يحتاج الشرح والبيان، وهما موجودتان في كتاب مجلد.

قال الوجيه العطّار[1]: له - رضي الله عنه ورحمه - في التورية، وهي نوع من علم البديع:

---

(١) كذا بالأصل، وانظر ما تقدّم.

يروي حديث وداد عمر ومدمع إرساله يغنيك عن إسناده

ذكر رحلته وطلبه لعلم الحديث النبوي - صلوات الله على صاحبه- وإجازة مشايخ أهل هذا الفن الشريف له بألفاظها.

أما حديث أهل البيت - عليهم السلام- فأجازته فيها من السّيد الإمام العلاّمة جمال الدين الناصر بن أحمد بن أمير المؤمنين، تركتها وغيرها من عدّة إجازات عديدة بسيطة لطولها.

والله يعيد من بركته، ويوفق إلى أوسع رحمته ورضاه وتقواه بحق لا إله إلا الله، وبجاه[1] سيدنا محمد ﷺ وجميع رسله، آمين آمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

كان فراغ رقمه نهار الجمعة، لعله (٢١) من شهر شعبان الكريم سنة (١١٣٩هـ) وحسبنا الله وكفى.

***

(١) هذا من التوسل الممنوع!

ذكر وفاته رحمه الله

كانت في اليوم السابع والعشرين من شهر المحرم غرّة سنة أربعين وثمانمائة، وهو العام الذي وقع فيه الطاعون، وهلك فيه الناس أجمعون، فإنّا لله وإنا إليه راجعون! وما أحقه - رحمه الله - بقول الزمخشري في الإمام ابن سمعان[1]:

مات الإمام ابن سمعان فلا نظرت عين البصيرة إذ ضنّت بأدمعها
وأي حوبًا ما صمّت[2] ولا عميت ولا استفادت بمرآها ومسمعها
أين الذي لو شريناه لما أخذت ببعضه هذه الدّنيا بأجمعها
أين الذي الفقه والآداب إن ذكرت فهو ابن إدريسه وهو ابن أصمعها
من للإمامة ضاعت بعد قيّمها من للبلاغة عيّت بعد مصقعها
من للأحاديث يمليها ويسمعها بعد ابن سمعان مليها ومسمعها
سرد الأسانيد كانت فيه لهجته ككفّ داود في تسريد أدرعها
خلّى الأئمة حيرى فقد أعلمها على اتفاق وأسخاها وأورعها

إلى آخر الأبيات.

وفي هذا اليوم الذي مات فيه كان وقوع الداهية الدهياء والحادثة الجلّى، وذلك وفاة الإمام الأعظم، أمير المؤمنين، المنصور بالله رب العالمين علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن منصور بن يحيى بن منصور بن المفضل بن الهادي إلى الحق عليه السلام.

---

(١) هو: الإمام أبو المظفّر منصور بن محمد التميمي السمعاني، الشافعي صاحب «الاصطلام» و«القواطع» (ت٤٨٩هـ).
انظر: «طبقات الشافعية»: (٥/ ٣٣٥- ٣٤٥)، و«السير»: (١٩/ ١١٤/ ١١٩).

(٢) كذا!.

ولو أشرنا إلى الأحداث من بعده، وما اتفق على من بقي من ولده، وأهل ودّه، لكلّت الأقدام وامتلأت المهارق بالكلام، وقلّ أن يأتي في مجلد مفرد، والحمد لله على كل حال، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، والحمد لله الذي بعزه وجلاله وبنعمته تتم الصالحات.

اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته، وأهل بيته، وأنصاره، وأشياعه، ومحبيه وأمته، وعلينا معهم أجمعين آمين، واغفر لي ولمالكه ولجميع المؤمنين يا ربّ العالمين آمين.

حُرّر [في] ذي القعدة سنة (١٣٣٦هـ) ختمت بخير إن شاء الله[1].

***

(١) انظر مقدمة «الروض الباسم» للشيخ علي العمران -حفظه الله- فقد استقيت هذه الترجمة من هناك، وزدت بعض الزيادات. وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.

صحة نسبة الكتاب إلى مصنفه

١ـ الأسانيد المتصلة إلى الإمام ابن الوزير رحمه الله.

سند الكتاب وإسنادي إليه:

١ - أروي كتاب «إيثار الحق على الخلق» أنا العبد الفقير إلى ربه عبد الله ابن محمد بن حسين الخباني بن عبد الحميد الفقيه الغريب، عن شيخي العلامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني الصنعاني، حفظه الله ومتع بعلمه، عن شيخه العلامة علي السدمي، رحمه الله، عن شيخه محمد بن علي العمراني، رحمه الله، عن شيخه الإمام شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، رحمه الله وغفر له، وهو يرويها في كتابه «إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر» إلى المؤلف العلامة محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الشهير بابن الوزير رحمه الله تعالى.

٢ - ويرويه العبد الفقير إلى ربه: عبد الله بن محمد بن حسين عبد الحميد الفقيه الخباني، ثبته الله على الحق، عن شيخه عبد الرحمن بن محمد بن صالح العيزري الصنعاني، حفظه الله، وشيخه العلامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني، حفظه الله، عن شيخه أحمد بن محمد زبارة الصنعاني الحسني، رحمه الله تعالى، عن شيخه جهبذ اليمن المولى الحافظ الحسين بن علي العمري، رحمه الله، عن شيخه السيد الحافظ محمد بن إسماعيل الكبسي، رحمه الله، وعن إسماعيل بن محسن بن عبد الكريم آل إسحاق، رحمه الله، كلاهما عن شيخ الإسلام الحافظ القاضي محمد بن علي الشوكاني الصنعاني، رحمه الله، وهو يرويها في كتابه «إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر» بالسند المتصل إلى المصنف.

وهو، رضي الله عنه، الجامع للعلوم الإسلامية، المتبع للسنة النبوية، وإمامها محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضي بن المفضل بن منصور بن محمد بن العفيف بن المفضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن الإمام الداعي إلى الله يوسف بن يحيى المنصور بن أحمد الناصر بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

٣-وأروي كتاب «إيثار الحق على الخلق» للإمام ابن الوزير وجميع كتبه عن شيخي العلامة المفتي القاضي محمد بن إسماعيل العمراني، حفظه الله ونفع بعلمه، عن شيخه العلامة علي السدمي، رحمه الله، عن شيخه العلامة أحمد المجاهد، رحمه الله، عن شيخه شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، رحمه الله تعالى، وهو يرويه بإسناده في كتابه «إتحاف الأكابر» إلى المصنف العلامة الإمام محمد بن إبراهيم بن علي الوزير الحسني رحمه الله.

٤-وأرويه أيضًا عن شيخي العلامة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني الصنعاني، حفظه الله وبارك فيه، عن شيخه العلامة علي السدمي، رحمه الله، عن شيخه العلامة محمد بن علي بن محمد العمراني، رحمه الله، عن شيخه العلامة الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، رحمه الله، عن شيخه العلامة السيد عبد القادر بن أحمد الكوكباني، رحمه الله، عن شيخه السيد العلامة الإمام البدر المنير محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني الكحلاني الحسني الأمير، رحمه الله ورضي عنه، وهو يرويه بإسناده إلى المصنف العلامة السيد محمد بن إبراهيم ابن علي بن الوزير، رحمه الله، بطريق إسناد «الدفاتر».

٥-وأروي «كتاب الأنوار حاشية الإيثار» عن شيخنا العلامة القاضي محمد ابن إسماعيل العمراني عن شيخه العلامة علي السدمي، رحمه الله، عن شيخه العلامة محمد بن علي بن محمد العمراني، عن شيخه الإمام محمد بن علي الشوكاني، رحمه الله، عن شيخه العلامة السيد عبد القادر بن أحمد الكوكباني، رحمه الله، عن شيخه السيد الإمام العلامة محمد بن إسماعيل بن صلاح الكحلاني الحسني الصنعاني، رحمه الله، وفي جميع كتبه.

٦-وأروي «الأنوار» أيضًا عن شيخي عبد الرحمن بن محمد العيزري، حفظه الله، عن شيخه العلامة عبد القادر بن عبد الله بن علي آل شرف الدين، عن والده عبد الله بن علي بن عبد القادر عن شيخه العلامة محمد بن محمد العمراني، عن شيخه العلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني، عن شيخه العلامة السيد عبد القادر بن أحمد، عن شيخه العلامة مصنف «الأنوار» الإمام البدر المنير محمد ابن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني الحسني رحمه الله وغفر له.

٧ - وأروي كتاب «الإيثار» عن شيخي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني، حفظه الله تعالى، عن شيخه العلامة أحمد زبارة الحسني، رحمه الله، عن شيخه السني العلامة الحسين بن علي العمري، رحمه الله، عن السيد أحمد بن محمد ابن محمد الكبسي، رحمه الله، عن العلامة يحيى بن المطهر ابن إسماعيل الحسني، رحمه الله، عن العلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني، رحمه الله، عن شيخه السيد عبد القادر بن أحمد الكوكباني، رحمه الله، عن شيخه السيد سليمان بن يحيى الأهدل محدث الديار اليمنية في عصره، رحمه الله، عن والده العلامة المحدث يحيى بن عمر الأهدل الحسيني الشافعي، رحمه الله، عن العلامة الحسن بن علي العجيمي المكي اليمني المحدث، رحمه الله، عن

العلامة أحمد بن محمد العجل، من زبيد، رحمه الله، عن العلامة يحيى بن مكرم الطبري، رحمه الله، عن العلامة المحدث عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي، رحمه الله، عن «المصنف» عز الدين المجدد محمد بن إبراهيم ابن علي المرتضى الوزير اليمني رحمه الله.

٨ - ويرويها العلامة القاضي علي بن الحسين المغربي الصنعاني (١٣٣٧هـ) عن السيد العلامة عبد الكريم بن عبد الله أبي طالب الحسني الروضي (١٣٠٩هـ) يرويها بالسند المتصل في كتابه «العقد النضيد في طريق الأسانيد بالمؤلف».

٩ - ويرويها إمام السنة القاضي الحسين بن علي العمري، رحمه الله، عن السيد محمد بن إسماعيل الكبسي الحسني (١٣٠٨هـ) عن القاضي الشهير العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله (١٢٥٠هـ) وهو يرويها بالسند المتصل في كتابه «إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر» إلى المؤلف الإمام ابن الوزير رحمه الله.

فلله در أولئك الأئمة الذين حموا حياض هذا الدين، ودافعوا عن صراط الله المستقيم، وتركوا لنا تراثًا عظيمًا، سطروا فيه بيراعهم منهج الحق القويم، وأبطلوا فيه شبهات حزب الشيطان الرجيم.

وهذان الكتابان «الإيثار» و«الأنوار» من ذلك التراث، ومن هذا العلم القويم الذي تحتاجه الأمة لتنهض وتستقيم. والله الهادي إلى سبيل قويم.

١٠ - العلماء يعرفون أن «إيثار الحق» للإمام ابن الوزير، رحمه الله، وقد ذكره كل من ترجمه له. وغير ذلكم. وذكر الإيثار في كتاب فتح الخالق، ونسب إلى مؤلفه الإمام ابن الوزير، رحمه الله، في أكثر من عشرة مواضع من صفحة (١/ ٨٣) إلى (١/ ٢٢٥)، وفي الجزء الثاني في عدة مواضع.

قال في «فتح الخالق» (١/ ١٦٥):

وكنت كتبت على هذه في هامش الإيثار من مدة سابقة... ولم يعجبني ولا أراه يجوز إطلاق ابن أبي الحديد الأغلوطة على الله تعالى ولا سكوت مؤلف الإيثار عنها، وبالجملة أبياته كلها ما تناسب الناظر بالحق فقلت:

إطلاق أغلوطةٍ عليه كما ... قد قلته لا يسوغ في النظر
فليس في الذكر ما ذكرتَ ولا ... روي في الصحيح من خبر

قال ابن الأمير رحمه الله: قال الرَّازِي في كتابه (أقسام اللذات) وهو آخر كتاب صنفه، فقال بعد كلام كثير قد نقلناه في «الأنوار» حاشيتنا على «الإيثار» أسأل الله الإعانة على تمامها..... فتح الخالق (١/ ٢٥٧)، وذكر كلام الرازي: نهاية إقدام العقول، وزاد عليها أبيات.

١-ذكره في كتابه فتح الخالق شرح الممادح.

٢-ذكره من ترجم له كالإمام الشوكاني وصديق حسن خان وغيرهما.

٣-في الشرح يذكر الأمير أن له كتاب (رفع الأستار في عدم فناء النار..).

٤-ما أشار إلى هذا الشرح إبراهيم بن محمد الأمير أنه قرأه على والده.

٥-كتابة ابن الأمير وأسلوبه في طريقته العلمية كذلك.

٦-العنوان على ظهر الغلاف (الأنوار شرح الإيثار).

***

المآخذ التي على الإمام ابن الوزير رحمه الله

١- ذكره للأبيات التي ذكرت الأغلوطة.

أخذ العلامة الصنعاني - رحمه الله - على الإمام ابن الوزير ورد على ذلك كما هو في «الأنوار» حاشية الإيثار، ومذكور في الديوان أيضًا.

٢- أجمل في مسائل القدر، وتعريف المشيئة.

٣- تفريقه في كتبه بين العترة والأئمة.

وجعلهم متميزين عن بقية الأمة؛ فإنهم داخلون في الأمة، بل هم أشرفها، فلا داعي للتفرقة بينهم وبين الأمة.

٤- نقله من كتاب «نهج البلاغة»، وشرحه لابن أبي الحديد، وهو رافضي

كتاب نهج البلاغة ومؤلفه:

هو أقوال وخطب جمعها الشيف الرضي الشيعي ت (٤٠٦هـ) ونسبها إلى الإمام علي بن أبي طالب.

كذب نسبة الكتاب لعلي رضي الله عنه:

١ - قال ابن خلكان:

وقد اختلف الناس في كتاب (نهج البلاغة) المجموع من كلام الإمام علي - رضي الله عنه- هل هو جمع الشريف الرضي أم جمع أخيه؟

وقد قيل: إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه هو الذي وضعه[١].

٢ - وقال شيخ الإسلام:

فأكثر الخطب التي ينقلها صاحب «نهج البلاغة» كذب على علي، رضي الله عنه، وعلي، رضي الله عنه، أجل وأعلى قدرًا من أن يتكلم بذلك الكلام[٢].

وإن كثيرًا من كلام الناس نقله صاحب «النهج» ونسبه إلى علي بن أبي طالب، وهو منه بريء، من ذلك كلام في «البيان والتبيين» للجاحظ، منقول أنه من كلام علي، رضي الله عنه، ولو كانت هذه الخطب عن علي، رضي الله عنه؛ فلماذا لم ينقلها العلماء في الكتب التي قبل «النهج». فظهر أن الوضع والاختراع من واضع «النهج»[٣].

٣ - وقال علامة اليمن المقبلي رحمه الله:

(فإن كل قلب سليم وعقل غير زائغ عن الصراط المستقيم، يشهد بكذب كثير ما في «نهج البلاغة» الذي صار عند الشيعة عديل كتاب الله بسبب الهوى الذي أصاب كل عرق منهم ومفصل...)[٤].

٤ - وقال الشيخ محمد العربي التباني:

تحت عنوان «نسجة نهج البلاغة» لحيدرة دعوى باطلة بعشرة أوجه[٥]:

... وأن السجع المصطنع الذي يجزم كل من له إلمام باللغة العربية أنه بعيد

(١) «وفيات الأعيان» (٣/ ٣١٣).

(٢) أي: الكلام الضعيف، المخالف للكتاب والسنة، وإنما هو من كلام الرافضة.

(٣) انظر: «منهاج السنة» لابن تيمية (٨/ ٥٥-٥٦).

(٤) العلم الشامخ ص(٤٥٢).

(٥) انظر: تشريح نهج البلاغة للملاح ص(١٠، ١١).

من فصاحة علي بن أبي طالب والصحابة - رضي الله عنهم- ولهذا عبر الصفدي والأدباء العصريون والعلامة محمد محيي الدين أنه من وضع الشريف المرتضى لا من كلام علي رضي الله عنه.

٥ - وقال الإمام الذهبي رحمه الله:

علي بن الحسين العلوي الحسين ت (٤٣٦هـ) الشريف المرتضى المتكلم الرافضي المعتزلي، هو المتهم بوضع «نهج البلاغة» ومن طالعه جزم أنه مكذوب على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

٦ - المؤرخ الأستاذ محمود شاكر رحمه الله:

الجمع بين هذه الأقوال وبين وفاة علي - رضي الله عنه - نحو أربعة قرون، وهذه الأقوال لم يروها الشريف الرضي ولا المرتضى أخوه بإسناد متصل إلى الإمام علي - رضي الله عنه - فكيف نثق بهذا... الخ.

(شرح نهج البلاغة) للشاعر العراقي عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد الشيعي الغالي ت(٦٥٦هـ) صنف شرح نهج البلاغة في عشرين مجلدًا لخزانة الوزير الرافضي ابن العلقمي.[٢]

٧ - وقال أبو الثناء الألولسي:

ابن أبي الحديد في بعض تلونه كتلون الحرباء كان من هذه الفرقة أي الشيعة الغلاة[٣].

---

(١) «الميزان» (٣/ ١٢٤)، والإمام ابن حجر في «اللسان» (٤/ ٢٢٤).

(٢) انظر: روضات الجنات (٥/ ٢٠)، والكنى للقمي الشيعي (١/ ١٨٥).

(٣) نهج السلامة إلى مباحث الإمام ص(٥٤).

٨ - وقال الإمام ابن الكثير رحمه الله:

الكاتب الشاعر الشيعي المطبق الغالي[١].

٩ - وقال العلامة شكري الألوسي:

بأنه من غلاة الشيعة.

١٠ - وقال الأستاذ الجدعاني:

ابن أبي الحديد معتزلي ومن غلاة التشيع[٢].

١١ - وقال محمد بن صقر الدوسري:

من دعاة الاعتزال والرفض[٣].

١٢ - قال فهد السحيمي في مقدمة رسالته التي حقق بها كتاب الشيخ محمد أمين السويدي رحمه الله:

إن الشروح لنهج البلاغة كثيرًا جدًّا، حتى قيل إنها تزيد على الخمسين شرحًا بين مبسوط ومختصر، ولكن أطول هذه الشروح هو شرح ابن أبي الحديد لهذا الكتاب، وقد شرع في تأليف سنة (٦٤٤) وانتهى منه (٦٤٩) وكان السبب في تأليفه رغبة الوزير ابن العلقمي في شرح نهج البلاغة شرحًا وافيًا... وكانت المكافأة مائة ألف دينار. فمدحه ابن أبي الحديد[٤].

***

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ١٩٩).

(٢) الصلة بين التشيع والاعتزال (٢/ ٣٧) لم يطبع.

(٣) منهج المعتزلة في كتابة «التاريخ» ص(٤٠٤).

(٤) الصارم الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد (١/ ٣-١٤). وانظر تشريح نهج البلاغة لمحمود محمد الملاح العراقي (٥٠-٥٩).

[شروح الكتاب]

١ - الأنوار شرح الإيثار، كما سيأتي في هذا النص المحقق.

٢ - تعليقنا عليه (عبارة عن تكملة وتفصيل نسأل الله أن يعيننا على ذلك).

٣ - هناك شروح أخرى لبعض الزيدية المتعصبة، وكنت استشرت شيخنا العمراني - حفظه الله - في أن أضيف بعض التعليقات غير (الأنوار) فقال حفظه الله: تكفي حاشية ابن الأمير تكفي. وكأنه يقول: تكفي من عالم سني مشهور، ولا نحتاج إلى تعليق الزيدية، ثم نحتاج أن نرد عليهم. ويكفي الكتاب في الرد عليهم.

***

التعريف بكتاب «الأنوار» شرح ابن الأمير - رحمه الله - للإيثار

الأنوار شرح الإيثار:

وهو شرح «إيثار الحق على الخلق» للإمام ابن الوزير يقول إبراهيم بن محمد الأمير، رحمهما الله، وهذا الشرح عني به البدر حال قراءة الإيثار عليه في شهر رمضان سنة ١١٧٢هـ وهذا الشرح لم يكمل[١].

١ - وقالت محققة التفسير لابن الأمير رحمها الله: «الأنوار» حاشية على كتاب «إيثار الحق على الخلق» للإمام محمد بن إبراهيم الوزير. لم يكمل، ذكره ابن الأمير في كتابه شرح ديوان ابن الوزير[٢].

٢- وقد كان للعلامة البدر المنير، رحمه الله، اهتمام كبير بكتب إمام أهل اليمن السيد محمد بن الوزير، رحمه الله، فقد شرح ديوانه «ممادح رب الخلائق» في مجلدين[٣].

٣- في كتابه «إقامة الدليل لضعف أدلة التكفير بالتأويل» بتحقيقنا، ذكر نقولات كثيرة من «العواصم» و«إيثار الحق» في الرد على من كفر أهل السنة بالتأويل. فليرجع إليه[٤].

---

(١) انظر الروض النضير (٤٣٢) وهو في ترجمة ابن الأمير رحمه الله.

(٢) مصادر الفكر للحبشي ص(١٣٧).

(٣) نشر العرف (٣/ ٤٦) والصنعاني في كتابه توضيح الأفكار للعليمي ص(٨٩) ومصادر الفكر للحبشي ص(٣٤٩).

(٤) انظر: إقامة الدليل (دراسة وتحقيق أبي نوح عبد الله بن محمد عبد الحميد) ط، دار ابن حزم (١٤٢٩هـ).

٤- في كتاب «الدراية شرح الغاية» للبدر ابن الأمير، بتحقيقنا، نقل من العواصم وإيثار الحق بعض المسائل[١].

٥- في كتاب «فتح الخالق شرح ممادح رب الخلائق» للإمام البدر المنير الصنعاني، ذكر فيه الإيثار والعواصم وغيرها. ونقل بعض الفوائد في شرحه[٢].

وقد شرح ابن الأمير - رحمه الله - عددًا من كتب ابن الوزير: «الأنوار على كتاب الإيثار» حاشية على إيثار الحق، و«شرح تنقيح الأنظار بتوضيح الأفكار» وشرح الديوان المسمى «مجمع الحقائق والرقائق في ممادح رب الخلائق بفتح الخالق» وشرح عبارة لابن الوزير في الروض برسالة مستقلة وهي «إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد» وله حواشٍ على الروض[٣].

***

---

(١) انظر: الدراية شرح الغاية (بتحقيق أبي نوح عبد الله بن محمد عبد الحميد) ط، دار ابن حزم (١٤٣٠هـ).

(٢) فتح الخالق (١-٢) (بتحقيق محمد صبحي بن حسن حلاق وفقه الله) ط، المكتبة الإسلامية مصر.

(٣) وانظر: مقدمة ترجيح أساليب القرآن ص(٤٣).

صحة نسبة كتاب «الأنوار» إلى مؤلفه

قال ابن الأمير:

وجند الرجاء عفو ولطف ورحمةٌ بها حسناتي في المعاد ثقال
لقد فاز عبد نال خاتمة الرضا وطاب نوالٌ بعدها ومآل

انتهت قلتها في مدة أكثر من ثلاثين سنة، وقد نقلت كلام الرَّازِي وتوبته في «الأنوار» وبسطت ما قال، ونقلت في معناه غيره، فهذا الذي أشار إليه قوله: (وعاد إلى تفويضه كل عارف) وقد نقلت عن أئمة من ذلك شيئًا كثيرًا في الأنوار[1].

***

(١) «فتح الخالق» (١/ ٢٥٨)..

منهج الأمير الصنعاني - رحمه الله - في كتابه «الأنوار»

١ - تخريج الأحاديث التي في الإيثار.

٢- شرح بعض الكلمات اللغوية والرجوع إلى القاموس.

٣- شرح بعض العبارات الغامضة للمؤلف.

٤ - تعليقه على بعض الجمل والكلمات التي يخالف فيها المؤلف.

٥ - نقله بعض كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح بعض مسائل الاعتقاد. وكذلك النقل عن ابن القيم في بعض المواضع.

٦ - لم يكمل ابن الأمير - رحمه الله - الشرح لأمور منعت من ذلك في زمانه، نسأل الله أن ييسر إكماله.

٧- وضع الإمام الصنعاني (الأمير) فهرس موضوعات للإيثار، موضح في أول المخطوط.

٨- رد ابن الأمير على أبيات ذكرها المؤلف نقلًا عن الشهرستاني وابن أبي الحديد المعتزلي، وغيرهم.

وهناك تعليقات لبعض من قرأ «الإيثار» مثل:

صارم الدين ابن الوزير.

وهاشم بن يحيى الذارحي.

والسيد صلاح بن أحمد.

والعلامة الناسخ حسين العمري.

وإبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير. رحم الله الجميع.

وحق لنا أن نفخر بما ترك لنا علماء السنة، رحمهم الله، من تراث عظيم، حوى منهج أهل الحق، وتضمن النصوص من الكتاب والسنة، وأقوال علماء وأئمة شرحوا طريق الهدى ونافحوا ودافعوا عن العقيدة الصحيحة لكي تبقى نقية صافية، كما تركها لنا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- منهج شيخ الإسلام وتلميذه وابن الوزير والصنعاني والشوكاني وغيرهم رحمهم الله تعالى.

ويصدق عليهم قول الإمام أحمد - رحمه الله - حيث قال:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيَوه، وكم من ضال تائه قد هدَوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين[١].

***

(١) الرد على الزنادقة ص(٥٢).

ترجمة موجزة للإمام الصنعاني -رحمه الله-

اسمه ونسبه:

السيد محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي بن حفظ الدين... يصل إلى إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - الكحلاني، ثم الصنعاني، المعروف بالأمير.(١)

وقيل: الأمير نسبة إلى جده الأمير الكبير يحيى بن حمزة بن سليمان المتوفى بكحلان سنة ٦٣٦هـ.(٢)

وقيل عنه ابن الأمير؛ لأنه قد ورد ما يؤيده من شعره، حيث قال:

جهود بأولاد البتول وحيدر　　　يقول ومن ذا ابن الأمير محمد

الحسني: نسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم-.

واليمني: نسبة إلى اليمن، إذ هي الموطن، ودار الإقامة.

نسبته إلى كحلان: وهي مدينة جبلية على ثلاث مراحل من صنعاء شمالاً إلى الغرب، بها كان مولده.

الصنعاني: نسبة إلى صنعاء المدينة التي نشأ بها ومات بها - رحمه الله-.

يكنى: بأبي إبراهيم، ابنه الأكبر، وكان يلقب بالبدر لتصدره في العلم وعلو مكانته فيه.(٣)

---

(١) «الصنعاني وجهوده في علم الحديث» لم ينشر.

(٢) «الصنعاني وجهوده في علم الحديث» لم ينشر.

(٣) انظر «إعلام القاصي والداني» ص(١٤-١٥).

مولده:

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله-:

ولد يوم الجمعة، نصف جمادى الآخرة، سنة ١٠٩٩هـ بكحلان.(١)

نشأته:

نشأ - رحمه الله - في بيت علم وورع وزهد.

فقد انتقل والده إلى صنعاء عام ١١٠٧هـ، واصطحب ابنه معه [وعمره ٨ سنوات]، ونشأ بها وتعهده والده بالتربية والتعليم، حتى أتم حفظ كتاب الله، ثم جد هو في طلب العلم الشرعي، ولازم العلماء كثيراً، فنشأ في أثواب العفة والنجابة متأهلاً لاستجماع الخلال الشريفة، حتى تخرج عليهم فاضلاً يشار إليه بالبنان.(٢)

قال ابن الأمير - رحمه الله - عن والده:

روح جسم العلم والزهادة، ونور حدقه التقوى والعبادة... اتخذ الزهد خليله، فلم يدان دنياه، وصاحب الصمت فلم يحرك إلا الخير شفتيه، ولا تراه العيون إلا ساجداً أو راكعاً أو ذاكراً.(٣)

تزوج ابن الأمير - رحمه الله - في شوال ١١٣٧هـ بالشريفة (محصنة) بنت السيد هاشم بن يحيى الشامي، وهي أم ولده إبراهيم.

---

(١) «البدر الطالع» (٢/ ١٣٣).

(٢) «نشر العرف» لزبارة (٣/ ٣٠).

(٣) «ابن الأمير وعصره» ص(١٢٨).

أولاده ثلاثة:

إبراهيم - رحمه الله-، وله بعض المؤلفات، وقد تعلم وبرز في العلم.

عبد الله: حفظ القرآن على والده، وطلب العلم وبرز - رحمه الله-.

القاسم: أيضاً طلب العلم، وكان على خير - رحمه الله-.

وفاة ابن الأمير - رحمه الله-:

وقد توفي - رحمه الله - سنة ١١٨٢هـ في يوم الثلاثاء ثالث شهر شعبان على إثر مرض ألم به، وقد رثاه كبار العلماء في عصره وأقرانه وطلابه ومن بعدهم، وحزن عليه حزناً شديداً - رحمه الله-.

يقول تلميذه: عبد الله بن أحمد بن إسحاق - رحمه الله-:

أحقاً قضى شيخ الشيوخ محمد ... وعطل من بدر الكمال منازله
هو الشمس عم البر والبحر نورها ... وما ضر ذاك النور من هو جاهله
فمن لكتاب الله والسنة التي ... رأى نشرها فرضاً فعمت نوافله
ولم يثنه من نشرها عذل عاذل ... وقد رشقته بالسهام عواذله
تدرع لا مات من الصبر دونها ... وسمر القنا والمرهفات دلائله
رماح وأسياف من الحجج التي ... غدت مفحمات كل خصم يجادله(١)

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في ترجمته:

الإمام الكبير المجتهد المطلق صاحب التصانيف، ولد بكحلان، وانتقل إلى صنعاء، وأخذ عن علمائها، ورحل إلى مكة، وقرأ الحديث على أكابر علمائها، وعلماء المدينة، وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران، وتفرد برسائله العلم في

(١) انظر «الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار» ص(٢٥-٢٦).

صنعاء، وتظاهر بالاجتهاد وعمل بالأدلة ونفر من التقليد وزيّف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية، وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن في أيام المتوكل القاسم بن الحسين، وأيام ولده المنصور الحسين وأيام ولده المهدي العباس، وتجمع العوام لقتله مرة بعد أخرى، وحفظه الله من مكرهم وولاه المنصور الحسين الخطابة في جامع صنعاء، وبالجملة فهو من الأئمة المجددين لمعالم الدين.[(١)]

وقال صاحب «نفحات العنبر»:

الإمام المجتهد المتقن المتفنن، المحدث الحافظ، خاتمة المحققين، سلطان الجهابذة، وأستاذ الأساتذة، صاحب المصنفات المشهورة، مفتي الزمان، سيد العلماء، قدوة العالمين، فخر المفاخرين، المعروف بالبدر الأمير.[(٢)]

وقال العلامة الألباني - رحمه الله - مادحًا علماء اليمن يمدح «العلم الشامخ»:

هو كتاب عظيم فيه بحوث هامة في علم الكلام والعقيدة، واسمه «الكامل»، «العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ»، ومؤلفه عالم فاضل محقق، من زيودية اليمن المتحررين، أمثال المؤلف الصنعاني والشوكاني وغيرهما - رحمهم الله تعالى-.[(٣)]

قال محقق رسالة «الاقتباس» - جزاه الله خيراً-:

ابن الأمير من علماء الأمة المحققين الأئمة... وقد اقتبس جل رسالته هذه من كلام الإمام ابن القيم - رحمه الله-.[(٤)]

---

(١) «البدر الطالع» (٢/ ١٣٦).

(٢) نقلًا من «رسائل التوحيد» ص(٦).

(٣) «تعليقه على رفع الأستار» للصنعاني ص(١٤١).

(٤) «الاقتباس» ص(٦).

ولابن الأمير - رحمه الله - تعليقات على «زاد المعاد» وغيره من كبت شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله-، وتلميذه ابن القيم - رحمه الله-، دليل على أنه استفاد من كتبهم، وهما كما قيل: بوابة علم السلف - رحم الله الجميع-.

وقال القنوجي - رحمه الله-:

الإمام الكبير المحدث الأصولي المتكلم الشهير، قرأ كتب الحديث وبرع فيها، وكان إماماً في الزهد والورع.(١)

وقال الحفظي:

الإمام السيد المجتهد الشهير، المتحدث الكبير، محمد بن إسماعيل الأمير، مسند الديار، ومجدد الدين في الأقطار، صنف أكثر من مائة مؤلف وهو لا ينسب إلى مذهب، بل مذهبه الحديث.(٢)

ورعه وزهده - رحمه الله -:

اتصف ابن الأمير - رحمه الله - بالورع، والزهد، والخوف من الله، وقد عرض عليه القضاء فأبى وامتنع.

حكى بعض أولاده أنه قرأ وهو يصلي بالناس صلاة الصبح: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية:١] فبكى وغشي عليه.(٣)

(١) «أبجد العلوم» (٣/ ١٩١).
(٢) «أبجد العلوم» (٣/ ١٩١).
(٣) «أبجد العلوم» (٣/ ١٩٢).

محاسنه ومساعيه - رحمه الله-:

من المحاسن أعظمها قدراً نشر العقيدة الصحيحة، وهذا واضح من خلال معرفة كتبه، كحقيقة الأولياء الذي كان سبب تأليفه رد على بعض أهل البدع، وتحريم الذبائح للقبور، ومن آخر كتبه كتاب التوحيد «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد».

ومنها: إحياء علم الحديث النبوي ونشره في ربوع اليمن بعد أن كاد ينسى، وقد أشار إلى ذلك بقوله:

كأن الحديث بأرضكم ... مستغربًا والله جداً
حتى نشرت فنونه ... وجلوت منه ما تصدا
فلرسه ولأخذه ... من بُعدنا كل تصدى
وتنافس العلماء في ... كتب الحديث هوى ووجداً

وقد سعى - رحمه الله - في الإصلاح بين أمراء البلاد مع أبنائهم وإخوانهم ثلاث مرات ومرات كثيرة بين الناس الآخرين.

شيوخه:

من شيوخه في اليمن:

* العلامة صلاح بن حسين الكحلاني.
* العلامة زيد بن محمد بن الحسين بن القاسم.
* العلامة علي بن محمد العنسي.
* العلامة عبد الله بن الوزير.
* العلامة عبد الله بن يحيى الشامي، وغيرهم.

وفي الحرمين:

* العلامة عبد الرحمن بن أبي الغيث الخطيب.
* والعلامة الحسن بن عبد الهادي السندي.
* والعلامة محمد بن أحمد الأسدي.
* وسالم بن عبد الله البصري.
* وعبدالقادر بن علي البدري.
* عبد الخالق الوجاجي الزبيدي، وهذا قرأ على ابن الأمير، وغيرهم -رحمهم الله-.

تلاميذه:

تتلمذ على يد الأمير - رحمه الله - الكثير منهم:

* أحمد بن محمد قاطن.
* عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر الناصر شيخ الشوكاني.
* أحمد بن صالح بن أبي الرجال.
* الحسن بن إسحاق المهدي وأخوه محمد.
* الحسين بن عبد القادر بن الناصر.
* وأبناؤه (أي الإمام الصنعاني) - رحم الله الجميع-.

رحلاته:

رحل إلى المدينة وإلى مكة حاجًا أربع مرات، وبقي فيها مدة، واجتمع بأئمة من علماء الحرمين ومصر، وأخذ الإجازات في علوم متنوعة.

قال الشوكاني - رحمه الله-:

وقد كثر أتباع الصنعاني من الخاصة والعامة، وعملوا باجتهاده، وقرأوا عليه كتب الحديث.[1]

مؤلفاته - رحمه الله -:

الإمام الصنعاني من المكثرين في التصنيف، وله كتب ورسائل أكثر من مائة في فنون متنوعة، وله رسائل صغيرة، وهي عبارة عن أسئلة عرضت عليه ما يفوق عدد ما صنف.

وقد جُمعت للإمام الصنعاني - رحمه الله - رسائل كثيرة، وسميت بـ«الفتاوى لابن الأمير»، جمعها وصححها الشيخ محمد صبحي حلاق - حفظه الله وبارك فيه، وجزاه الله خيراً-.

وله من الكتب والرسائل المخطوطة والمطبوعة الكثير، نسأل الله أن يوفق من يقوم بإخراجها كلها، وأن ينفع بها أهل الإسلام، وأن يجزي مؤلفها العلامة الأمير الصنعاني خير الجزاء، وأن يرفعه في عليين، مع النبيين والشهداء والصالحين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

(١) «البدر الطالع» (٢/ ١٣٧).

عقيدة الإمام الصنعاني - رحمه الله-:

عقيدته في توحيد الربوبية، والألوهية، تظهر من كتابه «تطهير الاعتقاد»، ورسالة «الذبائح على القبور»، ورسالة «زيارة القبور» وغيرها.

وفي الأسماء والصفات قد بين في مقدمته لـ«تطهير الاعتقاد» شيئاً من ذلك. وكذا رسالته في تفسير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وكذلك كتابه «إيقاض الفكرة»، ذكر فيه اتباع الحديث، واتباع مذهب السلف، والرد على من خالفه، وإبطال البدع بكلام ابن تيمية وابن القيم. وهي مباحث قيمة في هذا الكتاب، بما أنه من أوائل كتبه التي ألفها.[1]

وهذا دليل على أن هناك أمور دخيلة على كتب الإمام الصنعاني - رحمه الله - في «الروضة» أو في «ديوانه»، أو في شرح بعض الأبيات، وقد ذكر ذلك كل من كتب عن الأمير الصنعاني - رحمه الله-.

موقفه من الأمور الغيبية:

انظر كتابه «جمع الشتيت»، قال - رحمه الله-: فيجب قبول ما أخبر به من أمور الدارين، وتلقيه بالتصديق... الخ.

تقديم النقل على العقل واتباع النصوص:

قال الإمام الصنعاني - رحمه الله-:

والذي أذهب إليه وأدين الله به في هذه الأبحاث ونحوها هو ما درج عليه سلف الأمة ولزموه من اتباع السنة والبعد عن الابتداع والخوض فيها...[2].

---

(١) انظر "إيقاظ الفكرة" ص(٧٠-١٣٥).

(٢) "الأنفاس الرحمانية على الإفاضة المدنية" (٢٧).

وقال: فلقد فاز من صدق الله ورسوله وخاب من جعل خلاف ذلك دثاره، وجعل عقله حاكماً على الرسول، فرد أخباره وآثاره، نسأل الله الهداية والتوفيق.[١]

مخالفته للأشاعرة والمعتزلة، وأنهم مبتدعة:

قال - رحمه الله-: وإنما قدمت هذا لئلا يظن الناظر أني أذهب إلى قول فريق من الفريقين المعتزلة، والأشعرية، فإن الكل قد ابتدعوا في هذا الفن الذي خاضوا فيه.[٢]

الثناء على أهل السنة والجماعة:

ومما يدل على عقيدته السلفية أنه أثنى على أهل السنة؛ لأن أهل البدع وقعوا في أهل السنة حقداً وحسداً عداوةً منهم، وكادوا لهم المصائب بكل أشكالها، وأما الإمام الصنعاني - رحمه الله-، فقد أثنى على السلف، وأثنى على أهل العلم كالأئمة، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن الوزير، وابن حجر، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله جميعاً-.

وحبه للصحابة ـ رضي الله عنهم ـ:

ففي شأن الرجل الأعجمي الذي كان يسب الصحابة - رضي الله عنهم - في بلاد العجم، وقد جاء مرة إلى صنعاء، وقد عرفوه، فقال الإمام الصنعاني - رحمه الله-:

---

(١) "إيقاض الفكرة" ص(٢٩٩).
(٢) "الأنفاس الرحمانية" (٢٧).

فاقرة في الدين قاصمة لظهور المتقين، ومصيبة في الإسلام، ومكيدة في الإسلام، أسست بآراء جماعة من الأفدام، وهي ظهور الرفض، وسب العشرة المشهود لهم بالجنة على لسان الرسول الأمين - صلى الله عليه وسلم-، وعلى آله الطاهرين... الخ.[1]

ومما قال - رحمه الله-:

وكنت قلت أبياتاً إلى إخواننا أهل مكة المشرفة، أصف لهم الواقع، وأستمد دعاءهم وأذكرهم ما نقم منا أهل جهتنا، وهو دعواهم أنا خالفنا أهل البيت في مذهبهم، وأنهم يرموننا بمخالفتهم منذ أربعين سنة، بسبب اشتغالنا بنشر السنة وإعلائها، وأوضحت في الأبيات أن مذهبهم هو الذي اتبعناه، وأرسلنا بعد أن منّ الله علينا بالخروج من القصر، ولنا في نشر السنة النبوية من سنة ١١٣٢هـ، ولله الحمد، وقد نشرها تلاميذنا في الجهات، والحمد لله كثيراً، بكرةً وأصيلاً.[2]

قال الأستاذ أحمد أبو فارع - حفظه الله-:

ولا شك أن العالم يمر بمراحل مختلفة في العلم والنضوج، كما أن البيئة التي ظهر فيها الإمام الصنعاني - رحمه الله - لا تساعد مثل هذا العالم على التبحر التام في مقتبل عمره وحياته؛ لعدم وجود علماء على طريقة السلف الصالح، وندرة كتب السلف في هذه الديار في تلك الفترة.[3]

---

(١) انظر "ديوانه" ص(٤٥١-٤٥٢).
(٢) "ديوان ابن الأمير" ص(٣٣٤)، "ابن الأمير وعصره" ص(١٨٨).
(٣) انظر مقدمة "إيقاظ الفكرة" للجنيدي ص(٨٣)، و"إعلام القاصي والداني" لأحمد أبو فارع ص(٩٢-٩٣).

غربة أهل السنة بين المسلمين:

وغربة الإمام الصنعاني في أهل اليمن، يقول - رحمه الله-:

بـدأ الديـن غريبـاً مثلمـا قالـه خيـر الأنـام الكرمـا
ولقـد عـاد كمـا قـال لنـا وهـو الصـادق حقـاً كَلَمـا

*****

فاغتربنـا بيـن إخـوان لنـا وقرابـات وقـوم عظمـا
فارحـم الله مثـل مـا نحـن إذا غدونـا مثـل مـن في فيـه مـا[1]

وقال - رحمه الله - محذراً للأمة من ضياع الشريعة المحمدية:

سماعـاً عبـاد الله أهـل البصائـر لقـول لـه ينفـي منـام النواظـر
فشـقوا ثيـاب الصـبر عنـد سـماعه وصبـوا من الأجفـان دمع المحاجر

إلى قوله:

أضعتـم وصايا المصطفى وهجرتم طريقتـه في نهيـه والأوامـر
وجئتم بأمـر منه يبكـي ذوي النهى ويضحـك منـه كل رجس وخاسـر
نبذتـم كتـاب الله خلـف ظهوركم ولـم تعلموا منـه بنـص وظاهر[2]

ومما يدل على أن الإمام الصنعاني - رحمه الله - كان منافحاً عن عقيدة السلف، محارباً لما يراه مناقضاً للتوحيد ما قاله في «سبل السلام»:

وأما النذور المعروفة في هذه الأزمنة على القبور والمشاهد والأموات فلا كلام

---

(١) "ديوان ابن الأمير" ص(٣٦٣، ٣٦٣).

(٢) نفس المصدر ص(٢٤٤).

في تحريمها؛ لأن الناذر يعتقد في صاحب القبر أنه ينفع ويضر، ويجلب الخير، ويدفع الشر، ويعافي الأليم، ويشفي السقيم، وهذا هو الذي كان يفعله عباد الأوثان بعينه.(١)

قال الدكتور السيد محمد حفظه الله:

ومن فيض الله على أمة الإسلام أن هذا الدين محفوظ من الله برعايته منذ أن تلقاه الأمين - صلى الله عليه وآله وسلم - بلسان جبريل إلى أن تقوم الساعة، وأن يرث بلسان جبريل إلى أن تقوم الساعة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإنسان:٢٣] وهذا الذي دفع الإمام الصنعاني - رحمه الله - إلى الانتصار لدين الله في مواجهة أهل البدع في تأليف تلك الرسالة لما استشرى خطر هؤلاء على الأمة. وهذا حال رجال الأمة وعلمائها المخلصين الحافظين لحدود الله وأحكامه؛ الانتصار لعقيدتهم، فتشد شوكتهم وحميتهم وغيرتهم على دينهم، فهم بالمرصاد لكل مبتدع وبدعة، مظهرين تلك البدعة قامعين لخطرها(٢).

***

(١) "سبل السلام" (٤/ ٢١٢).

(٢) مقدمته على تعليق تطهير الاعتقاد (ص٤).

مؤلفاته

١) إتحاف الأعلام لما تكرر في نسخه من الأحكام.

خ بقلم المؤلف في ٤ ورقات بمكتبة محمد المنصور رقم ٦-مجاميع.

٢) إتحاف الإنس في الكلام عن العلمين واسم الجنس.

خ في ٤ ورقات بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ١٢ - نحو.

٣) إجابة السائل في شرح بغية الآمل.

يقول عنه ابنه إبراهيم: «وبغية الآمل هو نظم بديع عذب اللفظ حلو المعنى، سهل المأخذ، مشتمل على أصله الذي نظمه، وأما شرحه ففي أنهى مراتب الجودة، لأنه نقح فيه المباحث وأدى حق النظر في كل مادة، واعتمد أرجح الأقوال ونبه على نكت بديعة يعز وجودها في غير هذا المؤلف»[1]

نسخ الكتاب الخطية موجودة بمكتبة الأوقاف مجاميع ٦ من ورقة ٢١٢-٣٢٣ وبالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء أربع نسخ خطية للكتاب رقم ٥، ٦، ٨، ١٤ أصول فقه.

وقد قام بتحقيق الكتاب وإخراجه الأستاذان حسين بن أحمد السياغي وحسن محمد مقبول الأهدل. طبع مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤٠٦هـ الناشر مكتبة الجيل الجديد بصنعاء.

٤) إجازة من السيد محمد بن إسماعيل الأمير إلى السيد قاسم.

خ رقم ٥٠ مجاميع بالمكتبة الغربية بالجامع، وقد ذكرها الحبشي ضمن

---

(١) انظر الروض النضير ص(٤٣٦). خ بمكتبة الجامع الغربية رقم ٩٧ تاريخ.

مؤلفات الصنعاني[1].

٥) الأجوبة المرضية على الأسئلة الصعدية

٥ ورقات ضمن مجموع ٧، ومجموع ٥٣ فقه، ومجموع ٦، ومجموع ١٠١ بالمكتبة الغربية.

٦) الإحراز لما في أساس الزمخشري من كناية ومجاز

ويقع في ٢٠١ ورقة بالمكتبة الغربية رقم ١ لغة. وانتهى المؤلف من تأليفه ضحوة يوم الإثنين ٣ ربيع الأول من عام ١١٣٥هـ وعليه مقابلة على يد المؤلف في مكة يوم الأربعاء في أواخر ربيع الأول من نفس العام.

٧) الإدراك لضعف أدلة تحريم التنباك.

خ بمكتبة الأوقاف بصنعاء مجموع ٢٤٦ فقه من ورقة ١٣٢-١٣٦، وتوجد نسخة أخرى بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة برقم ٢٦٨٢ مجاميع.

يقول عنه ابنه إبراهيم: «والحامل على تأليفه أن الشيخ محمد حياة السندي ألف رسالة جزم فيها بتحريم استعمال الدخان الذي فشى استعماله في هذا الزمان.. والشيخ السندي مسبوق إلى هذه المقالة، إذ القول بالتحريم قول جماعة من العلماء..، وأنه يتلف من الأموال ما لا يعلم قدره إلا خالقه، ولابد أن يسأل العبد أين أنفق ماله؟ وهذا وجه ربما لا يجد العبد جوابًا إذا سئل عنه إلا طلب عفو الله سبحانه...»[2]

---

(١) انظر مجلة الإكليل/ مؤلفات محمد بن إسماعيل الأمير للحبشي ١٤٨، ١٤٧.

(٢) انظر الروض النضير ص(٣٦٩، ٣٧٠).

وقال الأستاذ الحبشي: «والمؤلف البدر وإن رجح الإباحة فهو يكره استعمال الدخان»(١).

قلت: الحق أن استعمال الدخان حرام، ومن قال بالكراهة فينبغي أن تحمل على كراهة التحريم، لأنه من الخبائث، ولا يستوي الخبيث والطيب، وقد ثبت ضرره على الأموال والأبدان.

٨) الأدلة الجلية في تحريم نظر الأجنبية.

خ في ٥ ورقات ضمن مجموع ٥٣ فقه، ومجموع ٧، ٢٢ بالمكتبة الغربية، وبمكتبة الأوقاف مجموع ١٢٢ في ٩ ورقات.

٩) المسائل المرضية في اتفاق أهل السنة على سنن الصلاة والزيدية

خ في ٨ ورقات ضمن مجموع ٢٣ فقه. ونسخ أخرى ضمن مجموع ٥٩، ١٢، ٦٥ بالمكتبة الغربية بالجامع.

١٠) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد.

يقول عنه ابنه إبراهيم: «جواب سؤال في أنهى مراتب الجودة فيما يتعلق بالاجتهاد، وهل الجادة فيه مسلوكة أم قد سد الباب وأرخي الحجاب، فأجاب البدر بما ألهم إليه وعول الدليل عليه أن الاجتهاد مما تفضل به المنان في جميع الأزمان، وأنه في هذه الأعصار أيسر منه فيما تقدم وأن الله سبحانه قد يسر لهذه الأمة من يبين لها أمر دينها، ويحفظ الذكر ويقرب البعيد»(٢).

---

(١) انظر مقال الحبشي عن الصنعاني ومؤلفاته في مجلة الإكليل (١٤٨).

(٢) انظر الروض النضير ص(٣٧٣).

خ في ١١ ورقة ضمن مجموع ٣١ فقه، ومجموع ٢٠ أصول فقه وقد طبع ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (١/ ٤٧) كما قام بتحقيقه والتعليق عليه الأستاذ/ صلاح الدين مقبول أحمد، وقدم له بمقدمة نافعة حول الاجتهاد وحكمه مع التعريف بمؤلف الكتاب، وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٤٠٥هـ عن الدار السلفية بالكويت.

١١) إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة قول محمد بن عبد الوهاب.

خ بمكتبة الأوقاف ضمن رقم ١، وفي المكتبة الغربية مجموع رقم ٦٠ حديث من ورقة ١٩٦-٢١٨ ومجموع رقم ١١ علم كلام. وسيأتي الحديث عن هذا الكتاب في بحث مراسلات الصنعاني للعلماء إن شاء الله تعالى.

١٢) إرشاد القاصد لأدلة صلاة العامد.

خ بالمكتبة الغربية مجموع رقم ٥، ٦٢.

١٣) إزالة التهمة ببيان ما يجوز من مخالطة الظلمة.

خ بالمكتبة الغربية مجموع رقم ٦ ومجموع رقم ٥٣ ويقع في ثلاث ورقات.

١٤) إسبال السرور من صفات الحور والغرف والقصور.

خ بالمكتبة الغربية ضمن مجموع رقم ٥، وأخرى بنفس المكتبة ضمن مجموعة رقم ٦٢ وكتبت في سنة ١١٤٦هـ.

١٥) إسبال المطر على قصب السكر (نظم نخبة الفكر لابن حجر)

خ بالمكتبة الآصفية بالهند في ١٣٠٢هـ رقم (٢٥٢) حديث، ونسخة أخرى

بجامعة الرياض[1] رقم (٢٤٥٨) طبع في الهند بتحقيق محمد أثري.

١٦) الاستظهار على البحر والمنار.

ذكره البغدادي في ذيل كشف الظنون (١/ ٧١).

١٧) استيفاء الأقوال في بيان تحريم إسبال الثياب على الرجال.

يقول عنه ابنه إبراهيم: «وهو أنموذج لم يسبق إليه ولا وقع لغيره، أجاب به عن سؤال في حكم إسبال الرجال وكيفية صلاة المصلي إسبالًا»[2]. توجد منه عدة نسخ؛ نسخة بمكتبتي الخاصة، وثلاث نسخ بالمكتبة الغربية بالجامع رقم ٣١، ٦٥ مجاميع، ٧١ فقه.

١٨) الإشاعة في بيان من نهى فراقه من الجماعة.

بالمكتبة الغربية ضمن مجموع ٤، وأخرى ضمن مجموع ٣١ وتقع في ٧ ورقات.

١٩) الإصابة في الدعوات المجابة.

خ بمكتبة الأوقاف مجموع رقم (٥٥) من ورقة ٥-٧ وبالمكتبة الغربية بخط ابنه عبد الله مجموع ٤ ونسخة أخرى مجموع ٥٠ وثالثة رقم ٩ فلك.

٢٠) إظهار المعنى للأحاديث أن الله يقتص للجماء[3] من القرناء.

خ بالمكتبة الغربية في عام ١١٧٩هـ مجموع رقم ٥٣.

---

(١) وهي الآن تسمى بجامعة الملك سعود.

(٢) الروض النضير (٤٢٤).

(٣) الجماء: الشاة التي لا قرن لها.

٢١) إعلام الأنباه بعدم شرطية عدالة الإمام في الصلاة.

خ بالمكتبة الغربية مجموع رقم ٦، ٣٢، ٣٣، ٦٢ وقد ورد اسم الكتاب في ديوان الأمير بعنوان: «تنبيه الأنباه بعدم شرطية..» انظر الديوان ص(٣٣٥).

٢٢) إفادة الأبرار في شرح حديث الأنوار.

خ في ٤ ورقات بمكتبة محمد المنصور بصنعاء.

٢٣) إقامة البرهان على جواز أخذ الأجرة على تلاوة القرآن.

خ بمكتبة الأوقاف في ٦ ورقات ضمن مجموع ٤ بالمكتبة الغربية.

وقد قام الأستاذ / أحمد عبد الرزاق الرقيحي بتحقيق الكتاب والتعليق عليه، وطبعته وزارة الأوقاف والإرشاد اليمنية.

٢٤) إقامة الدليل على ضعف أدلة التكفير بالتأويل.

خ نحو سنة ١١٧٥هـ بمكتبة الأوقاف ضمن مجموع ١ من ورقة ٥٩-٦٦ وبالمكتبة الغربية ضمن مجموع رقم ٧، ٩.

وعليه دراسة وتحقيق لأبي نوح عبدالله بن محمد عبد الحميد الفقيه، ط بدار ابن حزم - بيروت ١٤٢٩هـ.

٢٥) الاقتباس لمعرفة الحق من أنواع القياس.

خ بمكتبة الأوقاف في ٩ ورقات رقم ١٥١٤خ أصول فقه، وبالمكتبة الغربية ضمن مجموع ٤، ٧. تحقيق الشيخ عبد الله الحاشدي - حفظه الله- وقد أضفناه في آخر كتاب «الدراية» للصنعاني، رحمه الله، تحقيقنا.

٢٦) إقناع الباحث بإقامة الأدلة بصحة الوصية للوارث.

خ بالمكتبة الغربية رقم ٩٧-فقه.

٢٧) الأنفاس الرحمانية اليمنية على الإضافة المدنية

وقد رد فيها على الشيخ الحسن بن محمد صادق السندي في مسألة أفعال العباد.

خ بالمكتبة الغربية ضمن ٣، ١٠ وبمكتبة الشيخ محمد بن عبد الرحمن العبيكان بالرياض رقم ٧١ وتوجد منها صورة بمكتبتي الخاصة.

٢٨) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الألطاف.

خ بالمكتبة الغربية ضمن مجموع ٦، ٥٣ من ورقة ٢٥٢-٢٦٠ وتوجد نسخة بمكتبة الأوقاف لم يذكر المفهرسون رقمها.

٢٩) الأنوار شرح الإيثار.

وهو شرح إيثار الحق لابن الوزير ت ٨٤٠هـ يقول عنه ابنه إبراهيم: «وهذا الشرح عني به البدر حال قراءة الإيثار عليه في شهر رمضان سنة ١١٧٢هـ، وهذا الشرح لم يكمل»[١]. حققه أبو نوح عبد الله بن محمد عبد الحميد الفقيه[٢].

٣٠) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة

وهو الكتاب الذي أقوم بتحقيقه وسيأتي الحديث عنه بالتفصيل - إن شاء الله - في الباب الثاني من هذه الدراسة.

---

(١) انظر الروض النضير (٤٣٢).

(٢) وهو كتابنا هذا الذي بين يديك مع أصله الإيثار لابن الوزير رحمهما الله.

٣١) إيقاظ ذوي الألباب من سَنَة الغفلة عن أحكام الخضاب.

خ بالمكتبة الغربية. وقتان ضمن مجموع ٣١ فقه، ونسخة أخرى ضمن مجموع ٦، وثالثة ضمن مجموع ٧.

٣٢) إيضاح الاستدلال على موجب القتال لأهل الضلال.

خ في ١١ ورقة، بقلم المؤلف بمكتبة عبد الخالق الأمير بصنعاء من أحفاد المؤلف.

٣٣) الإيضاح والبيان في تحقيق بعض عبارات قصص القرآن.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٥٥، ٣٢، ٦٥.

٣٤) بحث في أحكام الكفار والمعاهدين والحربيين هل تقبل شهادتهم؟

خ بالمكتبة الغربية مجموع٣٩.

٣٥) بحث في الاستعاذة من الهرم والتردي والغرق.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٥.

٣٦) بحث في الإشكال في تعارض الآيات بتقديم خلق الأرض وتعظيمها بتقديم خلق السموات.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٥.

٣٧) بحث في إيقاع الطلاق بلفظ التحريم.

خ سنة ١١٧١ هـ مجموع ٩ - الرسالة الخامسة عشرة من المجموعة بمكتبة الجامع.

٣٨) بحث في تحريم الاستمناء.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٤.

٣٩) بحث في تحقيق صلاة المفترض خلف المتنفل،

خ بمكتبة الأوقاف مجموع ٧٨ من الورقة ١٠-١٤ وبالمكتبة الغربية مجموع ٥٠ - الرسالة العاشرة.

٤٠) بحث في تحقيق مدة الحمل وأقوال العلماء.

خ سنة ١١٧١هـ بالمكتبة الغربية مجموع ٩-الرسالة التاسعة من المجموع.

٤١) بحث في التحليل لإسقاط الشفعة.

خ بالمكتبة الغربية-مجموع ٤.

٤٢) بحث في ترتيب نزول القرآن.

خ بالمكتبة الغربية-مجموع ٥٠ - الرسالة التاسعة والأربعون من المجموع.

٤٣) بحث في تزويج الأب لابنته.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٣٩.

٤٤) بحث في تكليف الكفار بالفروع.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٥.

٤٥) بحث شريف في إيتاء الناس يوم القيامة كتبهم باليمين والشمال.

خ بقلم المؤلف بمكتبة محمد المنصور-مجموع٦.

٤٦) بحث في جواز صرف الزكاة في المصالح.

خ بالمكتبة الغربية مجموع٢.

٤٧) بحث في جواز الضرب على التهمة.

خ في سنة ١١٧١هـ بالمكتبة الغربية-الرسالة العاشرة من مجموع رقم ٩.

٤٨) بحث في حديث «لا ضرر ولا ضرار»

الرسالة الرابعة من مجموع ٥٠ بالمكتبة الغربية.

٤٩) بحث في حديث أبي هريرة (الدنيا ملعونة).

خ بالمكتبة الغربية مجموع رقم ١٠١.

٥٠) بحث في حديث (عمار تقتله الفئة الباغية)

خ بالمكتبة الغربية مجموع رقم ٥.

٥١) بحث في حديث (الثقلين).

خ بالمكتبة الغربية - مجموع ٤.

٥٢) بحث في حديث (الصوم لي وأنا أجزي به)

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٦٢.

٥٣) بحث في الحروف التي جعلها الناس لأعداد معينة.

خ بالمكتبة الغربية-مجموع٥.

٥٤) بحث في حكم صلاة الرجل في بيته بعد سماع النداء.

خ بمكتبة السيد محمد المنصور-مجموع٦.

٥٥) بحث في الرعد والسحب.

الرسالة الأربعون من مجموع رقم ٥٠ بمكتبة الجامع.

٥٦) بحث في قصة آدم مع إبليس.

بمكتبة محمد المنصور-مجموع ٦.

٥٧) بحث في قصة داوود المذكورة في سورة (ص)

خ بالمكتبة الغربية مجموع رقم ٤.

٥٨) بحث في قوله تعالى: ((وما منع الناس أن يؤمنوا))

خ بالمكتبة الغربية مجموع رقم٤.

٥٩) بحث في قوله تعالى: ((لو كان فيهما آلهة..))

خ بمكتبة محمد المنصور مجموع٦-بقلم المؤلف.

٦٠) بحث في قوله تعالى: ((كما بدأنا أول خلقٍ نعيده))

خ بمكتبة محمد المنصور مجموع٦ - بقلم المؤلف.

٦١) بحث في قوله تعالى: ((من كان يظن أن لن ينصره الله..))

خ بمكتبة محمد المنصور مجموع ٦ - بقلم المؤلف.

٦٢) بحث في قوله تعالى: ((والمطلقات يتربصن بأنفسهن))

خ بمكتبة محمد المنصور مجموع ٦-بقلم المؤلف.

٦٣) بحث في قوله تعالى: ((قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدًا))

خ بالمكتبة الغربية-مجموع ٥.

٦٤) بحث في قوله تعالى: ((وإذ قال ربك للملائكة))

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٣٢ في سنة ١١٣٧هـ.

٦٥) بحث في قوله تعالى: ((لا يسأل عما يفعل وهم يسألون))

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٣٩.

٦٦) بحث في قوله تعالى: ((ليس كمثله شيء))

خ بمكتبة محمد بن عبد الخالق الأمير بصنعاء. من أحفاد المؤلف، والبحث بخط المؤلف، وتوجد نسخة أخرى بمكتبة الجامع مجموع ٥٥.

٦٧) بحث في قوله تعالى: ((وتلك الجنة التي أورثتموها))

الرسالة الثامنة والأربعون من مجموع ٥٠ - بالمكتبة الغربية مجموع ٣٩.

٦٨) بحث في قوله تعالى: ((وما أهل لغير الله))

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٣٩.

٦٩) بحث في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا لقيتم المداحين فاحثوا على وجوهم التراب)

الرسالة الخمسون من المجموع رقم ٥٠ بالمكتبة الغربية.

٧٠) بحث في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من قرأ حرفًا من كتاب الله..)

الرسالة الثالثة والخمسون من مجموع ٥٠ - بالمكتبة الغربية.

٧١) بحث في قوله صلى الله عليه وسلم: (ما يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلًا)

خ بالمكتبة المغربية-مجموع ٥، ٣٢.

٧٢) بحث في قول القائل (يا رب أسألك رفع القضاء)

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٣٩.

٧٣) بحث في الكسوف

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٥.

٧٤) بحث فيما يفعله كثير من الناس من وضع السجاد والإزار السقطري[1] على الرؤوس وإرخاء أطرافها.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٤ - بقلم ابن المؤلف عبد الله.

٧٥) بحث فيمن جعل أجرة الوقف التي قد شراها تحت يده.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٥٥.

٧٦) بحث فيما ثبت في الحديث (أن رجلًا كان يسمى حمارًا)

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٥.

---

(١) نسبة إلى سقطرى: جزيرة من جزر اليمن. انظر معجم البلدان (٣/ ٢٢٧).

٧٧) بحث فيما إذا أسقط المشتري كل خيار.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ١٠١.

٧٨) بحث في مسألة الوقف على الذرية.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ١٠١.

٧٩) بحث في مسألة أخذ الأجرة على الصلاة والأذان.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ١٠١.

٨٠) بحث في مسألة الزكاة.

خ بقلم المؤلف ٩ صفحات بمكتبة محمد بن عبد الخالق الأمير.

٨١) بحث في مسألة التعدية للجدري ولزوم الضمان وغيره.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٤، وأخرى مجموع ١٦.

٨٢) بحث في مسألة عفو المقتول عن قاتله.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٤.

٨٣) بحث في مسألة الشفاعة

الرسالة السابعة من المجموع رقم ٩ بالمكتبة الغربية وبمكتبة الأوقاف مجموع ١ من ورقة ٨-١٤.

٨٤) بحث فيمن أدرك الإمام راكعًا

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٥٠.

٨٥) بحث هل يجوز النوم قبل الصلاة مع غلبة الظن أنه يفوت الوقت؟ وهل يجوز إيقاظ النائم؟

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٧٧.

٨٦) بحوث حول مسألة العمارة في بيوت الأوقاف.

خ بقلم المؤلف بمكتبة محمد عبد الخالق الأمير.

٨٧) بحوث في التداوي بالمحرم

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٥، وأخرى مجموع ٣٢.

٨٨) بذل الموجود في حكم الأعمار وامرأة المفقود

الرسالة الثالثة عشرة من المجموع رقم ٩ بالمكتبة الغربية، وبمكتبة الأوقاف نسخة أخرى مجموع ١ من ورقة ٦٧-٧٠.

٨٩) بشرى الكئيب بلقاء الحبيب. شرح منظومة للمؤلف في أمور المعاد

خ بالمكتبة الغربية ٣٣ طبع مع شرحها تأنيس الغريب، وسيأتي.

٩٠) بغية الآمل في نظم الكامل

وقد طبع مع شرحه إجابة السائل وقد تقدم، وبغية الآمل قصيدة قسمها المؤلف إلى عشرة أبواب وخاتمة في أصول الفقه، وتقع في عشر ورقات. وتوجد منه عدة

نسخ خطية بالمكتبة الغربية بالجامع رقم ٧، ٨، ١٧ أصول فقه، ٢٧ مجموع.

٩١) تأنيس الغريب وبشرى الكئيب بلقاء الحبيب

منظومة بشرى الكئيب السابق ذكرها. طبع مع كتاب جمع الشتيت الآتي ذكره من ص(١٤٧-١٩٠) من الطبعة الثانية بباكستان.

٩٢) التحبير لإيضاح معاني التيسير.

شرح تيسير الوصول إلى جامع الأصول للعلامة عبد الرحمن بن علي بن الدِّيبَع ٩٤٤هـ، يقول عنه زبارة إنه يقع في مجلدين ولم يكمله[١] توجد منه عدة نسخ مخطوطة منها مخطوطة سنة ١١٨٠هـ وقرئت على المؤلف سنة ١١٨٢هـ بمكتبة الحبشي بالغرفة[٢]. ومنها نسخة في خمسة أجزاء مخطوطة سنة ١٣٦٢هـ بالمكتبة الغربية ١٤ حديث ويوجد الجزء الثاني من الكتاب بالمكتبة السابقة ١٥ حديث، والجزء الثالث بنفس المكتبة ١٦ حديث، والجزء الرابع برقم ١٧ حديث، والجزء الخامس برقم ٢٥ حديث.

٩٣) التحلفة العلوية.

منظومة في مناقب الإمام علي بن أبي طالب. أوردها جامع ديوانه ص(٤٣٦-٤٣٩). (انظر شرحها في الروضة الندية الآتي ذكرها قريبًا).

٩٤) تحقيق طلب موسى - عليه السلام - الرؤية.

خ سنة ١١٧٣هـ بقلم المؤلف بمكتبة محمد المنصور مجموع٦.

---

(١) انظر نشر العرف (٣/ ٤٥).

(٢) الغرفة: منطقة في سيئون حضرموت.

٩٥) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد.

خ بقلم المؤلف ضمن مجموعة بمكتبة محمد عبد الخالق وأخرى بمكتبة الأوقاف مجموع ١ من ورقة ٢١ - ٢٨ وبالمكتبة الغربية عدة نسخ مجموع ٦، ٧، ٧٥. طبع سنة ١٣٤٠هـ بمصر في ٢٤ صفحة وأعاد طبعه الشيخ محمد عبدالمنعم خفاجي بمطبعة صبيح سنة ١٣٧٣هـ مع مقدمة في ١٨ صفحة، كما قام الأستاذ عبد الله بن يوسف بتحقيق الكتاب والتعليق عليه، وصدرت طبعته الأولى سنة ١٤٠٤هـ عن دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، ولقد قام بتخريج الأحاديث والتعليق على الكتاب فيما يحتاج إليه، غير أنه لم يقدم له بمقدمة أصلًا.

وقد جمع نسخه المطبوعة أبو نوح عبد الله بن محمد عبد الحميد(١)، والتعليقات عليه، وزاده شرحًا متوسطًا مبسطًا في مجلدين، ط عام ١٤٢٨هـ، بمصر ط أولى، والآن الطبعة الثانية بإذن الله تعالى.

٩٦) التنوير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير للسيوطي.

يقول عنه ابنه إبراهيم: «وهو شرح غريب المنوال عزيز المنال، جم العوائد الفائقة والعبارات اللائقة..، ومن تأمل شرح العلامة المناوي والإمام الحجازي وهو أوسعها فيما رأيت وشرح المحقق الأبياري - رحمه الله - وجد «التنوير» أنفعها لعدم تعويل مؤلفها على التوسع في نقل أقوال العلماء، واشتغاله بما تدل عليه الأحاديث الشريفة، وهو أصل نافع لمن تأمله»(٢).

---

(١) قابلت تطهير الاعتقاد على نسخ خطية، وشرحته في مجلدين، جعل الله له القبول، ورزقنا الأجر والثواب، آمين. أبو نوح.

(٢) انظر الروض النضير ص(٣٣٢).

توجد نسخة الكتاب الأولى، وهي عبارة عن المسودة بقلم المؤلف بمكتبة الحبشي، والموجود منها الأجزاء الأول والثالث والرابع، وأخرى بنفس المكتبة كتبت عن المسودة في سنة ١١٨٤هـ وبمكتبة الأوقاف نسخة تحمل رقم ٣٩٨ وتقع في ٢٤٥ ورقة حديث، وبالمكتبة الغربية عدة نسخ بأرقم ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣ حديث.

٩٧) توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار لابن الوزير

يقول عنه إبراهيم الأمير: «وشرح البدر على التنقيح مما لم تكتحل به أجفان العلوم ولا اهتدى إليه إنسان المنطوق والمفهوم..، وحقق الرسوم وشروط الأئمة، سيما الشيخين..»[١].

خ بالمكتبة الغربية رقم ١٥١، ١٥٢ حديث، وأخرى بمكتبة جامعة الرياض رقم ١٣٨٦ وقد قام الأستاذ المحقق محمد محيي الدين عبد الحميد بنشره مصدرًا بمقدمة في علم الحديث وطبع في مطبعة السعادة بالقاهرة في مجلدين سنة ١٣٦٦هـ.

٩٨) الثمان المسائل المرضية

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٩١ طبع في جدة في ١٦ صفحة. قال الأستاذ الحبشي: ويظهر أنه نفس الكتاب (المسائل المرضية)[٢] الآتي ذكره.

٩٩) ثمرات النظر في علم الأثر.

وهي تعليقات على شرح نخبة الفكر لابن حجر.

(١) انظر الروض النضير ص(٤٣١).

(٢) انظر مقال الحبشي عن الصنعاني ومؤلفاته. مجلة الإكليل (١٥٧).

خ بمكتبة الحبشي بالغرفة في ٤٨ ورقة، وبالمكتبة الغربية مجموع ٣ وبالمكتبة التيمورية رقم ٣٨١ حديث، وبمكتبة العبيكان رقم ٢١٣ حديث.

١٠٠) جمع الشتيت شرح أبيات التثبيت

وهو شرح أبيات للإمام السيوطي.

خ بمكتبة الأوقاف في ١٤ ربيع الأول سنة ١١٧٦هـ. ضمن مجموع ١ من ورقة ١٥٤-٢٢٣ وبالمكتبة الغربية ضمن مجموع رقم ٩ خ سنة ١١٧١هـ، وأخرى بنفس المكتبة خ سنة ١٣٤٣هـ في ١٠٠ ورقة رقم ٣٥ تصوف، وثالثة ضمن مجموع ٦ بنفس المكتبة، ورابعة ضمن مجموع ٣٣.

١٠١) جواب خمسة أسئلة.

سأل عنها ناصر بن حسين المحبشي. منها سؤال في المناصفة بين الحيوانات، وسؤال في تقديم الغفور على الرحيم، وسؤال في تبليغ يأجوج ومأجوج، وسؤال في حديث جابر (تلاعبها وتلاعبك) وسؤال في قوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآيِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآيِفَةً﴾.

خ بالمكتبة الغربية ضمن مجموع ٣٩.

١٠٢) جواب سؤال عن العام الذي فرض فيه الحج.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٣٤.

١٠٣) جواب سؤال عن قوله ﷺ: (من فارق الجماعة قيد شبر خلع ربقة الإسلام من عنقه).

١٠٤) جواب سؤال القاضي علي بن محمد العواجي

وهو ما جاء في الحديث أن ثقيفًا أسرت رجلًا من أصحاب النبي ﷺ... الخ.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٣، ٦.

١٠٥) جواب سؤال في مسألة الغائب.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٣٩.

١٠٦) جواب سؤال من السيد أحمد بن إسحاق المهدي.

الرسالة الخامسة ضمن مجموع رقم ٩ بمكتبة الجامع الغربية.

١٠٧) جواب على أسئلة العلامة أحمد بن محمد قاطن.

أحد تلامذة المؤلف.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٥٣.

١٠٨) جواب على سؤال المحبشي في مسألة المطلقة التي وضعت بعد تسع سنين.

خ بمكتبة الأوقاف ضمن مجموع ١ من ورقة ٥١-٥٣، وبالمكتبة الغربية ضمن مجموع ٣٩، ١٠١.

١٠٩) جواب على سؤال في بيان حقيقة دار الكفر

بمكتبة الأوقاف ضمن مجموع ١ من ورقة ٦٦-ح٦٧، وبالمكتبة الغربية مجموع ٣.

١١٠) جواب فيما يستحسن من توظيف الخارجين إلى البوادي لتعليم الصلاة.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٣٩.

١١١) جوابات على سؤالات وردت إلى البدر مفيدة جدًّا في أبحاث كثيرة ومسائل من الفروع.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٤.

١١٢) حاشية على شرح الرضي على الكافية.

يقول جامع ديوانه وصل فيها إلى بحث المنادي، ولم يتمه. انظر ديوانه ص(٩٠) في (٦٨ صفحة).

خ بمكتبة محمد عبد الخالق الأمير.

١١٣) حاشية على «البحر الزخار» في الفقه للإمام المهدي ت ٨٤٠هـ،

يقول عنها زبارة: «قولات جامعة من كتاب الطهارة إلى كتاب الزكاة»[١]. وقد ذكر ابن المؤلف عنها ذلك، وأن البدر ألفها أثناء تدريسه في «البحر» ولعله سنة ١١٦٨هـ واستمرت القراءة أعوامًا وقد تعقب فيها على المحقق المقبلي في عدة مواضع[٢].

١١٤) الحراسة في مخالفة المشروع من السياسة.

رسالة تبحث في أحوال السجون في اليمن خ سنة ١١٧٦هـ بالمكتبة الآصفية بالهند برقم ١٣٨.

(١) انظر نشر العرف (٣/ ٤٧).

(٢) انظر الروض النضير ص(٣٦٦).

١١٥) حسن النبا عن مسائل تعم الربا

خ بالمكتبة الغربية مجموع رقم ٥، ٣٢.

١١٦) حل العقال عما في رسالة الزكاة للحلال من الإشكال.

خ سنة ١١٧١هـ بالمكتبة الغربية مجموع ٩ الرسالة الثامنة عشرة من المجموع ونسخة أخرى مجموع ٥٢ بنفس المكتبة.

١١٧) خطاب إلى الإمام المهدي العباس بن الحسين لما بلغ الصنعاني سن الثمانين.

أورد نصه المؤرخ زبارة في ترجمة المهدي عباس(١).

١١٨) الخطبة بعد وفاة الإمام المنصور الحسين بن القاسم في عصره.

خ بالمكتبة الغربية ضمن مجموع ٨.

١١٩) الدراية شرح نظم العناية في نظم الهداية في أصول الفقه.

يقول المؤرخ زبارة عن الكتاب وسبب تأليفه: «... ولما قرأ على شيخه المولى عبد الله بن علي الوزير في هداية العقول شرح غاية السول، كان شيخه ينظم كل يوم في المق نظمًا حلوًا جامعًا لفوائد الأصل مع سهولة وانسجام وسماه العناية، والبدر الأمير يشرحه، ولما وقف شيخه على الشرح سماه «الدراية» وبلغا في نظم المتن وشرحه إلى بحث الإجماع، وعاقت العوائق من الإكمال بانقطاع القراءة لأسباب»(٢).

---

(١) انظر نشر العرف (٢/ ٢١ - ٢٤).

(٢) انظر نشر العرف (٣/ ٣٣).

خ بمكتبة محمد عبد الخالق الأمير في ١٢٠ صفحة بعنوان «الدراية بحقائق العناية» وقد طبع بصنعاء سنة ١٣٥٩هـ. على هامش كتاب هداية العقول. وقد قام بتحقيقه وإخراجه في جزء خاص دون الهداية أبو نوح عبد الله بن محمد عبد الحميد[1]، وقدم له العلامة العمراني والأهدل، ط بدار ابن حزم ١٤٣٠هـ.

١٢٠) دلالة اللفظ على المفهوم. من أي أنواع الدلالات هي؟

خ بمكتبة الأوقاف في ورقتين ضمن مجموع ١، وبالمكتبة الغربية نسخة أخرى ضمن مجموع ٩ كتبت في سنة ١١٧١هـ.

١٢١) ديوان محمد بن إسماعيل الأمير.

جمعه بعد وفاته ابنه عبد الله بن محمد الأمير ورتبه على حروف الهجاء، وصدره بمقدمة قصيرة.

خ سنة ١٣٣٥هـ بالمكتبة الغربية برقم ٤٦ أدب، وثانية برقم ٤٥ أدب كتبت في سنة ١٣٥٣هـ وثالثة بعنوان «در النظم المنير في شعر السيد محمد محمد بن إسماعيل الأمير» برقم ١٥٢ أدب، ورابعة بمكتبة المؤرخ زبارة بصنعاء طبع في القاهرة بإشراف علي صبح المدني مطبعة المدني سنة ١٣٨٤هـ في ٤٦٨ صفحة.

١٢٢) ذيل الأبحاث المسددة للمقبلي.

خ سنة ١٣٦٢هـ بآخر كتاب الأبحاث المسددة بالمكتبة الغربية. رقم ٧٨ علم الكلام، وأخرى بنفس المكتبة بعنوان «حاشية على الأبحاث المسددة» ضمن مجموع رقم ٦ وقد طبع مع الأبحاث المسددة بتصحيح القاضي عبدالرحمن الإرياني الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ بدار الفكر.

---

(١) الحمد لله قد حققناه وأضفنا إليه رسالة القياس (ط في مجلد)، بدار ابن حزم ١٤٣٠هـ.

١٢٣) ذيل حل العقال في بحث جواب السؤال.

خ في سنة ١١٨٣هـ. بالمكتبة الغربية ضمن مجموع ٤٢.

١٢٤) رسالة في المفاضلة بين الصحاح والقاموس.

يقول عنها ابنه إبراهيم: «وهي جواب سؤال عن المفاضلة بين الجوهري في الصحاح وبين مجد الدين في القاموس.. وهو بحث نافع لمن أراد كتب اللغة»[١].

١٢٥) رسالة أسئلة وأجوبة

خ بالمكتبة الآصفية برقم ٩٩ حديث.

١٢٦) رسالة إلى حكام الديوان الإمامي في مسألة وقف بيت الأمير في سنة ١١٧٣هـ أيام المهدي عباس.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٥.

١٢٧) الرسالة الصادقة في الجملة الخيرية الكاذبة.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٧.

١٢٨) رسالة في حقيقة الربا

نسخة في ٤ ورقات ضمن مجموع بمكتبة الحبشي بالغرفة.

١٢٩) رسالة العلامة محمد بن إسماعيل الأمير وبعض علماء حوث وصعدة إلى المنصور الحسين بن القاسم سنة ١١٤٦هـ

خ في سنة ١٣٥٨هـ في أربع صفحات بمكتبة زبارة.

---

(١) انظر الروض النضير ص(٣٦٤).

١٣٠) رسالة في تحريم قبض بعض السياسات «في تحريم المكس» [١]

خ في ٣ ورقات ضمن مجموعة بمكتبة الحبشي بالغربة.

١٣١) رسالة في الشريعة المحمدية.

خ في سنة ١٣٤٢هـ بالمكتبة الغربية ٤٢ علم كلام.

١٣٢) رسالة في زيارة القبور.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٨٨.

١٣٣) رسالة في تحقيق علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

ولم أعلم مكان وجودها.

١٣٤) رسالة في حكم أطفال المشركين.

خ بقلم المؤلف في مجموعة بمكتبة خاصة.

١٣٥) الرسالة في الرسالة.

يقول عنها ابنه إبراهيم: «هذا نافع للغاية والنهاية في بابه، وهو جواب سؤال وقع حال قراءة تلميذ البدر الشيخ أحمد بن الحسين عليه، ومعنى السؤال هو: هل التحدي بالقرآن يستمر على دوران اللسان؟ وهل هو معجز بالنسبة إلى إفهام من تأخر من الأمة..؟ فأجاب بأن التحدي واقع والتكليف باق والفهم عن الله ورسوله ﷺ مستمر..»[٢]. ولم أعلم مكان وجوده.

---

(١) المكس: دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية. انظر لسان العرب (٦/ ٢٢٠).

(٢) انظر الروض النضير ص(٤٠٥، ٤٠٦).

١٣٦) رسالة فيما حكاه الحق سبحانه وتعالى من المقول في كتابه العزيز.

يقول ابنه إبراهيم: «وهي رسالة مخترعة المنهج لم يسبق إلى معناها فإنه يحكي الحق سبحانه عن الأنبياء والرسال والصالحين، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ وقد تقع الحكاية عن الكفار...»[(١)] والرسالة تبحث - كما ذكر ابن المؤلف - عما حكاه الله في القرآن من أقوال غيره. هل اللفظ والمعنى من القائل أم المعنى فقط؟ ولم أتمكن من معرفة مكان هذه الرسالة.

١٣٧) رسالة فيما يتعلق بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم

يقول ابنه «وهي جواب سؤال ورده من مولانا ضياء الإسلام إسماعيل الأمير، والجواب في أنهى مراتب الإجادة ولم يحضر لي شيء من السؤال والجواب عند الرقم... وكنت أحب أن أثبت معنى السؤال فهو بديع»[(٢)].

١٣٨) رسالة في شأن يوسف العجمي.

ورد نصها في الديوان ص(٤٥١-٤٥٦).

١٣٩) رسالة إلى ابنه إبراهيم بن محمد الأمير.

ورد نصها في الديوان.

١٤٠) رسالة فيما يتعلق بالأعداد والحروف

خ بالمكتبة الغربية مجموع؟.

---

(١) انظر الروض النضير ص(٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨).

(٢) انظر: المرجع السابق (٣٥٨).

١٤١) رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٣ وأخرى بقلم المؤلف بمكتبة خاصة، وقد قام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بتحقيق الكتاب والتعليق عليه، مع مقدمة واسعة عن هذه المسألة العظيمة، وقد صدرت الطبعة الأولى في سنة ١٤٠٥هـ عن المكتب الإسلامي.

١٤٢) الروض النضير من خطب السيد محمد بن إسماعيل الأمير

خ بالمكتبة الغربية رقم ٣٩ نصوص، وأخرى رقم ١٣٨ نصوص، وثالثة برقم ٤٠ تصوف، وتقع في ٩١ ورقة.

١٤٣) الروضة الندية شرح التحفة العلوية.

خ في سنة ١١٧١هـ بمكتبة الأوقاف برقم ٢٢٠٥ تاريخ ويقع في ١٨٠ ورقة، وبالمكتبة الغربية عدة نسخ تحت رقم ٥٩، ٦٠، ٦١ علم الكلام، وقد طبع في دلهي بالهند سنة ١٣٢٢هـ في ١٧٦ صفحة، ثم أعيد طبعه في صنعاء سنة ١٣٧١هـ بمطبعة وزارة المعارف، في ٣٥٢ صفحة مع مقدمة للأستاذ عبد الكريم الأمير.

١٤٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام لابن حجر.

خ سنة ١١٦٦هـ قرئت على المصنف سنة ١١٦٧هـ بمكتبة خاصة، وأخرى بمكتبة الأوقاف رقم ٤٣٦هـ طبع عدة طبعات لعل أقدمها طبعة الهند سنة ١٣٠٢هـ، وهو مذكور ضمن مراجع هذه الرسالة.

١٤٥) سمط الفرائد في نظم القواعد.

خ بقلم المؤلف ضمن مجموعة بمكتبة محمد عبد الخالق الأمير بصنعاء.

١٤٦) سمط اللآلئ الدرية الحاوي للفوائد البدرية.

خ سنة ١١٤١هـ بمكتبة العبيكان بالرياض رقم ٢١٠.

١٤٧) السهم الصائب للقول الكاذب

خ في ٢ محرم سنة ١١٥٤هـ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٩٣٢ (٥٣) وتقع في ١٢ ورقة كتبت في سنة ١١٥٥هـ، وقد رد في هذا الكتاب على جماعة من الشيعة لما قالوا إن تدريسه في تفسير القرآن بالجامع من المنكر[١].

١٤٨) سؤال صالح المقبلي في آية المشيئة وجواب محمد بن إسماعيل الأمير، وأصل البحث بين المقبلي ومحمد البرزنجي والكردي، وكلام الأمير كالحكم بينهما.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٤، وفي مكتبة الأوقاف مجموع ٢٤٦ من ورقة ١٢٦-١٢٩ كتبت في جمادى الأولى سنة ١١٦٠هـ بعنوان «رسالة حول المشيئة».

١٤٩) سؤال عن زكاة الخضروات

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٦، وأخرى برقم ٣٣ بعنوان «زكاة الخضروات».

١٥٠) سؤال عن حكم الجوار التي تجلب في هذا الزمان.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٦ ولم أعلم شيئًا عن محتواها.

١٥١) سؤال عن قوله صلى الله عليه وسلم: «تركتكم على المحجة البيضاء»

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٦، وأخرى مجموع ٣٣.

---

(١) انظر: الروض النضير ص(٤٠٧) ونشر العرف (٣/ ٤٧).

١٥٢) سؤال في الاستعاذة من الفرق.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٣٢، وأخرى ٦٢ حديث.

١٥٣) سؤال عن أرض مشتراه فيها أشجار كثيرة.

خ بقلم المؤلف بالمكتبة الغربية مجموع ٤.

١٥٤) سؤال في اختلاف الروايات في أحاديث بألفاظ متعددة مع أن بعضها قد يكون منافيًا.

خ بقلم المؤلف بمكتبة محمد المنصور بصنعاء-مجموع ٦.

١٥٥) سؤال في مسألة الغيل[1] الذي استخرجه علي بن مصطفى في الروضة وجوابه

خ بقلم المؤلف بالمكتبة الغربية مجموع ٦.

١٥٦) سؤال في مسألة حدود البلدان وجوابه.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٦٢.

١٥٧) سؤال فيما أثبته أهل البيت في الضم والرفع ونحو ذلك

بمكتبة الأوقاف مجموعة ٥٣.

١٥٨) سؤال في حكام الطاغوت.

خ بقلم المؤلف في ٧ صفحات بمكتبة محمد بن عبد الخالق الأمير.

---

(١) الغيل: ما جرى من المياه في الأنهار والسواقي. انظر لسان العرب (١١/ ٥١١).

١٥٩) سؤال في ملك الكفار على المسلمين

خ بمكتبة الأوقاف مجموع ٥٣.

١٦٠) سؤال وجوابه في الطلاق البدعي

خ بمكتبة الأستاذ حسين السياغي بصنعاء ضمن مجموعة.

١٦١) سؤال القاضي حسن بن أحمد الشبيبي

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٣٩.

١٦٢) سؤال في حديث (لا يشغلن قارئكم مصليكم)

خ بمكتبة الأوقاف مجموع ٦.

١٦٣) سؤال من عبد الله محيي الدين العراسي وجوابه للأمير.

خ بالمكتبة العربية، مجموع ٣، ٤، ٣٣.

١٦٤) سؤال من عبد الله العراسي للأمير نظمًا (كيف اقتصاص الله للجماء)

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٤٢، ولعله هو إظهار المعنى للأحاديث أن الله يقتص للجماء من القرناء.

١٦٥) سؤال هل تطلق الفضة (...) كلمة غير واضحة.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ١١.

١٦٦) سؤال وجوابه فيمن قال: (امرأته عليه حرام)

خ بمكتبة الأوقاف، مجموع ١ من ورقة ٨٢-٨٤.

١٦٧) سؤال وجواب حول أحاديث الستور المعلقة على الجدران.

خ بمكتبة الأوقاف مجموع ٢٤٦ من ورقة ١٦٠-١٦٧.

١٦٨) سؤال وجوابه في رجل سود على نفسه عند في ذمتي لفلان بضمان فلان.. الخ

خ بالمكتبة الغربية-مجموع ٣٩.

١٦٩) سؤال وجواب في تفسير قوله ((يوم يأتي بعض آيات ربك)).

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٤.

١٧٠) سؤال وجواب في حديث (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٥.

١٧١) سؤال في مخالفة الاستعاذة للتسمية.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٥ وأخرى بنفس المكتبة برقم ٣٢ بعنوان «بحث في مخالفة...».

١٧٢) سؤال وجواب في حديث: «كان يحب البطيخ» وفي حديث الكسوف، وفي حديث فضل قريش.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٣٢.

١٧٣) سؤال وجواب عن رجل مات وخلف ولدين أمهما أمة.

خ بالمكتبة الغربية مجموع٥.

١٧٤) سؤال يتعلق بعلم الحديث لأحمد بن إسحاق والجواب للأمير.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٢٠، وفي مكتبة الأوقاف رسالة بعنوان: «سؤال وجوابه حول شرط الخبر الصحيح والعدالة في الرواية» مجموع ١ من ورقة ٣٧-٤٠، ولعلهما رسالة واحد.

١٧٥) السيف الباتر في يمين الصابر والشاكر.

يقول عنه ابنه إبراهيم «وهو مؤلف من أجل الكتب وأنفعها وأشملها وأكملها وأغربها وضعًا، اختصره من عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم الجوزية، وهو كتاب جليل، مدحه المؤلف في ديباجة كتابه السيف الباتر.. وهذا المؤلف جمعه البدر بأم القرى زادها الله شرفًا أيام إقامته بها كما ذكره في أول كتابه»[1].

١٧٦) الشذى الندي بتحقيق أقوال محمد بن عبد الوهاب النجدي

هكذا ذكر اسمه الحبشي في مؤلفات الصنعاني وذكر أن المؤرخ زبارة ينقل منه وقد سبق أن للصنعاني كتاب إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة قول محمد بن عبد الوهاب.

١٧٧) شفاء الصدور بتقديم الغفور على الشكور

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٥ وأخرى بنفس المكتبة مجموع ٤، وثالثة مجموع ٣٢.

١٧٨) العدة على شرح العمدة (لابن دقيق العيد) في أحاديث الأحكام

خ بالمكتبة الغربية رقم ١٠٠ حديث. كتبت سنة ١١٧٦هـ في ٢٣٨ ورقة

(١) انظر: الروض النضير ص(٣٦٢).

وأخرى بالمكتبة الآصفية بالهند. كتبت سنة ١٣٠٩هـ برقم ١٣ حديث وثالثة بمكتبة الحبشي مراجعة بقلم المؤلف. كتبت سنة ١١٧٣هـ ورابعة بمكتبة الأوقاف في ١٤٦ ورقة رقم ٣٢٢ طبع بتحقيق علي بن محمد الهندي مع مقدمة لمحب الدين الخطيب بمصر سنة ١٣٧٩هـ.

١٧٩) العرق الندي في تحقيق مذهب الإمام المهدي

يقول ابنه إبراهيم: «وهو بحث جليل يعرف منه مخالفة أكثر من يدعي الانتساب إلى الإمام والإمامة، وأنه اسم خال عن التحلي بالمعنى ولا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

١٨٠) غاية التنقيح في أبحاث تتعلق بالتحسين والتقبيح.

خ بالمكتبة الغربية رقم ٦٦-حديث.

١٨١) غاية البيان لخصائص رمضان.

خ بالمكتبة الغربية رقم ٦٢-حديث.

١٨٢) فائدة في قول موسى عليه السلام ((واحلل عقدة من لساني))

خ بقلم المؤلف مجموع ٦ في ورقتين بمكتبة محمد المنصور.

١٨٣) فائدة في سؤال نبي الله زكريا أن يهب له ورثة.

خ بقلم المؤلف في ورقتين-مجموع٦ بالمكتبة السابقة.

---

(١) انظر الروض النضير ص(٣٥٨).

١٨٤) فتح الخالق في شرح مجمع الحقائق.

وهو شرح ديوان العلامة محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ) يقول الصنعاني في مقدمته: «وبعد فإنه لما كان ديوان الحافظ الكبير محمد بن إبراهيم الوزير قدس الله سره ونور ضريحه اشتمل على مدح الرب الخلاق وضمنه علومًا واسعة، سألني بعض تلاميذي الأخيار أن أكتب على الديوان شرحًا يوضح خوافيه، ويبين ما أودعه من العلوم في مطاويه...» فرغ من تأليفه سنة ١١٨٠هـ خ سنة ١٢٠٤هـ في مجلدين بمكتبة العلامة أحمد بن أحمد الجرافي بصنعاء، وأخرى كتبت سنة ١٣٤٨هـ بمكتبة محمد المنصور.

وقد طبع بتحقيق الشيخ محمد صبحي حلاق (١٤٢٩ هـ) بمصر.

١٨٥) فصل نافع في معرفة ثقات الرواة الذين تكلم فيهم بعض الأئمة بما يوجب رد أخبارهم، وفيهم بعض اللين.

خ في ١٢ ورقة بمكتبة محمد المنصور.

١٨٦) قصب السكر نظم نخبة الفكر (في مصطلح الحديث)

شرحها المؤلف في كتابه إسبال المطر، وقد تقدم ذكره، وشرحها من علماء العصر الحديث الشيخ عبد الكريم بن مراد الأثري، وسمي «سح المطر على قصب السكر» وخرجت طبعة الكتاب الأولى في عام ١٤٠٥هـ، الناشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة. خ الأصل بقلم المؤلف بمكتبة الحبشي.

١٨٧) قصيدة في ذكر الحج وبركاته.

طبعت مع مجموعة من مناسك الحج من صفحة ٦٥-٩٠ بمطبعة الحلبي بالقاهرة.

١٨٨) قصيدة العلامة محمد بن إسماعيل الأمير إلى أهل «برط»

خ بمكتبة الأوقاف مجموع ٩٠ من ورقة ١١١-١١٤.

١٨٩) القول المتين في بشرى من بلغ سن الثمانين.

منظومة كتبها لما بلغ سن الثمانين سنة ١١٨٠هـ أورد نصهما جامع ديوانه صفحة ٢٦٣-٢٦٨.

١٩٠) القول المجتبى في تحقيق ما يحرم من الربا.

خ بقلم المؤلف في ١٤ ورقة بمكتبة الأستاذ حمد عبد الخالق الأمير بصنعاء، وأخرى بالمكتبة الغربية برقم ٢٢ وثالثة بمكتبة الأوقاف ضمن مجموع ٢٤٦ من ورقة ١٥٠-١٥٩.

١٩١) كتاب عمر فيما شرطه على أهل الذمة.

خ بالمكتبة الغربية-مجموع ٤ بقلم عبد الله..

١٩٢) كشف القناع في تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها من الرضاع

الرسالة الثالثة عشرة ضمن مجموع رقم ٩ بالمكتبة الغربية، وأخرى بمكتبة الأوقاف مجموع ١ من ورقة ٧٢-٧٣، وثالثة بعنوان رسالة في تحريم الجمع بين المرأة وعمتها..الخ. خ بالمكتبة الغربية مجموع ٣٢.

١٩٣) كلام شريف في قوله تعالى: ((لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)).

خ بقلم المؤلف في ورقتين بمكتبة محمد المنصور مجموع ٦، ولعله هو الوارد في هذه القائمة رقم٦٦.

١٩٤) كلام على وصية الوارث.

خ بالمكتبة الغربية - مجموع ١٧ حديث وأخرى مجموع ٣٩، وقد تقدم مثل هذا. انظر رقم ٢٦ من هذه القائمة.

١٩٥) اللمعة في تحقيق شرائط الجمعة

خ بمكتبة الأوقاف ضمن مجموع ١ من ورقة ١٤-٢٠.

١٩٦) مباحث كتبها على هوامش فتح الباري.

خ بالمكتبة الغربية ضمن مجموع ٣٢.

١٩٧) مبحث في اختلاف العبارة في قوله تعالى: ((فأردت أن أعيبها))

خ بالمكتبة الغربية رقم٥.

١٩٨) مبحث في تنازع علي والعباس وأبنائهما إلى عمر ليحكم بينهما.

خ بالمكتبة الغربية-مجموع٧.

١٩٩) مبحث في شرح حديث بدء الوحي.

خ بالمكتبة الغربية مجموع٥.

٢٠٠) مبحث في قوله تعالى: ((فمن زحزح عن النار))

خ بالمكتبة الغربية ضمن مجموع٤، وأخرى بالمكتبة الشرقية.

٢٠١) مبحث في قوله تعالى: ((وقيل يا أرض ابلعي ماءك))

خ بالمكتبة الغربية مجموع٣٢.

٢٠٢) محو الحوبة[1] في شرح أبيات التوبة.

وهو شرح أبيات التوبة له. خ بقلم المؤلف في ٢٤ ورقة بمكتبة محمد المنصور بصنعاء-مجموع ٦.

٢٠٣) المسائل المهمة فيما تعم به البلوى من حكام الأمة.

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٢٠، وأخرى بنفس المكتبة مجموع ٣١، وثالثة مجموع ١٧٨.

٢٠٤) المسائل المرضية في بيان اتفاق أهل السنة في سنن الصلاة والزيدية

خ بمكتبة الأوقاف ضمن مجموع ١ من ورقة ٨٥-٨٩ وبالمكتبة الغربية مجموع ٣٩ وثالثة بالمكتبة الحسينية بمدينة تريم[2].

٢٠٥) مسألة فيمن ترك الصلاة عمدًا حتى خرج وقت الصلاة المضروب لها اختيار أو اضطرار. هل يجب عليه القضاء؟

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٢٢ ولعله هو الذي سبق ذكره برقم ١٢ من هذه القائمة.

٢٠٦) المسألة الثاقبة الأنظار في تصحيح أدلة فسخ امرأة المعسر بالإعسار

خ بمكتبة الأوقاف ضمن مجموع ٨٧ من ورقة ١٠٧-١١٥ وبالمكتبة الغربية نسخة أخرى ضمن مجموع٨.

٢٠٧) مسألة في الأدلة على أن قصر الصلاة في السفر رخصة.

خ بمكتبة محمد المنصور بصنعاء. بقلم المؤلف في ٥ ورقات.

---

(١) أي الإثم. انظر لسان العرب (١/ ٣٤٠).

(٢) إحدى مدن حضرموت القديمة.

٢٠٨) مسألة في قبول الزوج الخلع لزوجته إن كرهته وطلبت فراقه.

خ بالمكتبة السابقة، نفس المجموع. بقلم المؤلف.

٢٠٩) مسألة شريفة في النبوات.

خ في سنة ١١٧١هـ-مجموع رقم ١ بمكتبة الأوقاف.

٢١٠) مسألة في العمل بالخط والأدلة على ذلك.

خ بمكتبة محمد المنصور بقلم المؤلف ضمن مجموع ٦، وأخرى بالمكتبة الغربية مجموع ٥، وثالثة مجموع ٦٢.

٢١١) مفاتيح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن.

خ بمكتبة الأوقاف رقم ١٩٤ تفسير. وهو غير كامل. ويقوم الآن الأخ عبد الله الزهراني أحد طلاب الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بتحقيق جزء منه لنيل درجة الماجستير(١).

٢١٢) مكاتبات من السيد محمد بن إسماعيل الأمير ووالده إسماعيل.

خ بمكتبة الأوقاف لصنعاء ضمن مجموعه.

٢١٣) مناسك الإمام محمد بن إسماعيل الأمير.

طبعت ضمن مجموعه في المناسك من صفحة ٤٤٠ إلى ٦٤٠ بالقاهرة. مطبعة الحلبي. وقد لخص هذه المناسك الشيخ محمد عبد الغفور بن حسين في عمدة المطابع بالهند باسم «تسهيل المنهج إلى منسك الحج» وقد لقبها مؤلفها

(١) وقد انتهى منه، وهو يعمل حاليًا أستاذًا بقسم التفسير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

«بإشاعة السنن المشهورة في المناسك المأثورة» وأعيد نشرها في مجلة صوت الأمة بإشراف الدكتور الفريوائي. عدد شوال من عام ١٤٠٨هـ المجلد الأول.

٢١٤) منتخبات شعرية (جمع) أول قصيدة لنشوان الحميري وآخر قصيدة لإسماعيل ابن محمد بن إسحاق.

خ سنة ١٣٣٥هـ في ٢٧٣ ورقة رقم ١٠٠ بالمكتبة الغربية.

٢١٥) منتخبات، ومذكرات، يتضمن فوائد تتعلق بحياته.

خ بقلم المؤلف بمكتبة الأديب علي بن صبرة بتعز.

٢١٦) منحة الغفار على ضوء النهار. حاشية على ضوء النهار للحلال.

خ سنة ١٧٥٥م بمكتبة المتحف البريطاني رقم ٣٨٧٠ وأخرى بالمكتبة الغربية ١٦١ فقه وقد طبع الكتاب في أربع مجلدات كبار، ونشره مجلس القضاء الأعلى وطبع على نفقة مكتبة غمضان لإحياء التراث اليمني بصنعاء، بتحقيق جماعة من العلماء.

٢١٧) منظومة في تحريم المكس.

خ بالمكتبة الغربية رقم ٩٦.

٢١٨) منظومة في حصر أسماء الشهداء وما ورد فيهم

خ بالمكتبة الغربية مجموع ٣٤.

٢١٩) نصرة المعبود في الرد على أهل وحدة الوجود

ذكره المؤرخ زبارة ولا أعلم بوجوده[١].

٢٢٠) منظومة وشرحها للأمير. أولها: العلم في قوله لا إله إلا الله

ذكرها الحبشي في مقاله ضمن مؤلفات الصنعاني، ولم يذكر مكان وجودها[٢].

٢٢١) نظم بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني في أحاديث الأحكام

خ في سنة ١٣٦٤هـ في ٨٣ صفحة بمكتبة زبارة بصنعاء.

٢٢٢) النفحة المسكية شرح التحفة العلوية.

قال الحبشي: «وهذا الكتاب عله نفس الكتاب الوارد ذكره المسمى بالروضة الندية، وكلاهما شرح لمنظومة الأمير التحفة العلوية»[٣].

٢٢٣) نهاية التحرير في الرد على قولهم ليس في مختلف فيه نكير.

يقول عنه ابنه إبراهيم: «جواب سؤال أبان فيه مؤلفه أن هذا القول ليس على إطلاقه.. وأوضح أن مدار ذلك على ما صح عن رسول الله ﷺ»[٤].

خ بقلم المؤلف بمكتبة الحبشي.

---

(١) انظر مقال الحبشي عن الصنعاني ومؤلفاته مجلة الإكليل ص(١٧١).

(٢) انظر المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق. نفس الصفحة.

(٤) انظر الروض النضير ص(٣٥٦، ٣٥٧).

٢٢٤) هداية ذوي الألباب إلى كيفية الحكم بين أهل الكتاب.

خ بقلم المؤلف في ٤ صفحات بمكتبة محمد الأمير بصنعاء.

٢٢٥) هداية المرتاب إلى صحة نية العبادات لنيل الثواب ودفع العقاب.

يقول عنه ابنه إبراهيم: «وهو جواب لطيف عن سؤال: هل تصح النية في الأعمال الصالحة أن تكون لنية أجر ورفع وزر، أم لابد أن تكون النية متمحضة لله عز وجل؟ فأجاب البدر بصحة هذا المقدار، بل ربما يظهر من كلامه أن هذا القدر هو المطلوب من العبادات للحق سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ فالخوف من العذاب، والطمع في الثواب[1].

٢٢٦) هداية السبيل إلى التوقف عن التكفير بالتأويل.

خ بمكتبة الأوقاف ضمن مجموع ٩٢ من ورقة ٢٩-٣٩.

٢٢٧) الوفاء في جواز بيع النسيئة.

يقول ابنه: «أوضح الأدلة على جوازه»[2].

خ بمكتبة الحبشي بالغرفة في ٦ ورقات، وأخرى بالمكتبة الغربية مجموع ٥، وثالثة بنفس المكتبة مجموع ٣٢. كتبت في سنة ١١٥٦هـ في ورقتين، وقد أخطأ الأستاذ الحبشي في ذكره لعنوان هذا الكتاب فقال: «الوفاء بأدلة بيع النساء»[3].

---

(١) انظر الروض النضير ص(٣٥٦، ٣٥٧).

(٢) المرجع السابق ص(٣٥٨).

(٣) انظر مقال الحبشي عن الصنعاني ومؤلفاته مجلة الإكليل ص(١٧٢).

٢٢٨) اليواقيت في المواقيت

يقول ابنه إبراهيم: «حقق فيه أوقات الصلاة بما دلت عليه الأحاديث الشريفة، وهو الوقت المشروع الذي حدده جبريل الأمين للرسول، ومن عرف هذه الرسالة وأرشده الله تعالى استغنى بها عن علم الميقات إذ أشرف غايته معرفة أن مقدار زمن وجوب الصلاة بحدود الطرفين، وهذا ما ألمت به الرسالة...»[١].

خ بالمكتبة الغربية مجموع ١٠١ وأخرى في ١٢ ورقة ضمن مجموع بمكتبة الحبشي بالغرفة.

***

(١) انظر الروض النضير ص(٣٤٩، ٣٥٠).

تاريخ النسخة (أ) وهي نسخة خزائنية

قال ناسخها رحمه الله:

وهي نسخة خزائنية، كتبت بخط جيد.

هذه النسخة المباركة استنسختها من أم كثيرة الغلط والتصحيف وهي تحتاج إلى مقابلة على أم صحيحة، نسأل الله أن ييسر ذلك وتكون متى شاء.. وصلى الله وسلم على محمد وآله وسلم، وكتبه عنهم علي أصلح الله عمله وبلغه أمله (بتاريخ ١١١١هـ) أحد عشر ومائة وألف هجرية.

وشروع المقابلة لهذه النسخة المباركة على نسخة المصنف - رحمه الله - في العشر الوسطى من شهر القعدة (١١١٣هـ) بلغ الله التمام لنيل المرام بمحمد[1] وآله (صلصلم) [يعني صلى الله عليه وآله وسلم].

إن الأمـور إذا التوت وتعقدت   نـزل القضاء من أسـماء محلها
فاصـبر لهـا وتلقهـا فلعلهـا   أن تنجلـي ولعلهـا ولعلهـا

وقال:

وثـب الثعلـب يومًـا وثبـةً   طلبًـا منـه لعنقـود العنـب
ثـم لمـا لـم ينالـه قـال ذا   حامـض ليـس لنـا فيـه أرب

وفي معناه:

أيهـــا العـــائب سـلمى   أنـت عنـــدي كثعـــالة
أم عنقـــودًا أفهـــا   أبصـــر العنقـــود طالـــه

(١) لعله: يعني ببركة محمد وآله. وهذا فيه ما فيه من الخطأ. وهو التوسل الممنوع.

قـــال هـــــذا حامـــــض لمـــا رأى أن لا ينـــالـــــه[١]

وذكر قصة الباقلاني كما في تاريخ الإسلام للذهبي بين ملك المسلمين والروم.

وقال: ولسيدي العلامة شيخ الإسلام محمد بن إبراهيم قدس الله روحه: أنشد في ترجيح أساليب القرآن في فضل قل هو الله أحد:

في الأحـــد التوحيـــد ذاتـــه والوصـف والفعل [فيها تم][٢]

وهذه النسخة عاريّة لدي من سيدي العلامة محمد بن إسماعيل الأمير حفظه الله[٣]: شرعت في سماعها في جمادى الأولى سنة (١١٤٣هـ).

وذكر حديث: «أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل..» الخ. موضوع، حكم بوضعه ابن حبان والدارقطني وابن الجوزي اهـ.

سماع «كتاب إيثار الحق على الخلق» من مصنفه رحمه الله:

في نيف وثلاثين وثمانمائة هجرية (٨٣٤هـ) التقى علي بن القاسم وابنه صلاح مع السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير، رحمه الله، وجرت بينهم قصائد وبعدها مراسلات وغير ذلك من الأمور، وأراد بلقائه سماع هذا الكتاب العظيم (الإيثار)[٤].

---

(١) يقصد بهذه الأبيات صعوبة العثور على المخطوط، والتعب في النسخ. لذلك على القارئ لهذا الكتاب أن يعرف كيف تعب المصنف والناسخ ثم من بعده من النساخ والمحققين، جعل الله عمل المصنف والنساخ والمحققين خالصًا لوجهه الكريم، وأن لا يحرمنا الأجر والثواب

(٢) طمس في المخطوط.

(٣) هذا دليل على أن النسخة كانت ملك العلامة الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله تعالى.

(٤) لعل هذا اللقاء كان بعد الانتهاء من تصنيف الإيثار.

وبعد صفحة الغلاف:

حسبي الله وكفى:

اعلم وفقنا الله وإياك أن أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - هم العروة الوثقى والوسيلة العظمى، والمحجة البيضاء، إلى الله وإلى رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وهم أمان للبلاد وسادات العباد وقرناء الكتاب إذا كانوا حقًّا متبعين للكتاب، والأئمة في الدين وفي يوم الحساب، وعلومهم لباب اللباب.. وترك العصبية وأخلص لله العمل والنية كما فعله مصنف هذا الكتاب، نفع الله به وبعلومه وأعاد من بركاته وكثر عنهم علمه، ورزقه الله السلامة وحسن الاستقامة إنه على ذلك قدير.

فائدة:

(في نسخة المصنف) في الزكاة من أداها طائعًا فله نصف الأجر حقيقة ومجازًا فيما دون ذلك وحمله على الحقيقة أولى من المجاز.. الخ من خط الإمام المطهر بن يحيى.

فائدة:

ذكر فائدة في تكليف ما لا يطاق من البدائع للإمام ابن القيم - رحمه الله- ومما ذكر قصيدة الإمام ابن الوزير - رحمه الله - فقالوا: لما عزم على العزلة وفارق الجلة..

قال ابن الوزير رحمه الله:

لامنى الأهل والأحبة طُرًّا في اعتزالي مجالس التدريس
أشفقوا أن أكون فارقتها عن رغبةٍ دروس علم الرسول..الخ

وأما في نسخة العلامة ابن الأمير الصنعاني رحمه الله:

ومما قاله الفقير إلى ربه إسماعيل بن صلاح الأمير (والد محمد) مرثيًا السيد الفاضل صلاح الأخفش رحمه الله.

وقال: وللولد العلامة بدر الدين محمد بن إسماعيل الأمير مرثيًا للسيد أيضًا[1].

إثبات قرأت كتاب الإيثار للعلامة ابن الأمير الصنعاني، رحمه الله، وأن هذه نسخته:

الحمد لله يقول العبد الفقير محمد بن إسماعيل الأمير، عفا الله عنه:

طالعت هذا الكتاب النفيس رأيته مفتقرًا إلى فهرسة تسهل البحث للناظر فيه بجمعه هذه الفهرسة فأقول: رأيت المصنف، رحمه الله تعالى، كتابه **على قسمين**:

الأول منهما مشتمل على خمسة أبواب:

الأول: إثبات العلوم.

الثاني: في إثبات الطرق إلى الله سبحانه.

الثالث: في بيان شروط معرفة الله على منهج السلف وفيه: بيان دلالات الأنفس والآفاق والمعجزات.

الرابع: في إثبات التوحيد والنبوات.

الخامس: في الاحتراز من بدع أهل الإسلام. وفيه: بيان المحكم والمتشابه، وبيان الزيادة والنقص في الدين وعقب هذا الباب بفصل في طريق المعرفة إلى التفسير الصحيح.

---

(١) انظر: ديوان ابن الأمير، رحمه الله، وصلاح الأخفش شيخ ابن الأمير.

ثم القسم الثاني في أهم المسائل التفصيلية، وفيه مهمان:

أولهما: في مقام معرفة الرب وصفاته وتعدادها.

والمهم الثاني: مشتمل على ثمان مسائل في الحكمة وتعليل أفعال الرب سبحانه، **وفيها فصلان:**

الأول: في ذكر الأدلة

والثاني: في الجواب عما اعترف به الخصم.

الثانية: الإرادة، وفيها تسعة مباحث.

الأول: في معناها.

والثاني: في ذكر ما قد ذكر في السمع.

الثالث: في كيفية الجمع بين السمع الوارد في هذه المسألة.

الرابع: الاتفاق على أن الإرادة لا تضاد العلم.

الخامس: في تحقيق اجتماع كلمة الأشعرية والمعتزلة.

السادس: في فائدة التكليف مع سبق الأقدار.

السابع: في توجيه قوله تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم) وأمثالها.

الثامن: أن الإرادة نافذة ولا راد لما أراد.

التاسع: في الفرق بين المحبة والرضا والإرادة والمشيئة ونبه بالكلام على القضاء والقدر.

المسألة الثالثة: في الأفعال وفيها فصلان:

الأول: في بطلان القول بأن المعاصي من الله.

الثاني: في تفسير خلق الأفعال.

المسألة الرابعة: في أن الله لا يكلف ما لا يطاق.

المسألة الخامسة: في أن الله تعالى لا يعذب أطفال المشركين بذنوب آبائهم.

المسألة السادسة: في التحسين والتقبيح العقلي.

المسألة السابعة: في الوعد والوعيد، وذيلها بفصل في الفرق بين الرجاء والإرجاء.

المسألة الثامنة: في الولاء والبراء، والتكفير والتفسيق.

وخاتمة الكتاب:

في حب من أحبه الله ورسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وعلى أحبابه. فهذا تسهيل للبحث المراد لمن أراد أن يلتقط درر هذا البحر بتاريخ رمضان (١١٤٤هـ) حرر جامعه الفقير محمد بن إسماعيل الأمير، عفا الله عنه.

***

قصة الإمام ابن الأمير (وكتاب الإيثار)

قال رحمه الله:

اتفق لنا في سفرنا إلى بيت الله الحرام سنة (١١٤٤هـ) أنه أصاب هذه النسخة ونسخة أخرى من الإيثار بلل خصهما من بين كتب كثيرة، فلما رأيت اختصاصهما بذلك قلت:

انظر إلى الإيثار كيف أصابه عين الكمال لنصرة الآثار
فإذا نظرت إليه فلتك منتهٍ عن حملك الأسفار في الأسفار

على طريقة ديوان رايش.

قال كاتبه: محمد بن إسماعيل عفا الله عنه:

وذكر أبياته في الرد على الشهر ستأتي في أبياته نهاية الإقدام.

وذكر أبياته في الرد على ابن أبي الحديد:

قد جاءنا برد اليقين من آل مختار في القرآن والسنن

ثم قال كاتبه محمد بن إسماعيل عفا الله عنه...الخ.

ردود العلامة ابن الأمير على الأبيات التي قالها ابن أبي الحديد لأن العلامة السيد محمد بن إبراهيم ذكرها في خطبة كتابه الإيثار.

وعلى حاشية الغلاف: قال ابن الأمير رحمه الله:

وما أحد من ألسن الناس سالم ولو أنه ذاك النبي المطهر

من كتاب العبد الفقير إلى الله سبحانه الغني عمن سواه: محمد بن إسماعيل ابن صلاح الأمير وفقه الله لصالح الأعمال آمين. كتبه الحسين بن زيد بن محمد ابن الحسن بتاريخ شهر جمادى الآخرة (سنة ١١٤٤هـ).

وقال الناسخ: الحمد لله، شرع في التدريس فيه القاضي العلامة محمد أحمد مشحم الصعدي شهر محرم ١١٥٩هـ.

وقال: الحمد لله من كتب العبد الفقير إلى الله سبحانه زيد بن محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين المنصور بن القاسم بن محمد بن علي عامله الله بلطفه الجلي.

وقال: نقلت من خط سيدي صارم الدين إبراهيم بن محمد، عادت بركاته من حاشية نسخة المصنف سلام الله عليه يعني **كتاب الإيثار ما لفظه**:

رحم الله من قرأ في هذا الكتاب فصانه، وجعله من الآن موضع الحضانه، ونظر فيه بإنصاف وتثبت ورصانه، فإن فيه ما يثلج صدري والمنصفين، ويفلج نحور المنحرفين. انتهى بلفظه.

ومن خطه عليهم:

ولو أنصفت في حكمها أم مالك   إذًا لرأت تلك المساوي محاسنا

الحمد لله. في ملك عبد الله بن محمد الأمير، عفا الله عنهما، آمين..الخ.

ثم صار في ملك المفتقر إلى رحمة الله حسين بن محمد الحرازي أصلحه الله وأصلح له بتاريخ شهر جمادى الآخرة (١٢٧٣هـ).

في حاشية الأصل من آخر الأصل:

قال: وكان الفراغ من رقم هذا الكتاب الجليل، نفع الله به وبمصنفه، يوم الإثنين لعله خامس عشر شهر محرم الحرام من شهور سنة أحد عشر ومائة وألف (١١١١هـ) من هجرته صلوات الله وسلامه عليه وآله.

وذلك بعناية مولانا السيد العلامة ضياء الإسلام عثمان بن علي الوزير عمر الله بالمعارف قلبه وأدام عليه نعمه وحبه بخط أفقر عباد الله تعالى وأحوجهم إليه: صالح بن حسن بن محمد بن يوسف مرغم. غفر الله له ذنوبه وستر عيوبه، وختم له بالحسنى إنه على ما يشاء قدير.

وقال ناسخه: انتهى بحمد الله تعالى مقابلة على نسخة المصنف في شهر الحجة الحرام عام (١١١٣هـ) في المرة الثانية. وقد قرأه ونظر فيه إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله.

***

تاريخ النسخة (ب) من مخطوط الإيثار

في الصفحة التي قبل الغلاف:

كتاب «إيثار الحق على الخلق» للعلامة محمد بن إبراهيم الوزير رضي الله عنه.

هذا الكتاب في ملك سيدي الوالد العلامة وجيه الدين والإسلام، عبدالمعتمد عبد الله الغشم، بالشراء الصحيح، وأنا الفقير إلى الله تعالى [طمس كثير.....] تاريخ شهر الحجة الحرام (١١٨١هـ).

وبعده:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

هذا الكتاب تميز لي من كتب الوالد رحمه الله.

أنا الفقير إلى الله....... حرر في شهر جمادى (١٢٩٨هـ)، أو (١٣٩٨هـ).

في آخر صفحة في المخطوط:

وكان الفراغ من نساخته في يوم الأحد لعله (٢٣ رجب المبارك سنة تسع وسبعين ومائة وألف هجرية) بمدينة صنعاء المحمية بالله تعالى، حرسها الله بعباده الصالحين. آمين يا رب العالمين. غفر الله لكاتبه وسكنه الجنة اهـ.

***

تاريخ النسخة (ج) من مخطوط الإيثار

قال في الغلاف:

رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - نبيًّا.

قال الشهرزوري في عقيدته في الفصل الخامس في كلام الله تعالى بأن كلام الله تعالى عظيم؛ إذ عظمة الكلام على قدر عظمة المتكلم، فكلام الله عظيم بعظمته، وجل بجلاله، وكبر بكبريائه، قرب ودنا بوعده ووعيده وحدوده وأحكامه وأنبائه، وبعد:

ونأتي بكنهه وغايته وعظيم شأنه وقهر سلطانه وسطوع نوره وضيائه فهو عالي الرتبة عظيم المنزلة، ناهيك بعظم شأنه قول الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٨] فمثاله من عالم الشهادة الشمس التي ينفع الخلق شعاعها ووهجها، ولا قدرة لأحد من الخلق أن يقرب من حرها إن وجد إلى ذلك سبيلًا، فمن قائل أن لا حرف ولا صوت لما عظم عليه أن يحضروا، ومن قائل أنه حرف وصوت لما عن عليه أن يغيب، ولكل وجهة هو موليها، فالقائل الأول نفر لما رأى مزج الحرث بالحروف والأصوات فقال لا حرف ولا صوت صيانة للقديم عن مزج القديم. والقائل الثاني رأى أشعة العظمة القديمة تخرج أجرام الأصوات واللغات فقال: هو حرف وصوت...

فالسبيل الأمثل والطرق الأعد أيها الإخوان من الطائفتين أن تتركا المنازعة في حمل كل واحد من الطائفتين أن يخوض فيما خاض فيه ويتعرض فيما تعرض له إلا ما بكى به من تعلق الشبهة ببواطن أهل الزمان فأحوجه الوقت أن يشرع أصحاب رسول الله حيث بلي بما لم يبل به أصحاب رسول الله ﷺ من الأهواء

المختلفة، وإلا فلا يخفى على العاقل أن العبد إذا قال: القرآن كلام الله واعتقد أنه يجب عليه اعتقاد أمره ونهيه والالتزام بأحكامه وحلاله وحرامه... ولا يتعرض بعد ذلك لقدم أو حدوث وتلاوة ويتلو وحرف وصوت - لا يضره ذلك شيئًا، ولا يفوته مما يجب عليه شيء... فهذه الطريق القويم والنهج المستقيم، وإلا متى تعرضت للقدم تعرض الخصم للحدث، وأنت تكفره وهو يكفرك، وما أرى التكفير إلا قولًا من غير فعل بمقتضاه، فالذي تكفره أراك تخالطه وتمازجه وتواده وكفاك أن فعلك يتحذر قولك فلا أراد تزيد خصمة عصبية وغيضًا، فاعمل في تلاوة كتاب الله آناء ليلك وأطراف نهارك، وتدبره في صلواتك وغير صلواتك، فإنه كتاب الله إليك وحجته عليك، فالمنازعة في ذلك كمن يأتيهم كتاب من سلطان يأمرهم فيه وينهاهم، فهم يتشاجرون في أن الكتاب كيف خطه وكيف عبارته وأي شيء فيه من الفصاحة والبلاغة، ويذهلون عن صرف الهمم إلى الانتداب لما ندبو له والله بفضله يكرم الألباب. انتهى الفصل برمته.

عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأمير

بمكة المكرمة، آخر نهار الجمعة ٤ شهر ربيع الأول ١١٧٨هـ،

وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

على الغلاف طمس... وهذا عام ١٠٧٠هـ

كتاب «إيثار الحق على الخلق» تصنيف السيد الإمام أسد غابات الأقلام، المستولي على قصبات السبق وغايات المرام في علمي الأصول والكلام، سيف السنة الملق في حماتها بملاعب الأسنة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى بن المفضل بن منصور الشهير بابن الوزير، نفع الله تعالى بعلومه وشفا بها من داء الجهل وكلومه، آمين آمين يا رب العالمين.

قال في ترجمة السيد الإمام مؤلف هذا الكتاب:

١ - عاد بركات صنعه في سنة سبع وثلاثين وثمانمائة (٨٣٧هـ).

ثم رأى بعد فراغه من تسويده قوله تعالى: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:١٧] وقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء:٦٩] ورأى بعد الفراغ من تبييضه سورة النصر بكمالها ومن سورة الضحى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى:١١] ومن سورة يس ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يس:٢٦] قرأها أو نظرها مرتين ومرة ثالثة ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [يس:٢٥] ورأى أنه أعطى فواتح كثيرة من فواتح السورة. انتهى من ترجمته.

٢ - انتقل الكتاب المبارك إلى ملك الفقير إلى الله تعالى عبده ابن عبده الراجي عفوه [طمس] وفقه الله للقول والعمل وبلغه من الخيرات غاية الأمل في تاريخ شهر ربيع الأول (١١٣١هـ) ثم صار في ملك الفقير إلى الله يحيى بن عبد الله ابن حسين [أو حميد] الأول [...] بتاريخ شهر ربيع الأول سنة (١١٤٤هـ).

الحمد لله وحده.

بدأ في سماعه العبد الفقير [.....] على البدر محمد بن إسماعيل إلا ببركاته الحمد لله ولي الحمد. سنة (١١٦١) وعليه ختم كبير.

٣ - لكاتبه عفا الله عنه:

إن أنصـف الإخـوان فليعلموا أنـك في الدهـر فريـد الصفات
أضحـت علومـك بيـن الورى مثـل الهـلال.... مـع النيرات

٤ - الحمد لله وحده. في ملك الفقير إلى [ ] وعليه أحسنه بمكة المشرفة بتاريخ شهر الأول (١١٧٨هـ). بالملك الصحيح.

٥ - ثم صار في ملكي بالشراء الصحيح وإلى الفقير إلى الله سبحانه أحمد بن مفضل علي عبد الله عليهم.

٦ - الحمد لله ثم انتقل هذا السفر المبارك إلى ملكية سيدي الوالد محمد ابن الحسن قايد أبو طالب شهر الحجة، وذلك من السيد أحمد بن مفضل. سنة ١١٨٠هـ.

٧ - الحمد لله: ثم رجع إلى السيد أحمد بن مفضل بالإقالة من سيدي أحمد بن حسن أبو طالب، وأرجع سيدي أحمد الثمن بتاريخ شهر رمضان سنة ١١٨١هـ. وكتبه الفقير إسماعيل بن زيد بن يحيى رضي الله عنه. ثم صار في نوبة العبد الذي أثقلت الخطايا ظهره، وأفنت السيئات عمره الفقيه بقي بن أحمد العنسي عفى الله تعالى عنهم بطريق الشراء من سيدي أحمد مفضل حماه الله.

حرر في محرم الحرام ١١٨٨هـ، وتاريخ الشراء متقدم على هذا.

٨ - تفضل الله بشراء هذا المجلد من الولد أحمد بن إبراهيم مشحم بثمن معلوم وقدره قرشين حجر. بتاريخ شهر الحجة سنة ١٣٣٩هـ، إبراهيم بن أحمد الديلمي.

من الصعوبات التي واجهتني

١ - البحث عن المخطوطات وقلة التعاون من أصحابها ومن دور المخطوطات في اليمن، سنتان وأنا أبحث عن إخراج المخطوطات، وقد التقيت بأحد أبرز المحققين في اليمن وطلبت منه أن يبيعني صورة مخطوط الإيثار بثمن ما اشتراه فرفض وذلك قبل ست سنوات. وكأنه يقول: تريد تأخذه مني (ولا يحتكر إلا مخطئ).

٢ - البحث عن المراجع العلمية من محافظة إلى أخرى.

٣ - عدم التعاون من كثير من الناس في إتمام المشروع.

٤ - الرجوع إلى «العواصم والقواصم» من أصعب الأمور؛ لأنه لا فهارس حديثية ولا عناوين واضحة، وكأن الكتاب قريب من المخطوط.

٥ - البحث عن بعض موارد الإمام ابن الوزير، مثل «الجامع الكافي في فقه الزيدية» لم يوجد، وقد بحث عن الجزء المطبوع فلم أجده حتى عند الزيدية، ولعل كلام الأمير الصنعاني - رحمه الله - حق في أنهم أضاعوا الكتاب؛ لأنه أفضل كتب الزيدية، والمخطوط منه أنكروا وجوده، فإلى الله المشتكى. وكذلك كتب محمد بن منصور غير موجودة، وكذلك مجاميع بعض الزيدية لم أجدها، وبعضها مفقود.

٦ - القليل من الإخوة من يساعدك في مقابلة المخطوطة، وبعضهم له أعماله وشغله، فهذا يسبب صعوبة كبيرة يواجها المحقق في اليمن.

٧ - كلام الحساد، يصُعب عليك الإقدام في العمل ويثبطك، فنعوذ بالله من الحسد، ومن شر أهله.

٨ - قوة العبارات، وكثرة المذاهب الكلامية والرجوع إليها من الصعوبة بمكان.

٩ - النساخ الذين يكتبون على الكمبيوتر متعبون جدًّا ولكن (المشقة تجلب التيسير).

١٠ - وقد علم بعض من له تحقيق أني تعبت في الكتاب من سنوات، فذهب يحقق وينافس ويقول لي: أنا حققت الكتاب، وأنا أقول له: أتحداك أن تحققه في ستة أشهر على مخطوطين فقط، وعندك أعمال كثيرة؛ فإلى الله المشتكى.

فالحمد لله على ما أنعم به علينا، وسهل الصعاب، ويسر إكمال الكتاب.

***

تاريخ نسخة (د) من المخطوط

هي النسخة التي كتبت في عام ١١١١هـ.

وبعد ذلك صححت مقابلةً على نسخة «المصنف» رحمه الله.

وقد كتبت بخط رقعة جيد جدًّا بخط صالح بن حسن بن محمد يسوف مرغم، - غفر الله له-. يوم الاثنين خامس عشر من شهر محرم الحرام من شهور سنة أحد عشر ومائة وألف هجرية.

***

تاريخ نسخة (هـ) من المخطوط

نسخة في عام ١١١٧هـ من نسخة قبل التي كتبت في عام ١١١٣هـ ناسخها إسماعيل القحيف - رحمه الله- وقد تحوله إلى الكتبى في عام ١١١٨هـ نسخة جيدة، وهي النسخة الموجودة في مكتبه الحرم المكي عمرها الله بالعلم وحرسها.

بدايتها [رب يسر وأعن يا كريم]

وعلى الغلاف ختم عثماني كبير.

وكتب الناسخ كلامًا كثيرًا في تعليق على التحسين والتقبيح في ثلاث صفحات. ولم أهتم بتصويرها.

***

تاريخ النسخة (و) من المخطوط

هي النسخة الموجودة في المكتبة المحمودية بالمدينة النبوية - على صاحبها الصلاة والسلام - وهي الآن في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة كتبت في عام ١١١٣هـ. ومنها نسخة مصورة في جامعة أم القرى، وفيها طمس بسبب تصوير الميكروفيلم، فإنه كان لا يلتقط الخطوط الملونة، ولكن بسبب وجود الكاميرا الحديثة تلتقط كل الخطوط والملونة وغيرها. وقد أعطيتهم نسخة مصورة ليس فيها نقص. والحمد لله.

وهذا هو الذي جعل الأخ أحمد مصطفى - وفقه الله - أن يقول في بعض النسخ من المخطوطات أن النقص موجود، بل الصحيح أنه لا نقص ولا بتر في كثير من النسخ، فالحمد لله على توفيقه لنا بما لم يتيسر لغيرنا.

***

تاريخ النسخة (م) وهي المطبوع

- الكتاب مطبوع في جزئين (مجلد واحد) عدد صفحاته (٤١٨) بدون تحقيق، وإنما صححه بعض الذين يعملون بدار الكتب العلمية، ط بدار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ، مصور من طبعة دار المؤيد بالقاهرة التي طبعته عام ١٣١٨هـ، وعليها بعض الحواشي عبارة عن تراجم لبعض «الأعلام» وفيها أخطاء كثيرة، وهذا معلوم عند جميع المحققين أن الكتاب حين يطبع على نسخة خطية واحدة، يكون فيه أخطاء كثيرة، بما أن هذه النسخة التي هي في مكتبة الجامع الأموي بدمشق الشام، نسخة جيّدة جدًّا، لماذا؟

لأنها تشبه النسخة (ب) التي هي موجودة عندنا ولعلها نسخة من النسخة الأم التي هي بخط المؤلف - رحمه الله - لذلك توافق النسخة الأصل (أ) عندنا كثيرًا.

- وقد طبعته مكتبة ابن تيمية بمصر، مأخوذ من طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، وفيه أخطاء وتصحيفات وطمس كبير.

- وقد طبع الكتاب مؤخرًا بتحقيق الأخ نبيل صلاح عبد المجيد المصري - وفقه الله - على بعض النسخ الخطية، بمكتبة ابن عباس - القاهرة. وقال لي كثير من المشايخ أن تحقيقه ضعيف. فقلت: كل أحد يدلي بدلوه، بما أن الشخص الذي أعطاهم المخطوط أنا الذي عرفته بمكان الكتاب، وقد كنت انتهيت من النسخ إلا أني تأخرت في المراجعة قبل ثلاث سنوات لظروف ألمت بي. وكان يعرف أني سأطبع الكتاب، ولكن بعض الناس يتسرع ويحفر الحفرة فيقع فيها، وهو الآن يقول: سرقوا المخطوطات، وهم يقولون: هو أخذها ببدل مخطوطات أخرى، أردت أن أذكر هذا وغيره أنهم معتدون على غيرهم بدون حق فوقعت العداوة بينهم؛ إنا لله وإنا إليه راجعون.

الخلاصة أن عدد النسخ أكثر من خمس عشرة نسخة، كما يلي:

١) النسخة المقابلة على نسخة «المصنف»

وهي نسخة خزائنية بصنعاء في عام ١١١٣هـ، وقد جعلتها (أ) وهي نسخة العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني - رحمه الله- صاحب «سبل السلام».

٢) نسخة خزائنية أيضًا

في صنعاء كتبت في عام ١٠٧٠هـ، وقد قرأها عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رحمهما الله تعالى في عام ١١٧٨هـ. وهي (ج).

٣) نسخة في صنعاء كتبت عام ١١٧٩هـ، وهي النسخة (ب) عندنا.

٤) نسخة جميلة جدًّا

كتبت في عام ١١١١هـ في صنعاء بعناية عثمان بن إبراهيم الوزير - رحمه الله تعالى- وهي خزائنية، والتي جعلناها (د).

٥) النسخة الموجودة في مكتبة الحرم المكي

كتبت عام ١١١٧هـ، بخط إسماعيل القحيف، وعليها ختم عثماني، وهي النسخة (هـ) ولعل هناك نسخة أخرى في نفس المكتبة:

قال الدكتور أحمد مصطفى محقق الجزء الأولى وفقه الله:

نسخة في مكتبة الحرم المكي كتبت سنة ١١١٣هـ بخط علي بن عبد الله الحجي السماوي.

٦) النسخة المطبوعة رمزت لها بـ (م).

٧) نسخة أحمد مصطفى صالح حفظه الله

اعتمدتها لما فيها من الموافقه في بعض المواضع للنسخة الأصل، وكذلك لما فيها من النقص في بعض المواضع، والخير يكمل بعضه، بما أن الناشر (الدار اليمنية) بصنعاء قد تعدت وحذفت وعلقت تعليقات مشينة، فأبدت عقيدة الاعتزال التي هي عليها، وقد أساءت للكتاب والمحقق، ولم تتقن حتى الأمور الطباعية، والحمد لله أنه لا توجد من هذه النسخة إلا القليل في بعض المكتبات في مكة المكرمة، ولا يوجد شيء منه في اليمن.

قلت: هذا ليس تزهيدًا في نسخة الأخ أحمد بن مصطفى، إنما قلت ذلك تزهيدًا في طبعة (الناشر) هداهم الله، ولأجل إذا أراد الأخ أحمد مصطفى أن يطبع الكتاب مرة أخرى يصحح وينتبه أن يطبع في دار عدوة للمؤلف وللكتاب وللعقيدة «الصحيحة». والدين النصيحة.

٨) توجد نسخة في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء

كتبه عام ١٣٦٥هـ، رقمها علم الكلام (١٧).

٩) نسخة ثانية في نفس المكتبة

بخط قاسم بن يحيى بن قاسم أحمد بن المنصور حسين ٢٢ شوال ١٢٩٩هـ، علم الكلام رقم (١٨).

١٠) نسخة ثالثة في نفس المكتبة

أولها مبتور... بخط نسخي جيد في ٢٣/ ذي الحجة/ ١٠٣٩ هـ علم الكلام (٢٠).

١١) نسخة رابعة في نفس المكتبة

آخرها مبتور رقمها علم الكلام (٢١).

١٢) نسخة خامسة في نفس المكتبة

أولها مبتور بخط نسخي جيد في ٢٣/ ذي الحجة/ ١٠٣٩هـ. علم الكلام (٢٠).

١٣) نسخة سادسة في نفس المكتبة

بخط محمد بن أحمد بن عبد الله بن الإمام يحيى بن حمزة ٢٣ ذي القعدة ٨٤٦هـ، بقلم نسخي جيد. وبآخرها مقابلتان الأولى سنة ٨٤٦هـ، وسنة ٨٤٧هـ رقمها علم الكلام (١٩).

١٤) نسخة في مكتبة عارف حكمت - المدينة النبوية

رقم (٢٤/ ٢٤٠) نسخها علي بن تاج الدين السخاوي عام ١١١٧هـ.

عليها تعليقاتها أولها رسالة هي عبارة عن ترجمة للمؤلف، كتبت بخط معتاد.

١٥) نسخة في المكتبة المحمودية

المدينة المنورة، بتاريخ ١١٠٧هـ، رقمها (١٨٣٢).

١٦) نسخة ثانية في نفس المكتبة

بتاريخ ١١٥٨هـ، رقمها (١٨٣٢).

١٧) نسخة في صنعاء المكتبة الشرقية الجامع الكبير

كتبت سنة ١١٠١هـ، بقلم حسين بدر سعيد البدري.

١٨) نسخة في مكتبة الأمبروزيانا

(١٨٠) ورقة، ذكرها صاحب كتاب أعلام العرب في العلوم والفنون (٢/ ٢٥٣).

١٩) نسخة في مكتبة برلين

بعناية العلامة المطهر بن علي الديلمي سنة ١١٦٨هـ، رقم (٢٤٨٤).

***

تعليق

في النسخة (هـ) نسخة مكتبة الحرم المكي، على غلافها تعليق بخط نسخي جيد، وهو خط جديد، يصير «تاريخه» تقريبًا ما بين عشر إلى عشرين سنة، فهو قريب، وهو:

هذا المؤَلَّف صاحبه زيدي، وقد أكثر فيه من عقائدهم الزائغة وأدلتهم الفاسدة، فلا ينبغي لأحد أن يهجم على الأخذ منه إلا بعد الفحص الشديد، ووزنه بميزان الشريعة، ومقابلته بكتب أهل السنة والجماعة. وقد قلنا ذلك لأن الدين النصيحة، والله أعلم.

ولم يكتب اسمه، فقد أبهمه وأهمله، فالكاتب مبهم.

والجواب عليه:

١ - أن هذا المعلق وفقنا الله وإياه لم يعرف الإمام ابن الوزير - رحمه الله- ولم يعرف (ماذا أراد من هذا الكتاب) ولم ينظر نقله من القرآن والسنة، ومن كتب أهل السنة، ونصرة الحق الذي هو الكتاب والسنة.

٢ - قوله: صاحبه زيدي، الصحيح أن الإمام ابن الوزير - رحمه الله تعالى - سني ومن أئمة أهل السنة، و قد درس في المدرسة الزيدية ثم تحرر، وهداه الله إلى الحق، ولعله واجه الرافضة والقرامطة والزيدية والمقلدة من الحمقى والعوام ما لم يواجهه غيره.

٣ - في هذا الكتاب (الإيثار) يرد على المعتزلة من كلام أصحابهم من قواعدهم ثم يبين الحق في ذلك، والرد على المعتزلة هو رد على الزيدية. فتنبه.

٤ - إظهار عقائد الزيدية والرد عليها حق، بل طريقة ابن الوزير والمقبلي والصنعاني طريقة جيدة، وهذه الطريقة قد سلكها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في «منهاج السنة» وفي «مجموع الفتاوى» وغيرها، وقد مدحه الإمام ابن الوزير - رحمه الله - على ذلك، ورد بردوده على أهل زمانه، فلعلك أخي المطلع لم تنتبه، أدعو الله أن يهديك للفهم السديد.

٥ - يقول المعلق: (فلا ينبغي أن يأخذ منه إلا بعد وزنه بميزان الشريعة).

الجواب: وزنه بميزان الشريعة، أن الحق يؤخذ من كل أحد والباطل يرد عليه، إلا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- وما كان في هذا الكتاب من خطأ فهو مردود، ولكن الصواب فيه تسعون في المائة.

ومن ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط

ولو أني قلت لك: أن الإمام ابن الوزير - رحمه الله - يدافع عن الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - لقلت: إنه سني وليس بزيدي، فما بالك إذا دافع عن أهل الحق الصحابة - رضي الله عنهم- ومن جاء بعدهم إلى زمانه.

٦ - وقد قابلنا كتابنا «إيثار الحق» على كتب أهل السنة، ومن قبلنا الإمام الصنعاني - رحمه الله- كما ستراه في حواشي هذا الكتاب العظيم، فلعلك لم تقرأه كاملًا ولم تتفحصه، وإن قرأته فلعلك لم تفهمه.

٧ - وأزيدك والإخوة القراء فائدة:

إن كتاب «إيثار الحق على الخلق» مرجع من المراجع الأصلية عند أهل السنة في كتب العقائد، وقد ذكرت في الديباجة أن أكثر من عشرين ما بين

كتاب محقق وكتاب مؤلف يأخذ من «إيثار الحق على الخلق» وما أشبهه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله جميعًا.

٨ - وانظر كتابه «العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم» محمد صلى الله عليه وعلى آله و سلم، ويكفي الإمام ابن الوزير هذا الكتاب يثبت أنه سني عقيدةً ومنهاجًا. وقد لخص منه مواضع، أو إحالات في كتابه «الإيثار» وستأتي «الفوائد المنتقاة من كلام الإمام ابن الوزير» رحمه الله قريبًا - إن شاء الله تعالى- أسأل الله التوفيق والسداد.

٩ - وأنت أيها المعلق على هذه النسخة الخطية الموجودة في مكتبة الحرم المكي - وفقنا الله وإياك - لم تكتب اسمك حتى نعرف؛ هل لك في العلم باع أم لا؟

وأنت تعلم أن هذه الأمور الخطيرة كشبهتك الهزيلة تحتاج منك إلى استدلال وإثبات كلامك من الكتاب الذي طعنت فيه وفي مؤلفه؛ لأنك قلت: فإن الدين النصيحة. فلماذا لم تنصح نفسك وتكتب اسمك؟ لأن أهل الغلو في هذا الزمان لهم صولة وجولة، وطعن في العلماء، وتحذير من كتبهم، ومخالفة الحق؛ لأن العقول صارعليها عمى. نسأل الله أن يهدينا وإياهم للصواب.

***

أهم موارد الإمام الإمام ابن الوزير رحمه الله تعالى

١ - «صحيح البخاري».

٢ - «صحيح مسلم».

٣ - «سنن أبي داود».

٤ - سنن النسائي.

٥ - «سنن ابن ماجه».

٦ - «جامع الترمذي».

٧ - النهاية في غريب الحديث لابن الأثير.

٨ - المقالات لأبي قاسم البلخي.

٩ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي الشيعي.

١٠ - «الكشاف» في التنزيل لمحمود الملاحي الزمخشري المعتزلي.

١١ - نهاية الإقدام للشهرستاني.

١٢ - القائد في تصحيح العقائد للرازي.

١٣ - علوم الحديث للحاكم النيسابوري.

١٤ - «المجتبى» للشيخ مختار المعتزلي.

١٥ - حياة الحيوان للجاحظ الدميري.

١٦ - «التذكرة» لابن متويه.

١٧ - الملخص للرازي، والصحائف الإلهية له.

١٨ - «العواصم والقواصم» في الذب عن سنة أبي القاسم - صلى الله عليه وآله وسلم - للمؤلف رحمه الله.

١٩ - الزيادات للإمام المؤيد بالله.

٢٠ - الجامع «الكافي» في فقه الزيدية.

٢١ - كتاب الجملة والألفة لمحمد بن منصور المرادي.

٢٢ - المختصر الجلي في معرفة الله للحاكم الجشمي المعتزلي.

٢٣ - «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي رحمه الله.

٢٤ - «التمهيد» لابن عبد البر، والكامل لابن عدي.

***

أعاجيب

١ - الإمام الصنعاني رحمه الله، سافر بهذا الكتاب (الإيثار) إلى بيت الله الحرام في عام (١١٤٤ هـ).

٢ - عبد الله بن محمد بن الأمير رحمه الله، كان في مكة ومعه كتاب الإيثار.

٣ - تأخر إرسال الكتاب بتحقيقنا في المراجعة من شهر شعبان (١٤٣٤ هـ) إلى شهر ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ، حتى جئنا بيت الله الحرام للعمرة وأرسلوه لنا، فتمت المراجعة ولله الحمد والمنة. وجعل الله فيه البركة في أرض مباركة والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كتبه

أبو نوح غفر الله له ولوالديه ولزوجه وأولاده

في الساعة السابعة والنصف بعد الفجر

بالمسجد الحرام مكة حرسها الله.

عملي في كتابي

للإمام ابن الوزير - رحمه الله - (والأنوار) للعلامة محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله تعالى.

١ - مقابلة النسخ الخطية التي معي (للإيثار).

أما الأنوار فإنما هي نسخة واحدة، ولذلك كان التعب في نسخها وتصحيحها أصعب بكثير، خاصةً وهي حاشية في أطراف المخطوط وبعضها فيه طمس بسبب التصوير لم يلتقط الصفحات من جميع الجوانب. وكذلك صغر الخط. لذلك هناك بعض الأخطاء، في الحاشية، وبعضها كان ينقلها المصنف ابن الأمير بالمعنى.

٢ - تخريج الأحاديث

بطريق متوسط، والحكم على الحديث بحسب الاستطاعة، أو الرجوع إلى كتاب العلماء، مثل كتب العلامة الألباني رحمه الله.

٣ - ترجمة بعض الأعلام.

٤ - مراجعة الكتاب عدة مرات.

٥ - دراسة عن المؤلف والكتاب.

* أهمية الكتاب.

* حاجة العلماء وطلاب العلم لهذا المؤلف النادر في طريقته، الجامع لمسائله المتابع في ترتيبه.

* ذكر بعض الشبهات حول الكتاب، والرد عليها.

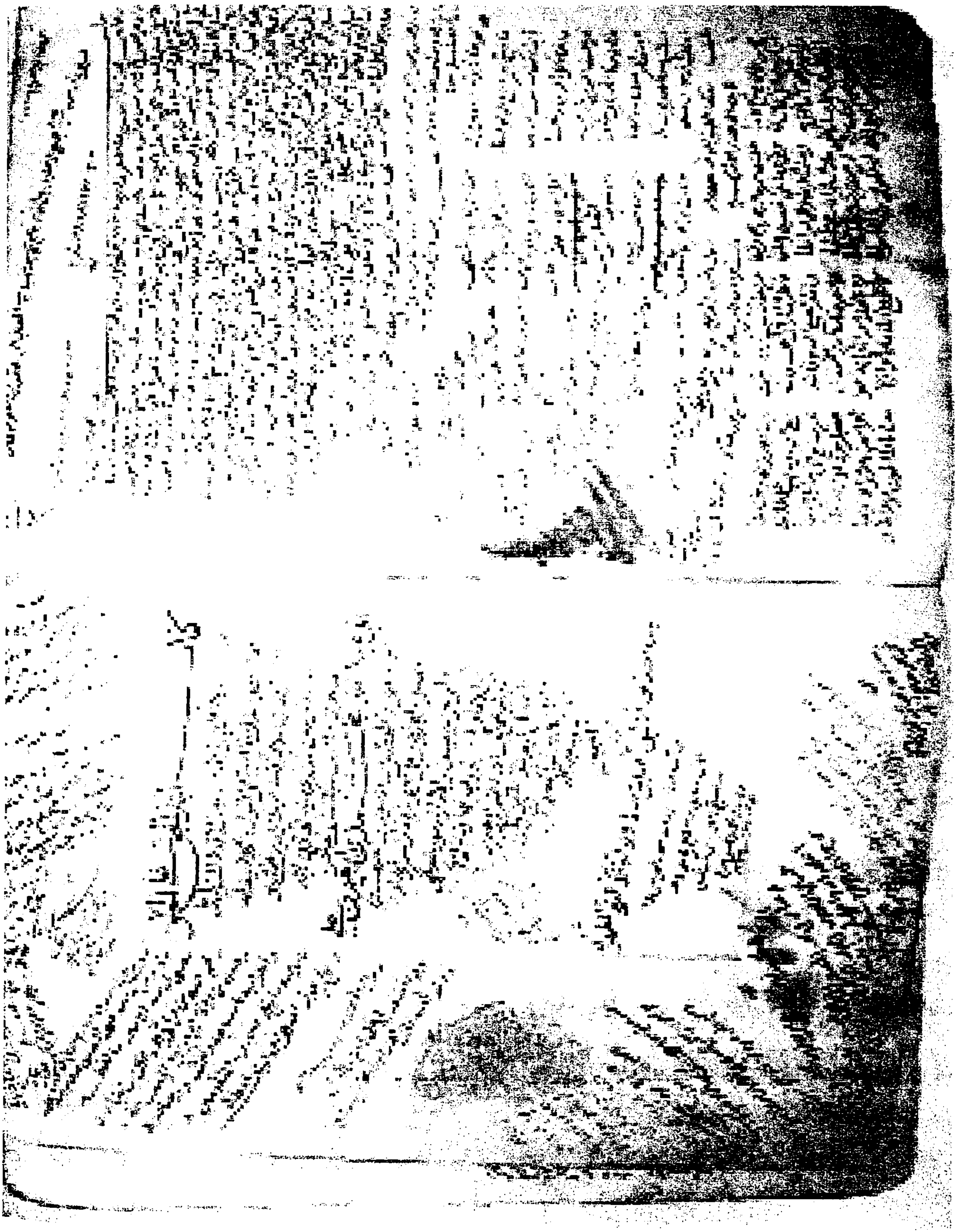
* نقلت بعض المسائل في الكتاب والمناقشة لها.

* بينت عدد المخطوطات، ومن عمل فيها.

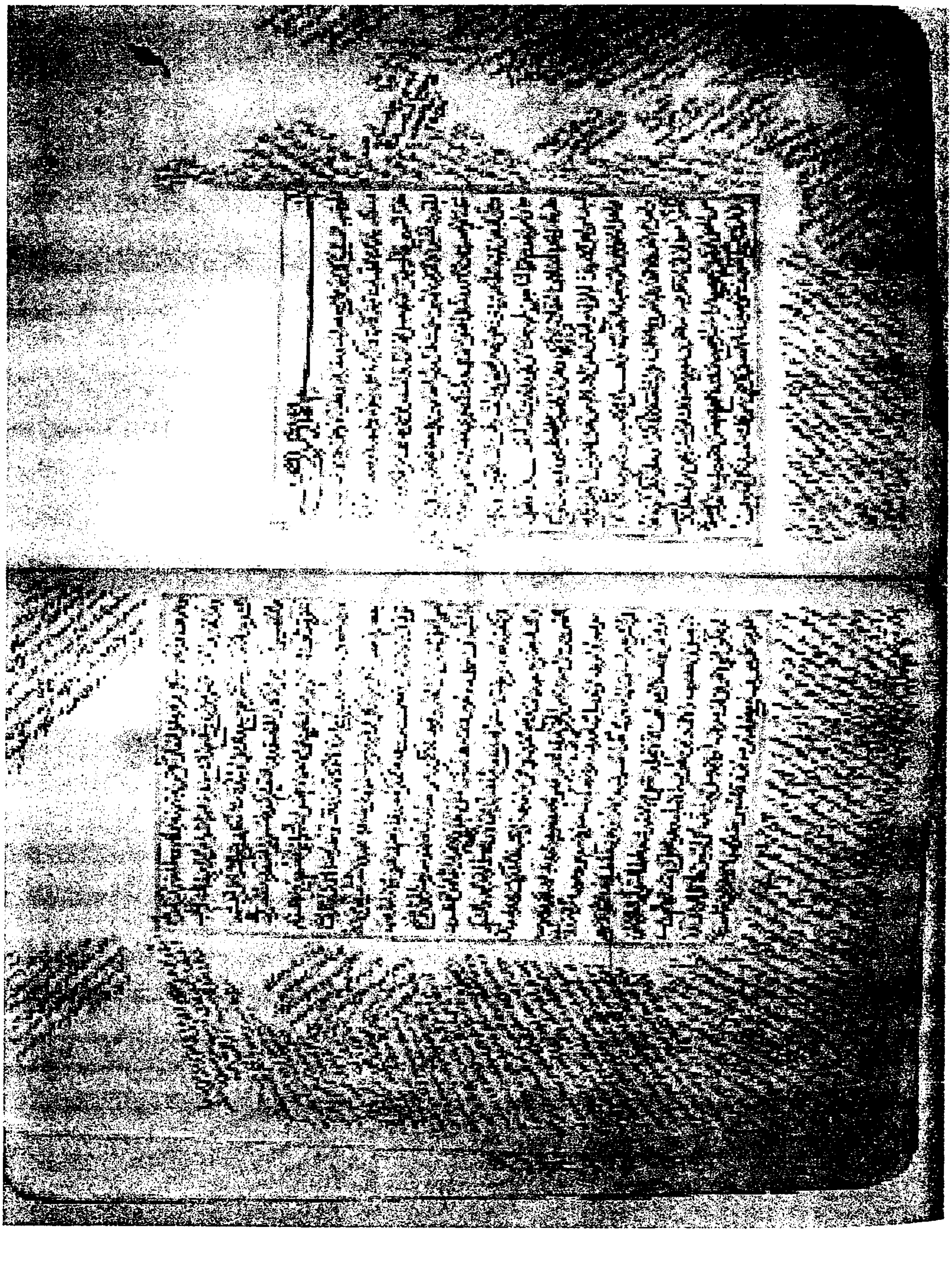
* رددت على شبهات الطاعنين في المؤلف الإمام ابن الوزير رحمه الله.

***

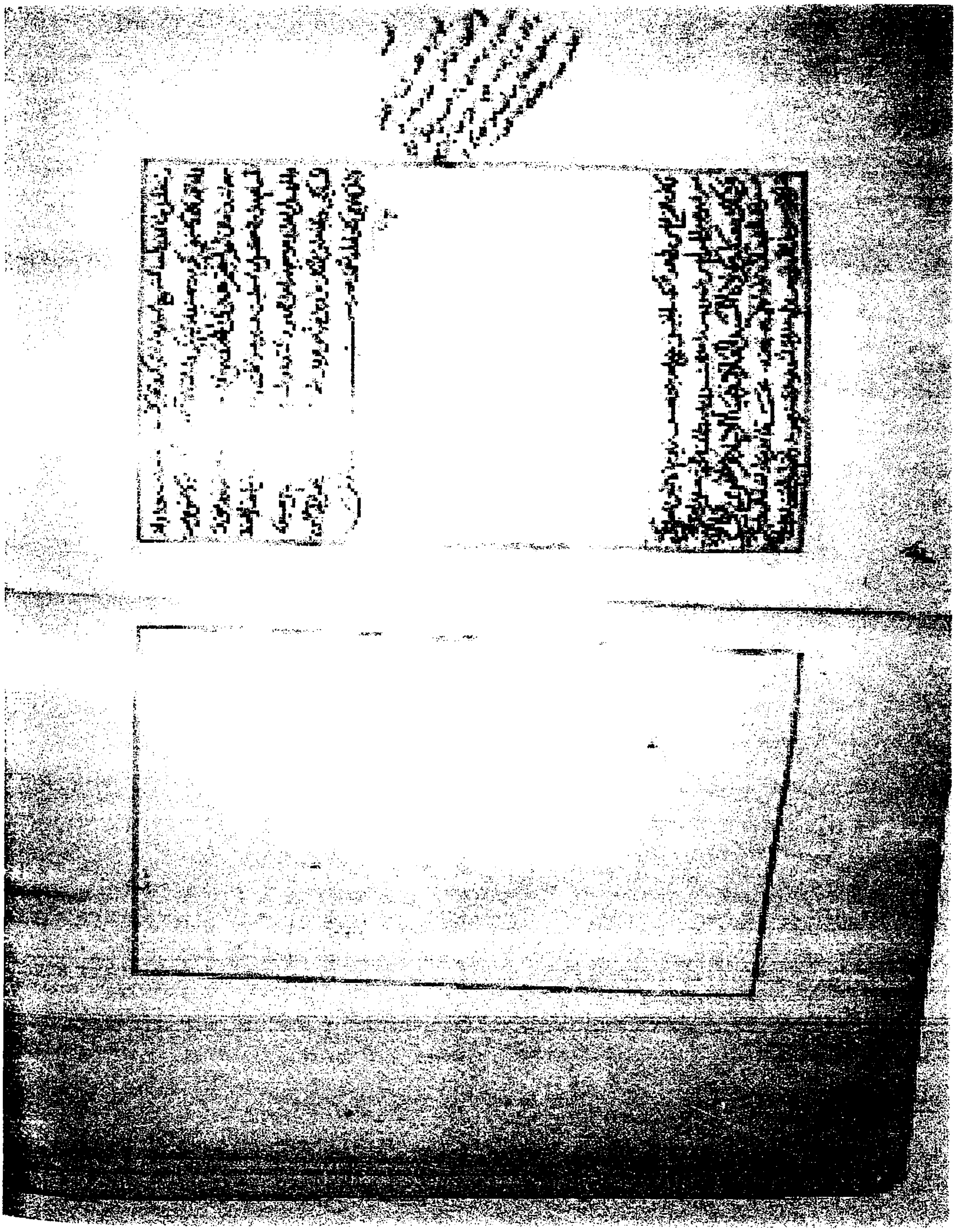
صورة المخطوط (أ) الذي هو كتاب الإمام الصنعاني رحمه الله



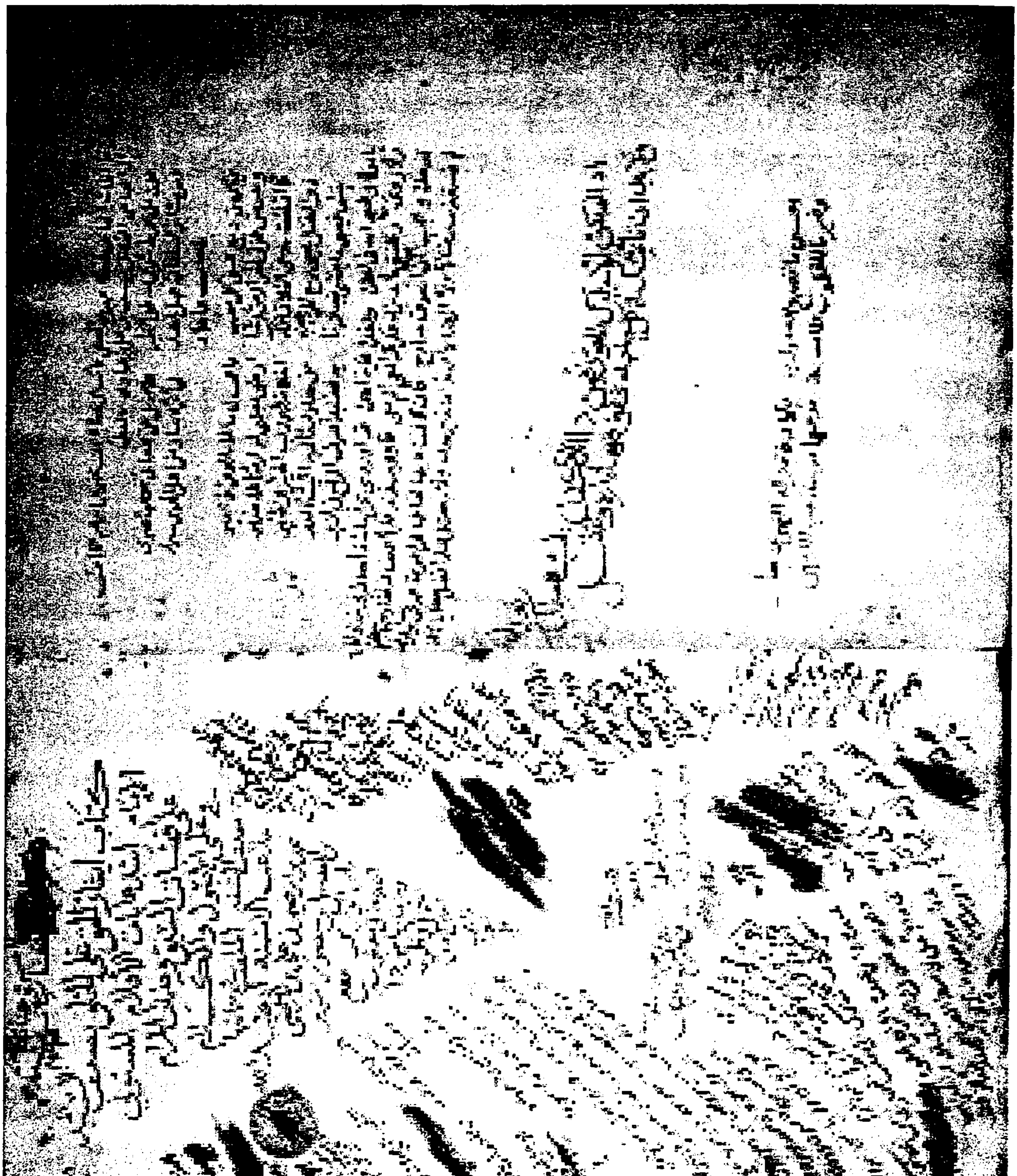
نسخة (أ)



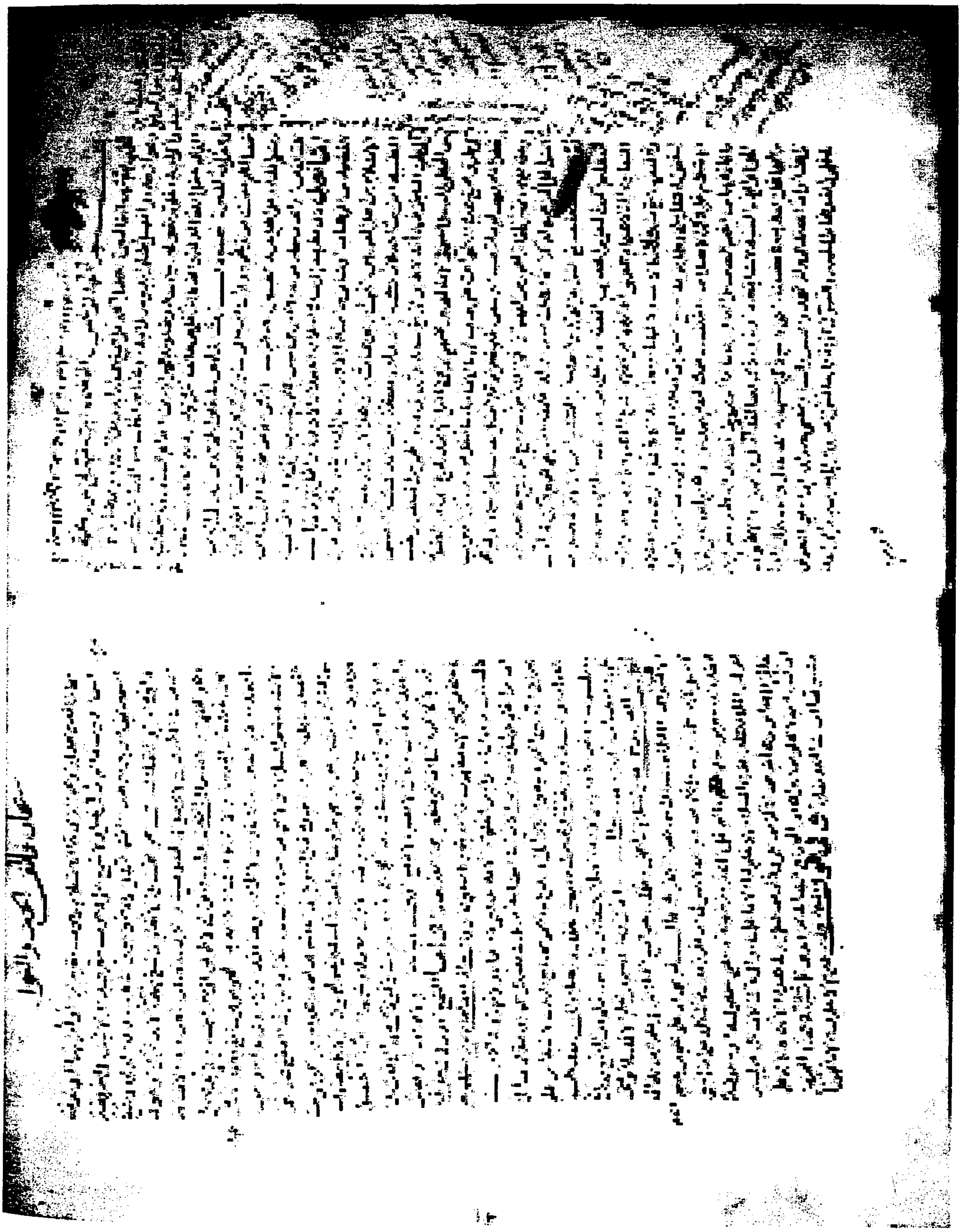
صورة المخطوط (ب)



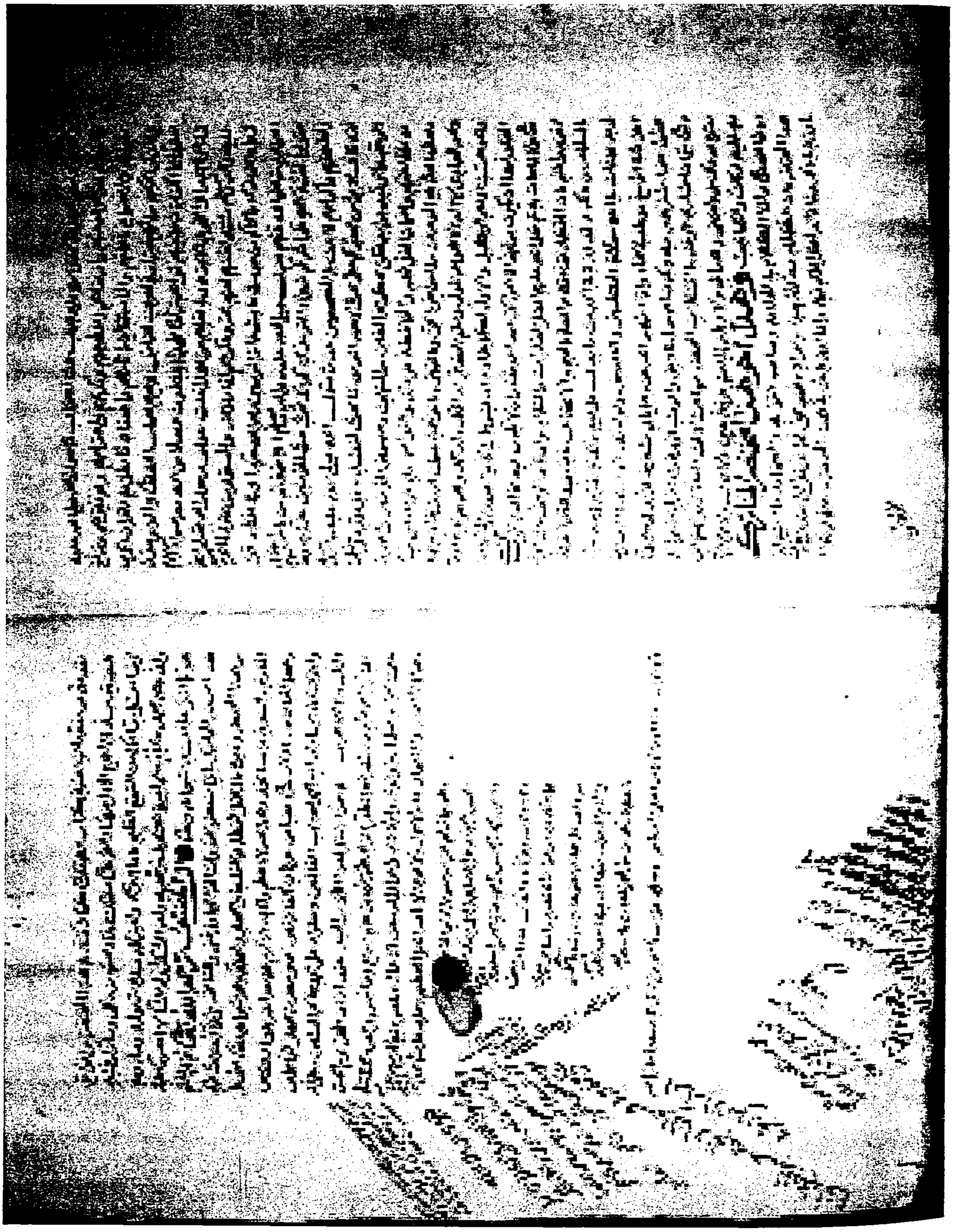
صورة المخطوط (ب) نسخة عبد الله بن الأمير رحمه الله



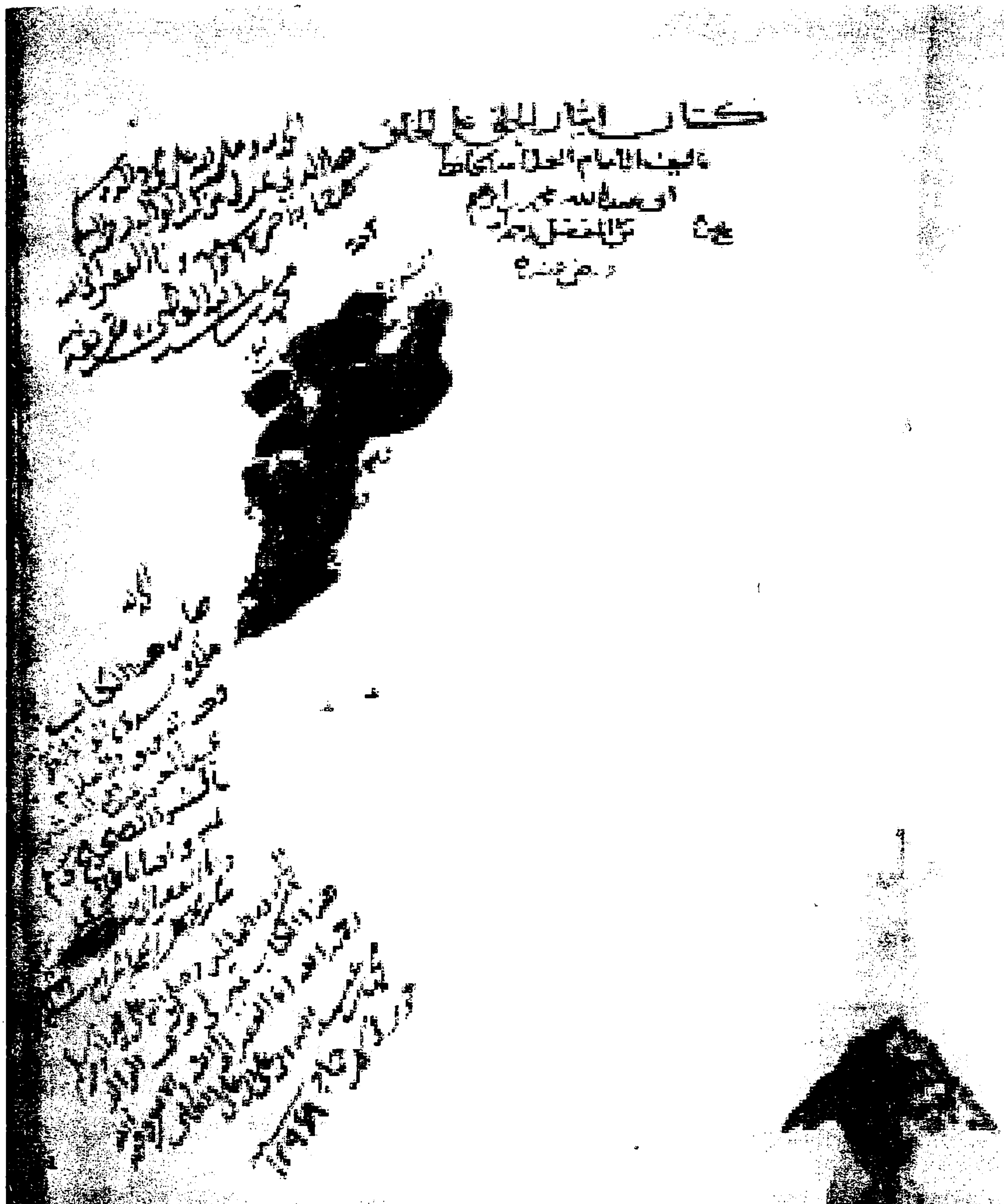
صورة المخطوط (ج)



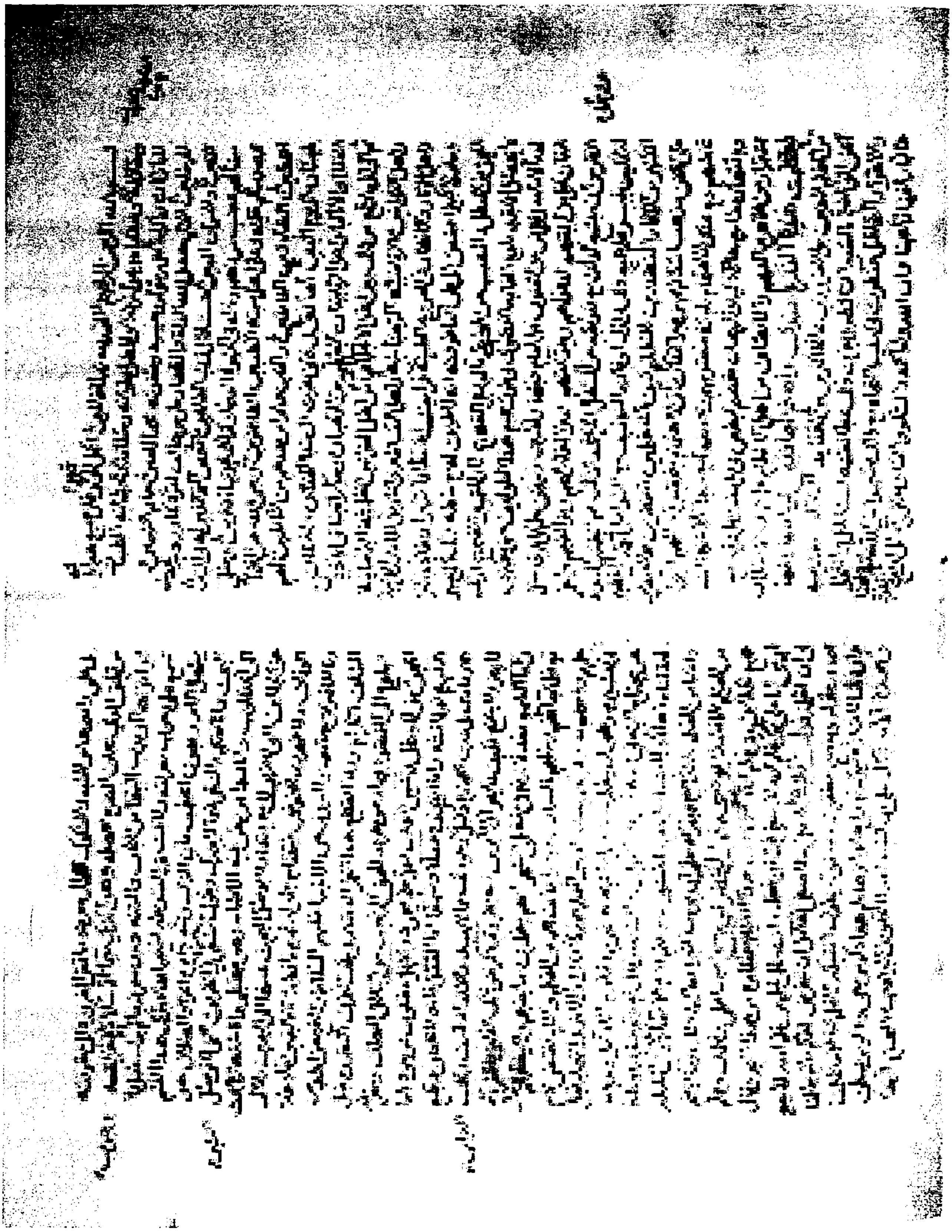
(ج)



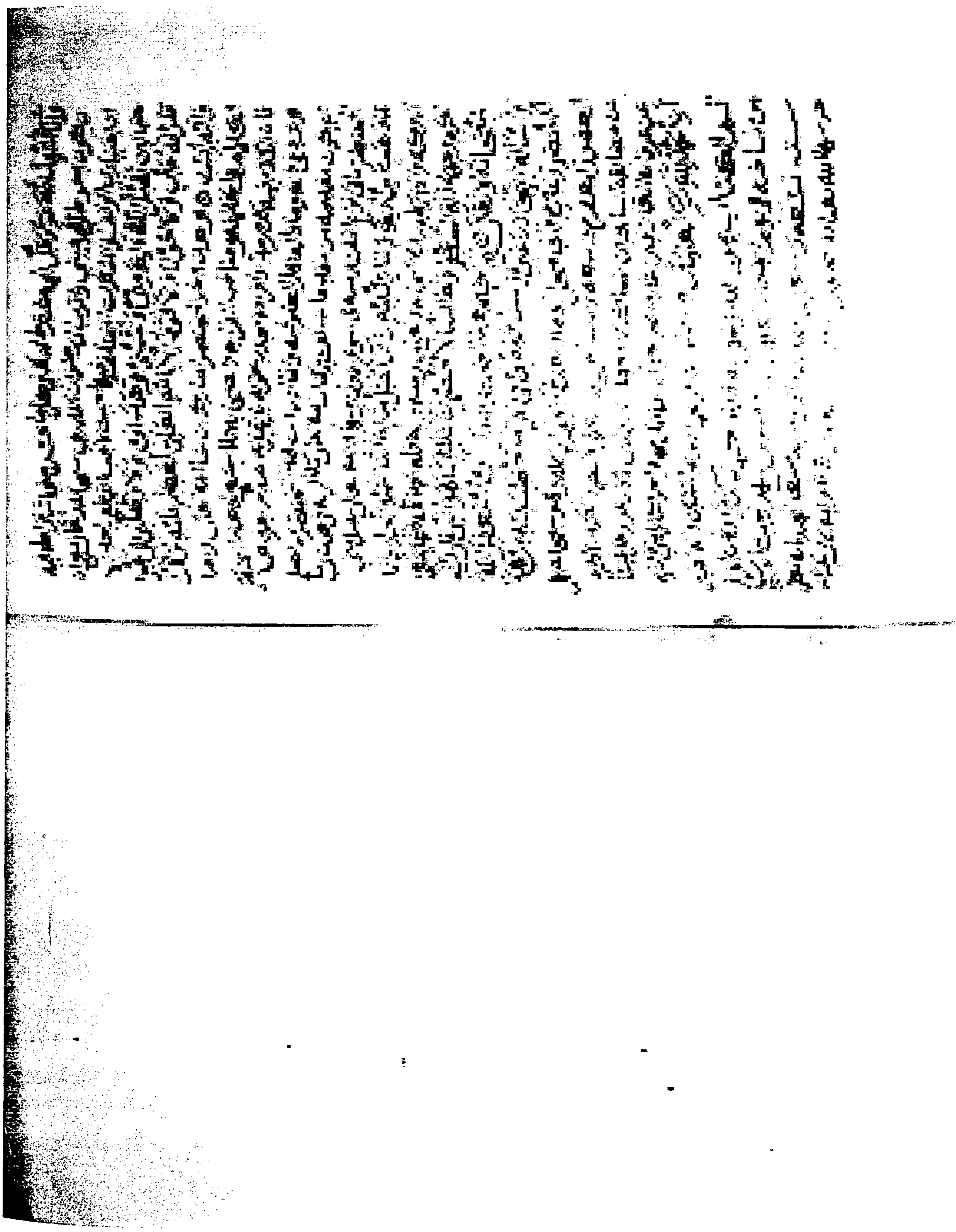
صورة المخطوط (هـ)


كتاب إيثار الحق على الخلق

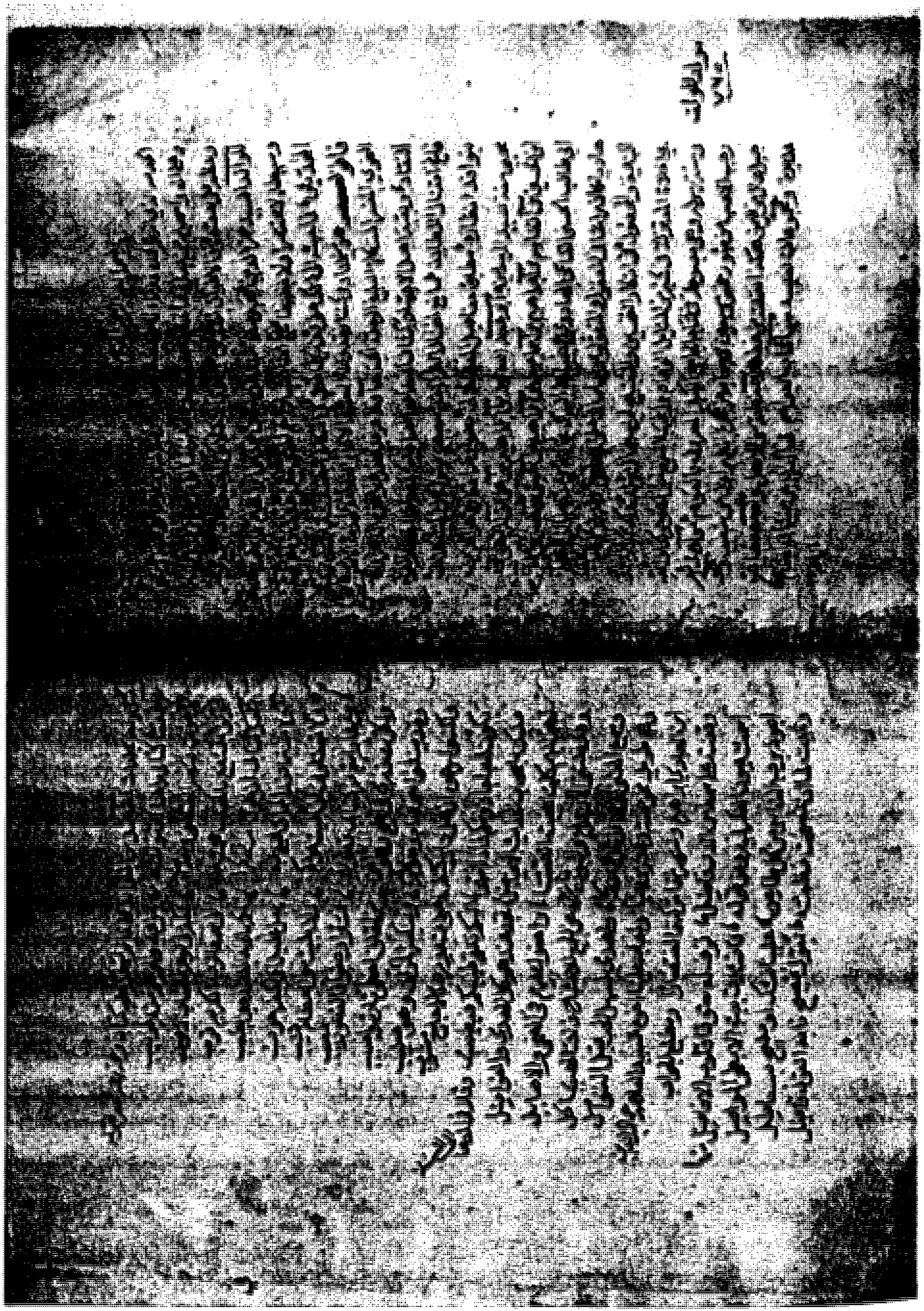
المخطوط (هـ)



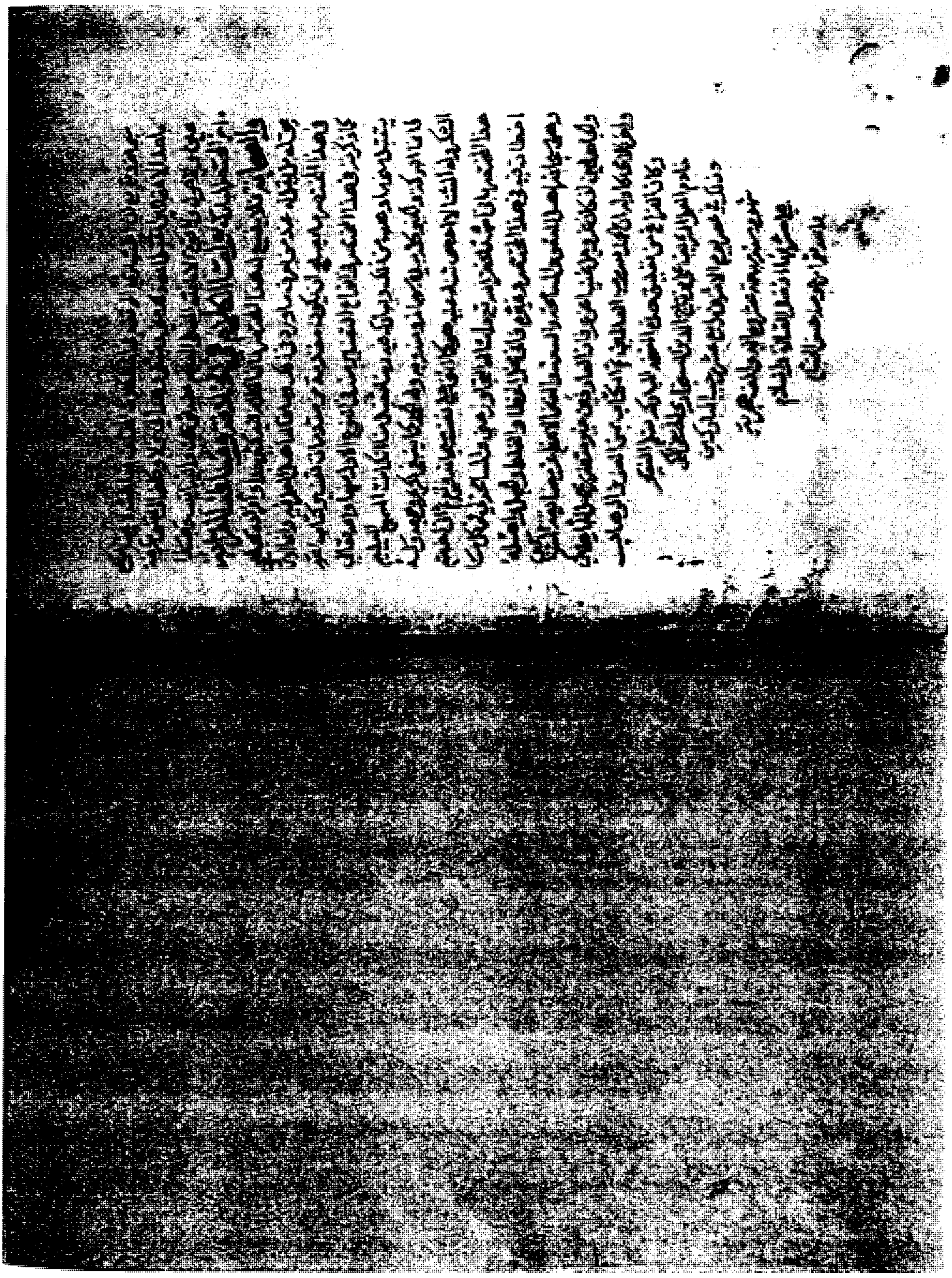
صورة (د)



صورة (د)



صورة المخطوط (د)



النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

[وبه نستعين، وصلى الله على محمد وآله][1]

الحمد لله رب العالمين أكمل الحمد، على جميع هداياته ومعارفه وعطاياه وعوارفه، وأفضل صلواته وسلامه وتحياته الطيبات المباركات وإكرامه على رسوله وحبيبه وصفواته، محمد الأمين، خاتم النبيين والمرسلين، الذي جعل الله الذلة والصغار على من خالف أمره، كما ورد به الحديث المتين[2] والقرآن المبين، حيث قال رب العالمين في بعض المخالفين له في الدين: ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ۝١٥٢﴾[3][الأعراف: ١٥٢]. وصلى الله وسلم عليه][4] وعلى آهل بيته [الطيبين][5] الطاهرين. ورضي الله عن أصحابه[6] الصادقين السابقين، والذين جاءوا من بعدهم من التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) زيادة من (خ، ك).

(٢) «وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري». أخرجه البخاري (٣/ ٢٣٠)، وأحمد (٢/ ٥٠) وفي حاشية [و(٤٦٩) من حديث ابن عمر في جامع المسانيد] من خط المصنف عليه السلام.

(٣) حاشية: الآية في عَبْدة العجل لا في من خالف أمره -صلى الله عليه وآله وسلم- كما هو المراد في الحديث. فما كان يحسن سياقها سياق الحديث كما صنعه المؤلف، ولو استدل -رحمه الله تعالى- بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] ومن الفتنة: الإذلال والغضب من الله. أنوار.

(٤) ساقط من (ج).

(٥) زيادة من (ب، خ). ومصححة على الأصل. وجامع المسانيد لابن الجوزي، مفقود.
وفي الحاشية وقال ابن الأمير رحمه الله: [في «المسند» من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين... وأن يعبد الله وحده لا يشرك به... وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»] صحيح أخرجه أحمد (٢/ ٥٠).

(٦) في بقية النسخ [عن الصحابة أجمعين].

(أما بعد) فإني نظرت إلى شدة [الخلاف][١] واختلاف العقلاء والأذكياء، وأهل الرياضات العظيمة من الرهبان[٢] وسائر أجناس أهل الأديان، ثم إلى ما وقع من ذلك بين أهل الإسلام؛ من أهل القوانين العلمية البرهانية[٣] وأهل القوانين الرياضية[٤] الرهبانية، وأهل التفاسير والتآويل للآيات القرآنية[٥] وأهل الآثار والأنظار في الفروع الظنية، فرأيت اختلافًا كبيرًا[٦]، وتعاديًا نكيرًا، وتباعدًا كثيرًا يسبق[٧] إلى ظن الناظر فيه أنه لا طريق له، مع سعة ذلك، إلى تمييز المحق

---

(١) زيادة من (ب، خ).

(٢) هم علماء النصارى. وفي الأنوار: الرهابنية والمجاهل، وهي التي لا هداية للعقول فيها ولا للنفوس، وإن كان في هذا مخرج إن شاء الله تعالى.

(٣) هم علماء الكلام.

(٤) هم علماء الفلاسفة.

(٥) قال: قال ابن الأمير: التأويل في القرآن يراد به: ما يؤول الأمر إليه. وإن كان موافقًا لمدلول اللفظ ومفهومه في الظاهر. ويراد به تفسير الكلام وبيان معناه. وإن كان موافقًا له، وهو اصطلاح المفسرين المتقدمين مجاهد وغيره. ويراد به: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك. وتخصيص لفظ التأويل بذلك المعنى إنما يوجد في كلام بعض المتأخرين، فأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم فلا يخصون لفظ التأويل بهذا المعنى، بل يريدون بالتأويل المعنى الأول والثاني اهـ. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية رحمه الله. (٢/ ٧). (أنوار).

والتفسير شرعًا: توضيح معنى الآية وسياقها وقصتها، والسبب الذي نزلت معه لمعناها أو لمعنى. ويدل عليه دلالة ظاهرة وبوجه إلى الكمال معاوض. والتأويل أي التفسير: صرف الآية عن معناها الظاهر أنه معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقًا للكتاب والسنة، كقوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥] ومن أراد به إخراج الكفر من الإيمان كان تفسيرًا، أو إخراج المؤمن من الكافر والعالم من الجاهل كان تأويلًا. ذكره ابن بطال. أنوار.

(٦) في (ج): [كثيرًا].

(٧) في (ب، م): [سبق].

من المبطل، والمصيب من المخطئ بالدليل الصحيح؛ لأن التمييز[١] الصحيح لذلك لا يحصل إلا بعد بلوغ الغاية القصوى في طرق جميع هذه الطوائف، حتى يعترف له بالإمامة في كل فن من تلك الفنون كل إمام بها وعارف، ويتقن علم كل فرقة مثل إتقان كل من أئمتهم لدعاواهم[٢] وحقائقهم، مميزًا لمعارفهم ومزالقهم، والعمر أقصر من أن يتسع لذلك، مع تفريغه عن الشواغل المزاحمة، لذلك تم الطلب الشديد له، فكيف يتيسر علم جميع ذلك في أول أوقات التكليف، مع الشواغل الجمة والتقصير الكثير من الأكابر المتصدرين للتعليم، كيف للمتعلمين المقصرين المقتصرين على تلقن مذاهب أسلافهم، من غير التفاتهم[٣] إلى الاهتمام بتحقيق أدلتهم التي تخصهم[٤] دع عنك الاهتمام[٥] بأدلة خصومهم وتحقيقها، مع شدة الإشكالات ودقتها، ومعارضة الأذكياء والرهبان بعضهم لبعض[٦] في كل ملة وكل فرقة، ومع استمرار مَن ظاهره الفهم والإنصاف

(١) في (ج): [تمييز].
(٢) في (ب، ج): [لدعواهم].
(٣) خطأ في (ب).
(٤) في (ج، ك): [تحضهم].
(٥) خطأ في (ك).
(٦) حاشية: قال ابن الأمير: أقول: أراد بالرهبان هنا أهل الرياضات من أهل الإسلام، إذ هو في سياق قوله: (ثم إلى ما وقع بين أهل الإسلام) ولو عبر عنهم بأهل الرياضات فقط لكان أولى لثبوت النهي عن الترهب في الإسلام كما عرفت. أنوار.
وأشار إلى هذا الكلام الغزالي في آخر رسالته التي سماها (المنقذ من الضلال) ذكر فيها أنه صنف وانتصر لأهل كل مذهب أو لكثير منهم اهـ. من خط سيدي صلاح بن أحمد. انظر المنقذ ص(٨٠-٨٣).
حاشية: قال الأمير رحمه الله: قلت: قال الغزالي في (المنقذ من الضلال) ما لفظه: ولم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل العشرين إلى الآن، وقد أناف السن على الخمسين، أقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمرة خوض الجسور لا خوض الجبال الجذور،=

من أهل الإسلام على ذلك الاختلاف، فعظمت هذه الفكرة عندي، واهتم لها قلبي، لولا ما عارضها من العلم اليقين، بل الضروري، بما للأكثرين من العقائد الباطلة، ومعارضة الحق الواضح بالشبه الساقطة، وتعرف ذلك بمطالعة كتب الملل والنحل(١) والأهواء والتجاهل، فنظرت في كيفية النجاة مع ذلك مستمدًّا

=وأتوغل في كل مظلمة، وأنتهج على كل مشكلة، وأقتحم كل ورطة، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة لأميز بين محقق ومبطل ومتسنن ومبتدع، لا أغادر باطنيًّا إلا وأحب أن أطلع على بطانته، ولا ظاهريًّا إلا وأريد أن أعلم حاصل ظاهرته، ولا فلسفيًّا إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته، ولا متكلمًا إلا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته، ولا صوفيًّا إلا وأحرص على العثور على سر صفوته، ولا متعبدًا إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته، ولا زنديقًا معطلًا إلا وأتجسس وراءه.... للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته. وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري، غريزة وفطرة من الله وضعتها في جبلتي، لا باختياري وحيلتي، حتى انحلت عني رابطة التقليد، وانكسرت علي العقائد الموروثة على قرب عهد شرة الصبا؛ إذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام، وسمعت الحديث المروي عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» [صحيح رواه البخاري ومسلم] إلى آخر كلامه، وهذا القدر مناسب ما ذكره المصنف -رحمه الله- من قوله: إن التمييز الصحيح لا يحصل إلى بعد بلوغ الغاية القصوى في طرق جميع الطوائف. إلى آخره. أنوار. [انظر «المنقذ من الضلال» ص(٢٤-٢٥)، ط مؤسسة الكتب الثقافية، وقد أصلحت كثيرًا من الكلمات بسبب الطمس في المخطوط. والحمد لله].

(١) حاشية: قال ابن الأمير: أقول: اعلم أنه قد ضل طوائف أعدادها (عدهم) أو التعداد، ولذا قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣] وقال: ﴿وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: ١٠٢] وقد قال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ٢٠] يريد بظنه قول آية: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧] وقال تعالى: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ [الإسراء: ٨٩] (وهذا من الله) لما قاله إبليس: يلعب بأكثر بني آدم، وبلغ منهم كل مراده من الفساد والشر، وقليلًا من أحوال الفرق الضالة، كما قاله ابن القيم -رحمه الله- في كتابه «إغاثة=

من الله [تعالى][١] داعيًا طالبًا، راغبًا راهبًا، وأن الله تعالى وله الحمد والشكر والثناء وفقني حينئذٍ إلى أوضح الطرق في علمي، وأبعدها من الشبه والشكوك إلى معرفة ما تمس الضرورة إلى معرفته من الحق الذي تخاف المضرة بجهله، وهو الذي جاء الإسلام بوجوب معرفته[٢] أو أمر بها أو ندب إليها من الكتاب والسنة، دون معرفة ما لم يدل عقل ولا سمع على وجوب معرفته، ولا ثبت في الشريعة استحبابها، وبترك هذا القسم[٣] يسهل الأمر ويهون الخطب.

***

=اللهفان» فأولهم عباد الأوثان وبعدها في عصر نوح (عليهم) [أي عليهم السلام]... إلى قوله: وهي أصل نور القمر والكواكب... إلى قوله: السر المكنون في سر علم المنون اهـ. في الكواكب ويكون في الموجودات العلوية كلها، منها عندهم وهي عندهم الفلك يستحق التعظيم والسجود والدعاء، ويصلون لها ثلاث صلوات إذا طلعت سجدوا لها وإذا توسطت، وإذا غربت، وتعار...... لها شيطان في هذه الثلاث الأوقات ليقع سجودهم له، وإذ أنه نهى صللهم [صلى الله عليه وآله وسلم] عن الصلاة في هذه الثلاثة الأوقات. واتخذوا إلهًا صنمًا بيده جوهرة على لون إنسان وله بيت خاص وأوقاف وسدنة يأتون إليه في السنة، وطائفة اتخذت القمر صنمًا على شكل عجل يجره أربعة وبيد الصنم جوهرة ويعبدونه، ويسجدون له وقالوا: إليه تدبير هذا العالم السفلي، وهم يصومون له من الشهر أيامًا. وطائفة اتخذت أصنامًا للكواكب وبنوا لها هياكل ومقعدات بكل كوكب هيكل ما يحصنه. وإذا أردت على هذا في كتاب السر المكنون فيمن نحا من النجوم الممنون. أو السر المكنون في سر علم الممنون اهـ.

(١) زيادة من (ج).

(٢) قال حاشية: أقول الضمير لقوله الحق وبأن للمصنف -رحمه الله- أنه السبعة الأمور التي نصح بها وتحقيقها كتابه هذا.

(٣) حاشية: وهو معرفة ما لم يدل عقل ولا سمع على معرفته وما يثبت في الشريعة، استحباب معرفة قوله سهل (الأشياء) أو [الأسباب] أقول: أي الذي قد كان عظمت به الفكرة واهتم لها. أنوار.

[أسباب وسع دائرة المراء والضلال]

فإن الذي وسع دائرة المراء والضلال هو البحث عما لا يعلم، والسعي فيما لا يدرك، وطول السير [والسعي][1] في الطريق[2] التي لا توصل إلى المطلوب، والاقتداء بمن يظن فيه الإصابة وهو مخطئ، والاشتغال بالبحث عن الدقائق التي لا طريق إلى معرفتها، ولا يوصل البحث عنها إلى اليقين ولا إلى الوفاق، ولا ظهرت للخوض فيها مع طوله ثمرة نافعة، لا باليقين صادعة، ولا للافتراق جامعة، ولا روي عن[أحد من][3] الأنبياء -عليهم السلام- ولا صح عن [أحد من][4] السلف الكرام.

***

(١) زيادة في (ب).
(٢) في (أ): [الطرق].
(٣) ساقط من (ج).
(٤) ساقط من (ج).

[طلب كل العلوم ليس بأمر محمود]

وربما انقطع هذا العمر القصير في تلك الطرق البعيدة قبل البلوغ إلى المقصود بها، وهو معرفة الحق الواجب من الباطل المهلك، ومعرفة المحق من المبطل، وليس الطلب [لكل](١) علم بمحمود(٢) ولا كل مطلوب بموجود، أمّا الثانية فوفاقية، وأما الأولى فعقلًا وسمعًا. أما العقل [فلأنه](٣) لا يحسن قطع الأوقات في وزن الحجارة وكيل التراب، ونحو ذلك مما لا يفيد، والعلة أنه عبث ولعب، لا يضر ولا ينفع، فكيف بما يضر، أو لا يؤمن أنه يضر، وقد ذكر نحو ذلك القاضي جعفر(٤) -رحمه الله- [تعالى](٥).

وأما السمع فقد قال [الله](٦) تعالى في متعلمي السحر إنهم يتعلمون ما يضر بهم ولا ينفعهم، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [غافر: ٨٣] والآية تقتضي ذم علمهم وذمهم به.

وفي الحديث: «**إن من العلم جهلًا**»(٧).

---

(١) في (ج): [بكل].

(٢) حاشية: قوله هذا للاستدلال لقوله: فإذا الذي وسع دائرة المراد الضلال... الخ. أنوار.

(٣) في (ج) [فأنه].

(٤) القاضي شمس الدين جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن إسحاق اليماني زيدي توفي (٧٠هـ). انظر: «هداية العارفين» (١/ ٢٥٤).

(٥) زيادة من (ج).

(٦) ساقط من (ب).

(٧) حسن أخرجه أبو داود (٤/ ٣٠٣) (٥٠١٢) ولفظه: «إن من البيان سحرًا وإن من العلم جهلاً». قال المنذري رحمه الله: فيه أبو تميلة يحيى بن واضح الأنصاري المَرْوَزِي، وثقه أبو حاتم وابن معين، وكتبه البخاري في «الضعفاء»اهـ. لعل بعضهم يستدل بهذا الكلام فيضعفه، ولكن قال الإمام الذهبي رحمه الله: لم أجده في ضعفاء البخاري. كما نقله عنه في «تهذيب التهذيب»=.

قال ابن الأثير[1] في «النهاية»: قيل في تفسيره: وهو[2] أن يتعلم ما لا يحتاج إليه، كالنجوم وعلوم الأوائل، ويدع ما هو محتاج إليه في دينه من علم القرآن والسنة. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا[3] وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩] وعلم آدم الأسماء [كلها][4] دون الملائكة، وآتانا من العلم قليلًا، مع قدرته على أن يؤتينا منه كثيرًا، فقال في ذلك: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

***

=وفي «المغني عن حمل الأسفار» قال: ضعيف. أي: الحديث. ووجدته في «الصحيحة» رقم (١٧٣١) يستشهد بهذا الطريق الذي جاء عن بريدة لذلك ترجح لي أنه حديث حسن بشواهده. والله أعلم.

حاشية: قال العلامة الأمير رحمه الله: أقول: هو بعض من حديث أخرجه أبو داود من حديث بريدة مرفوعًا بلفظ: «إن من البيان سحرًا، وإن من العلم جهلًا، وإن من الشعر حكمًا، وإن من القول عيالًا». قلت: والظاهر في تفسير أنه العلم الذي يضر صاحبه في دينه ويزيده حيرة فإنه كالجاهل في إضراره، فلما ضر صاحبه سماه جهلًا. استعارةً. أنوار.

وقال بعضهم: «إن من العلم جهلًا» فيتكلف العالم إلى علمه ما لا يعلم فيجهله ذلك اهـ.

(١) هو مجد الدين أبو السعادات المعروف بابن الأثير. انظر: «الغريب» (١/ ١٩١).

(٢) في (ج): [هو].

(٣) دلت الآية على أنه لا يظلمهم على أنه سلك قوله يوضحه قول الخضر. أقول: أي يوضح القول بأنه تعالى لم يأت العباد من العلم إلا قليلًا وهذا اللفظ في «صحيح البخاري» وغيره، وإنما جعل كلام الخضر أيضًا دليلًا للآية؛ لأنه أبان في القصة أن المراد من الآية: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ وفي لفظ الخضر: (ما علمي وعلمك من علم الله) الخ.

(٤) ساقط من (ب، ج، م).

[إيضاح ذلك]

يوضحه قول الخضر لموسى عليهما السلام: «**ما علمي وعلمك وعلم جميع الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من هذا البحر**» وقال لموسى: «**أنا على علم من علم الله لا ينبغي لك أن تعلمه، وأنت على علم من علم الله لا ينبغي لي أن أعلمه**»(١) فدل ذلك كله على أنه لا ينبغي للعاقل أن يتعرض لعلم ما لم يعلمنا الله تعالى ورسوله ويتضح معقوله ومنقوله؛ لقول الملائكة عليهم السلام: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢] وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ [الأنبياء: ٢٤](٢) وفي هذه الآية دلالة على أن كتب الله لا تخلو من البراهين المحتاج إليها في أمر الدين، كما سيأتي في هذا المختصر، مستوعبًا إن شاء الله تعالى. وفي قول الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢](٣) إشارة إلى ذلك،

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٨/ ٤١١) مع الفتح وأحمد (٥/ ١٢٠).

(٢) حاشية قال ابن الأمير: أقول: أي: قول الخضر: (لا ينبغي لك أن تعلمه ولا ينبغي لي أن أعلمه والكل من علم الله، إن قلت إن موسى ما ذهب إلى الخضر إلا ليعلمه مما لديه كما قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦﴾ [الكهف: ٦٦] أو علم الخضر هو الوحي لا يتعلم، إنما هو فضيلة من الله. قلت: لم يرد موسى إلا أن يطلعه على ما علمه إلا ليتعلمه موسى بل ليعلمه ويعرف فضيلته عليه لقول الله تعالى لموسى أنه أعلم منه كما ثبت ذلك في سبب سفره إليه.

وقوله: (لا ينبغي لي أن أعلمه) أي: أن الله قدم فضله على كل منا بعلم علم أهليته لما أعطاه، ولم يأذن للآخر طلب ما عند صاحبه، وإنما أراد تعالى أن يرد أو يري موسى من هو أعلم منه. أنوار.

قوله: (ويتضح معقوله ومنقوله): أقول: أي معقول الدليل على أنه لا ينبغي للعاقل أن يتعرض لعلم ما لم يعلمه الله ورسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- وكأنه يريد أن قولهم: (لا علم لنا) نفي لكونهم لا يعلمون شيئًا بالعقل، وقولهم: (إلا ما علمتنا) إثبات لكونهم يعلمون ما علمهم، وليس إلا بالسمع فلا ينبغي لنا أن نتعرض لما طوي عنا علمه مما قلناه أيجعل فيها... الخ. فإن صار به على غير علم علمهم وليس إلا بالسمع. أنوار.

(٣) ساقط من (ب).

بل دلالة واضحة؛ لأنهم حين قطعوا على فساد آدم -عليه السلام- مع إخبار الله [تعالى][(١)] لهم [أنه مستخلفه][(٢)] في الأرض، إنما أُتُوا من خوضهم فيما لم يعلمهم الله تعالى[(٣)] إذ لو كان من تعليم الله ما أخطأوا فيه، فلما تبين لهم خطؤهم نظروا من أين جاءهم الخطأ على[(٤)] علو منزلتهم، فعرفوا أنهم أخطأوا لما تعرضوا لعلم ما لم يعلمهم ربهم[(٥)] سبحانه، فقالوا حينئذٍ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢].

فهذا وهم أحق الخلق بالعلم والكشف للغائبات، فإنهم أنوار وعقول بلا شهوات حاجبة ولا أهواء غالبة. [وكذلك[(٦)]] ذم الله الذين في قلوبهم زيغ بابتغاء تأويل المتشابه، ومدح الراسخين بالاعتراف بالعجز، كما هو معروف عن علي -عليه السلام- في أمالي السيد الإمام أبي طالب[(٧)] وفي «نهج البلاغة»[(٨)] على ما سيأتي تقريره والحجة

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ج): [على أنه سيخلفه].

(٣) حاشية قال ابن الأمير: أقول: الروايات الأثرية في القصة دالة على أنهم إنما قالوا ذلك استنادًا إلى الأرض فيرى بني آدم ما أفسدوا فيها وسفكوا الدماء فيها (وقد) أعلم بإخراجهم من الأرض ثم أخبرهم أنه مستخلف آدم. فقالوا: إنما قالوا قياسًا وهو من أدلة فساد القياس. أنوار.

(٤) في (ج): [مع].

(٥) في (ب): [الله].

(٦) في (ب): [ولذلك].

(٧) أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون بن الأقطع البطائحي الحسيني مولود سنة (٣٤٠هـ)، مات بجرجان، وهو من أئمة الزيدية مات (٤٢٤هـ).

(٨) ليس من كلام علي -رضي الله عنه- و كاتبه رافضي، ومختلف هل هو لأبي طالب أم لأخيه. وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال»: ومن طالع كتاب نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي -رضي الله تعالى عنه- فإن فيه السب الصريح والطعن في أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-. وانظر «كشف الظنون» (٢/ ٤٠٨). وقد جزم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أن أكثر ما في «نهج البلاغة» ليس من كلام الإمام علي رضي الله عنه. انظر «منهاج السنة» (٤/ ١٥٩) ولو كان كلام علي لجاء في الكتب قبل «نهج البلاغة» ولنقل بالأسانيد إلى=

عليه. وذم اليهود على تعاطي [علم][(١)] ما لا يعلمون[(٢)]، فقال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[آل عمران: ٦٦].

ومن ذلك أن الله تعالى أرى رسوله[(٣)] - صلى الله عليه وآله وسلم - والمسلمين يوم بدر الكثير من المشركين قليلًا في المنام[(٤)] ثم في اليقظة للمصلحة.

***

=الأمة. فتنبه. وقد دافع عنه ابن أبي الحديد شارحه وقال إنه من كلام علي -رضي الله عنه- وأنه مؤلفه الرضي بن الحسن. وبعضهم و ضع له أسانيد وأسماه «مصادر نهج البلاغة» وكل ذلك من كلام الروافض.

(١) ساقط من (ب).

(٢) في (ب): [لم يعلموا].

(٣) في (خ): [رسول الله].

(٤) حاشية قال ابن الأمير: أي: رأى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين، وهم نحو من ألفين. وقيل للمسلم أي: رأى المسلمون المشركين من المسلمين رجلين من المشركين كما أمر الله به فقال: ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ﴾ [الأنفال: ٦٦] وفي الضمير المضاف إلى مثله فإنه على الأول للمشركين وفي الثاني للمسلمين أقيد في «الكشاف». أنوار.

[المصلحة للخلق قد تتعلق بجهل بعض العلوم]

واختلف لمن الضمير في قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣] وقال سبحانه في الساعة: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥] أي: أخفي علمها الجملي. وأما تعيين وقتها فقد أخفاه الله من الخلق، كما قال: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧] وكفى بذلك حجة [ساطعة(١)] على أن المصلحة للخلق قد يتعلق(٢) بجهل بعض العلوم، ومما يوضح ذلك قول عيسى عليه السلام: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٦٣] كما ذكر في «الكشاف»(٣) ولأن حكمة الله وحكمه الذي لا يغالب قد يقتضي ذلك عمومًا، كما اقتضت(٤) كتم الآجال [عن](٥) الأكثرين.

وجاء في الحديث الصحيح(٦) أن أبا بكر -رضي الله تعالى عنه- أوَّل رؤيا

(١) في (ب): [صاطعة].

(٢) في (ب، ك): [تعلق].

(٣) «الكشاف» تفسير للزمخشري المعتزلي (٤/ ٣٠٦-٣٠٧). حاشية: قال الأمير: قلت: ومثله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا﴾ [المائدة: ١٥]. أنوار.

(٤) في (ج): [يقتضي].

(٥) في (ب): [على].

(٦) حاشية: قال الأمير: قلت: في «جامع الأصول» عن ابن عباس (خ م ت د) قال: إن رجلاً أتى رسول الله (صلعم) [صلى الله عليه وآله وسلم] فقال: يا رسول الله: إني رأيت الليلة في المنام كأن ظلة ينطف السمن والعسل، وأرى الناس يتكففون منها بأيديهم، فالمستكثر والمقل، فإذا سبب واصل من السماء إلى الأرض، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به آخر فانقطع به فعلا. فقال أبو بكر: يا رسول الله، بأبي أنت، والله لتدعني فاعبره! فقال النبي (صلعم) [صلى الله عليه وآله وسلم]: «عبر» فقال أبو بكر: أما الظلة فظلة الإسلام، وأما الذي ينطف على السمن والعسل، فالقرآن حلاوته والسنة، وأما ما تكفف به الناس من ذلك فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي=

عند رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فقال له: «**أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا**» فسأله بيان ما أصاب فيه وما أخطأ، فأبى عليه، فقال: أقسمت عليك إلا ما أخبرتني. فقال(١): «**لا تقسم**» فهذا مع إكرامه له، وأنه على خلق عظيم كما قال الله تعالى(٢) فلولا أن الجهل ببعض الأمور قد يكون راجحًا أو واجبًا(٣) لما تخلف عن إخباره(٤) بعد هذا الإلحاح الكثير من هذا الصاحب الكبير، فدل على أنه ليس

=أنت عليه، تأخذ به فيعليك الله، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذه رجل آخر فينقطع به، ثم يوصل له فيعلو به، فأجبر...... يا رسول الله بأبي أنت أصبت أم أخطأت! فقال (صلعم) [صلى الله عليه وآله وسلم]: «أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا». قال: لا تقسم. انتهى. قلت: كتب الداوودي في شرح البخاري (لا تكرر القسم). أنوار. وانظر «صحيح البخاري» (٦٦٣٩)، ومسلم (٢٢٩٦).

(١) في (ب): [النبي].

(٢) قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

(٣) في (ج): [وواجبًا].

(٤) حاشية قال الأمير: أقول: فإن أقسم عليه ثم صغا لحديثه، وقد ثبت الأمر بإبرار القسم فلم يبر ص..... قسمه لما علمه [زاد حُمَيْد صلى الله عليه وآله وسلم] قلت: والعجب كله بعد هذا أنه خاض أئمة من علماء الحديث في ماذا الذي كان فيه خطأ أبي بكر. فقال الإسماعيلي: أن الرجل لما قص (أفردنا) أو (أمره عليه) ص [صلى الله عليه وآله وسلم] كان ص له حق بتعبيرها من غيره فلما طلب أبو بكر تعبيرها كان ذلك خطأ. قلت: يرده أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - لما أخطأ صوبه بعد تعبيرها فكان الصواب في بعضه والخطأ في بعضه وذلك في التعبير نفسه وهو واضح ولا يفهم هذا الذي قاله الإسماعيلي (يد أو مر)..... القصة وسياقها (سببها) كيف وهو يقول له: أصبت وأخطأت بعضًا. ولو كان كما قالوا لما أقسم إلى أصابه وخطأ، فإنه طلب أن يفسرها ليس إلا شيئًا واحدًا. وقال غيره: خطؤه لكون المذكور في الرؤيا شيئين: العسل والسمن، ففسرها شيئًا واحد هو القرآن، وكان الأولى أن يفسرهما في القرآن والسنة وأطال شراح الحديث في بيان ما حواه جواب ص [صلى الله عليه وآله وسلم] (تظمن)...... أو كلمة نحوها وبنحوه بيان ساغ لهم ذلك مع [طبيعة] تصديقه ص [صلى الله عليه وآله وسلم] لذلك فكيف يحاول محاولة معرفة سره ص، وآفتاه وقد يلمه بعض الناظرين منهم على ذلك. فقال: إذا قدموا على تعيين ذلك مع كونه صم لم يبين ذلك، وأنه كان يلهم من جهته. مفسره=

في كل علم صلاح العباد، وإن قدرنا أنه يحصل من غير خطأ ولا تعب ولا خطر، فكيف مع خوف الفوت والخطر العظيم والتعب الشديد، بل [هو][1] مع تحقق ذلك في حق الأكثرين بالتجارب الضرورية.

ومن ذلك قول رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- حين رفع علم ليلة القدر و[بيانها][2]: «**وعسى أن يكون خيرًا لكم**» رواه البخاري[3]. وقوله في حديث معاذ: «**دعهم يعملوا**» متفق على صحته[4]. وشواهده [جمة][5] كثيرة صحيحة. ومن ذلك، وهو أعظمه وأشهره، قصة الخضر وموسى - عليهما السلام- وهي شافية كافية، وهي صريحة في اختلاف المصالح في العلوم. ومنه قوله تعالى بعد حكاية الاختلاف بين داود وسليمان [عليهما السلام][6]: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

=إذ ذاك فزالت بعده. انتهى. أنوار.

قلت: وفي هذه عبرة وتصديق لكلام المصنف -رحمه الله- في تعاطي الناس للبحث فيما لم يجوز الله ورسوله [صلى الله عليه وآله وسلم] إلى معرفته سنة لما ولكن هذا وبعد تصديقه لقوله ص لوضع الناس عرفت بمعرفة معناها [فنوها] أو نحو هذا اللفظ اهـ. أنوار.

(١) ساقط من (ج). وخطأ في (ك).

(٢) ساقط من (ب).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٢٣) باب معرفة ليلة القدر. عن عبادة بن الصامت مرفوعًا: «خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرًا لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة».

(٤) لعل الصواب: «دعهم فليعملوا» وقد أخرجه أحمد أيضًا عن أبي هريرة (٢/ ٥٣٥) والذي جاء عن معاذ، رضي الله عنه، أنه قال يا رسول الله: أفلا أبشر الناس؟ قال عليه الصلاة والسلام: «إذًا يتكلوا...». صحيح البخاري (١٢٨) وصحيح مسلم (٣٣).

(٥) ساقط من (ج، ك).

(٦) زيادة من (ب).

وذكر الشيخ أبو القاسم البَلْخي[1] في مقالاته المشهورة العامة فقال: هنيئًا لهم السلامة مرتين أو ثلاثًا. وفي شعر العلامة ابن أبي الحديد المعتزلي[2] وقد حكى كثرة بحثه في علم الكلام[3] حتى قال:

(١) هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البَلْخي. كان رأس طائفة من طوائف المعتزلة (الكعبية) من كبار المتكلمين، مات سنة ٣١٧هـ. انظر «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٥) و«تاريخ بغداد» (٩/ ٣٨٤).

(٢) في المطبوع خطأ (عابد) وهو ابن أبي الحديد عبد الحميد بن محمد بن محمد المدائني، أصولي معتزلي، ومن المتشيعين. من مؤلفاته شرح «نهج البلاغة» صنفه للوزير الرافضي ابن العلقمي. فخدمته كانت للرافضة، مات عام (٦٥٥هـ). انظر: «دراسات في الفرق» د. صابر طعيمة ص(١٥)، ط المعارف - الرياض [ولا يستحق أن يقال له: علامة].

(٣) خوض المعتزلة في علم الكلام ما جنى منه شيوخهم. أي: قولهم إن الله تعالى لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمونه بدلالة الأجسام والأعراض والصفات غير مقدورة لله تعالى على الحقيقة، وإنما مقدوره شيء يدق تصوره أو لا يتصور البتة، وقد سموه بالأقوال، وذلك أن ذات الموجود عندهم غير مقدورة وصف الوجود، كذلك كلاهما غير مقدورين عندهم. والمقدور عندهم أمر رابع وهو يسمى (مالك) وهو عندهم كون الذات على الصفة، وبإجماعهم أن هذا محال لا يسمى شيئًا، فحصل في مجموع أن الله عندهم لا يقدر على شيء، وهم مصرحون أن العالم كله لم يزل ولا يزال، وأنه ثابت فيما لم يزل، ولكنه غير موجود فيه ويرون بمجرد [إصرار وجودهم] بين الوجود والثبوت ومنها قولهم أن تعالى لا يقدر على شيء من أعيان من مقدورات العباد وأنا نقدر على أمثالها، مع قولهم في مقدورات العباد أنها ذوات ثابتة في القدم، فيجوزون أن يكون في العدم أو (القدم) ذوات ثابتة ممكنة غير مقدورة للقادر على كل شيء، ومنها أن الله تعالى غير مختار في أحكام الشريعة الخمسة؛ لأن هذه «الأحكام» ثبتت عندهم في نفيها والله سبحانه، وأهل الفتيا على سواء في الأعلام بها. والمؤمن بها من غير اختيار فيه (مجرد) التثبت. ومنها قولهم أن الله تعالى لا يحسن منه أنه (يشمل) أو (يجعل) أحد من عباده المغفرة والثواب واحد، وأنه يجب عليه عقابهم بكل ذنب وجوبًا (ويفهم) خلافه حتى لو زادت سيئات المسلم.... إلى قوله: تخليده في النار مع فرعون وهامان. العواصم. أنوار.

قال ابن الجوزي -رحمه الله- في «تلبيس إبليس» بعد المبالغة في ذم علم الكلام: قال أبو الوفاء ابن عقيل - رحمه الله - لأصحابه: أنا أقطع أن الصحابة - رضي الله عنهم - ماتوا وما عرفوا الجوهر ولا العرض. إلى قوله: بالغت في الأصول عمري ثم رجعت إلى مذهب الكتاب «العواصم» أنوار.

وأسائل الملل التي اختلفت[1] ... في الدين حتى عابدي الوثنِ
وحسبت أني بالغ أملي ... فيما طلبت ومبرئ شجني
فإذا الذي استكثرت منه هو ... الجاني على عظائم المحنِ

(١) حاشية: قال ابن الأمير رحمه الله: أقول: تركها المؤلف -رحمه الله- عورة مكشوفة لم يرشد إلى سترها، وإن كان بالسوء كتابة هذا التحليل لستر هذه العورات، وقد قلت في بيان سبب حيرته هذه الأبيات:

قد جاءنا برد اليقين من الـ ... ـمختار في القرآن والسنن
فاقنع به ودع الوقوف على ... أطلال أهل الشرك [والدمن]
آي الكتاب كفت دلالتها ... صحب الرسول وعابدي الوثن
وانقاد كل بالزمام لها ... أهل الذكا والفهم والفطن
لكن طلبت الحق من طرقٍ ... معوجةٍ ليست على سنن
قد كان فيها الجُبائي سلفًا ... والأشعري أيضًا أبو الحسن
والجعد قبلهما وجهم لقد ... باعا الهدى جهلًا بلا ثمن
أفضت إلى تضليل سالكها ... وإلى التباغض فيه والإحن
فسلكت مسلكهم فحرت كما ... قد قلته في شعرك الحسن
فضللت في تيه بلا علم ... وغرقت في بحر بلا سفن

انظر «الديوان» ص(٤٠٨) وهناك أخطاء في المخطوط أصلحتها منه.

وممن نقل عنه الرجوع إلى طريقة القرآن الغزاليُّ صاحب كتاب الأحياء وغيرها، فإنه لما رجع إلى طوس من بلاد الشام ترك الخوض في علم الكلام وما يتعلق به من المعقول وبنى (خاناه) جوار داره بطوس [وأخذ] صحيح البخاري ومسلم [وانكب] على تلاوة القرآن والأذكار، وسماع الأحاديث النبوية والآثار إلى أن وافته المنية وهو على هذه الطريقة المرضية، وإليه وإلى الرَّازِي أشار المصنف -رحمه الله- في أبياته الدالية:

وابن الخطيب وحجة الإسلام قد خمدا ... نارًا ذكاهما لم تخمداه
إلى [آخرها]:

وبعده تابا ولكن بعدما سلَّا على ... الإسلام سيفًا لا أراه مغمده

أنوار.

فضللت[١] في تيه بلا علم وغرقت في يم[٢] بلا سفنِ[٣]

وقال الفخر الرَّازِي[٤] في ذلك:

العلم للرحمن جل جلاله وسواه في جهلاته يتغمغم
ما للتراب وللعلوم وإنما يسعى ليعلم أنه لا يعلم[٥]

وقال صاحب «نهاية الإقدام»[٦]:

و[٧] قد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالمِ

---

(١) في (ك): [فظللت] وهو خطأ.

(٢) في (ج): [بحر].

(٣) وهو كتاب غير صحيح وغير ثابت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وانظر قسم الدراسة (فيما انتقد على المصنف).

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين التَّيْمي الطبرستاني الأصل الرَّازِي المولد، الفخر الفقيه الشافعي، له مصنفات، منها: «التفسير الكبير» و«نهاية العقول» و«الأربعين» و«المحصل» وغيرها. انظر «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٤٨). وقد قال الرازي: (ولقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن الكريم). [«القائد في تصحيح العقائد» ص(٧٤)].

(٥) حاشية قال الأمير: نسبها ياقوت إلى الزمخشري صاحب الكشاف، والصحيح أنها ليست له. والتغمغم: (هو الكلام الذي لا يبين ضمنًا). أنوار.

(٦) هو الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتكلم الأشْعَرِي ولد (٤٦٩هـ)، بشهرستان، ومات في (٥٤٨هـ). انظر «هداية العارفين» (٢/ ٩١) نفسها، وترجمته في أول كتابه. له كتاب «الملل والنحل» و«نهاية الأقدام» و«الأربعين» وغيرها. وفي كتاب «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٧٤) وذكر في كتاب نهاية الإقدام المذكور بيتين... ولم يذكر لمن هذان البيتان وقيل: ينسبان إلى ابن سيناء.

(٧) الصواب: [لقد] في أكثر المراجع.

فلـم أر إلا واضعًـا كـف حائـر   علـى ذقـن أو قارعًـا سـن نـادمِ[1]

فهذا كلام سلاطين أئمة المعارف العقلية، من فريقي الملة الإسلامي، وسيأتي هذا مبسوطًا في موضعه.

فأما بعض الطلبة من أتباع أهل الكلام، الذين قلدوا في تلك القواعد وهم يحسبون أنهم من المحققين، فهم أبلد وأبعد من أن يعرفوا ما أوجب اعتراف هؤلاء الأئمة بالجهل والعجز، وإنما هم بمنزلة من سمع أخبار الحروب والشجعان، وهؤلاء الأئمة بمنزلة من مارس مقارعة الأبطال ومنازلة الأقران، ولا يلزم من التزهيد في طلب ما لا يحصل، والاشتغال بما يضر من علوم الفلاسفة والمبتدعة، التزهيد في العلم النافع. وسيأتي إشباع القول في عظيم فضله والحث عليه، بعد تقرير صحته والرد الشافي على من نفاه.

***

---

(١) حاشية قال الأمير رحمه الله: أقول: ليته زاد على بيته:

سـوى معهد المختـار أحمـد لم أجد   بـه حائـرًا أو قارعًـا سـن نـادم

لكان خيرًا له من هذا التعميم، وقد قلت ردًّا عليه:

لعلـك أهملـت الطـواف بمعهـد الـ   ـرسـول ومـن والاه مـن كل عالـم

فمـا حـار مـن يهـدي بهـدي محمـدٍ   ولسـت تـراه قارعًـا سـن نـادم

وانظر «الديوان» لابن الأمير -رحمه الله- ص(٣٦٩).

[أمر رسول الله ﷺ بالاقتصاد في الأمور]

ومن هاهنا أمر رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- بالاقتصاد في الأمور، وقال: «**إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى**»(١) وهو الذي اختاره الله تعالى معلمًا للأميين ورحمة للعالمين، وعلم بالضرورة لا بالأخبار(٢) الآحاد أن ذلك كان خلقه ودينه عند العلماء النقاد، فتعين حينئذٍ طلب الطريق القريبة الممكنة التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، كما نص على ذلك في كتابه الكريم(٣) وسنة رسوله -عليه أفضل الصلاة والتسليم- ولولا ما وقع فيها من التغيير لما احتاجت إلى طلب، ولكنه [قد](٤) وقع فيها التغيير، كما أخبر بذلك رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في الحديث المتفق على صحته عند أهل النقل، وفيه(٥) تفسير الفطرة وتقريرها من المبلغ المبين لما أنزل عليه من الهدى والنور، حيث قال:

---

(١) حسن. أخرجه البزَّار في «كشف الأستار» (٧٤) والحاكم في «علوم الحديث» ص(٩٥) عن جابر، وقال أحدهم ضعيف، وهو في «ضعيف الجامع» (٢٤٨٠) والراجح أنه حسن.

حاشية: وقال في «النهاية» في تفسير هذا الحديث: قد أتيت من البيت: القطع وهو مطالع بت يقال بته وأبته. يريد أنه لقي في طريقه عاجزًا عن مقصده، ولم يقض وطره، وقد أعطب ظهره من حجام. قلت: أفاده في النهاية (١/ ٩٣) ط العلمية. وهذا الحديث أخرجه البيهقي (٣/ ١٨)، والعسكري في «الأمثال» (١/ ٥٤٤)، وضعف.

وأخرجه البيهقي في «الشعب» عن عائشة بلفظ أوله وآخره: «ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباده، فإن المنبت لا يقطع سفرًا ولا يسقي ظهرًا». وأخرجه أيضًا في «الشعب» و«السنن» عن ابن عمر بلفظ أوله وآخره: «ولا تبغض إلى نفسك عبادة ذلك، فإن المنبت لا سفرًا قطع ولا ظهرًا أبقى» الحديث. أنوار. أقول: وفي لفظ البزار: «لا أرضًا قطع... ».

(٢) في (ب): [بأخبار].

(٣) بينه قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] الخ.

(٤) زيادة من (ب، ك).

(٥) في (ج): [وفي].

«كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهوِّدانه وينصرانه ويمجسانه»[(١)].

وفي ذلك يقول أمير المؤمنين [وإمام العارفين][(٢)] علي بن أبي طالب عليه السلام[(٣)] في ممادح ربه - سبحانه وتعالى - التي أودعها خطبه في محافل المسلمين، وعلمها من حضره[(٤)] من خيار المؤمنين، حيث قال في[(٥)] محامد رب العالمين: (ولم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته، فهو الذي تشهد[(٦)] له أعلام الوجود على إقرار قلب ذلك الجحود)[(٧)].

وقد جود في شرحه ونصره العلامة ابن أبي الحديد، وعزاه إلى قاضي القضاة[(٨)] وفرق بينه وبين قول الجاحظ[(٩)] فقال: إنا ما ادعينا في هذا المقام إلا أن العلم بإثبات الصانع هو الضروري، والجاحظ ادعى في جميع المعارف أنها ضرورية، وأين أحد القولين من الآخر. انتهى كلام الشيخ.

(١) صحيح، أخرجه البخاري (٨/ ٥١٢) مع «الفتح»، ومسلم (٢٠٤٧)، وأحمد (٢/ ٣٤٦).

(٢) في (ب): [تأخير] قوله: [إمام العارفين] والصواب في أكثر من نسختين كما أوضحناه أعلاه وقد أخطأ أحمد مصطفى فقال ساقط من المطبوع. ثم بعد ثلاث كلمات قال: زيادة من ميم. وإنما هي كلمة واحدة.

(٣) ساقط من (ج). وفي (د): [كرم الله وجهه].

(٤) في نسخة (ك): [حضر].

(٥) ساقط من (ج).

(٦) في (ب): [يشهد]، وفي (ج): [شهد].

(٧) انظر: «شرح نهج البلاغة» (٣/ ٢١٥-).

(٨) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهَمْذاني المعتزلي المتكلم الشهير أبو الحسين، من مصنفاته: «طبقات المعتزلة»، و «المغني»، وغيرهما مات بالرَّي (٤١٥هـ).

(٩) الجاحظ: عثمان بن عمرو بن بحر الكَتّاني اللَّيْثِي البَصْري، المشهور. له مصنفات منها: (الحيوان، والبيان، والتبيين)، تنسب إليه الفرقة الجاحظية المعتزلية.

ويدل [عليه][١] قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١-٢] وفي[٢] الجرز[٣] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [السجدة: ٢] وقوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤] [إبراهيم: ١٠]. ولذلك كان المختار في حقيقة النظر[٥] أنه تجريد القلب عن الغفلات لا ترتيب المقدمات. كما ذكره[٦] الشيخ مختار المعتزلي[٧] في كتابه «المجتبى»[٨] فتأمل ذلك.

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) ساقط من (ج).

(٣) سياق الكلام صحيح و في (م): [ألم].

(٤) حاشية: وفي قول الرسل عليهم السلام (فاطر السموات والأرض) تنبيه على الدلالة على الله تعالى بذلك، ولا نحتاج إلى زيادة عليه. من بعض مؤلفات لمؤلفه رحمه الله.

(٥) حاشية قال الأمير: والفاعل: بهذا يجعل النظر شرطًا اعتباريًا غير مؤثر وهم أقوى هذه الطوائف حجة؛ لأنهم لم يسقطوا وجوب النظر في الجملة ولا اطرحوا المعلوم من ثمرته بالفطرة ولا جحدوا المعلوم فيه من سلف الأمة، ومع ذلك فلم يقف [ويكون] القول بوجوب النظر في [هذا] والطرائق المبتدعة وإنما يوجبون من النظر ما يوجبه أهل السنة وهو النظر فيما أمر الله بالنظر فيه، وفيما حمله من هذه جماعة وأصحاب وخير أسلافهم أنهم اعتمدوا من النظر في المعجزات والمخاوفات من غير شعور بترتيب المقدمات على الشرائط المنطقية. «العواصم». وأنوار.....

(٦) في (ك): [ذكر]. ولعل النسخ التي اعتمدها الأخ أحمد مصطفى فيها أخطاء أكثر من نسخة الأم وشيء من النقص.

(٧) مختار بن محمود بن محمد الزاهدي الفزميني أبو رجاء نجم الدين، له «المجتبى» شرح القدوري والقينة، وهو حنفي، مات (٦٥٨هـ) انظر: «هداية العارفين» (٢/ ٤٢٣) و«الأعلام» (٢/ ١٦٦) وقال اللكنوي: (معتزلي الاعتقاد حنفي الفروع تصانيفه غير معتبرة ما لم يوجد مطابق...). انظر: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» ص(٢١٣).

(٨) حاشية قال الأمير: لفظه في «المجتبى»: في فضل النظر أنه قد كثر الاختلاف في حقيقته، والأصح أنه ترتيب مقدمات قطعية أو ظنية يتوصل به إلى علم أو ظن ما لترتيب إحصار علمه في الذهن يصدران علمًا [بالغًا] أو [ثالثًا] كقولنا: العالم متغير وكل متغير حادث أفاد علمًا وهو أن العالم=

قلت: وبيان هذه الجملة في أمرين:

أحدهما: بيان المحتاج إليه من المعارف الإسلامية في الأصول. وهو[1] سبعة أمور، كلها فطرية جبلية، كما يأتي، وعليها مدار خلاف العالمين أجمعين، وإنما تدرك بالفطرة قبل التغيير، أو مع الشعور بذلك التغيير، فإن مداواته بعد الشعور به سهلة؛ وذلك لأن البصيرة في المعلومات كالبصر في المحسوسات، كلاهما مخلوقان في الأصل على الكمال ما لم يغيرا، فمتى وقع فيهما التغيير ولم يشعر به صاحبه فحش جهله وخطؤه، ومتى شعر بذلك سهل علاجه واستداركه أو الحكم عليه بحكم العميان. والله المستعان.

=حادث. ثم قال: وقيل تجريد العقل عن الغفلات. ثم قال: والاعتماد على الأول. فقول السيد أنه الأخير المختار كأنه يريد لنفسه المختار وأنه أوهمت عبارته أنه مختار مختار، ثم قوله: تجريد القلب سبق قلم فصار النسخ العقل في نسخه ظاهرة أو [ظاهرها].الشيخ [أو الشيخ أو الشك].
وعبارة المؤلف في ترجيح أساليب القرآن لفظها: قال الشيخ محمود في كتابه المجتبى في فأقبل صحائف [أو طوائف] النظر أنه تجريد العقل عن [الضلالات] [أو الأغلوطات] والنهي أو النفي وهذه أولى من عبارة الإيثار من وجهين كما لا يخفى. أ.هـ أنوار.
مناسبة كثير من أقوال الغزالي في المنقذ من الضلال: انبهار المرء عند الشكوك والشبهات بنور قذفه الله في صدره، قال: وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف فمن ظن أن الكيف موقوف على الأدلة الجهرية بعد [ضيق] رحمة الله الواسعة.. إلى آخر كلامه هنالك. أنوار.
وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في أوائل قواعده: ما أشد طمع الناس معرفة عالم بصنع الله على معرفته. شبه لما كلما نظروا فيه وحرصوا عليه ازدادوا حسرة وغفلة ما يجزم الإضراب عنه كما فعل السلف الصالح.
والبصائر كالأبصار في حرص أن يرى ببصره ما وازنه بحبال لم ينفعه بحال تصديقه إلى درس مع قيام الساتر فكذلك تحديق البصائر إلى ما غيبه الله تعالى عنها قاله في العواصم. أنوار.
والأكثر أنه كان يصح منه تعالى أبعاد [أو أبعاث] العالم قبل الوقت الذي أوجده فيه وقال أبوالقاسم.. إذ لا يرتدد عنه داع الحكمة. أنوار.

(١) في (ب): [وهي]. و ساقط من (ج).

[أسباب خوض المتكلمين في عقائدهم الخلافية بين الفرق الإسلامية]

الأمر الثاني: بيان أن خوض جميع[١] المتكلمين في عقائدهم الخلافية بين الفرق الإسلامية يتوقف دائمًا أو غالبًا على الخوض في مقدمات لتلك العقائد، وجميع تلك المقدمات مختلف فيها أشد[٢] الاختلاف بين أذكياء العالم وفحول علم المعقولات من علماء الإسلام، دع عنك غيرهم.

***

(١) ساقط من (ج).

(٢) في (ج): [أشر].

[شروط المقدمات]

ومن شرط المقدمات: أن تكون أجلى، وألا تكون بالشك والاختلاف أولى، فلينظر بإنصاف مَن كان مِن أهل النظر من علماء الكلام في تلك القواعد الدقيقة، والمباحث العميقة، والمعارضات الشديدة، والمناقشات اللطيفة في أحكام القدم، و متى يصح من الله تعالى إيجاد الحوادث، وما لزم كل خائض في ذلك، حتى التزم بعض شيوخ الكلام نفي القدرة على تقديم الخلق عن وقته، وبعضهم أن الحوادث لا نهاية[1] لها في الابتداء كما لا نهاية لها في الانتهاء. وقال جمهورهم إنه قادر في القدم، ولا يصح منه الفعل فيه مع قدرته. وكذلك اختلافهم فيما تعلق[2] به العلم في القدم، وفي أحكام الوجود والموجود، وهل هما[3] شيء واحد على التحقيق، أو بينهما فرق دقيق. وفي دعوى أبي هاشم[4] وأصحابه أن الثبوت غير الوجود حتى جمعوا بين الثبوت والعدم، دون الوجود والعدم، وقضَوا بأن الله تعالى لا يدخل في قدرته سبحانه أن يكون هو المثبت للأشياء الثابتة في العدم، مع قضائهم بثبوت جميع الأشياء في العدم بغير مؤثر،

---

(١) وقال ابن تيمية رحمه الله: لم يكن أحد في الصحابة والتابعين أحد يستدل على حدوث العالم بحدوث الأجسام، ويثبت حدوث الأجسام بحدوث الأعراض والحركة والسكون والأجسام مستلزمة لذلك لا تنفك عنه، وما لم يسبق الحوادث فهو حادث، ويبني ذلك على حوادث لا أول لها، بل أول ما ظهر هذا الكلام في الإسلام بعد المائة الأولى من جهة الجعد بن درهم والجهم بن صفوان «منهاج السنة» (١٠) اهـ.

(٢) في (ج): [يتعلق].

(٣) في (د) [إلا شيء].

(٤) هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان، ابن أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة، وصنف لهم (٢٧٧-٣٢١هـ). انظر: «تاريخ بغداد» (١١/ ٥٥).

وإنما تفسير خلق الله للأشياء عندهم أن يكسبها[١] بعد ثبوتها صفة الوجود مع مخالفة جمهور العقلاء لهم في ذلك، وفي أدلتهم عليه كما أوضحه صاحبهم أبو الحسين[٢] وأصحابه، وأوضحوا أيضًا مخالفتهم في إثبات الأكوان والاستدلال بها، إلى أمثال لذلك كثيرة مما اشتملت عليه «التذكرة» لابن مَتّويه[٣] والملخص للرازي[٤] وشرحه، والصحائف[٥] الإلهية[٦] ونحوها من جوامع هذا الفن[٧].

---

(١) في (ج): [يكسببها].

(٢) هو محمد بن علي بن الطيب، أبو الحسين. شيخ المعتزلة المتكلم، بصري درس في بغداد، مات (٤٣٦هـ) في بغداد، من مؤلفاته: «المعتمد في أصول الفقه» «تصفح الأدلة» «شرح الأصول الخمسة» و«الإمامة» وغيرها. انظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ١٠٠).

(٣) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن مَتّويه الواحدي. صاحب التفسير، من مؤلفاته: «البسيط في التفسير»، وكذلك: «الوسيط»، و «الوجيز»، مات (٤٦٨هـ).

(٤) هو كتاب الخلاصة في «المنطق» للفخر الرَّازِي المتوفى (٦٠٦هـ)، وشرحه علي بن عمر القزويني وله ستمائة شرح واختصره نجم الدين اللبودي. انظر «كشف الظنون» (٢/ ١٨١٩).

(٥) «شرح الصحائف» للسمرقندي شمس الدين محمد، وشرحه البهشمي، (والصحائف في الكلام).

(٦) في (ب): [لبعض الحنفية].

(٧) حاشية: قال الأمير رحمه الله: وقد ساق ابن تيمية أدلة الرَّازِي وغيره مثله ابن سينا ونحوه على إثبات الصانع ثم أبان ما فيها من الاختلال، ثم قال: إن الذي جاء به الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- هو الحق الموافق لصريح المعقول، وأن ما يبنيه من الآيات والدلائل والبراهين العقلية في إثبات الصانع سبحانه ومعرفة صفاته وأفعاله هو فوق نهاية العقول، والأخبار ما عند مذاق الأولين والآخرين من الفلاسفة والمتكلمين هو بعض ما فيه.
قال: لكنهم يلبسون الحق بالباطل ولا يأتون به على وجهه ، كما أن طريق الاستدلال بحدوث المحدثات على إثبات الصانع الخالق هي طريقة فطرية ضرورية. ولإخبار ما عندهم طريقة صحيحة عما لم يكفهم أو عملوا فيها من الاختلاف والفساد ما يعرفه أهل التحقيق والانتقاد الذين آتاهم الله الهدى والسداد. أنوار.

فعلى قدر ما في تلك القواعد من الشكوك والاحتمالات تعرف ضعف ما تفرع عنها، ولعل كثيرًا من النظار المتأخرين يعترف بأنها محارات(١) ومجاهل، لا هداية للعقول فيها إلى اليقين، ثم يعتقد أن عقائده المبنية عليها صحيحة قطعية، وهذه غفلة عظيمة، فإن الفرع لا يكون أقوى من الأصل، لا في علوم السمع ولا(٢) في علوم العقل.

ثم إن المتكلمين(٣) كثيرًا ما يقفون المعارف الجلية(٤) الواضحة على أدلة دقيقة خفية فيتولد من ذلك مفاسد، منها إيجاب ما لا يجب من الاستدلال وتكلفه وتكليفه المسلمين، ومنها تكفير من لا يعرف ذلك أو تأثيمه ومعاداته، وذلك مع تحريمه يؤدي إلى حرام آخر، وهو التفرق الذي نص القرآن [الكريم](٥) على النهي عنه، ومنها تمكين أعداء الإسلام من التشكيك على المسلمين فيه وفي أمثاله، ومنها الابتداع وتوسيع دائرته. وما أحسن قول أمير المؤمنين علي - عليه السلام- في مثل ذلك: «العلم نكتة يسيرة، كثَّرها أهل الجهل»(٦).

ولنذكر شيئًا من ذلك نخرج به عن التهمة بدعوى ما لم يكن منهم، فنقول: إنا لا نحتاج إلى دليل على وجود الله تعالى بعد علمنا [بالضرورة الفطرية](٧) بأنه الذي أوجد الموجودات وخلق العوالم ودبرها، واستحق المحامد جميعها

(١) في (ب): [مجازات].
(٢) ساقط من (ب).
(٣) في (ب) غير واضح.
(٤) في (ب، ك): [الجليلة].
(٥) ساقط من (ك).
(٦) لا يصح، وهو من كلام الناس، كما في «كشف الخفاء» (٢/ ٦٧). بلفظ: [العلم نقطة].
(٧) ساقط من (أ، ج).

والأسماء الحسنى كلها، وأنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم خبير، وهذا هو قول الشيخ أبي الحسين[1] وأصحابه وأكثر العقلاء وجماهير الأمة.

***

(١) في (ج): [خطأ].

[قول أبي هاشم الجُبَّائي وأتباعه]

وذهب الشيخ أبو هاشم الجُبَّائي وأتباعه إلى أنَّ بعد علمنا بذلك كله نشك، هل هو سبحانه موجود [أو](١) معدوم؟ بعد علمنا أنه موجد الموجودات(٢) ومدبرها القيوم بها، وأنا بعد العلم بذلك معه نحتاج إلى النظر الدقيق في دليل يدل على أن خالقنا الكامل الأسماء والنعوت غير معدوم، ولا يكفينا العلم بأنه خالقنا ومدبرنا دليلا(٣) على وجوده قط، وغفلوا عن كون وجود(٤) الخالق القيوم بخلقه أقوى في التعريف بوجوده من الدليل الذي يتكلفونه على ذلك في فطر العقلاء، وأنه إن أمكن الشك في هذه الفطر أمكن الشك في دليلهم عليها، إذ لا يمكن أن يكون أقوى منها، بل هو أخفى بغير شك، كما يعلم ذلك من وقف على أدلتهم في ذلك.

***

(١) في (ك): [أم] ولم ينبه عليه المحقق من قبل.

(٢) في (ك): [موجود] وهو خطأ ولم يتنبه له. و في (ب): [بأنه].

(٣) في (ج): [دليل].

(٤) ساقط من (ب). حاشية: قال الأمير: قال ابن تيمية -رحمه الله- في أثناء الرد على من أثبت الصانع تعالى بالأدلة العقلية بمقدمات صحيحة خفية أنهم طولوا وداروا بالعقول دورة تبعد على العقول معرفة الله تعالى والإقرار بثبوته وقد تحصل لها في تلك الدورة من الآفات ما يقطعها عن المقصد فكانوا كما قيل لبعض الناس أين أذنك فرفع يده وأدارها على رأسه ومدها وقبض وقال: هذه أذني وكان يمكنه أن يشير إليها بالطريق المستقيم القريب، ويقول هذه أذني وهو كما قيل: أقام يعمل أيامًا رؤيته وشبه الماء بعد الجهد بالماء. أنوار.

[صيانة ديباجة هذا المختصر من علم الجدل ونحوه]

وقد كنت أوردتها هنا، وبيان ما فيها من الشكوك، ثم صنت ديباجة هذا المختصر من ذلك ونحوه من علم الجدل، ورأيت أن أورد ذلك في فصل مفرد في آخر هذا المختصر - إن شاء الله تعالى- وإلا فهي في العواصم(١) مجموعة(٢) وفي كتب الكلام مفرقة. وإنما فعلت ذلك(٣) معًا ليسلم أولاً من كدورته أهل الأثر، ثم ينتفع ثانيًا بالنظر في الشكوك(٤) الواردة عليه أهل الكلام والنظر إن شاء الله

---

(١) حاشية: لم يتم ذكر ذلك في آخر هذا الكتاب، كأنه اكتفى بما في العواصم.

(٢) طبع في (٩) مجلدات بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط -وفقه الله تعالى-، ط مؤسسة الرسالة، ونسخ مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير - صنعاء. انظر المجلد (٢/ ٤٧٠) ط جديدة.

(٣) خطأ في (ج).

(٤) حاشية: قوله: (بالنظر في الشكوك.... الخ). انظر تابع لهذه الصفحة (أ، ب). أقول: قال القرطبي: لو لم يكن في الكلام إلا مسألتان هما من مساوية لكان حقيقًا بالذم أحدهما قول بعضهم أول واجب اشك إذ هو اللازم عن وجوب النظر وثانيهما: قول جماعة منهم من لم يعرف الله بالنظر والتي رتبوها والأبحاث التي وردها لم يصح إيمانه حتى لقد أورد على بعضهم أن هذا يلزم منه تكفير أبيك وجيرانك قال لا تشنع علي بكثرة أهل النار قاله. والقائل بالمسألتين كافر شرعًا يجعل الشك في الله واجبًا ويجعل معظم المسلمين كفارًا حتى يدخل في [همومه] علامة السلف الصالح والتابعين وهذا معلوم الفساد من الدين ضرورة وإلا فلا يوجد في الشرعيات ضروري انتهى.

قال ابن القيم: ومهم ما قال أنه ليس تحت أديم السماء كتاب يتضمن البراهين والآيات على المطالب العالية من التوحيد وإثبات الصفات وإثبات المعاد والنبوات ورد النحل الباطلة والآراء الفاسدة مثل القرآن، فإنه كفيل بذلك كله متضمن له على أتم الوجوه وأحسنها وأقربها إلى العقول وأفحصها بيانًا، فهو الشفاء حقيقة من أدواء الشكوك والشبه، ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه، فمن رزقه الله ذلك أبصر الحق والباطل عيانًا بقلبه كما يرى الليل والنهار، وعلم أن [غيره يراه] من كتب الناس وآرائهم ومعقولاتهم بين علوم لا تقربها وإنما هي آراء وتقليد وبين ظنون كاذبة لا تغني من الحق شيئًا، وبين أمور غير صحيحة لا منفعة للقلب فيها، وبين أمور صحيحة قد وعروا الطرق إلى تحصيلها [وخالفو] الكلام في إثباتها مع قلة=

[تعالى][(١)]. وإنما اضطر أبو هاشم وأتباعه إلى ذلك؛ لأنهم جوزوا للمعدوم تحققًا

=نفعها فهي لحم جمل غث على جبل وعر، لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل منه، وأحسن ما عند المتكلمين وغيرهم هو في القرآن أوضح تقريرًا وأحسن تفسيرًا، فليس عندهم إلا التكلف والتعقيد والتطويل كما قيل:

لولا التنافس في الدنيا لما وضعت كتب التناظر لا المغني ولا العمد

كالموت يزعم منهم عقدًا وبالذي وضعوه روات العقد

فإنهم يزعموا أنهم يدفعون بالذي وضعوه الشكوك والشبه، والفاضل الذكي يعلم أن الشكوك والشبه زادت بذلك، ومن المحال ألا يحصل الشفاء والهدي والتبيين في كلام الله وكلام رسوله ويحصل من كلام هؤلاء المتحيرين انتهى.

قال ابن تيمية: وحدثني رجل من أهل الفضل والمعرفة والدين أنه كان قد قرأ على شخص سماه لي وهو من أكابر أهل الكلام والنظر [وبرت] من المحتمل لابن الخطيب وأشياء من إشارات ابن سينا قال فرأيت حالي قد تغير وكان له نور وهدى ورأيت له منامات سيئة فعرف أنها من ذينك الكتابين يكتب على المحصل محصل [أو محتمل] في أصول الدين حاصلة وبعد تحصيله أصل بلا دين، أهل الضلالات والشك المبين وما فيه فأكثره وحي الشياطين...

(١) ساقط من (ب). حاشية: قال الأمير رحمه الله: قال الشيخ مختار في المجتبى: المسألة الثالثة في إثبات أن صانع العالم موجود. الكلام في هذه المسألة يختلف باختلاف الناس في الوجود فمن قال وجود الشيء حقيقته وذاته. قال: إذا دللنا على أنه لا بد للعالم من صانع علمنا أنه موجود؛ لأن الشك في عدمه بعد العلم بثبوته شك في انتفائه بعد ثبوته وأنه خلف. وإنما قلنا إنه شك في انتفائه لأن أهل اللغة يستعملون لفظة العدم ولفظة النفي بالترادف، والنفي والثبوت متقابلان، فكذا العدم والثبوت، فكل ما كان ثابتًا لا يكون معدومًا، فإذا لم يكن الباري معدومًا كان موجودًا، فصح ما ادعينا أنه إذا ثبت أن لا بد من صانع للعالم ثبت وجوده. وإليه ذهب كثير من المشايخ. وأما من قال: وجود الذات زائد على حقيقته ولكنه [غير القياس عنه وهم أكثر العلماء [ضعفه أو وصفه] والأشعرية ومن تابعهم فيه قالوا أيضًا: الدليل على ثبوت حقيقته دليل على وجوده عندهم لا تنفك عن حقيقته، وأما الحقائق فتقرره مع انتفاء الوجود عنها، وهم جمع من المشايخ منهم أبو علي وأبو هاشم وقاضي القضاة وابن متويه واتباعهم زعموا: أن المعدومات قبل وجودها ذوات أعيان وحقائق، وأن تأثير الفاعل في جعل تلك الذوات على صفة الوجود لا على علم الذوات. إلى أن قال تقي الدين العجالي: أن كل من سمع ذلك من العقلاء قبل أن يتلوث خاطره بالاعتقادات التقليدية فإنه يقطع ببطلان هذه المذاهب - يريد=

في الخارج لا في الذهن، على ما حققه الشيخ مختار المعتزلي في كتابه «المجتبى» في الفصل الرابع في صفات الله تعالى.

[آثار كثرة التعنت في النظر]

واعلم أن كثرة التعنت في النظر يؤدي إلى طلب تحصيل الحاصل والتشكيك فيه، وقد جربنا ذلك وتأثيره في الموسوسين في الطهارة وفي النية(١) [وأمثالهما] من الأمور الضرورية.

[سبب مرض العقول في الضروريات]

فإذا صح مرض العقول في الضروريات لسبب التعنت والغلوّ في تحصيل الحاصل، فكيف(٢) إذا وقع هذا السبب في محارات العقول(٣) ودقائق الكلام وتوهم المبتلى بالوسوسة أنه لا طريق له(٤) إلى معرفة الله تعالى إلا تلك الدقائق الخفية والقواعد المختلف فيها بين أذكياء البرية(٥).

=مذاهب البهاشمة ومن تبعهم - ويتعجب أن يكون في الوجود عاقل تسمح نفسه بمثل هذه الاعتقادات، ويلزمهم أن يجوزوا فيما نشاهده من الأجسام والأعراض أن تكون كلها معدومة؛ لأن الوجود غير مدرك عندهم، والإلزام أن يرى الله تعالى لوجوده إلى آخر كلامه في آخر أبواب العدل وقد نقله المؤلف -رحمه الله- بطوله في ترجيح أساليب القرآن. كاتبه أنوار.

(١) خطأ في (ك).

(٢) في (ج): [وكيف].

(٣) ساقط من (ج).

(٤) ساقط من (ج).

(٥) هناك كلمة: (أهل الإنصاف)، وهي في بعض النسخ مقدمة وبعضها مؤخرة.

[أمارة عدم اليقين]

ومن أمارة عدم اليقين فيها استمرار الخلاف بعد طول البحث من الأذكياء من أهل الإنصاف ومن علماء[١] الإسلام، ولا تحسبن أن العلة في ذلك دقتها، بل العلة عدم الطريق إلى معرفتها. يوضح هذا أن علم الحساب والفلك، وتسيير الشمس والقمر، ومعرفة أوقات الكسوفين من أدق العلوم، ومع دقته فإن غالبه صحيح متفق عليه بين العارفين له، وما كان منه خفيًّا ظنيًّا فهو معروف بذلك بين أهله، وعكس ذلك علم أحكام النجوم في حدوث الحوادث، فإن غالبه باطل؛ لأنها لم تصح منه المقدمات، فدار[٢] الضعف [والاختلال][٣] والاختلاف على ضعف القواعد لا على دقتها، ولذلك لا يختلف أهل الحساب الدقيق في فالفرائض وقسمة المواريث [في المناسخات][٤] ونحوها مع دقته [ولذلك[٥] لا يختلف] علماء العربية والمعاني والبيان في كل دقيق، بل يتفقون حيث تكون المقدمات صحيحة وإن دقت، ولا يختلفون إلا حيث تكون المقدمات ظنية، بل المتكلمون في الحقيقة كذلك، لكنهم إنما يتفقون في أمور يستغنى [عنها وعن معرفتها في علم الكلام][٦] ثم يختصون[٧] من بين أهل العلوم بدعوى القطع في مواضع الظنون، وتركيب التعادي والتأثيم والتكفير على تلك الدعاوى، إلا أفرادًا من أئمتهم وأذكيائهم توغلوا حتى فهموا أنهم انتهوا إلى محارات منتهى العقول

---

(١) لفظة [أهل] مقحمة في (م).

(٢) في (ب): [فدل].

(٣) ساقط من (ب).

(٤) في (د): [والمناسخات].

(٥) في (ج): [وكذلك]، وفي (ب): [لا تختلف].

(٦) ساقط من (ج). في نسخة مصطفى زيادة مقحمة عن الأصول [معرفتها في علم الكلام].

(٧) في (ج): [يختصمون].

فيها الميل إلى أمارات(١) ظنية، فرجعوا إلى التسليم وترك التكفير، كما سيأتي بيان ذلك عنهم ونصوصهم فيه.

ومن العبر الجلية في هذا للمتأملين(٢) أن أهل الدنيا الموصوفة بأنها لعب ولهو ومتاع(٣) قد أتقنوا موازين معرفة الحق من الباطل فيما بينهم، وتمييز يسير الحيف في ذلك، حتى لا يستطيع أحد تدليس(٤) الباطل، مع وزنهم وتمييزهم لذلك بتلك الموازين الموصلة إلى العلم اليقين القاطع، لإمكان اللجاج والخلاف من المخالفين، فلو استطاع(٥) أهل الكلام أن يضعوا في أمور الدين المهمة موازين حق تميز الحق من الباطل على وجهٍ واضح يقطع الخلاف ويشفي الصدور، مثل موازين أهل الدنيا، ما كرهوا ذلك، وهم لا يتهمون بالتقصير في ذلك، وإنما أُتُوا من أنهم تركوا الاعتماد على تعلم الحق من الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه(٦) الذي أنزله مَن أنزل «الميزان» ليعرف(٧) به الحق بعد [دلالة الإعجاز على صدقه كما يعرف الحق](٨) في الأموال [بالميزان](٩) بعد دلالة العقل على صحته، ولذلك جمعها الله تعالى في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ

(١) في (ج): [مارات].
(٢) في (د): [للمسلمين].
(٣) قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ [الحديد: ٢٠].
(٤) في (د، ك): [يدلس].
(٥) في (ج) خطأ.
(٦) [تنزيل من حكيم حميد] زيادة من (د) وهي مقحمة.
(٧) في (ب): [ليتعرف].
(٨) سقط من (ج، ك).
(٩) ساقط من (ب، ك).

﴿وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾ [الشورى: ١٧] أنـزل الكتاب لتعريف الحق الديني، وأنزل[١] الميزان لتعريف الحق الدنيوي، فترك الأكثرون الاعتماد عليه، لما سنذكره من الأسباب التي ظهرت في أعذار المخالفين، وإن كان السبب الأكبر[٢] الذي أخبر به[٣] علام الغيوب، حيث يقول: ﴿لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٨] وتعرضوا لما لا يمكن من إيضاح المحارات[٤] التي لا تتضح، والسير في الطريق[٥] التي لا توصل، والوزن بالموازين التي لم ينزلها الله تعالى، ولا علمتها رسله، ولا اجتمعت عليها عقول العقلاء وفطر الأذكياء، وما خرج عن ذلك كله فمن أين له الوضوح حتى يكون ميزانًا[٦] يميز به الحق من الباطل، عند الدقة والخفاء والاختلاف الشديد. فتأمل ذلك بإنصاف.

***

(١) ساقط من (ب، ج، ك).
(٢) في (ج): [الأكثر].
(٣) في بعض النسخ خطأ.
(٤) في (ج): [المجازات].
(٥) في (ب): [الطرق].
(٦) في (ب، د): [له ميزان].

[سبب تكفير بعضهم لبعض]

وأعجب من كل عجيب تكفير بعضهم لبعض بسبب الاختلاف في هذه المحارات[١] الخالية من ذلك كله، وقد قال الله تعالى بعد الأمر بوفاء الكيل والوزن: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢] مع وضوح الوفاء فيهما، وإمكان الاحتياط، فكيف حيث يدق ويتعذر فيه الاحتياط! لكن[٢] يمكن ألا يسامحوا في ذلك من جهة أن الضرورة، بل الحاجة لم تدع إليه كالوزن، هذا مع ما في التكفير للمخطئ في هذه الدقائق من المفسدة، وذلك عدم جسرة الناظر على المخالفة؛ لأنها صارت مثل الردة من الدين، ولولا ذلك لاتضح كثير من الدقائق، فإن أوائل [أهل علم الكلام][٣] لا بد أن يقصروا كما هو العادة الدائمة في كل من ابتدأ ما لم يُسْبَق إليه، فلما كفَّروا المخالف كتم بعضهم المخالفة، وتكلف بعضهم الموافقة بالتأويل البعيد، وقلد[٤] الأكثرون، وقد ذكر نحو هذا في [دلائل][٥] إعجاز القرآن أنه أسلوب مبتدأ جاء على الكمال فخرق العادات بذلك، على أن في علم الكلام من الخطر ما لا يتعرض له حازم بعد معرفته، وذلك ما ذكره السيد الإمام[٦] المؤيد بالله[٧] - عليه السلام - فإنه ذكر في أواخر

(١) في (ج): [فهذه المجازات].
(٢) في (ب، م) حرف مقحم [قد].
(٣) في (ك): [أهل العلم الكلام]، وفي (ج): [العلم علم الكلام].
(٤) في (ب): [وفسد].
(٥) ساقط من (ج).
(٦) ساقط من (ك).
(٧) هو المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون بن زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه. كان أعلم أهل زمانه، له مؤلفات كثيرة، بايعوه بالخلافة سنة (٣٨٠-٤١١هـ)، ولد (٣٣٣هـ)، ومات (٤٢١هـ). «معجم المؤلفين» (١/ ١١٦).

كتابه «الزيادات»[(١)] ما لفظه:

(فصل [فيما][(٢)] يجب على العامِّيِّ والمستفتي)

قال عليه السلام: والأولى عندي ترك الخوض فيما لا تمس الحاجة إلى [معرفته][(٣)] من علم الكلام؛ لأن الصحيح من المذهب أن الجهل قبيح، ويجوز أن يصيره إلى حالة يستحق صاحبها الخلود في النار، وهذا غير مأمون لو نظر في [مسألة][(٤)] من الكلام وأخطأ، ولو لم يشتغل بها وترك النظر فيها أمن ذلك، ولو أصاب [كان][(٥)] ما يستحق من الثواب على الإصابة يسيرًا، والعاقل إذا اختار الحزم اختار الإعراض عنها دون النظر فيها. إلى آخر كلامه في ذلك.

[توجيه كلام المؤيد بالله]

وأراد -عليه السلام- بالجهل القبيح الجهلَ الاصطلاحي عند أهل الكلام، وهو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو [به][(٦)]. لا الجهل اللغوي الذي هو التوقف في موضعه، فهو الذي أمر به وحكم بنجاة صاحبه.

***

(١) مخطوط في المتحف البريطاني (٣٣٨) [٤٠٣١] وبروكلمان في «تاريخ التراث» (٢/ ٣١٢)، وفي صنعاء في «الجامع» (١٤٩) فقه.

(٢) ساقط من (ج).

(٣) في (ك): [إليه].

(٤) في (ك): خطأ.

(٥) ساقط من (ج، د).

(٦) في (ب، ك): [عليه].

[عيوب علم الكلام]

ومن عيوب علم الكلام تعرضهم [لما لا نفع في الخوض فيه][(1)] مع عدم الأمان من المضرة فيه، كالخوض في الروح والنفس، وأنهما شيء واحد أو شيئان

(١) في (د): [لما لا ينفع الخوض فيه]. حاشية: قال الأمير رحمه الله: حقق المسألة ابن القيم -رحمه الله- في كتابه «الروح» تحقيقًا شافيًا. أنوار. ونذكر هنا ملخصًا لما ذكره:

١- الروح والنفس غير الجسم.
٢- الموجودات فيها ما هو غير قابل للقسمة. النفس.
٣- الصور العقلية الكلية مجردة. النفس.
٤- القوة العاقلة تقوى على أفعال غير متناهية. النفس.
٥- لو كانت القوة العاقلة حالة في آلة جسمانية.
٦- إدراك الشيء حضور ماهية المعلوم عند العالم.
٧- الموجود في الأعيان والموجود في الأذهان.
٨- لو كانت القوة العقلية جسدانية لضعفت في زمان الشيخوخة دائمًا وليس كذلك.
٩- القوة العقلية غنية عن الجسم. ومصدر الفعل هو النفس.
١٠- القوة الجسمانية تكل والقوة العقلية لا تكل.
١١- القوة العقلية غير القوة الجسمانية.
١٢- لو كان محل الإدراك جسمًا لكان عالمًا وجاهلًا في نفس الحال.
١٣- النقوش الجسمانية متغايرة والعقلية متعاونة.
١٤- أن النفس لو كانت جسمًا لكان بين التحريك والإرادة زمان طويل.
١٥- لو كانت النفس جسمًا لكانت منقسمة.
١٦- لو كانت النفس جسمًا لكانت على صفات الأجسام.
١٧- لو كانت جسمًا لوجب أن تقع تحت الحواس.
١٨- لو كانت جسمًا لكانت ذات طول وعرض وعمق.
١٩- الجسم يقبل التجزئ والنفس لا.
٢٠- الجسم محتاج لبقائه إلى النفس.
٢١- لو كانت النفس جسمًا لكان اتصالها ملاصقة أو مداخلة له.

انظر الروح (ص٤٢٤-٤٣٠) ط، إحياء العلوم، بيروت. باختصار كبير.

مختلفان، فإن أدلتهم في ذلك كلها ضعيفة [أو][١] ظنية، وأحسن ما يستدلون به في ذلك هو التلازم، وليس من الأدلة القاطعة.

[بيان وهم لابن مَتَّوَيه والحاكم]

وقد اختار ابن مَتّويه والحاكم[٢] منهم وغيرهما أن الروح هو النفَس الجاري بفتح الفاء لأجل[٣] التلازم، فوهموا وهمًا فاحشًا، فإن الجنين في بطن أمه لا يتنفس بعد حياته ونفخ الروح فيه بالنص[٤] والحس، بل حيوان الماء لا يتنفس (فيه. ولو سلم لهم [جواز][٥] دوام التلازم لم يكن حجة قاطعة في اتحاد النفس والروح).[٦]

[نصيحة نفيسة]

فليحذر الخوض في أمثال[٧] ذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] ولما تقدم من كلام المؤيد بالله في ذلك، وقد وافق المؤيد بالله على[٨] ذلك

(١) خطأ في (ب).
(٢) محسن بن محمد بن كرامة الجُشَمِي البيهقي الحاكم. عالم بالأصول والكلام. حنفي معتزلي زيدي. شيخ الزمخشري. كان مشهورًا في صنعاء. من مؤلفاته: «شرح عيون المسائل»، وهو مخطوط بحوزتي كتاب كبير والتهذيب، والمنتخب. وغيرها.
(٣) في (ج) خطأ.
(٤) في (ج) خطأ.
(٥) ساقط من (ب، م).
(٦) سقط كبير من (ج، خ).
(٧) في (ج): [مثلاً].
(٨) في (د): [في].

خلائق من أئمة العترة والأمة[١] كما ذكره صاحب الجامع «الكافي»[٢] عن محمد بن منصور[٣] في كتاب «الجملة والألفة».

[رجوع أئمة الكلام عن الخوض في دقيقه]

وحكى الحاكم المعتزلي في مختصر له جلي في معرفة الله [تعالى][٤] أن جعفر ابن مبشر[٥] وجعفر بن حرب[٦] من أئمة الكلام رجعا عن الخوض في دقيقه، وقد بالغ الغزالي[٧] في ذلك في «إحياء علوم الدين»[٨]. ولا حاجة إلى التطويل بذكر ذلك، وهو معروف في مواضعه.

***

(١) هم: علي، وفاطمة، وذريتهم في كل عصر من قبل الآباء.
(٢) الجامع الكافي مخطوط.
(٣) هو أبو جعفر محمد بن منصور المرادي. زيدي كوفي محدث مفسر مؤرخ فقيه. مات (٢٩٣هـ) له مؤلفات: «سيرة الأئمة» و«تفسير الكبير» و«كتاب الأحكام». انظر: «معجم المؤلفين» (١٢/ ٥٣)، و «فهرست ابن النديم» (٥/ ٢٤٣-٢٤٤).
(٤) زيادة من (ج).
(٥) أبو محمد المعتزلي، وهو ابن أحمد بن محمد الثَّقَفِي، متكلم بغدادي. ألف في علم الكلام. مات (٢٣٤هـ)، «تاريخ بغداد» (٧/ ١٦١-١٦٢).
(٦) الهَمْداني المعتزلي البَغْدادي، دَرَس علم الكلام في البصرة على ابن أبي الهُذَيْل، وكان من خصائص الواثق، مات (٢٣٦هـ)، له مؤلفات كلامية. انظر: «الملل والنحل» (١/ ٨٩).
(٧) محمد بن محمد الغزالي الطُّوسي أبو حامد فيلسوف متصوف له مؤلفات: «إحياء علوم الدين» والأسماء الحسنى وتهافت الفلاسفة له نحو مائتي مؤلف (مات ٥٠٥هـ)، طوس خراسان.
(٨) انظر (١/ ٢٧، ٢٨).

[طريقة النجاة من علم الكلام]

وإني لما رأيت طريق النجاة من علم الكلام مما لم[(١)] يجمع عليه أهل الكلام دع[(٢)] غيرهم، ورأيتها إن كانت طريقًا[(٣)] صحيحة فإنها متوقفة ولا بد[(٤)] على التحقيق فيه والبحث العميق عن[(٥)] لطائفه وخوافيه المودعة في علم اللطيف[(٦)] الذي [ذكره][(٧)] ابن مَتّويه من مختصراته وجلياته، وملخص الرَّازِي من موجزاته ومتوسطاته، وأئمة أهله، أعني علم الكلام في غاية المباعدة والمنافاة، حتى أن الشيخ أبا الحسين ذكر أنه يكفي في معرفة بطلان مذاهب أصحابه البهاشمة[(٨)] من المعتزلة مجرد معرفة مقاصدهم، مع أنهم الجميع من أئمة الاعتزال، هذا مع وقوع كثير من أئمة الكلام في الشك والحيرة.

[صعوبة معرفة طريق النجاة من علم الكلام]

فلما عرفت ذلك كله علمت من غير شك صعوبة معرفة طريق النجاة من هذا الفن على الأكثرين.

---

(١) في (ب، ك): [مما لا]. يجتمع عليها......

(٢) في (ج): [عنك].

(٣) في (ك، خ): [طريقة]. وساقط من (ج).

(٤) في (ك): [ولا يد].

(٥) في (ج): [على].

(٦) علم اللطيف: هو علم المنطق.

(٧) في المطبوع وبعض النسخ [تذكره] وهو خطأ.

(٨) البهاشمة: أصحاب أبي هاشم عبد السلام بن محمد عبد الوهاب الجبائي معتزلي بصري، وانفرط بمذهبهم عن سائر المعتزلة، أي: ضلالة داخل ضلال. وانظر: «الملل والنحل» (١/ ١١٥-١١٧).

[أسهل طريق وأخصره إلى اليقين والنجاة]

وقد ألهم الله سبحانه[١] وله الحمد والشكر والثناء إلى أسهل[٢] طريق وأخصره في علمي [إلى اليقين][٣] والنجاة ونصرة طريق الصحابة والسلف، التي علم تقريرهم [عليها][٤] بالضرورة من الدين، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وإنما عنيت في توضيحها وتجديدها[٥] بعد دروسها ومداواة ما قد وقع من تغيير المغيرين لها، كما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: «فأبواه يهوّدانه وينصرانه» كما تقدم.

***

(١) في (ب، ك): [تعالى].
(٢) في (ج): [أحسن].
(٣) ساقط من (ج، خ).
(٤) ساقط من (د).
(٥) في (ك، خ): [تحديدها].

[الاختلاف بين الناس يرجع إلى سبعة أشياء]

وبيان ذلك أني تأملت جميع الاختلاف الواقع بين الناس، من الملل الكفرية والفرق الإسلامية، فإذا هو على كثرته وتشعبه يرجع في الجملة إلى سبعة أشياء، مدركها بالفطرة قريب -بعون الله تعالى- بل هي فطرة الله التي فطر الناس عليها.

أولها: إثبات العلوم الضرورية التي يبنى الإسلام على ثبوتها. **وثانيها**: ثبوت الرب عز وجل(١). **وثالثها**: توحيده سبحانه وتعالى. **ورابعها**: كماله بأسمائه الحسنى. **وخامسها**: ثبوت النبوات وصحتها في الجملة. **وسادسها**: الإيمان بجميعهم وعدم التفريق بينهم. **وسابعها**: ترك الابتداع في دينهم بالزيادة على ما جاءوا به، والنقص منه. فإذا تأملت هذه الأمور السبعة بالفطرة الأوَّلة(٢) السليمة من التغيير بالعادات والطوارئ المغيرات، لم تشك(٣) أن الخطر المخوف من عقاب الآخرة مأمون في جميعها.

فأما(٤) الستة الأولى فمجموعها هو دين الإسلام الذي فطر الله(٥) عباده على معرفته، والخلاف في كل واحد منها كفر مجمع عليه، والأدلة [عليها](٦) جلية وفاقية بين المسلمين، ولا يمكن وجود أحوط منها ولا أولى وأحرى. كما قال الله [تعالى](٧): ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ۝١٤﴾ [الجن: ١٤].

---

(١) في (ج) جعل الأولى والثانية هي الأولى فقط، وبهذا تكون ستًّا، وهو خطأ. و في (ك): [ينبني] و في (ج): [تبنى].

(٢) في (ب، ك): [الأولى] ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) في (ك، خ): [لم يشك].

(٤) في (ب، ج): [وأما].

(٥) ساقط من (ج).

(٦) ساقط من (ك).

(٧) ساقط من (ب، ج، ك).

وأما السابع، وهو عدم الزيادة والنقص في الدين، فهو العصمة من البدع المفرقة بين المسلمين، وهو لاحق بما قبله في ثبوته في الفطرة، مع اضطرار كاره البدعة إليه، لكن لا يثبت فيه التكفير غالبًا كما يأتي [شرحه][١] في موضعه.

[سر هذا الكلام]

وسر هذا الكلام أن العذاب الأكبر مَخُوف في المخالفة لأحد هذه القواعد السبع[٢] الجلية، والعقل والسمع مجتمعان على حسن السعي في دفع المضار المخوفة المجوزة التجويز المستوي الطرفين، ووجوب السعي في دفع المضار المظنونة[٣] ووجوب السعي في الاحتياط في ذلك، وهذا معلوم في فطر العقلاء، ومع كونه معقولًا فقد ذكره الله تعالى في كتابه المبين، وذكَّر العقلاءَ به إن كانوا [عنه][٤] غافلين، فقال في ذلك رب العالمين: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾[٥] [فصلت: ٥٢] وقال -عز وجل- في آية أخرى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠] وقال سبحانه حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ

(١) ساقط من (ج، ك).
(٢) في (ب): [السبعة].
(٣) في (ب، ج): [المطلوبة].
(٤) ساقط من (ج).
(٥) حاشية: أن وجوب الشرط محذوف، والمعنى أمران قوله: ﴿مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ انظر تقسيم أبي السعود وشهد على ذلك.

بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [إلى قوله][(١)]: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[(٢)] [الأنعام: ٨١ - ٨٣] ومنه ما حكاه الله تعالى عن مؤمن آل فرعون من قوله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْۖ﴾ [غافر: ٢٨] وفي معناه قوله [تعالى][(٣)] أيضًا: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤١] الآيات. وهو بين في هذا المعنى؛ لأن السلامة متحققة في الإيمان، والخطر مأمون فيه، والمهالك مخوفة في مخالفته، وقد أحسن كل الإحسان في دعاء قومه. ولذلك حكى الله تعالى حسن احتجاجه عليهم، فينبغي تأمله والانتفاع به، ولذلك أتبع الله البرهان بالتخويف بالموت الضروري والمعاد[(٤)] النظري في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨] فإن الكفر مع مجموع هذه الأمور أنكر الكفر وأفحشه، فإن البراهين تكفي العارفين، والمخاوف توقظ نيام الغافلين، وتلين قساوة العاتين الماردين، ومع ذلك تقوى دواعي[(٥)] العارفين، وتقاوم وساوس الشياطين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [النساء: ٣٩][(٦)] وبهذا[(٧)] القدر - أعني الدخول في الإسلام على جهة الاحتياط، من غير علم بصحته بالأدلة - يحصل أدنى مراتب

(١) ساقط من (ب، خ).
(٢) انظر «الكشاف» (١/ ٢٨٠).
(٣) زيادة من (ب، خ).
(٤) في (ب، ج): [والمعاد إليه] لعلها مقحمة.
(٥) في (ج، خ): [دعاوى].
(٦) في (ج): [إلا].
(٧) في (ك): [وهذه]. و في (ب، م): [وهذا].

الإسلام عند كثير من علماء الإسلام، كمن لا يكفر المقلدين لأهل الحق ومن يقول المعارف ضرورية وغيرهم.

[حجتهم على ذلك]

وحجتهم على ذلك أمور، منها تقرير النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- للعامة، وقبول الشهادة منهم[1]. ومنها قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾[2] [الحجرات: ١٤] وآخر الآية حجة حسنة على ذلك.

***

(١) اكتفى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم ذلك. انظر كتب الحديث والسير مثلًا قصة ضمام بن ثعلبة في صحيح مسلم. و«إحياء علوم الدين» (١/ ٢١).

(٢) حاشية: قال الأمير رحمه الله: قوله: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحجرات: ١٤] نزلت في بني أسد قدموا المدينة في سنة جدب فأظهروا الشهادتين.

[تواتر أحاديث الشفاعة]

ومنها ما صح واشتهر وتواتر في أحاديث الشفاعة من تقدير[(١)] إيمان المشفوع لهم بمثاقيل الذر، وأدنى أدنى أدنى من ذلك[(٢)]. ألا ترى أنك تخاف العذاب على المخالفة في كل واحد من هذه السبعة الأمور، ولا تخاف العذاب في القول[(٣)] بواحدٍ منها، ولا تجد أحوط منها ولا أنجى، فحينئذٍ علمت بالفطرة علمًا قريبًا جليًّا تطمئن به القلوب، وتؤمن معه من الخوف الأعظم، أنه لا يمكن أن يوجد أصح[(٤)] ولا أنجى من المخاوف من دين الإسلام ومتابعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

فلاحظت في هذا المختصر هذه الأمور السبعة، وأشبعت الكلام فيها ونصرتها بجهدي وغاية ما في قدرتي من العبارات الواضحة، وضرب «الأمثال» البينة، ثم الآيات والآثار، وإن تكلمت في نصرتها من عندي فهي متميزة بأنفسها غير ملتبسة بكلامي، فما أخطأت فيه من كلامي وخالفها، فعلى كل مسلم رده واجتنابه ومتابعتها دونه، فإنما قصدي نصرتها لا مخالفتها، فما أصبت فيه فمن[(٥)] الله -عز وجل-[(٦)] وله فيه المنة والحمد والشكر والثناء، وما أخطأت فيه فالذنب[(٧)] مني، وعلي فيه[(٨)] البراءة منه والتوبة [عنه][(٩)] والاستغفار والتحذير، وأشد الكراهة، لا أفرق بين كراهة

(١) في (ب): [من تقرير].
(٢) يشير إلى حديث الشفاعة الذي أخرجه البخاري ومسلم. البخاري (١٣/ ٤٢٠) مع «الفتح»، ومسلم (١/ ١٧٢)، ووافق قول دكتور أحمد مصطفى وفقه الله.
(٣) خطأ في بعض النسخ.
(٤) في (ج، خ): [أصح منه].
(٥) في (ج، خ): [من].
(٦) في (ك، خ): [تعالى]. و في (ب، ج): [سبحانه].
(٧) في (ج): [والذنب].
(٨) ساقط من (ب).
(٩) ساقط من (ب).

ما صدر مني من البدع وما صدر من غيري، بل يجب أن أكون أشد كراهية لما صدر مني؛ لأن الصادر مني ذنبي يضرني[١] وأؤاخذ بسببه [والصادر من غيري ذنب غيري، لا يضرني ولا أؤاخذ بسببه][٢].

***

(١) ساقط من (ك).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب، خ).

[المحامي عن السنة الذابُّ عن حماها كالمجاهد في سبيل الله تعالى]

والله تعالى يسلمني من البدع والذنوب ويغفر لي ما أخطأت فيه، إنه واسع المغفرة والرحمة، وهو حسبي ونعم الوكيل، لكن المحامي على(١) السنة الذابّ عن حماها كالمجاهد في سبيل الله تعالى ويعد [للجهاد ما استطاع](٢) من الآلات والعدة والقوة، كما قال الله تعالى(٣): ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقد ثبت في الصحيح أن جبريل [عليه السلام](٤) كان مع حسان بن ثابت يؤيده ما نافح(٥) عن رسول الله - صلى الله عليه [وآله] وسلم- في أشعاره(٦)، فكذلك من ذب عن دينه وسنته من بعده وإيمانًا به وحبًّا ونصحًا له ورجاء أن يكون من الخلف الصالح الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عُدُولُه؛ ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين**»(٧).

---

(١) في (ب، ك): [عن].

(٢) ساقط من (ج).

(٣) في (ب، ك): [سبحانه].

(٤) زيادة من (ب) و(ك، خ).

(٥) حاشية: المنافحة والمكافحة، المدافعة والمضاربة. من النهاية معنى.

(٦) صح عن عائشة وغيرها أن حسان بن ثابت، رضي الله عنه، كان ينافح عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - والنبي - عليه الصلاة والسلام - يقول: «إن الله يؤيد حسان بروح القدس». أخرجه مسلم (١٩٣٦)، وأبو داود (٣/ ٣٥٧)، وأحمد (٦/ ٧٢)، وغيرهم.

(٧) حديث حسن، صححه الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- وابن القيم وشيخ الإسلام والإمام ابن الوزير في «العواصم» وغيرهم، وضعفه جماعة، والراجح أنه حديث حسن بمجموع الطرق، وتلقى الأمة له بالقبول. انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ١٧٢) وقد جعلته في رسالة أسميتها «تعديل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لحملة العلم» تصحيح وشرح يسر الله نشرها.

[أفضل الجهاد]

والجهاد باللسان أحد أنواع الجهاد وسبله، وفي الحديث: «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»[(١)]. وقد أحسن من قال في هذا المعنى [شعرًا][(٢)]:

جاهدت فيك بقولـي يوم يختصم الـ | أبطال إذ فات سـيفي يوم يمتصع[(٣)]
إن اللســان لوصّــال إلـى طــرق | في الحـق لا تهتديها الذبّل السّـرُع[(٤)]

***

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٣/ ١٩) و(٤/ ٣١٤) و(٥/ ٢٥١) عن أبي أمامة وغيره، وأخرجه أبوداود (٢/ ٤٣٨)، والترمذي (٤/ ٤٧١)، وابن ماجه (٢٠) باب الفتن.

(٢) زيادة من (ب، ك).

(٣) في (ب، ك): [السرع].

(٤) في (أ، ك، خ): [الشرع].

[أقسام الطالبين لليقين]

[الطائفة الأولى]

وقد ذكر الغزالي في المنقذ من الضلال[١] أن الطالبين لليقين ثلاث طوائف، منهم أهل الرياضة للقلوب؛ بتصفيتها بالإقبال على الله تعالى وترك ما عداه، والتخلق بالأخلاق المجمع على حسنها، من الزهد والصبر والتوكل والرضا والعفو ووضع النفس.

قلت: إلى سائر ما ذكروه من أخلاقهم وأحوالهم ومقاماتهم في «عوارف المعارف»[٢] وغيره، وهذا لا يمكن اكتسابه بالتصنيف، إنما هو بالعمل.

[لمن يصلح له هذا المختصر]

فمن عمل على موافقة السنة واجتناب البدعة كان هذا المختصر وأمثاله من بداياته التي تعينه على مقصده وتوصله إلى مراده؛ لأنهم أجمعوا على أن الشريعة لمعارفهم[٣] كاللبن للزبد، ومن لا لبن له لا زبد له. [وهذه المقدمات[٤] للشريعة وتصفية القلوب، المشبهين باللبن][٥] والزبد، بمنزلة الروح الذي لولا هو[٦] لما

---

(١) انظر: «المنقذ من الضلال» ص(١٨).

(٢) «عوارف المعارف» للسهروردي، عمر بن محمد بن عبد الله بن عمون، مات (٦٣٢هـ)، وطبع هذا الكتاب مرتين في مصر عام ١٢٩٤هـ..

(٣) في (ج): [خطأ].

(٤) في (ب): [المقدمة]، وفي (ك): [المقامات].

(٥) ساقط من (ج).

(٦) في (ج): [لولاه]. و في (ك): [لولاهم].

كان الحيوان ولا الزبد ولا اللبن، ولكنها حاصلة في الابتداء بالفطرة [موهبة][١] من الله سبحانه[٢] [وتعالى][٣] وله الحمد.

فمن كملت فطرته[٤] وسلمت من التغيير لم يحتج إلى شيء من هذا، وإن نظر فيه قوي ما هو عليه من الفطرة، بمنزلة السقي لما يشرب بعروقه من البحر، فإنه لا يحتاج السقي، فإن سقي زاده قوةً وريًّا.

[الطائفة الثانية: أهل التعليم من الإمامية]

والطائفة الثانية ممن ذكر الغزالي: أهل التعليم من الإمامية وغيرهم، فإنهم زعموا أن العقول لا تفي بالمعرفة من غير تعليم الإمام المعصوم، ولذلك تجد طالبي[٥] المعارف النظرية العقلية يتعلمون ذلك من شيوخهم، ولا يمكن بالتجارب أن يستقل أحد منهم[٦] بنظره وعقله من غير شيخ، ثم يأتي بتلك القوانين [المتقنة][٧] مجودة سالمة من المطاعن، وعندهم أن هذا من التجريبات الضروريات. وقد جود الغزالي الرد عليهم في المنقذ من الضلال[٨] وكفى وشفى، ثم قال[٩]: وعلى تسليم

(١) ساقط من (ب).
(٢) زيادة من (د).
(٣) ساقط من (د).
(٤) في (ب، ج): [فيه].
(٥) في (ك، ج): [طالب].
(٦) في (ب، ك): [أحدهم].
(٧) ساقط من (د).
(٨) انظر: «المنقذ من الضلال» ص(٥٢).
(٩) ساقط من (ج، خ).

ما ذكروه فنحن نلتزمه ولا يضرنا لكن[١] إمامنا المعصوم هو رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وموته لا يضرنا، كما أن غيبة إمامهم لا يضر[٢] عندهم، بل حالنا أولى، فإن إمامنا المعصوم مات - صلى الله عليه وآله وسلم - بعد كمال التعليم، وإمامهم غاب عنهم قبل ذلك، وفي هذا المختصر من التعليم النبوي الصحيح المتواتر أو الصحيح المشهور ما لا يوجد في أمثاله[٣].

[الطائفة الثالثة: أهل النظر]

والطائفة الثالثة أهل النظر، وقد جمعت في هذا المختصر صفوة أنظارهم وخلاصة أدلتهم ونقاوتها، وقصدت تقويتها ورسوخ اليقين فيها بجمع شواهدها وبراهينها الجلية القريبة، الغاسلة لأدران الشكوك والريبة، النازلة من أهل الإيمان بمنزلة الماء القراح من العطشان، المشهورة بين أهل البيت المطهرين[٤] والصحابة والتابعين وسائر السلف الصالحين، التي لا يجر الخوض فيها إلى شيء من البدعة ولا المخاطرة في الدين، ولا يمكن أن يكون فيها شيء غيره أحوط منه في علمي، والله المستعان والمستغاث والهادي سبحانه، لا إله إلا هو، وهو حسبي ونعم الوكيل.

***

(١) في (ك): [ولكن].
(٢) في (ب، ك): [تضر].
(٣) أي: من الكتب التي لا تستند إلى النصوص مثل كتب المعتزلة والشيعة وغيرهم.
(٤) في (ب، ك): [الطيبين].

[هذا المختصر هو لبيان الحق وتقريره في هذه الأمور السبعة]

واعلم أني بنيت هذا المختصر على بيان الحق وتقريره في هذه الأمور السبعة[١] لا سوى[٢]، وما زاد على ذلك من مواهب الله [تعالى][٣] وعوارفه ومعارفه وبدائع لطائفه فليس بمقصود[٤] لي الكلام عليه، ولا[٥] أعيب على من خالفني في شيء منه [ولا يعاب التقصير فيه][٦] فإن التطويل في الأمور العارضة يخرج عن المقصود، كما ذلك معروف.

وإنما قصرت[٧] الاهتمام على[٨] هذه الأمور السبعة؛ لأنها الفطرة التي فطر الله الناس[٩] عليها، كما تطابق عليه الكتاب والسنة، وفي ذلك دلالة على أنها[١٠] تكفي العامي، كما ذهب إليه أهل المعارف، ما لم تعرض له شبهة قادحة يتمكن[١١] من حلها على طريقة[١٢] السلف القريبة «الجلية» كما نذكره في هذا المختصر، مع الدعاء واللجأ إلى الله تعالى[١٣] وما[١٤] أقرب نفع هذا مع خلق الله القلوب على

(١) في (ج، خ): [السبعة الأمور].
(٢) في (ب، ك): [سواها].
(٣) ساقط من (ج، خ).
(٤) في (خ) [بمقصود في].
(٥) في (ب، ك): [فلا أعتب].
(٦) ساقط من (د).
(٧) في (خ) [قصدت].
(٨) في (ج): [عن].
(٩) في (ج، خ): [فطر الناس].
(١٠) حاشية: أي الفطرة.
(١١) في (ب، ج): [فيتمكن].
(١٢) في (ب، ك): [طريق].
(١٣) زيادة من (ب، ج).
(١٤) في (ج): [وعادة].

الفطرة وكثرة مواد هدايته، كما ذكره في آية النور(١) وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾ [الليل: ١٢] فأكد ذلك بمؤكدين اثنين، كما تقول: أن زيدًا لقائم. وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] هذا للخلق عمومًا وللمؤمن(٢) خصوصًا ﴿ وَمَن

(١) خطأ في المحقق في ذكر الآية (٣٤). حاشية: قال الأمير رحمه الله: قوله في آية النور يريد قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥] وقال أيضًا - رحمه الله - في الرابع من «العواصم»: ومن أحسن ما اتفق لي أنه راسلني أو (سألني) بعض الإخوان عن قوله: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ﴾ الآية، فقال: كيف شبه الله نوره العظيم بنور المصباح مع قلته ولم يشبهها بما هو أعظم منه من نور الشمس ونحوه، مع أن نور الله أعظم من نور الشمس؛ لأن نور الشمس لا ينتفع به إلا أهل الأبصار، ونور الله القوي هو للهدى، فينتفع به أهل من أهل الأبصار وغيرهم؟

فظننت ذلك في الكشاف فلم أجده، وكأنه تركه (لجلاله) أو [لكلامه] فنظرت فيه فوقع لي، وإن تقدم علم، أنه لم يرد التشبيه بكون المصباح في كثرته، إنما أراد بذلك المصباح المختص بتلك الصفات في كثرة مراد إنارته وترادف موجبات صفاته، فإنه بنفسه منير، ومكانه وهو المشكاة، كما يقوي النور لأن المشكاة تجمع النور في مكان ضيق فيكثر، والزجاجة البيضاء النيرة كذلك والزيت المخصوص الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، كل هذه مقومات لذلك النور، فكذلك نور الهدى والعلم يستمد من مواد كثيرة لكثرة أدلة الحق وتعاضدها وترادفها كترادف مواد الإنارة في ذلك المصباح وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى بقوله نور على نور. ثم وقفت بعد ذلك على تفسير ابن عباس للآية أن المراد بها مثل نور من آمن بالله. رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. فازداد الأمر وضوحًا، ولله الحمد، وهو تفسير صحيح، وتلخيصه أن الله شبه القدر الموهوب من هدايته للفرد من المؤمنين، ونور الهداية ينسب إلى الله لأنه واهبه وخالقه، وإلى العبد لأنه محله والمنتفع به. ويوضحه أنه لابد من محذوف مضى، لأن النور لا يشبه بالمشكاة، فإما أن يكون المحذوف نور المشكاة، وإما أن يكون محل النور، وهو قلب المؤمن، وهو أولى في النظر قبل الأثر، كيف بعدما عضده الأثر، لأنه هو المشبه حقيقة بالمشكاة ويترادف هو إذًا نارها. انتهى بلفظه.

(٢) في (ب، ج): [للمؤمنين].

يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١] إلى غير ذلك، وإنما يؤتى أكثر الخلق من كفرهم بآيات الله البينة [وبطلبهم][1] غيرها، كما قال الله[2] تعالى: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١] فليحذر ذلك كل الحذر من عدم القنوع بما قنع به السلف من حجج الله تعالى[3]! ويا له من تخويف شديد ووعيد عظيم!

[بيان أن هذا المختصر لا يصلح إلا لمن وضع له]

ثم اعلم أن هذا المختصر لا يصلح إلا لمن وضع له، كما أن الدواء الخاص[4] بألم خاص لا يصلح لكل ألم ولا لكل أليم، فمن كان يحتاج البسط وهو له أهل لكمال معرفته وذكائه فإنه يستنصر بالاختصار، ولا يشفيه إلا الحوافل الكبار من مصنفات [المصنفين][5] من أذكياء النظار، وقد يكون في هذا المختصر الإشارة إلى تلك الكتب الحافلة والتنبيه عليها لمن يحتاج إلى ذلك، والدال على الخير كفاعله[6] ولكن لكل مقام مقال ولكل مجال[7] رجال[8].

---

(١) في (أ، ج): [وتطلبهم].
(٢) زيادة من (ج، ك).
(٣) زيادة من (ب، ج).
(٤) في (ج): [الخالص].
(٥) زيادة من (ب، د).
(٦) «الدال على الخير كفاعله» حديث صحيح عن أبي مسعود البدري -رضي الله عنه- أخرجه مسلم (١٥٠٦)، وأحمد (٤/ ١٢٠)، وأبو داود، والترمذي وغيرهم.
(٧) خطأ في (ج).
(٨) (لكل مقام مقال) ليس بحديث، وإنما هو من كلام بعضهم، وقيل إنه من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه. وقد ذكر في «مكارم الأخلاق» للخرائطي في القسم الثاني الضعيف بترتيبنا. وانظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي ص(٣٢٧).

والكتب البسيطة في علم اللطيف لا تصلح[١] لمن يخاف عليه من الشبه[٢]، كما أن السباحة في لجج البحار لا تصلح إلا لأهل الرياضة التامة في ذلك بعد طول التجارب.

***

(١) في (ج): [يصلح].

(٢) في (ج): [يخالف عليه الشبه].

[المعاني الثمانية التي يصنف لها]

وأرجو -إن شاء الله تعالى[(١)]- ألا يخلو هذا المختصر من أحد[(٢)] المعاني الثمانية التي تصنف[(٣)] لها[(٤)] العلماء، بل من [كل][(٥)] واحد منها؛ وهي اختراع معدوم، أو جمع مفترق، أو تكميل ناقص، أو تفصيل مجمل، أو تهذيب مطول، أو ترتيب مخلط، أو تعيين مبهم، أو تبيين خطأ. كذا عدها[(٦)] أبو حيّان[(٧)] في «شرح التسهيل» ويمكن[(٨)] الزيادة فيها.

وإنما جمعت هذا المختصر المبارك - إن شاء الله تعالى- لمن صنفت[(٩)] لهم التصانيف وعنيت بهدايتهم العلماء، وهم من جمع خمسة أوصاف معظمها: وهو الأول: الإخلاص، والفهم، والإنصاف. ورابعها: وهو أقلها وجودًا في هذه الأعصار: الحرص على معرفة الحق من أقوال المختلفين، وشدة الداعي إلى ذلك الحامل على الصبر والطلب الكثير[(١٠)] وبذل الجهد في النظر على الإنصاف،

---

(١) زيادة من (ب، ج).
(٢) ساقط من (ج).
(٣) في (ب، ك): [يصنف].
(٤) في (ج): [إليها].
(٥) ساقط من (ج، ك).
(٦) في حاشية جانبية قال في (شرح التمهيد).
(٧) أبو حيّان التوحيدي علي بن محمد بن العباس الواسطي البَغْدادي. فيلسوف صوفي. له كتب منها: «أخبار الصوفية»، «الإشارات»، «الإقناع والإمتاع»، وغيرها، مات (٤٠٠هـ).
(٨) في (ب): [تمكن].
(٩) في (ب، ك): [كثيرًا].
(١٠) في (ب): [الكبير].

ومفارقة العوائد وطلب الأوابد[1] [فإن][2] الحق في مثل هذه الأعصار قلما يعرفه إلا واحدٌ بعد واحدٍ، وإذا عظم المطلوب قل المساعد.

***

(١) حاشية: الأوابد: جمع آبدة، وهي: التي قد توحشت. ونفرت من الإنس. ولعلها الوحوش. «لسان العرب» (٤/ ٣٥).

(٢) في (ج، خ): [وإن].

[طلاب الحق اليوم شبيه بطلابه في أيام الفترة]

فإن البدع قد كثرت وكثر[١] الدعاة إليها والتعويل عليها، وطالب الحق اليوم شبيه بطلابه في أيام الفترة[٢] وهم: سلمان الفارسي، وزيد بن عمرو[٣] بن نفيل[٤] وأضرابهما -رحمهما الله تعالى[٥]- فإنهم قدوة لطالب[٦] الحق، وفيهم له أعظم أسوة، فإنهم لما حرصوا على الحق وبذلوا الجهد في طلبه بلغهم الله إليه وأوقفهم عليه، وفازوا من بين العوالم الجمة، فكم أدرك الحق طلابه في زمن الفترة، وكم عمي عنه [المطلوب][٧] له في زمن النبوّة! فاعتبر بذلك، واقتد بأولئك، فإن الحق ما زال مصونًا عزيزًا نفيسًا كريمًا، لا يُنال مع الإضراب عن طلبه وعدم [التشوف

(١) في (ب): [وكثرت].

(٢) الفترة: الهدنة. وما بين كل رسولين هدنة وزمان، وهو ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

(٣) في (ج) خطأ.

(٤) سلمان الفارسي -رضي الله عنه- الذي كان قبل إسلامه يعبد النار فهداه الله، بحث عن الحق وعن دين سماوي، فعرف اليهودية وبيع في أماكن كثيرة حتى بيع لأناس من مكة، وقد أخبره أحدهم بالنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فأسلم -رضي الله عنه- وكان له شأن عظيم.
وزيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، كان يكره عبادة الأوثان ووأد البنات، ولم يأكل ذبيحة ذبحت لغير الله، رآه النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قبل البعثة، ومات قبل الإسلام، وقال فيه صلى الله عليه وآله وسلم: «يبعث يوم القيامة أمة وحده». صحيح.

(٥) في (ج): [عليهما]. حاشية قال الشيخ صلاح الأخفش رحمه الله: مبالغة كبيرة سامحنا الله جميعًا. من خط سيدي صلاح. أقول: يختلف زمن الجاهلية وزمن الإسلام، ولكن الباحث عن الحق لماذا لا يكون مثل أولئك؟ لا مانع أن تستوي الفكرة والطريقة، فإنهم آمنوا والمؤمن يقتدي بهدي من قبله. والله أعلم.

(٦) في (ب، ج): [قدوة الطالب للحق].

(٧) ساقط من (ج).

والتشوق][1] إلى سببه، ولا يهجم على البطالين[2] المعرضين، ولا يفاجئ أشباه الأنعام الغافلين، ولو كان كذلك ما كان على وجه الأرض مبطل ولا جاهل، ولا بطال ولا غافل، وقد أخبر الله تعالى أن ذرء جهنم هم الغافلون[3]. فإنا لله وإنا إليه راجعون! ما أعظم المصاب بالغفلة والمغتر[4] بطول المهلة!

ومن أعجب العجائب دعوى (المقلدين)[5] للمعارف، ودعوى المتعصبين للإنصاف، وأمارة ذلك أنك تجد العوالم الكثيرة في لطائف المعارف، المختلف فيها على رأي رجل واحد، من القدماء في الأمصار العديدة، والأعصار المديدة، فلو كانوا في ترك التقليد كالأوائل لاشتد اختلافهم في الدقائق ولم يتفقوا، على كثرتهم وطول أزمانهم وتباعد بلدانهم واختلاف فطنهم[6] كما قضت بذلك العوائد العقلية الدائمة، ولو كان الجامع لتفرقهم[7] مع كثرتهم هو الوقوف على الحقائق في تلك الدقائق لكانوا أكثر من مشايخهم الأقدمين علمًا وتحقيقًا، وإنصافًا وتجويدًا، لكن المعلوم خلاف ذلك.

***

(١) في (ب، د، ك): [التشوق والتشوف].

(٢) في (ب، ك): [المبطلين].

(٣) لعله أراد الآية: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩].

(٤) في حاشية جانبية: [والاعتزاز] ولعلها: الاغترار.

(٥) لعله حصل خطأ في مطبوع (ك). [المقلبين]. وخطأ من الناشر أنه لم يتحقق من التصحيح.

(٦) في (ج، خ): [مطلبهم].

(٧) خطأ في مطبوع أحمد مصطفى. و في (ب): [الفرقتهم].

[فائدة نفيسة]

فإياك أن تسلك هذه المسالك؛ فإن نشوء[1] الإنسان على ما عليه أهل شارعه وبلده وجيرانه وأترابه[2] صنع أسقط الناس همة وأدناهم مرتبة، فلم يعجز عن ذلك صبيان النصارى واليهود، ولا ربّات القدود والنهود المستغرقات في تمهيد المهود. وهذه [هذه][3] فأعطها حقها وانظر لنفسك وانج بها، وطالع قصة لسلمان [الفارسي][4] وأضرابه[5]، وانظر كيف كان صبرهم واعرف قدر ما أنت طالب، فإنك طالب لأعلى المراتب. قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] وقال في الآخرة[6]: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء: ١٩] وقال: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [البقرة:٦٣].

***

---

(١) في (ب، د، ك): [نشأة].

(٢) في (ج، خ): [وأضرابه]. وسقط في (ج).

(٣) في (د): [هبة].

(٤) ساقط من (ج).

(٥) قصة سلمان -رضي الله عنه- في «الاستيعاب» (٢/ ٦٣٤)، و «التمهيد» في قصة سلمان. انظر «تاريخ ابن كثير» (٢/ ٣١٠)، و «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٣٣).

(٦) في (ب، ك): [الأخرى].

[الإيمان بالله وكتبه ورسله ومتابعتهم ومعرفة ما جاءوا به أفضل ما في الوجد بأسره]

وليس في الوجود بأسره أعز ولا أفضل من الإيمان بالله وكتبه ورسله ومتابعتهم ومعرفة ما جاءوا به، فلا تطلب ذلك أهون الطلب، فإني أرى الأكثرين لا يرضون بالغبن والنقص في بيع بعض السلع، وأرى طالب الأرباح الدنيوية يطلبها أشد الطلب من أبعد الأقطار بأشق(١) الأسفار، وأما طالب الكيمياء(٢) والسيمياء(٣) فإنه يبذل في طلبهما(٤) ما دون الروح، بل يرتكب بعض الأخطار والمتالف الكبار(٥) مع أدنى تجويز للسلامة(٦) بل مع عدم التجويز أيضًا عند ملكة

---

(١) في (ج): [أشق] وهو خطأ.

(٢) حاشية قال الأمير: علم الكيمياء مقصوده تبديل خواص الجواهر المعدنية ليتوصل إلى تحصيل الذهب والفضة كنوع من الحيل. وفي «القاموس»: (الكيمياء) بالكسر وألفه معروف.... انتهى. وفي المزهر للحافظ السيوطي: ذكر ابن دريد في الجمهرة: الكيمياء ليس من كلام العرب. انتهى. أنوار.

(٣) علم السيمياء من أنواع السحر، وهو إحداث مثلات خيالية لا وجود لها في الحس، وقد يظهرونها في الحسن، ويصورونها في الهواء، ويسرع زوالها لتغير الهواء، ولفظ (سيمياء) عبراني الأصل سيم به، ومعناه: اسم الله. تعالى الله عن ذلك. انظر: «مفتاح السعادة ومصباحه السيادة» (١/ ٢٧٩). حاشية: قال ابن الأمير رحمه الله: قوله (والسيماء) أقول: هو علم الحرف. قال الشيخ داود في تعريفه: إنه علم باحث عن خواص الحروف أفرادًا وتركيبًا، وموضعه الحروف الهجائية، ومادته الأوفاق والتركيب، وصورته تقسيمها كيفًا وكمًّا، وتأليف الأقسام والعزائم وما ينتج منها، وفاعله المتصرف، وغايته التصرف على واحد يحصل به المطلوب إيقاعًا وانتزاعًا. أنوار.

(٤) في (ج): [طلبها].

(٥) في بعض النسخ [السكبار] وهو خطأ.

(٦) في (ج): [السلامة].

هواه له وغلبة ظنه بأنه يدرك ما أراد ويبلغ ما قصده[١] ويصل إلى ما إليه سعى[٢]. ولكم من منفق غضارة عمره ونضارة شبابه وإبّان أيامه في ذلك.

[سبب تطويل القول في هذا الأمر]

وإنما طولت القول في هذا لأني علمت بالتجربة[٣] الضرورية في نفسي وغيري أن أكثر جهل الحقائق إنما سببه عدم الاهتمام بتعرفها على الإنصاف لا عدم الفهم، فإن الله - وله الحمد - قد أكمل الحجة بالتمكين من الفهم، وإنما أُتِيَ الأكثر من التقصير في الاهتمام؛ ألا ترى أن المهتمين بمقاصد المنطقيين والمتكلمين يفهمونها وإن دقت مع الصبر وطول الطلب! فكيف لا يفهم طالبُ الحق مقاصد الأنبياء والمرسلين والسلف الصالحين، مع الاهتمام بذلك وبذل الجهد في طلبه وحسن القصد، ولطف أرحم الراحمين لمن[٤] هو كذلك بالنصوص[٥] والاتفاق، ولا ينبغي أن يصغي إلى من يصده عن كتب الله وما أنزل الله فيها من الهدى والنور رحمة[٦] للمؤمنين ونعمة على الشاكرين.

وليحذر كل الحذر من زخرفتهم للعبارات في ذلك وترغيبهم بأنواع المرغبات

(١) في (خ، ك): [قصد].
(٢) في (ج): [يسعى].
(٣) خطأ في مطبوع أحمد مصطفى وفقه الله.
(٤) في (ك): [بمن].
(٥) مثل قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۢ﴾ [المجادلة: ١١] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة» صحيح، خ م.
(٦) في (ج): [ورحمة].

في تلك المسالك، وليعتبر في ذلك بقوله[١] تعالى لرسوله المعصوم ﷺ: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥] ويا لها من موعظة موقظة[٢] لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد كما قال (سبحانه[٣] وتعالى)[٤] ولتعرف أهل الزيغ بذلك وأهل الحق بخلافه، فإنهم كما وصفهم ربهم - عز وجل - في قوله: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ: ٦].

***

(١) في (ك) كلمة خطأ.

(٢) ساقط من (ج، خ).

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ج).

(٤) ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧].

[غربة طلب الحق]

ولا ينبغي أن يستوحش الظافر بالحق من كثرة المخالفين له، كما لا يستوحش الزاهد من كثرة الراغبين، ولا المتقي من كثرة العاصين، ولا الذاكر من كثرة الغافلين، بل ينبغي منه أن يستعظم المنة باختصاصه بذلك مع كثرة الجاهلين له الغافلين عنه، وليوطن نفسه على ذلك، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن هذا الدين بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء**» رواه مسلم في الصحيح من حديث أبي هريرة[١] ورواه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال: هذا حديث حسن صحيح[٢]. ورواه ابن ماجه[٣] وعبد الله بن أحمد[٤] من حديث أنس[٥]. وروى[٦] البخاري نحوه بغير لفظه من حديث ابن عمر[٧].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «طلب[٨] الحق غربة»[٩] رواه الحافظ الأنصاري [في أول][١٠] كتابه منازل السائرين إلى الله [تعالى][١١][١٢] من حديث جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن

(١) «صحيح مسلم» (١/ ١٣٢).

(٢) في صحيح الترمذي (٥) كتاب الإيمان.

(٣) «صحيح ابن ماجه» (١٣١٩).

(٤) عبد الله بن أحمد بن حنبل البَغْدادي أبو عبد الرحمن، حافظ إمام، له «الزوائد على المسند». و«زوائد الزهد» (ت ٢٩٠هـ). «تهذيب التهذيب» (٥/ ١٤١).

(٥) في «المسند» لأحمد (١/ ٣٩٨).

(٦) في (ج): [ورواه].

(٧) عن ابن عمر قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الإسلام بدأ غريبًا...» رواه مسلم في كتاب الإيمان.

(٨) في (ج) خطأ.

(٩) موضوع عن علي عليه السلام. رواه ابن عساكر. انظر: «ضعيف الجامع الصغير» للألباني (٣٦١٨).

(١٠) ساقط من (أ).

(١١) زيادة من (ب).

(١٢) «منازل السائرين» للهروي (ص٩) وهو شيخ الإسلام إسماعيل بن عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، وكتابه هذا شرحه الإمام ابن القيم -رحمه الله- في «مدارج السالكين».

جده وقال: هذا حديث غريب لم أكتبه عاليًا[1] إلا من رواية علان[2]. ولذلك شواهد قوية عن تسعة من الصحابة[3] ذكرها الهيثمي في «مجمع الزوائد»[4]. فنسأل الله أن يرحم غربتنا في الحق، ويهدي ضالنا، ولا يردنا من أبواب رجائه ودعائه وطلبه محرومين، إنه مجيب الداعين وهادي المهتدين وأرحم الراحمين.

فإن قيل: قد دل السمع كتابًا وسنة على أن دين الإسلام هو الفطرة المخلوقة، وطلب ذلك [هو[5]] تحصيل الحاصل، فما هذا التهويل!

قلت: لأنه قد اشتد تغييرها، وصلاحها بعد شدة التغيير عسير، فهي كالعافية، والتغيير كالأمراض التي اخترنا[6] أسبابها فاشتدت وتمكنت حتى عسر علاجها، وهذا المختصر وأمثاله كأدوية[7] تنفع من لم يستحكم عليه التغيير دون من استحكم عليه، ولا يحتاجها المعافى.

***

---

(١) في (ج): [غالبًا] وكذلك في أصل الهروي.

(٢) في (ج): [فلان]. حاشية: قال الأمير: وفي «الميزان»: علان بن يزيد الصُّوفي. لعله واضع هذا الحديث الذي في منازل السائرين قال: سمعت الجُنَيْد قال سمعت السَّري عن معروف الكرخي عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن علي مرفوعًا: «طلب الحق غربة» رواه عنه عبد الواحد ابن أحمد الهاشمي ولا أعرف الآخر. انتهى. وزاد الترمذي عن عائشة: «الذين يصلحون ما أفسد من سنتي». كما يشهد له حديث: «وإنما أبواه يهودانه وينصرانه... ». أنوار.

(٣) في (ك): [عن تسعة صحابة] وفي (ج) خطأ.

(٤) في «المجمع»: [عن عشرة من الصحابة] (٧/ ٢٧٧).

(٥) زيادة من (ب) حاشية: أي: أوصاف من صنفت لهم المصنفات أو التصانيف.

(٦) في (ج): [أخبرنا].

(٧) في (ج، ك): [كالأدوية].

[أفضلية العلم على العمل]

ويدل على ذلك حديثا[١] حزام[٢] بن حكيم بن حزام عن أبيه وعمه: «**إن العبادة في صدر الإسلام أفضل من العلم، وإن العلم في آخر الأمر أفضل من العبادة**»[٣] كما سيأتي [بيان][٤] قوّة إسنادهما وموافقتهما في المعنى للنظر العقلي[٥] يأتيان في بيان فضل العلم النافع.

وخامسها[٦] وهو أصعبها: المشاركة في العلم أو في التمييز والفهم لأهل الطبقة الوسطى ومن يقاربهم في المنزلة، حتى يتمكن بذلك من معرفة[٧] مقدار ما يقف [عليه][٨] في هذا المختصر من «الفوائد» من غير تقليد، فيرغب فيه أو يزهد حين يقيمه[٩] على ما يألف ويعهد؛ لأنه لا يعرف [مقدار][١٠] الشيء إلا ذو بصيرة يعرف أن[١١] له أجناسًا كثيرة فيقيسها إليه أو يقيسه إليها، فيفضلها عليه ويفضله عليها.

---

(١) في (ج): [حدثنا]. و في (ك): [حديثًا] وهو مخالف للسياق.

(٢) هو: حزام بن حكيم بن حزام بن خويلد. انظر: «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر (٢/ ٢٤٢).

(٣) ضعيف، وأخرج الطبراني حديث حكيم عن أبيه عن عمه، وقيل عن أبيه: «إنكم صبحتم في زمن كثير فقهاؤه، قليل قراؤه... العمل فيه خير من العلم، وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه... العلم فيه خير من العمل». «المغني عن حمل الأسفار». رقم(٧)، و «الإحياء» (١/ ٨).

(٤) ساقط من (ج).

(٥) في (ج): [العقلاء].

(٦) يعني خامس الأوصاف المتقدمة حيث قال: وهم من جمع خمسة أوصاف.

(٧) في (ب) خطأ.

(٨) ساقط من (ب).

(٩) في (ب، م): [يقيس].

(١٠) في (ج): [قدر].

(١١) زيادة من (ب).

وذكي[١] القلب يتمكن من ذلك، وإن لم يسلك تلك المسالك، لكن بكثرة المسألة لأهل المعارف والمقايسة بين المصنفات لعارف عارف، وإلا كان الواقف عليه مثل من لا يعرف الجواهر الثمينة والفصوص النفيسة، يجد فصًّا عظيم المقدار فيضيعه أو يبيعه بثمن نزر، فقد بيع يوسف الصِّديق بذلك حين لم يوقف[٢] له على قدر[٣]. فإن عرضت لطالب الحق محنة لم يتطير بطلب الحق، فيكون من الذين يعبدون الله على حرف، وليثق بقرب الفرج، ويتوكل على الله كما قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾ [النمل: ٧٩] وعلم وأيقن أن الله مع الصابرين ومع الصادقين، وأن الله ناصر من ينصره، وذاكر من يذكره. وإن سر رسول الله[٤] [صلى الله عليه وآله وسلم][٥] في هذه الأمور عائد على متبعيه، ونصره شامل لناصريه.

ولم أقصد بهذا المختصر هداية أهل اليقين التام من الأولياء الكرام، [ولا][٦] أهل الكمال في المعارف من العلماء الأعلام، ولا هداية أئمة الكفر المعاندين لأهل الإسلام.

أما أهل الكمال في العلم الذين بلغوا مرتبة الإمامة الكبرى في علمي المعقول والمنقول وأهل اليقين التام من الأولياء [الكرام][٧] نفع الله بهم، فإن مهدي

---

(١) في (ج، ك): [أوذكي] ولعل الصواب ما ذكرناه.

(٢) في (ج): [يقف].

(٣) لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ [يوسف: ٢٠].

(٤) خطأ في نسخة أحمد مصطفى.

(٥) ساقط من (ج، ك).

(٦) ساقط من (ب).

(٧) زيادة من (ب).

[مثل][1] هذا المختصر إلى معارفهم كمهدي الحشف إلى هجر أو نجران[2] بل كمهدي الخضض[3] إلى أهل الدر والعقيان[4] وإن كان قد ينزل عند بعضهم منزلة فاكهة البادية[5] الطرية البرية التي هي[6] من العلاجات الحضرية برية، فإنها قد تعجب أهل الحاضرة، وإن كانت عما لديهم في النفاسة قاصرة.

وأما أئمة الكفر والسفه والتعلق [بمذاهب][7] الفلسفة، فهم كمن استحكم الداء عليه فلا[8] تنفعه الأدوية النافعة، فالداعي لهم إلى حق حقائق الإيمان، وإن جاء بأعظم برهان[9] في اليأس منهم وعدم الطمح فيهم كالداعي للعميان إلى النور، وللأموات[10] إلى الخروج من القبور! وكيف الطمع في هداية قوم قد أقام ربهم عليهم الحجة مرارًا: أولها بخلقهم على الفطرة، وثانيها[11] بطول المهلة، وثالثها[12] ببعثة الرسل[13] بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة، إلى غير ذلك من تجديد الدلائل بخلق المخلوقات المشاهد حدوثها في الغمام والأمطار،

(١) ساقط من (ب).
(٢) هو بمعنى أن تنقل الشيء إلى بلد هو فيه، مثل جلب التمر إلى خيبر.
(٣) في (ج): [الحضض].
(٤) الخضض: الخرز الأبيض الصَّفّار. والعقيان: الذهب. في حاشية الأنوار.
(٥) في (ج): [الفاكهة من البادية].
(٦) ساقط من (ج).
(٧) في (أ): [بمذهب].
(٨) في (ك) [ينفعه]، والصواب ما أثبتناه.
(٩) في (ج): [البرهان].
(١٠) في (ج): [والأموات].
(١١) في (ك): [وثانيًا].
(١٢) في (ك): [وثالثًا].
(١٣) في (ج): [بعثة للرسل].

والحيوان والأشجار، فجحدوا الجميع وكفروا الكفر الفظيع، مع إيمانهم بأبطل البواطل التي لا يتصور الإيمان بمثلها من عاقل، حتى قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١] وقال تعالى فيهم: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧] الآيات، وقال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠] ثم أخبر عنهم علام الغيوب أنهم يجادلون في يوم القيامة بعد بعثهم وعلمهم الضروري بصحة الربوبية، فيجحدون الحق حتى تشهد عليهم جلودهم، ثم يقولون بعد ذلك: لم شهدتم علينا! ولذلك لم نؤمر بإقامة الحجة عليهم؛ لأن الله [تعالى](١) قد أقامها، وإنما أمرنا بجهادهم ودعائهم قبل الجهاد، على خلاف في الدعاء قبل الجهاد موضعه كتب الفقه الفرعية(٢).

ولا قصدت بهذا المختصر تفهيم(٣) من ليس يفهم، فأكون كمستولد العقيم، أو مقوّم ظل ما ليس بمستقيم

وكيف يقوم الظل والعود أعوج(٤)

---

(١) زيادة من (ج).

(٢) الدعوة قبل الجهاد؛ أما أهل الكتاب والمجوس لا يدعون قبل الجهاد فهو على عمومه؛ لأن الدعوة قد انتشرت، فإنه لم يبق منهم من لم تبلغه الدعوة إلا نادرًا بعيدًا. وأما دعاء عبدة الأوثان قبل أن يحاربوا فليس بعام، فإن من بلغته الدعوة منهم لا يدعون، وإن وجد منهم من لم تبلغه الدعوة دعي قبل القتال، وكذلك إن وجد من أهل الكتاب من لم تبلغه الدعوة دعي قبل القتال... انظر: «المغني» لابن قدامة (٨/ ٣٦١) وغيره من كتب الفقه.

(٣) في (ك): [بفهيم].

(٤) البيت لعبد الرحيم البرعي تمامه: (وهل ذهب صرف يساويه بهرج). أقول والبرعي هذا صوفي له قصيدة شركية، وفيها ضلالات. فليحذر منها.

وإنما قصدت نفع الأوساط وامتثال أمر الله تعالى فقد أمر الله [تعالى][١] بالمعاونة على البر والتقوى[٢] وصح الترغيب في الدعاء إلى الحق والخير، وأن الداعي إلى ذلك يؤتى[٣] مثل أجور من اتبعه[٤]. ومن أحيا نفسًا فكأنما أحيا الناس جميعًا. وأن من[٥] أمر بالصلاح[٦] ابتغاء مرضات الله، وإن لم يُطَعْ، فسوف يؤتيه الله أجرًا عظيمًا[٧]. وفي حديث أنس عنه ﷺ: «**ما من رجل ينعش لسانه[٨] حقًّا يعمل به إلا جرى عليه أجره إلى يوم القيامة، ثم وفاه الله ثوابه يوم القيامة**» رواه أحمد، وسنده جيد وهو (٣٨٧)[٩] من مسند أنس من جامع المسانيد[١٠]. بل قد أنزل الله سبحانه وتعالى[١١] سورة العصر وقصر السلامة من الخسر على (الذين آمنوا [وعملوا الصالحات][١٢] وتواصوا بالحق[١٣] وتواصوا بالصبر) ﴿وَمَن

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة:٢].

(٣) ساقط من (ج).

(٤) في (ج): [تبعه]. وفي الحديث: «الدال على الخير كفاعله» مسلم. وحديث: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» البخاري.

(٥) ساقط من (ج).

(٦) في (ك): [بإصلاح].

(٧) قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

(٨) في (ب، ك): [بلسانه].

(٩) في (ج، خ): [ثلاثمائة وسبعة وسبعون].

(١٠) ضعيف، انظر «مسند أحمد» (٣/ ٢٦٦) وضعفه المنذري والألباني في «الترغيب» (٩٢) و«جامع المسانيد» لابن الجوزي مفقود إلا جزءًا يسيرًا لم أقف عليه.

(١١) زيادة من (ب).

(١٢) من حاشية جانبية في (ك).

(١٣) ساقط من (ج).

أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] ثم إني غير مدّع للعصمة عن[١] الخطأ والمناقضة، ولا ادّعى ذلك من هو أجل مني وأكمل وأعلم وأفهم من جميع العلماء، بل العقلاء، وقد قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢] فدل على أن[٢] لزوم ذلك لما كان من عند غير الله.

فمن وجد خطأ فلينبه عليه مأجورًا، والقصد المعاونة على الخير، وفق الله الجميع لما[٣] يحب ويرضى.

***

---

(١) في (ب): [من].

(٢) ساقط من (ب، ج).

(٣) في (ب، ك): [بما].

[طريقة التصنيف في علم العقيدة الدينية، وبيان منهج المصنف في هذا الكتاب]

واعلم أني رأيت المصنفين في علم العقيدة الدينية قد سلكوا [مسلك][١] سبيل مصنفي كتب المذاهب [التي ينتصر فيها المصنف لمذهب[٢] واحد] في الضعيف والقوى[٣] والدقيق والجلي، ولم يسلك أحد منهم مسلك مصنفي كتب الإسلام التي تذكر فيها مذاهب أهل الملة الإسلامية، ويقوي فيها ما قوّته الدلائل البرهانية، سواء كان لقريب[٤] أو بعيد أو صديق أو بغيض، وكتب العقائد أحق بسلوك هذا المسلك من كتب الفروع، فأما كون الحق فيها مع واحد فصحيح، ولكن لا يستلزم أن يكون الصواب في جميع المواضع المتفرقة قد اجتمع لبعض[٥] الفرق، إلا ما حصل فيه أحد الإجماعات القاطعة من الأمة[٦] والعترة، فيجب الترجيح له[٧] والنصرة. فاستخرت الله تعالى وقصدت إحياء هذه السنة الميتة التي هي ترك العصبية.

***

(١) ساقط من (ج، ك).
(٢) ساقط من (ج، خ).
(٣) في (ب): [في القوي الضعيف].
(٤) في (ج): [كانت].
(٥) في (ج): [ببعض].
(٦) في (ب): [الأئمة].
(٧) في (ج، خ): [يه].

[فائدة نفيسة]

ولذلك سميته «إيثار الحق [تعالى وتقدس][(١)] على الخلق» جعله الله اسمًا موافقًا لمسماه، ولفظًا مطابقًا لمعناه. وجدير أن يكون فيه ما يستدرك عليَّ، فإن كل أسلوب ابتدئ لا يكمل[(٢)] إلا بمعاونة جماعة ومتابعهم[(٣)] عليه، وتكميل المتأخر لما أهمل المتقدم، و لذلك كانت أوائل كل علم وأسلوبٍ قليلة أو ناقصة، فليبسط العذر الواقف على ما يستدرك فيه، لما كان أسلوبًا غريبًا بالنسبة إلى هذه الأزمنة المتأخرة.

واعلم أنه ليس [يصرف][(٤)] الأكثرين عن هذه الطريقة إلا أحد أمور:

أولها: عدم الحرص وقلة الداعي إلى هذا. كما تقدم مبسوطًا قريبًا في الوصف الرابع مِن صفات مَن تصنَّف[(٥)] لهم التصانيف[(٦)].

وثانيها: الخوف من شر الأشرار مع الترخيص في التقية بإجماع الأمة[(٧)]. فقد

---

(١) من نسخة المصنف.

(٢) في (د): [يكون].

(٣) في (ب، ج، ك): [تتابعهم].

(٤) خطأ في نسخة أحمد مصطفى [يعرف].

(٥) في (ج، ح): [تصنيف].

(٦) انظر ما سبق في مقدمة المصنف.

(٧) ستة أحكام للتقية: **الحكم الأول**: أن التقية إنما تجوز إذا كان الرجل في قوم كفار ويخاف منهم على نفسه وماله، فيداريهم باللسان؛ وذلك بألا يظهر العداوة باللسان، بل يجوز أيضًا أن يظهر الكلام الموهوم للمحبة والموالاة، ولكن يشترط أن يضمر خلافه، فإن تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب. **الثانية**: أنه لو أفصح بالإيمان والحق حيث يجوز له التقية. ودليله ما ذكرنا من قصة=

أثنى الله [تعالى][١] على مؤمن آل فرعون مع كتم إيمانه، وسميت به سورة المؤمن. وصح أمر عمار بن ياسر بذلك وتقريره عليه، ونزلت فيه ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] وقد قيل: من عرف الخلق فجدير[٢] أن يتحامى[٣]. ولكن من عرف الحق فعسير أن يتعامى[٤]. والذين آمنوا أشد حبًّا لله.

وثالثها: خوف الشذوذ[٥] من الجماهير والانفراد من المشاهير. وهذا يحتاج

=مسيلمة. **الحكم الثالث** للتقية: إنما تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالاة والمعاداة، وقد تجوز فيما يتعلق بإظهار الدين، فأما ما يرجع ضرره إلى الغير كالقتل والزنا وغصب الأموال واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة. **الحكم الرابع:** ظاهر الآية يدل على أن التقية إنما تحل مع الكفار الغالين، إلا إذا شاكلت حالة المسلمين بحالة الكافرين حلت التقية محاماة على النفس. عن الشافعي. **الحكم الخامس:** التقية جائزة لصون النفس. وهل تجوز لصون المال؟ يحتمل أن يحكم بالجواز لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه» ولقوله: «من قتل دون ماله فهو شهيد» ولأن الحاجة إلى المال شديدة، والماء إذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء وجاز الاقتصار على التيمم دفعًا لذلك القدر من نقصان المال، فكيف لا يجوز هاهنا. والله أعلم. **الحكم السادس:** قال مجاهد: هذا الحكم كان ثابتًا في أول الإسلام لأجل ضعف المسلمين، فأما بعد قوة دولة الإسلام فلا. وروى عوف عن الحسن أنه قال: التقية جائزة للمؤمنين إلى يوم القيامة. وهذا القول أولى؛ لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان. انظر «تفسير الرازي» (٢/ ١٤١). من حاشية مصطفى.

(١) زيادة من (خ، ج).

(٢) خطأ في (ج).

(٣) في (ج، خ): [يحامي].

(٤) انظر: «المقصد الأسنى» للغزالي ص(٣).

(٥) حاشية: قال الأمير: هذا خبر....... الأمر الثاني من الثلاثة أو معناه أنه يصرف الناظر عن هذه الطريقة خوفه الشذوذ عن الأكثر الذين ورد الوعيد على من شذ عنهم مثل حديث: «يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار» صحيح. ومثل: «عليكم بالسواد» صحيح. ونحوهما من الأمور ما أشار إليه من أن الشذوذ المذموم من شذ عن السلف الذين لم يبتدعوا في الدين. كاتبه. أنوار.

إلى نظر[١] فإن كان[٢] جمهور السلف القدماء مع القول الشاذ المتأخر، فلا يبالي[٣] بذلك الشذوذ، فقد شهدت الأخبار الجمة الصحيحة بأن الدين سيعود غريبًا كما بدأ[٤]. وكذلك كان الحق في أواخر أهل الكتاب في شذوذ من الصالحين، كما شهد بذلك حديث سلمان الفارسي[٥] حتى قالت[٦] طائفة: إن إجماع المتأخرين ليس بحجة، وإنما الحجة في إجماع الصحابة؛ لما ورد[٧] في الأحاديث من ذم أهل الزمان المتأخر. حكاه ابن جرير الطَّبَري[٨].

وإن كانت الشهرة للقول في المتأخرين، وهو لا يعرف عن أحد من السلف، أو يذكر بشذوذ[٩] عن بعضهم فهذه[١٠] هي البدعة[١١] فإياك وإياها.

***

(١) في (ب): [بصر].

(٢) ساقط من (ج، خ).

(٣) في (ب): [بال]، و في (ج، ك): [يبالي].

(٤) أخرجه مسلم وغيره، وتقدم قبل صفحتين.

(٥) حديث سلمان الفارسي ينظر «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٣٣)، والصحيح المسند من دلائل النبوة (الجزء الأول / ٧٠) ط، دار الحرمين.

(٦) في (ك): [قال].

(٧) ساقط من (ب، ج).

(٨) انظر: «ترجيح أساليب القرآن» ص(٧٤). ونسبه إلى الإمام يحيى بن حمزة في كتابه المعيار. والمعيار طبع منه جزءان والباقي مخطوط، والمطبوع غير موجود.

(٩) في (ب): [شذوذ].

(١٠) في (ج): [في].

(١١) في (ب): [البدع].

فصل [تصحيح النية واستعمال النظر]

ينبغي من كل مكلف أن يطرح العصبية ويصحح النية ويستعمل النظر بالفطرة التي [فطره الله عليها][١] ولا يقدم عليها ما لقنه[٢] أهل مذهبه؛ فإنه إذا نظر كذلك في كل أمرين متضادين فيما يحتاج إليه يجد ترجيح الحق منهما على الباطل بينًا لا يدفع مكشوفًا لا يتقنع[٣] فاقسم الأمور أولاً إلى قسمين:

[تقسيم العلوم إلى ما لا يحتاج إليه في الدين وما يحتاج إليه]

قسم لا يحتاج إلى معرفته في الدين الذي تسأل[٤] عنه في الآخرة:

كعلم الفلك ودقائقه، وعلم الطبائع، وعلم الطب، وعلم الفراسة[٥] الدالة على الأخلاق الباطنة، وعلم النجوم[٦] وعلم السحر[٧] وعلم الطلسمات[٨] وعلم

(١) في (ب): [فطر الله الناس عليها].

(٢) في (ج): [لقيه].

(٣) في (ج): [يقنع].

(٤) في (ك): [يسأل]، و في (ب): [سئل].

(٥) هو علم يتعرف فيه أخلاق الإنسان من أحواله الظاهرة، من الألوان والأشكال والأعضاء، وهو استدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن. «مفتاح السعادة والسيادة» (١/ ٢٧٢).

(٦) هو علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكيلات الفلكية من أوضاع الأفلاك والكواكب مقابلة ومقارنة، والتربيع على ما يحدث في عوالم الكون والفساد في أحوال الجو والمعادن والنباتات والحيوان. وكثير من العلماء على تحريم علوم النجوم مطلقًا، وبعضهم على تحريم اعتقاد أن الكواكب مؤثرة بالذات، فمن يعتقد تأثير النجوم فهو المذموم. «مفتاح السعادة» (١/ ٢٧٦).

(٧) هو علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقدر بها على أفعال غريبة بأشياء خفية. «اصطلاحات الفنون» ص(٧١) وهو علم محرم شرعًا وعقلًا.

(٨) الطلسم: عقد لا ينحل، و هو مقلوب اسمه، أعني مسلط؛ لأنه من جواهر القهر والتسلط، وفيه أفعال غريبة وطرقه شديدة العناء. «مفتاح السعادة» (١/ ٢٧٨).

السيمياء، وعلم الكيمياء، وعلم الرياضة، وعلم الفلاحة، وعلم الهندسة، وعلم المرايا المحرقة[١] وعلم المساحة[٢] وعلم الهيئة[٣] وعلم الأرصاد، وعلم الحساب، وعلم الشعر، وعلم [العروض][٤] وعلم تجويد الكتابة وقوانينها، وعلم اللطيف[٥] وعلم الزيجات [من الفلك][٦] والتقاويم، إلى سائر ما ذكر من علوم الأذكياء وأهل الرياضات.

***

(١) هو علم تتعرف منه أحوال الخطوط الشعاعية المنعطفة والمنكسرة، ومواقعها وزواياها، وعمل المرايا المحرقة بانعكاس أشعة الشمس عنها، ونصبها ومحاذاتها. ومنفعته في محاصرات القلاع والمدن. «مفتاح السعادة» (١/ ٣١٢).

(٢) في (ج): [السياحة].

(٣) هو علم يعرف منه أحوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية، وأشكالها ومقاديرها وأبعادها وموضوعها، وقد يذكر هذا العلم تارة مع براهينه الهندسية، كما هو الأصل، وقد يجرد عن البراهين ويقتصر على التصور والتخيل دون اليقين، وهو هيئة بسيطة. «مفتاح السعادة» (١/ ٣٠٩).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) هو علم المنطق.

(٦) زيادة من (ب).

[المصنفات في ذكر أعداد العلوم وأسمائها]

وقد صنفت كتب في ذكر أعداد العلوم وأسمائها فبلغت مبلغًا كثيرًا.

ومن أحسن[١] من[٢] صنف في ذلك الشيخ محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، فإنه صنف في ذلك كتابًا مفيدًا سماه «إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد»[٣] وذكر من هذه الفنون التي لم يرد الشرع بوجوب معرفتها[٤] بل ولا ندب إليها قدر أربعين فنًّا أو تزيد[٥] من هذه العلوم، وإنما أشرت إليها ونبهتك عليها لتعرف سهولة ما بقي عليك بعد تركها، وتيقن صدق قول الله [تعالى][٦]: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] ونحمد الله[٧] تعالى على ذلك. وأنفعها علم الطب، وعلم اللطيف.

***

---

(١) في (ج): [الحسن].

(٢) في (ك): [ما].

(٣) «إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد» لشمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السَّنْجاري (٧٩٤هـ) فيه ستون علمًا. انظر «كشف الظنون» (١/ ٦٦) وكذلك «كتاب أبجد العلوم» لصديق حسن رحمه الله.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) في (ك): [يزيد].

(٦) في (ب): [عز وجل].

(٧) في (ب) خطأ.

[التوكل أفضل من الطب]

أما علم الطب فنفعه بيِّن [لكن التوكل][(1)] أفضل منه بالنص المتفق على صحته[(2)] والأجر في الألم لمن صبر عظيم، وأعظم مصائب الدنيا الموت، والطب لا يمنع [منه][(3)] وهو مهون لما دونه كما قيل [في ذلك المعنى شعرًا][(4)]:

سلّى عن العيش أنا لا ندوم له ... وهوّن الموت ما نلقى[(5)] من العلل

لكن الصبر قليل فنسأل الله العافية ... ولا بأس بتعليم الجلي من الطب

***

(١) ساقط من (ج).

(٢) عن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم: «يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب ولا عذاب، لا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون». أخرجه البخاري (٣٧١).

(٣) ساقط من (ج).

(٤) زيادة من (ب، د).

(٥) في (ج): [يلفي].

[علم اللطيف أساس علم الكلام]

وأما علم اللطيف فهو أساس علم الكلام وتحقيق بعض قواعده[١] يكشف[٢] عوار كثير من البدع، كما تأتي إليه الإشارة.

***

(١) في (ب، د): [فوائد].
(٢) في (ج): [تكشف].

[العلم الذي يحتاج إليه في الدين]

والقسم الثاني من العلم: ما يحتاج [إليه][(١)] في الدين. وهو قسمان:

قسم لم يختلف[(٢)] في حسنه. مثل[(٣)] المنصوص[(٤)] في الحديث والإجماع[(٥)] من تفسير الإسلام والإيمان الواجب على الجميع دون ما عداه، وعلم الزهد بما اشتملت [عليه][(٦)] كتبه مما أجمع عليه دون ما اختلف فيه، ومن أنفس كتبه «رياض الصالحين» للنواوي[(٧)] لاقتصاره على الحديث القوي، وأنفس منه «الترغيب والترهيب»[(٨)] للمنذري[(٩)] ونحوهما من الكتب الخالية من البدع.

---

(١) ساقط من (ج، د).

(٢) في (ج، د): [لا يحبان].

(٣) في (ج): [وهو].

(٤) في (ب، د): [النصوص].

(٥) في (ج): [بالإجماع].

(٦) ساقط من (ج).

(٧) في (ب، د): [للنووي] وهو: يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني النووي الشافعي، محي الدين أبو زكريا بلده (نوى) من قرى حوران سورية. من مؤلفاته: «المنهاج شرح صحيح مسلم» و«الأذكار» و«رياض الصالحين» و«الأربعين حديث» و«التقريب في مصطلح الحديث» و«بستان العارفين» و«المجموع» ولم يكمل، وغير ذلك. مات (٦٧٦هـ-١٢٧٧م) رحمه الله وأدخله الجنة. انظر «كشف الظنون» (١/ ٩٣٦) وكتابه «رياض الصالحين» جمعه من الأحاديث «الصحيحة» مشتملًا على ما يكون طريقًا لصاحبه إلى الآخرة. وهو كتاب عظيم، دل على إخلاص مؤلفه -رحمه الله تعالى- لذلك نفع الله به، أسأل الله أن يجعله ذخرًا له في الآخرة وحجابًا من النار.

(٨) في (ب، ج): [الترهيب والترغيب] وهو كتاب عظيم، نفع الله به، وفيه بعض الأحاديث «الضعيفة» وفيه فوائد قيمة للإمام المنذري -رحمه الله- وكذلك التبويب، وقد طبع آلاف الطبعات، وحققه العلامة شيخ المحدثين محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى. فليرجع إليه.

(٩) هو عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله أبو محمد زكي الدين المنذري. أصله من الشام. تولى=

فهذا القسم الأول لا نتعرض لذكره في هذا المختصر لعدم الإشكال فيه، وإنما نتعرض[١] لإيضاح ما فيه إشكال بأقرب الطرق[٢] وأبعدها من الشبه.

ومن هذا القسم كتب الفروع التي كل مجتهد فيها مصيب أو مأجور، وكتب العربية ونحو ذلك، إذ لا يمكن رفع الاختلاف فيما اختلَف في مثله موسى والخضر[٣] وسليمان وداود[٤] واختصم في مثله[٥] الملأ الأعلى[٦] لأنه مراد الله[٧] تعالى[٨] بالإجماع[٩].

والقسم الثاني: المختلف فيه اختلافًا يخاف مضرته في الآخرة.

=التدريس في دار الحديث الكاملية بالقاهرة، مات (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م) رحمه الله رحمة الله واسعة. من مؤلفاته: «مختصر صحيح مسلم» و«مختصر سنن أبي داود» و«الترغيب والترهيب» وغيرها. نفع الله بها.

(١) في (ج): [يتعرض].

(٢) خطأ في بعض النسخ والمطبوع.

(٣) انظر: سورة الكهف الآيات (٦٠-٨٢).

(٤) انظر: سورة الأنبياء من (٧٨-٧٩).

(٥) في (ج، ك): [نحوه].

(٦) حسن صحيح. أخرجه أحمد (١/ ٣٦٨) وابن أبي عاصم في السنة (٤٦٨) وابن خزيمة في كتاب «التوحيد» (٣٢٠) والآجري في «الشريعة» (٤٩٦٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروى عن معاذ بن جبل، رضي الله عنه، في «العلل» للدارقطني (٦/ ٥٧). وعن جابر بن سمرة عند ابن أبي عاصم (٤٦٥) وهو في الشواهد. وعن أبي أمامة، رضي الله عنه، في «السنة» أيضًا (٤٦٦) وهو شاهد. وعن ثوبان عند ابن أبي عاصم (٤٧٠) والبزار (٢١٢٨) كما في «الكشف» وعن جماعة آخرين من الصحابة رضي الله عنهم. فهو حسن في الطرق، وثم شواهد أخرى قوته إلى الصحة. وقد صححه شيخ المحدثين الألباني -رحمه الله- في «صحيح الترغيب» (٤٠٥) (٤٥١) و«صحيح الجامع» (٥٩).

(٧) في (ب، ك): [مراد الله].

(٨) في (أ، خ): [مراد الله].

(٩) زيادة من (ج).

فما كان لا يجب شرعًا الخوض فيه مع عدم الخطر في الخوض فيه فاضرب عنه، وطالب من دعاك إليه بالدليل(١) الواضح على الوجوب، واعرض ما أورد عليك فيه(٢) من الأدلة على النصحاء الأذكياء من العلماء حتى تعرف الوجوب يقينًا من غير تقليد، ثم حرر النية «الصحيحة» بعد ذلك في معرفة الحق الذي(٣) أوجب الله [عليك](٤) معرفته، طاعة لله، لا لمباهاة ولا مرآة ولا مماراة، ثم استعن بالله واستغث(٥) به، وانظر في الخلوات خالطًا للنظر بالدعاء والتضرع والاستعاذة من الفتن، فإنك ترى بذلك من العون والسهولة ما وعد الله به الداعين له الراجعين إليه فإن الله تعالى(٦) إذا أوجب أمرًا أعان عليه من أراد الأداء له(٧) بنية صحيحة، كما ثبت عن ابن عباس [رضي الله(٨) عنهما] في تفسير قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾ [الأنفال: ٦٥] أنه قال: لو صبروا عليها لَطُوِّقُوها، فلما نقص من تكليفهم نقص من صبرهم. رواه البخاري(٩).

---

(١) في (ج): [في الدليل].
(٢) ساقط من (ج).
(٣) في (ب، د): [وما].
(٤) ساقط من (ب، م).
(٥) في (ج، د): [واستغيث].
(٦) زيادة من (ب، ج).
(٧) في (ب، د): [من أراد الأدلة].
(٨) زيادة من (ب).
(٩) عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ﴾ [الأنفال: ٦٦] قال: فلما خفف الله عنهم من العُدَّة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم.
قال ابن حجر رحمه الله: وهذا قاله ابن عباس توقيفًا على ما يظهر، ويحتمل أن يكون قاله بالاستقراء. «فتح الباري» (٨/ ٣١٢). و«تفسير الطبري» (١٠/ ٢٩).

وله شواهد. والعقل يشهد لذلك أيضًا.

ومنه كلام معاذ -رضي الله عنه- حين احتضر. رواه الحاكم في الفتن عن يزيد بن عميرة عنه[1].

---

(١) في «مستدرك الحاكم» عن الحارث بن عميرة (وليس عن يزيد بن عميرة. كما ذكره المؤلف) قال: قدمت المدينة من الشام في طلب العلم، فسمعت معاذ بن جبل -رضي الله عنه- يقول: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: «المتحابون في الله لهم منابر من نور يوم القيامة يغبطهم الشهداء» فأقمت معه، وذكرت له الشام وأهلها..... فرجعنا إلى معاذ وهو ثقيل فبكينا حوله فقال: إن كنتم تبكون على العلم فهذا كتاب الله بين أظهركم، فاتبعوه، فإن أشكل عليكم شيء من تفسيره فعليكم بعويمر أبي الدرداء، وابن أم عبد، وسلمان الفارسي، وإياكم وزلة العالم، وجدال المنافق. انظر: «المستدرك» (٤/ ٤١٩) الحديث صحيح.

وسيأتي في بحث بدعة التغيير عنه الكتاب والسنة بغير عبارتهما ولفظه: عن يزيد بن عميرة أنه كان عند معاذ حين احتضر، وكان يغمى عليه ثم يفيق، حتى غشي عليه غشية ظننا أنه قد قبض فيها، ثم أفاق، وأنا مقابله أبكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: أبكي على العلم والحلم الذي أسمع منك أن يذهب. قال: لا تبك؛ فإن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما، فابتغه حيث ابتغاه إبراهيم -عليه السلام- فإنه سأل الله تعالى وهو لا يعلم. وتلا: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]. انتهى.

ويستدرك على الأمير أيضًا أن الصواب «الحارث بن عميرة» ولعل الإمام ابن الوزير والأمير رحمهما الله تعالى أخذا هذا الاسم من مخطوطة لديهما بذلك.

وحديث معاذ هذا أخرجه الترمذي -رحمه الله- من طريق أبي مسلم الخولاني عن معاذ -رضي الله عنه- بلفظ: «قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء» [صحيح] وفي الباب عن أبي الدرداء وابن مسعود وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وأبي مالك سنن الترمذي (٢٣٩٠).

وفي مسند أحمد عن أبي إدريس الخولاني، وقد ذكر قصة بينه وبين معاذ، ثم قال: قال معاذ يرفعه: «يوضع لهم كرسي من نور يغبطهم بمجلسهم من الرب -عز وجل- النبيون والصديقون والشهداء » قال: فحدثته عبادة بن الصامت فقال: لا أحدثك إلا ما سمعت عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حقت محبتي للمتحابين فيَّ» [ولم يذكر النبيين والشهداء] صحيح. واختلف في سماع ابن إدريس عن معاذ، فذهب ابن عبد البر أنه سمع،=

وسيأتي[١].

ولا تستعن في ذلك إلا بمن يوثق[٢] بورعه ونصحه وتقواه، وما أقلهم! ولكن استعن بالنظر في تآليف العلماء الحافلة الجامعة لأدلة الفرق، فإن لم تجد كتابًا[٣] جامعًا [لأدلة الفرق[٤]] طالعت المسألة في كتب الفرق، ورأيت حجة كل فرقة في

=وذهب الدارقطني أنه لم يسمع واستدل بما ذكره الزهري أن أبا إدريس لم يسمع من معاذ وقد سمع عن عبادة فترجح كلام الدارقطني كما في «العلل» (٦/ ٧١).

وقال أبو زرعة: أبو إدريس الخولاني يروي عن أبي مسلم الخولاني وعن عبد الرحمن بن غنم وكلاهما يحدث بهذا الحديث عن معاذ.

وأخرجه بنفس إسناد أحمد: الحاكم (٤/ ١٦٩-١٧٠) والطيالسي (٥٧١) والطحاوي في شرح المشكل (٣٨٩٥) وبنحوه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٤٦) والحاكم (٤/ ١٧٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٠٦) فرواه أربعة عن أبي إدريس.

وأخرجه الشاشي (١٣٨٦) من طريق شهر بن حوشب، عن عبادة بن الصامت وأنه من مسند معاذ. وأخرجه أحمد أيضًا من طريق شهر، وشهر ضعيف، لكن تشهد له الروايات الأخرى. انظر المسند (٢٢٩٠٦).

وصحابيه هو أبو مالك الأشعري.

الخلاصة: الذي يتضح جليًّا أن رواية أبي مسلم الخولاني المحفوظة عن معاذ كما في «سنن الترمذي» وغيره، ورواية أبي إدريس عن أبي مسلم أو عن عبد الرحمن بن غنم. والطريق عن عبادة بن الصامت صحيحة أيضًا بهذا اللفظ، ومختصرة أيضًا.

وقد صحح رواية عبادة بن الصامت الشيخ الألباني -رحمه الله- في «صحيح الترغيب» (٤/ ٤٧) وفي «صحيح الجامع» (٤٣٢١) بلفظ: قال الله تعالى: «حقت محبتي للمتحابين في.. » وفي آخره: «المتحابون في على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء » (حم، طب، ك).

(١) سيأتي -إن شاء الله- في نهاية الجزء الأول عند ذكر شواهد العقل وقصة موسى مع الخضر ونوح حين قطع أن ابنه من أهله.

(٢) في (ج): [تثق].

(٣) في (ب): [كافلاً جامعًا].

(٤) زيادة من (ب، م). في (ج): زيادة [فعليك]، ولعلها هكذا: [فعليك مطالعة...].

كتبهم، لا في كتب خصومهم الذين يسمون أدلة من خالفهم شبهًا، ويوردونها [في كتبهم][1] غير مستوفاة، ويجيبون عنها بأجوبة محتملة للنقض، ولا يذكرون ما يرد على أجوبتهم، وهذا عند الاضطرار إلى ذلك.

***

(١) ساقط من (أ).

[القواعد المقربة إلى النجاة]

ومن القواعد المقربة لك إلى النجاة أن تنظر كل قولين مختلفين تخاف[١] الكفر والعذاب الأخروي في أحدهما دون الآخر، فأبعد منه[٢] واحذره، ألا تراك تخاف الكفر في جحد العلوم لا في ثبوتها، وفي جحد الرب لا في الإيمان [به[٣]] وفي جحد النبوات لا في إثباتها، وفي التفريق بين الرسل، كما فعلت اليهود والنصارى، لا في الإيمان بجميعهم وفي عدم الإيمان بما جاء به القرآن والسنة؛ لأن خلاف السمع المعلوم كفر إجماعًا، لا في خلاف العقل المعلوم؛ لأنه ليس كفرًا بالإجماع، فاعرف هذه القاعدة.

واعلم أن الفطرة التي خلق الله لك تدرك القوي من الضعيف في تلك المباحث وإن كثرت، إلا ما دق وغمض جدًّا، كما أن عينك المبصرة تدرك جميع المبصرات وإن كثرت، فما دق على فطرتك في العلوم تركته لا سيما مع دقه الشبه المعارضة له، ولم تكلف فيه ما لا[٤] تعلم، مثل ما أن ما دقة[٥] على بصرك من المرئيات تركته، كبعض الأهلة في أوائل الشهور، سيما مع القتر[٦] والغيم.

***

(١) في (ب، د): [يخاف].
(٢) في (ب): [عنه].
(٣) ساقط من (ب، م).
(٤) في (ب، د): [ما لم].
(٥) في (ب، ج): [مثل أن دق].
(٦) حاشية: القتر: جمع القترة، وهي الغبرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠-٤١] «لسان العرب» (٦/ ٨٦٢) القتر والقترة محركتين الغبرة.

الباب الأول
[في][1] إثبات العلوم

فأول شيء اختلف الخلق فيه إثبات العلوم[2] في الجملة عقلاً، مع اجتماع الشرائع على ثبوتها، فانظر؛ هل يخفى عليك الصواب في ذلك؟ فإن طوائف من الفلاسفة والاتحادية من الصوفية[3] أنكروا صحة العلوم.

أما الفلاسفة فرأوا البصر[4] الصحيح يخطئ لعوارض[5] نادرة في مواضع، كرؤية النجم ساكنًا، وهو يتحرك[6] قطعًا، بدليل انتقاله، وكذلك رؤية الظل ساكنًا، ورؤية المستقيم في الماء أعوج، ورؤية الأحول الواحد اثنين، ورؤية القائم

---

(١) ساقط من (ب، ك).

(٢) حاشية: قال الأمير الصَّنْعاني رحمه الله: قلت: فإنه صار في هذا المقام أهل العلوم أربع فرق: الأولى: الذين اعترفوا بالحسيات والبديهات. وهم الأكثر. والثانية: القادمون في الحسيات المعترفون بالبديهات كما في لهوته، وأرسطا، ليس يضرهم لا على معنى أن الحس ساقط عن درجة الاعتبار بالكلية، بل فإنه يصيب معه مرة ويخطئ أخرى فلا يعتمد على حكمه بل لابد من حاكم آخر فوقه ليميز لك أخطاءه من صوابه، فالذي يعتمد على حكمه هو العقل فقط..انتهى. أنوار.
ورد هذا بأنا لا نسلم أنه يراه غاية ما في الباب أنه يدرك حركته لصغر المسافة المقطوعة بحركة الظل بين حركته تابعة لحركة الشمس فإذا تحرك جزء من الشمس تحرك الظل أقل منه بكثير، فلصغره يعجز عن إدراكه لأن من خاصيته الحس أنه لا يدرك الأشياء الصغيرة ولا يلزم من نحو إدراك القوة الحاسية شيئًا ألا يعتمد على حكمها وإلا لعزل العقل لعجزه عن إدراك أشياء كثيرة.

(٣) هم الذين يدعون اتحاد سر العبد بالمعبود عند نهاية عبادته. «إرشاد القاصد» ص(٥٠).

(٤) في (ج، د): [النظر].

(٥) خطأ في (ج)، حاشية: قال الأمير: الأولى حذف قوله (لعوارض) فإنه الذي يأتي له جوابًا عنهم ولو قالوه هنا لكانوا غير مخالفين. فتأمل.

(٦) في (ج، ك): [يحترك].

فوق[١] الماء منكوسًا في الماء، ورؤية السحر والنوم والكشف والمرض، وإن كان في رؤية النوم والكشف صحيح وباطل، والصحيح منهما قد يحتاج التأويل ولا يكون على ظاهره بكل حال، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ﴾ [النساء: ١٥٧] فالذين قصدوا قتل عيسى - عليه السلام - رأوا مثله[٢] فاعتقدوا أنه هو، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًاۗ﴾ [الأنفال: ٤٤].

والجواب أنا نعلم بالضرورة أن هذه الأشياء كانت لعوارض تختص بهذه المواضع ونحوها، ولا يقدح ذلك في جملة الرؤية جميعها، ولا يمكن أن نشك لذلك[٣] في وجودنا ووجود العالم وشروق النيرات، وأنها تجري فوقنا وتضيئنا، وأن الأعمى فاقد لهذه النعمة، والأليم مخالف للمعافى، ولا يمكن دفع شبههم إلا بوجدان هذا العلم المخلوق فينا نعمة علينا من الله[٤] لا بتحرير دليل؛ لأن الدليل إنما يصح[٥] بعد تسليم العلوم الضرورية، بل نقول: ليس الجنون بأكثر[٦] من إصغائنا إلى ذلك. فلو قال أحد: ما يؤمنني[٧] أن يقظتي هذه نوم أو سحر أو كشف،

---

(١) حاشية: قال الأمير: لأن أجيب بأن سبب ذلك انعكاس الشعاع، وذلك أن الشعاع الخارج لا يظر إذا وقع على سطح المنعكس منه إلى رأس القائم فوق الماء لكن المبصر أن يرى الشمس على استقامة الشعاع الخارج منه لكن الخط الذي هو على استقامته داخل لتلق الماء فلذلك يرى القائم على طرف النهر منعكسًا وذكر التقرير هذا شكلًا تصوريًّا منه طول ن. م.ع المحصل. أنوار.

(٢) حاشية: قال الأمير: الأولى حذف (مثله) لأنهم اعتقدوا عينه، وإنما حكى الله أنه غيره. أنوار.

(٣) في (ج، د): [لأجل ذلك].

(٤) في (ج): [من الله علينا].

(٥) خطأ في بعض النسخ.

(٦) في (ب): [أكثر]، و في (ج): [أكبر].

(٧) في (ب، م): [يومني].

أو أن ولدي[١] وداري وأرضي شبهت لي، أو أن[٢] طعامي وشرابي سموم[٣] قتالة. لكان إلى أن يكون ويقيد[٤] أحوج[٥] منه إلى أن يناظر ويجادل.

فإذا عرفت هذا بالفطرة، مع اعتضادها[٦] بالقرآن والسنة والإجماع، فاعلم أن هؤلاء إنما أُتُوا[٧] من شدة النظر والتدقيق فيما لا تعرفه العقول[٨] لأن دوام الفكرة في المحارات[٩] يضعف[١٠] الفهم ويمرض[١١] صحيحه.

***

(١) في (ب، م): [والدي].

(٢) في (ب، م): [وأن].

(٣) في (ج): [مسموم].

(٤) في (ك): [ويفند].

(٥) ما بين قوسين [ساقط من (ج، د)].

(٦) في مطبوع خطأ. و في (ب): [اعتضاذها].

(٧) في (ج): [لتو].

(٨) خطأ نقله أحمد مصطفى في نسخته.

(٩) في (ب،ج): [المحاورات].

(١٠) في (ج): [تضعف].

(١١) في (ج، م): [وعرض].

[آثار كثرة الشك]

ومن أمثلة ذلك المجربة [بالضرورة][١] كثرة الشك في النية والطهارة، فإنه قد أورث الوسواس الفاحش مع جماعة من أكابر العلماء الفضلاء، كالشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد[٢] ممن[٣] بلغ المرتبة الكبرى في العلوم.

[دواء الشك المرور عليه]

وقد رأيناه ممن[٤] أدركنا من كبار أهل العلم والصلاح من لا ينتفع (لذلك)[٥] بالمشاهدة ويشك[٦] في الضرورة، وذلك مستمر في العقلاء، وهو عبرة للنظار؛ فإن الوسواس إذا بلغ هذا المبلغ عند الإصغاء إليه فيما لا يشك فيه فكيف بمن أصغى إليه فيما يشك في مثله.

وما أحسن قول القاسم[٧] - عليه السلام - في مثل هذا: دواء الشك المرور

---

(١) ساقط من (ج، د).

(٢) هو: محمد بن علي بن وهب ابن مطيع القُشَيْري تقي الدين أبو الفتح. الإمام القدوة، شيخ الإسلام، ولد في البحر الأحمر ٦٢٥هـ. له مؤلفات منها «الإمام» و«الإلمام» وشرح «الأربعين» وغيرها مات (٧٠٢هـ) رحمه الله. انظر: «مفتاح السعادة» (٢/ ٢٢٠).

(٣) وقد ذكر أمر الوسوسة عند ابن دقيق العيد الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٤/ ٤٨٢) قال: وكان في أمر الطهارة والمياه في نهاية الوسوسة رضي الله عنه. وقال قطب الدين الحلبي: وبلغني أن جده لأمه الشيخ المحقق تقي الدين ابن المقترح كان يشدد في الطهارة ويبالغ.

(٤) في (ب، م): [من]، وقد أخطأ أحمد فلم يذكر وجه الاختلاف هنا.

(٥) في (ب، ج): [بذلك].

(٦) في (ب، ج): [وشك].

(٧) هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسني العلوي الرسي، أبو محمد فقيه شاعر من علماء الزيدية له رسائل كثيرة. انظر: «الأعلام» (٥/ ١٧١).

عليه. ولذلك ورد في الحديث المتفق على صحته الأمر بالاستعاذة من الشيطان [ولينته][1] عند حضور[2] الوسواس أو سماعه[3] سؤالا[4] من بعض الناس[5]. وهذا الحديث مناسب لقول الرسل[6] عليهم السلام: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] فيما حكاه الله عنهم في كتابه الكريم.

وأما الاتحادية المدعون للتصوف[7] وليس هم منه[8] في شيء، فهم الذين قالوا: إن المكاشفة قد دلت على صحة المحال، وهذا غاية التغفيل والضلال إن صح عن أحد، فإنه يقال لهم إن كان كذب المكاشفة محالًا فقد دلت على صحته، فيصح أن تكون كاذبة! وإذا صح كذبها لم يوثق بها! وإن كان كذبها ممكنًا لم يوثق بها ولم يصح لها اسم الدلالة! فثبت أنه لولا امتناع[9] المحال ما صح سمع ولا عقل ولا كشف ولا بصر[10] ولا عِلم شيء البتة.

---

(١) [الرجيم] زيادة في (ج)، ولكن لم يثبت في كل الأحاديث في «صحيح مسلم» لذلك بقيت على الأصل وأضفت [لينته].

(٢) في (ب): [حضر].

(٣) في (ج): [ويسمى].

(٤) في بعض النسخ خطأ.

(٥) حديث الوسوسة في مسلم كتاب الإيمان باب (٦٠) رقم (٢٠٩ و ١٣٥ و ١٣٦) بلفظ: «يأتي الشيطان أحدكم...» الخ.

(٦) في (ك): [صلوات الله عليهم] ولم ينبه عليه أحمد.

(٧) في (ج، خ): [المدعين التصوف]. حاشية: رد قول الاتحادية، وهم أهل وحدة الوجود، بأن المكاشفة دلت على صحة المحال.

(٨) في نسخة أحمد خطأ.

(٩) في (ج): [لاقناع]، وهو خطأ واضح.

(١٠) في (ب، ج): [نظر].

وكأن هؤلاء القوم لم يفرقوا بين المحارة[١] والمحال، فأما من عرف ما هو المحال وجوزه لم يصح منه بعد ذلك دعوى أنه محق وأن خصمه[٢] مبطل أبدًا؛ لأنه لا يمنع من كون المحق مبطلًا والمبطل محقًّا، والتوحيد شركًا والشرك توحيدًا إلا كون ذلك محالًا، والمحال لا يقع [البتة][٣] فمتى[٤] فتح باب تجويز المحال لم يمتنع[٥] شيء من ذلك، وانسد باب الإنكار على كل كافر وجاحد، ولم يبق فرق بين أعرف العارفين وأجن المجانين! فيا عجبًا كيف يدعي مثل هؤلاء مراتب العارفين! ولا تغني[٦] عنهم دعوى دقة الفرق[٧] بين العلم والظن فإن الفرق بينهما في الضروريات ضروري، بل من الضرورة انقسام جميع ما يمكن الخبر عنه والاعتقاد له إلى ما جمع الجزم والمطابقة والثبات عند التشكيك وإلى ما لم يجمعها، فالجامع لها هو العلم، وإن اختل الثبات فاعتقاد مقلد المحق أو المطابقة، فالاعتقاد الفاسد أو الجزم فمع الاستواء الشك، ومع الرجحان الراجح الظن، والمرجوح الوهم، فعلمت كلها بالضرورة، وإن اختلفت العبارات عنها فإن اختلاف اللغات والعبارات لا يحيل[٨] المعاني.

***

(١) في (ج): [المجاز].
(٢) في (ج): [خصيمة].
(٣) ساقط من (ج).
(٤) في (ب): [فمن].
(٥) في (ج): [يمنع].
(٦) في (ك): [يغني].
(٧) في (ب، م): [التفرقة].
(٨) في (ج): [لا تحل]، و في (ك): [لا تحيل].

[خاتمة المقدمة]

واعلم أن منكري العلوم لم ينازعوا في حسن العمل بها، بل ولا في وجوبه؛ فإنهم انتفعوا بالأبصار وتوقَّوا بسببها الوقوع في الماء والنار وسائر المهالك[١] والأخطار.

ومن عجائب ما يروى عنهم أن بعضهم[٢] صنف كتابًا في نفي العلوم، ومات له ولد، وقد قارب الحلم، فقال إنه إنما أسف لموت ولده قبل أن يقرأ كتابه في نفي العلوم. فقيل له: وما يدريك أنه كان لك ولد[٣] وأنه مات، وأنه لم يقرأه، وأنك موجود، وأنك صنفت كتابًا! فلم يدر ما يقول[٤].

***

(١) في (ب، د): [المهلكات].

(٢) في حاشية: هو صالح بن عبد القدوس.

(٣) في (ج): [والد].

(٤) يحكى عن ابن خَلِّكان: أن أبا الهذيل العلاف لقي صالح بن عبد القدوس،وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه، فقال أبو الهذيل: لا أعرف لجزعك عليه وجهًا إذا كان الإنسان عندك كالزرع! قال صالح: يا أبا الهذيل إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك. فقال له: كتاب الشكوك! ما هو يا صالح؟ قال: هو كتاب قد وضعته، من قرأه يشك فيما كان، حتى يتوهم أنه لم يكن يشك فيما لم يكن، حتى يتوهم أنه قد كان. فقال أبو الهُذَيْل: فشُكَّ أنت في موت ابنك، واعمل على أنه لم يمت، وإن كان قد مات، وشك أيضًا في قراءته كتاب الشكوك، وإن كان لم يقرأه. انظر: «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٦٥).

[من عجائب ما يروى عن منكري العلوم]

ومن سخف هؤلاء لم يذكر الله سبحانه الرد عليهم في كتابه ولا رسله -صلوات الله عليهم- وإنما قدمت ذكرهم عبرة لك حتى لا تحتفل بوجود المخالفين للحق الجلي، وتظن أنه لو كان حقًّا جليًّا لم يمكن أن يكون فيه مخالف عاقل، بل مدعٍ لمرتبة الكمال في الإسلام؛ كنفاة جميع العلوم والأدلة عقلًا وسمعًا إلا من طريق الكشف، ونفاة وجود الرب والخلق إلا الوجود المطلق الذي هو ذات الأحد.

***

[الحضرة الأحدية]

والحضرة الأحدية عندهم وما عداه من مراتب وجود الله وأسمائه الحسنى كلها، وهو[(١)] الحضرة الواحدية عندهم، ووجود خلقه[(٢)] ملائكتهم ورسلهم وكتبهم (وجنهم وإنسهم)[(٣)] والدنيا والآخرة، كل ذلك خيال لا حقيقة له أبدًا، ما عدا الوجود المطلق الذي هو [ذات][(٤)] الأحد والحضرة الأحدية عندهم وهو عدم محض[(٥)] لا[(٦)] وجود له إلا في اللفظ والذهن عند سائر المحققين من العقلاء، فهو الموجود[(٧)] على الحقيقة عندهم، وكل وجود[(٨)] عندهم ما عداه خيال منه كطيف الأحلام، لكن أحب أن يرى نفسه فيه، ونسبة كل شيء إليه نسبة صورة دحية إلى جبريل، فهو هو[(٩)] من وجه وما هو[(١٠)] هو من وجه، وكذلك[(١١)] فليكن الضلال المبين.

***

(١) في (ك): [هي].

(٢) في (ج، خ): [خلق].

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ج).

(٤) ساقط من (ك، ج). ولم ينبه عليه أحمد مصطفى.

(٥) زيادة من (ج، ك) لفظة مقحمة. حاشية: من قوله: [وهو عدم محض] إلى قوله: [العقلاء...] من كلام المؤلف -رحمه الله- لتبيين مراد أهل الوحدة.

(٦) في (ج): [ولا].

(٧) في (ج): [الوجود].

(٨) في (ب، م): [موجود].

(٩) ساقط من (ج).

(١٠) ساقط من (ج).

(١١) في (ب، ج): [فكذلك]، و في (ك): [كذلك]، ولم ينبه عليه أحمد مصطفى.

[تفريقهم بين الأحد والواحد]

وكفى في بيان ضلالهم فرقهم بين الأحد والواحد، وبين الأحد وبين الله، ولزوم قولهم لإلهين[١] اثنين: أحدي[٢] حقيقي[٣] وواحدي خيالي[٤]. ولم يذكر هؤلاء الغزالي في الرد على الاتحادية في المقصد الأسنى[٥] لتأخر حدوث ضلالهم الفاحش. نعوذ بالله من الغرور.

***

(١) في (ج): [إلاهين]، و في (ك): [لاهين]، وهذا خطأ، ولم يتنبه له المحقق، أو في الطبعة.

(٢) خطأ في (ب): [واحد].

(٣) في (ج): [وحقيقي].

(٤) في (ب): [وواحد]. حاشية: قال الأمير: وهذا هو قول ابن عربي في فصوص الحكم والفتوحات المكية، فإن الرب عبده، وعند من كان على ملته ليس هو موجودًا مباينًا لمخلوقاته، بل هو وجود مطلق وشروط تبقى لأمور. الثبوتية أو تفيء لأمور الثبوتية والسلبية (وجد) يقولون هو: وجود المخلوقات. أو قال فيها: أو لا هذا ولا هذا فهذه علته، هو وابن سبعين والصدر القونوي وابن الفارض والتلمساني، ومنتهى قوله القول بوحدة الوجود وأن الوجود الواجب تقديم الخالق هو الوجود الممكن المحدث، وهو المخلوق [ما ترى خير ولا سوى]...... ولكن لما رأوا تعدد المخلوقات صاروا يقولون تارة: ظاهرة يتجلى. فإذا فعلى لهم فإن كانت الظاهر أمرًا وجوديًّا تعدد الوجود وإلا لم يكفي لها منه حقيقة، وما هو نحو هذا الكلام الذي يبين أن الوجود نوعان خالق ومخلوق. فالواجب يثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل [ومن أراد التحقيق فقلنا] لا بد أن يلتزم الجمع بين التقصير، وأن الجسم الواحد في موضعين. ذكره ابن تيمية في «منهاج السنة». أنوار. انظر منهاج السنة (٦/ ١/ ٩٩/ ١٥٠).

(٥) رد الغزالي في «المقصد الأسنى» ص(٩٩).

[إثبات العلوم هو الحق والأحوط]

فإذا تقرر أن إثبات العلوم هو الحق والأحوط(١) وهو الذي عليه الشرائع والفطر وعمل الخلق، وأن الاضطرار إليه وإلى العمل به حاصل، وأنه(٢) لا خطر في العمل بهذه العلوم، عند جاحدها أيضًا ثبت [أيضًا](٣) أن العمل بها نهج السلامة بغير شك ولا خلاف، فهذا أول خلاف تخلصت منه بطيبة نفس، وأول حق واجب ظفرت بمعرفته؛ لأن مخالف الحق هنا يكفر بإنكار جميع المعارف الدينية المتعلقة بالقطع بإثبات الربوبية والنبوات(٤) والشرائع الواجبات، وهذا أيضًا أول كفر نجوت منه برحمة الله(٥). والحمد لله رب العالمين.

وبعد ثبوت العلم نذكر شيئًا من صحيح فضائله والترغيب فيه.

***

---

(١) في (ج): [الأحوط].

(٢) في (ج): [وإن].

(٣) ساقط من (ب، ج).

(٤) في (ج): [والنبوة].

(٥) في بعض النسخ [برحمة الله منه].

فصل
في فضائل العلم النافع وأهله

فمن العقل أنه أصل النجاة والسعادة؛ إذ هو الداعي إلى أسباب الخير الصارف عن أسباب الشر.

[إجماع العقلاء والملل والنحل على فضل العلم النافع]

ومن خصائصه إجماع العقلاء والملل والنحل على فضله، فإنه تمدح به الخالق سبحانه (وأنه سبحانه)[1] مدح عباده بما وهب لهم منه، وفضل آدم -عليه السلام- بعلم الأسماء على الملائكة، واختار تفضيله به على تفضيله بالعمل لكشف[2] الشبهة عن[3] ملائكته وإيضاح الحجة عليهم، ولم يزهد فيه بل قال لأعلم خلقه صلى الله عليه وآله وسلم[4]: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤] وحتى فضل الكلاب المعلَّمة على غيرها فأحل صيدها[5] وهو الذي صال به الهدهد على سليمان (عليه السلام)[6] مع عظيم ملكه، وقويت حجته مع ضعفه وحقارته، حيث قال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ج). في (ج): [على].
(٢) في (ك): [بالكشف]. وفي بعضها [بكشف].
(٣) في (ج): [على].
(٤) ساقط من (ب).
(٥) مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤].
(٦) زيادة من (ب، ج).

ومن أعظم فضائله القرآنية تعليل خلق العالم[(١)] به في قوله [تعالى][(٢)]: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢] ثم تعليل البعث في الدار الآخرة به في قوله تعالى[(٣)]: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٩].

ولذلك ذم الله من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وقال تعالى[(٤)]: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الحج: ٤٦] الآية، وقال: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤] وقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الحج: ٧١]. وقال تعالى[(٥)]: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٥-١٦] ومنه ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]. ومنه قصة موسى مع الخضر وقوله: (على أن تعلمن) ورحلته إليه في نافلة العلم، وعزمه على أن يمضي حقبًا [في طلب نافلته][(٦)] والحقب ثمانون سنة[(٧)].

---

(١) في (ب، ج، ك): [العوالم].
(٢) زيادة من (ب، ج).
(٣) زيادة من (ب، ح).
(٤) زيادة من (ب).
(٥) زيادة من (ب).
(٦) ساقط من (ج).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١١/ ١٠) ورواه الحاكم في «المستدرك» عن ابن مسعود (٢/ ٥١٢) وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عمرو وابن عباس وجماعة. ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٤).

وذلك يشهد لصحة حديث عبد الله ابن عمر مرفوعًا: «**العلم ثلاثة، وما سوى ذلك فهو فضل**» الحديث[(١)] خرجه أبو داود[(٢)] وابن ماجه[(٣)].

ومنه ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النمل: ٤٠] ومنه: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] ومنه ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] ومنه ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] ومنه ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] ومنه ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩] ومنه تشبيه العالم بالحي والنور، والجاهل بالميت والظلمات[(٤)]. ومنه ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] ومنه ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] في «تفسيره». ومنه ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤] ومنه ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤] ومنه ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] ومنه ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[النحل: ٢٧] ومنه ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢] ومنه ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] ومنه ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] ومنه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ

---

(١) حاشية: قال الأمير: (... آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة). أنوار.

(٢) ضعيف. أخرجه أبو داود (٢٨٨٥)، والحاكم (٤/ ٣٣٢)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٢٠٨)، بلفظ: (العلم ثلاثة فما سوى ذلك...). وقال المناوي في شرح المصابيح: عبد الرحمن الأفريقي ضعفوه، وفيه عبد الرحمن بن رافع التَّنُوخي، وقد غمزه البخاري وابن أبي حاتم (١/ ١٦٩). و«ضعيف الجامع الصغير» (٣٨٧٠).

(٣) سنن ابن ماجه (١/ ٢٠) رقم(٥٤) وهو نفس الذي قبله ونفس الحكم عليه. حاشية: قال والحاكم ورمز في «الجامع الصغير» لصحته.

(٤) انظر آية (٢٣٩) من الأنعام.

يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢] ومنه ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥] (وشرف الشيء)[١] يؤخذ من خساسة ضده. ومنه في موسى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص: ١٤] ومنه ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩] ومنه ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦] ومنه ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٤٧] ومنه ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠] ومنه ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢] ومنه قول أهل النار: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] ومنه ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ [كَثِيرًا][٢]﴾ الآية، إلى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ومنه ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] ومنه ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقال حكاية عن إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]. فهذه نيف وأربعون آية من محكم كتاب الله تعالى، مع ما في السنة من ذلك. فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من أوفر عباده حظًّا من جميع مواهبه في العلم والعمل (وهذا كله في العلم)[٣] إنه هو الملك

---

(١) في (ج، خ): [ووجدت شرف].

(٢) ساقط من (ك).

(٣) ساقط من (ك). وخطأ فيها.

الوهاب، المعطي من يشاء بغير حساب(١).

وهذا كله في العلم النافع دون غيره، كما تقدم بيانه(٢).

والحجة على ذلك من الكتاب والسنة والمعقول(٣).

***

(١) في حاشية جانبية:
وأما ما ورد في فضل العلم من الحديث، فحديث أبي موسى: «إنما مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا. وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» رواه البخاري.
وفيه بشرى لحملة العلم من المسلمين الذين شبه بعضهم بالأرض الطيبة، وبعضهم بالأجادب التي انتفع بها الناس، وهو بين فيه.
قال المُهَلَّب ما معناه: إنه مثل لمن يفهم وينتفع وينفع، ولمن يحفظ ولا يفهم ولا ينتفع لكن يبلغ إلى من يفهم ولا ينتفع، مثل حديث: «رب حامل فقه غير فقيه» وهو تفسير جيد، ومحمول على من أخلص في تعليم الناس وتبليغهم.
ويدل عليه أيضًا حديث أبي هريرة: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له بها طريقًا إلى الجنة» رواه مسلم. وحديث: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين» ذكرت طرقه في أوائل «العواصم». يوضح أحاديث: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» رواه الخطيب عن ستة من الصحابة، وصححه الترمذي عن ابن عباس. وفي «جامع الأصول في فضل العلم» تسعة أحاديث غير هذه، منها أن طلب العلم كفارة لما مضى. رواه الترمذي، وفي «مجمع الزوائد» (٣٩)، وفي البخاري وشرحه بضعة عشر حديثًا اهـ.
قال في هامش الأصل: (هذ الكلام بطوله كان مولانا -يعني ابن الوزير عليه السلام- قد أثبته في نسخته ثم ضرب عليه بالقلم الأحمر، فجعل هنا فائدة خارجة، وهو نفيس لا ينبغي تركه.

(٢) خطأ في (ب).

(٣) في (ك) أشار المحشي أن كلمة طمسها ثم أثبتها.

الباب الثاني

في إثبات الطرق إلى الله تعالى[1]

(وبيان أجلاها وأوضحها[2] على سبيل الإجمال)

واعلم[3] أن هذا من أوضح المعارف التي دلت عليها الفطرة التي خلق الخلق عليها؛ ولذلك قال كثير من العقلاء والعلماء والأولياء: إنه ضروري لا يحتاج إلى نظر. وقال آخرون: إنما نحتاج إلى تذكر[4] يوقظ من سنة الغفلة كتذكر الموت الذي تقع الغفلة عنه وهو ضروري، حتى قال الله تعالى في مخاطبة العقلاء: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥] وإلى ذلك أشار[5] القرآن الكريم[6] حيث حكى الله عن الرسل الكرام قولهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقد تقدم قول علي -عليه السلام- في ذلك الذي شهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود. و[7]ذكره في شرح ابن أبي الحديد لذلك[8] وتجويده[9].

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ك): [وأصحها].

(٣) في (ب، م): [اعلم].

(٤) في (ج): [مذكر].

(٥) في (ب، م): [ونحو ذلك مما يشار].

(٦) في (ب، م): [الحكيم].

(٧) ساقط من (ب، ج، د).

(٨) في (ك): [ذلك].

(٩) في (ك): [وجوده].

وقد بسطت أدلة من قال بذلك وما يرد عليهم وما يجيبون به في «العواصم»[١]؛ ولذلك شذّ[٢] المخالف هنا...

ولم يكد [يظهر][٣] الخلاف في حاجة العالم إلى مؤثر[٤]، وإنما اشتد الخلاف في صفات[٥] ذلك المؤثر، ونقل الرازي عن الفلاسفة اعترافهم أن خوضهم في الإلهيات بالظن دون العلم.[٦]

---

(١) انظر ما تقدم في المقدمة، وبعضهم يحيل خطأ. انظر العواصم (١/ ٥٤٠) ط جديد.

(٢) في (ج): [شك].

(٣) ساقط من (ج).

(٤) في (ج): [موفر].

(٥) في (ج): [صفة].

(٦) حاشية: قال الإمام ابن الأمير -رحمه الله-: قلت: ويوافق هذا ما حكاه الرَّازِي في «تفسيره»، ونسبه إلى جعفر الصادق، وذكره ابن تيمية، ولم ينسبه إلى قائل.
قال ابن تيمية -رحمه الله-: إن طائفة من الملاحدة دخلوا على بعض العلماء: فقالوا لدينا الدليل على وجود الصانع. قال: دعوني فخاطري مشغول بأمر غريب. قالوا: وما هو؟ قال: بلغني أن في دجلة سفينة عجيبة مملوأه بأنواع الأمتعة العجيبة، وهي: ذاهبة وراجعة من غير أحد، يحركها ولا يقوم عليها. فقالوا له: مجنون أنت قال: وما ذاك؟ قالوا: هذا لا يصدقه عاقل. قال: فكيف صدقت عقولكم أن هذا العالم بما فيه من الأنواع والأوصاف والحوادث العجيبة، وهذا الفلك الدوار (السيار) تحدث هذه الحوادث بدون محدث، ويحرك بغير محرك، فرجعوا على أنفسهم بالملام.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: وهذا إذا قيل هذه السفينة أثبتت نفسها في الساحل بغير موثق أوثقها، ولا رابط ربطها.
كذبت العقول بذلك، فلذا إذا قيل أن الحوادث تبقى وتدوم بغير مبق...... يبقيها ولا ممسك يمسكها، ولذا نبه الله على هذا وهذا فالأول كثير، وأما الثاني، ففي مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝﴾ [فاطر: ٤١]. أنوار.

واعلم أن [هذا](١) الخلاف الشاذ المستند إلى الظن باعتراف أهله إنما وقع مع شذوذه؛ لأنهم نظروا في معرفة(٢) الرب - جل جلاله - من الوجه الذي بطن منه، ولم ينظروا في معرفته من الوجه الذي ظهر منه؛ وذلك أنه [سبحانه](٣) قد تسمى بالظاهر وتسمى بالباطن، وثبت هذا في كتابه الكريم(٤) فثبت أن له جهة يظهر منها وجهة يبطن منها، لتبقى حكمته في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] وقوله في الساعة: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥].

فمن نظر في معرفته من الجهة التي يظهر منها ترادفت مواد معرفته، وكانت نورًا على نور يهدي الله لنوره من يشاء(٥) كما وصف الله نور هدايته بكثرة المواد في سورة النور. ومن نظر في معرفته من غير هذه الطريق كان كمن ضل الطريق واجتهد في السير بعد الضلال، فلا يزال يزداد بعدًا بسيره في غير طريق.

على أنه يحتمل أن المعنى في الظاهر [و](٦) الباطن أنه هو الحق فيهما معًا لا في أحدهما، كما قد يكون بعض الأمور حقًّا في الباطن ولا حجة عليه ظاهرة، فيكون على هذا الوجه في المعنى(٧) الملك الحق المبين، ويكون ذلك أعظم في قطع أعذار المعاندين، والله أعلم.

***

(١) ساقط من (ج).
(٢) في (ج): [إلى].
(٣) ساقط من (ج).
(٤) ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].
(٥) ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ﴾ [النور: ٣٥].
(٦) زيادة من (ب).
(٧) في (ب، ج): [معنى].

[بيان الطريق إلى الله تعالى]

والطرق إلى الله تعالى[١] كثيرة جدًّا، ولكنا نقتصر منها على أصحها وأجلاها وأوضحها وأشفاها حتى نأمن بالسلوك فيها من الضلال في الطرق[٢] التي تبعد السائر فيها عن مقصوده - والعياذ بالله - وإلى تلك الطرق الإشارة بقوله تعالى[٣]: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقد يكون فيها مايستلزم رد كثير من الشرائع فنقول:

الباب الثالث

[في بيان شيء من طرق معرفة الله تعالى[٤] على مناهج الرسل والسلف على جهة التفصيل]

للإجمال المتقدم في الباب الذي قبل هذا فلنذكر[٥] إشارة لطيفة على قدر هذا المختصر إلى ثلاث دلالات: دلالة الأنفس، ودلالة الآفاق، ودلالة المعجزات، وكلها دل عليها القرآن الذي وصفه الله تعالى[٦] بأنه يهدي للتي هي أقوم[٧].

(١) ساقط من (ج).
(٢) في (ج): [الطريق].
(٣) زيادة من (ب).
(٤) زيادة من (ج). حاشية: الباب الثالث في طريق معرفة الله يدل له الآيات والآفاق والمعجزات.
(٥) في (ج): [ولنذكر].
(٦) زيادة من (ج).
(٧) ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٩].

[دلالة الأنفس]

أما دلالة الأنفس فإنها بليغة قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧-١٩] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦-٨] وقال: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] الآية، وأبسط آية في ذلك آية الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ إلى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥ - ٧] وأبطل شبهة الطبائعية بقوله: (من تراب) لأن آدم أبو البشر، وأصلهم بالتواتر الضروري، لا أب له ولا أم، فلزمت الحجة وبانت ووضحت[1] ولله الحمد والثناء والمنة. وكذلك الآية التي في سورة المؤمنين من قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾ [يس: ٧٧-٧٨] ومن ثم قيل: فكرك فيك يكفيك.

***

(١) في (د): [وظهرت].

[ذكر دلالتي النفوس والآفاق في آية واحدة]

وقد جمع الله تعالى[(١)] ذكر دلالتي النفوس والآفاق في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] وذلك أنا نعلم بالضرورة وجودنا أحياء قادرين عالمين ناطقين سامعين مبصرين مدركين، بعد أن لم نكن شيئًا، وأن أول وجودنا كان نطفة قذرة[(٢)] مستوية الأجزاء والطبيعة غاية الاستواء، بحيث يمتنع في عقل كل عاقل أن يكون منها بغير صانع حكيم ما يختلف أجناسًا وأنواعًا وأشخاصًا.

أما الأجناس فكما نبه عليه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥].

وأما الأنواع فنبه عليها بقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٧-٣٩] ومنه: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧].

و[(٣)]أما في الأشخاص فبقوله[(٤)] تعالى[(٥)]: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ [ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ][(٦)]﴾ [عبس: ١٧-٢٠] الآيات.

---

(١) زيادة من (م).

(٢) في (ك): [مذرة]، و في (ج): [قذرة]. ولم يتنبه له أحمد مصطفى.

(٣) ساقط من (ب).

(٤) في (ج): [فيقول].

(٥) زيادة من (ب).

(٦) زيادة من (ب، م).

وبيانه أنه خلق من نطفة مستوية الطبيعة، فكيف يكون منها ما يبصر، ومنها ما يسمع[١] ومنها ما يطعم، ومنها ما يشم، ومنه الصلب، ومنها الرخو، ومنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع، كما نبه الله عليه في كتابه الكريم[٢].

***

(١) في (ج): [ما يسمع ومنها ما يبصر].

(٢) ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٤٥﴾ [النور: ٤٥]

[أطوار خلق الإنسان]

ونعلم أنها قد تغيرت بنا الأحوال وتنقلت(١) بنا الأطوار تنقلاً عجيبًا، فكنا نطفًا، ثم علقًا، ثم مضغًا، ثم لحمًا ودمًا، وعظامًا(٢) صلبة متفرقة في ذلك اللحم والدم تقويهما(٣) وعصبًا رابطة بين تلك العظام صالحة لذلك الربط(٤) بما(٥) فيها من القوة والمتانة، ثم تركب من ذلك آلات وحواس حية موافقة للمصالح مع ضيق ذلك المكان وشدة ظلمته، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].

***

(١) في (ج، ك): [وتنقلب].

(٢) في (ب، د): [ثم عظامًا].

(٣) في (ك): [لقوتها].

(٤) في (ج): [الرابط].

(٥) في (ب): [مما].

[ذكر الظلمات الثلاث]

والظلمات الثلاثة: ظلمة البطن، وظلمة المشيمة، وظلمة الرحم.

ثم انظر إلى موضع العينين ما أشبهه بهما بعيدًا مما يؤذيهما[١] مرتفعان للتمكن من إدراك المبصرات في الوجه الذي لا يحتاج إلى تغطيته[٢] باللباس مع[٣] الجمال البديع فيهما وفي جفونهما، ولو كانا في الرأس أو في البطن أو في الظهر، أو غير ذلك ما تمت الحكمة ولا النعمة بهما. وكذلك كل عضو في مكانه. وانظر إلى ستر القذر الذي في البطن بالسواتر العظيمة، بحيث لا يحس له حس ولا يظهر له ريح، ولا يخرج إلا باختيارنا في موضع خال.

***

(١) في (ب، د): [يؤذيها].

(٢) في (ج): [تغطيه].

(٣) في (ب، م): [من].

[من عجيب صنع الله تعالى]

وإن من عجيب صنع الله تعالى استمساك البول في حال الغفلة، بل في حال النوم حتى نختار خروجه ونرضى[1] به من غير رباط ولا سداد في مجرة، ولا مانع محسوس، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ثم حياتنا في بطون الأمهات[2] من غير نفس، ولو كان ثَمَّ نفس لكان ثَمَّ صوت، ولو غم أحدنا بعد الخروج ساعة لِمات، بل كثيرون[3] يموتون في المدافن المتخذة للحبوب مع سعتها. ثم خروجنا من ذلك الموضع الضيق[4] بغير اختيار من المولود والوالدة، وهو فعل محكم صعب لا بد له من فاعل مختار، وعدم الموت لشدة الضغطة عند الخروج وسلامة الولد وأمه من الموت في ذلك من آيات الله، كما أشار إليه في آية الحج[5] وفي[6] ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١]. ثم إحداث اللبن في ثدي الأم من يومئذٍ من بين فرث[7] ودم، وتربية المولود وفهمه للغة أهله ما كانت فصيحة عربية أو عبرية[8] عجمية، مع كثرة قواعد العربية، وكثرة

---

(١) في (ك): [ويرضى].

(٢) حاشية: الآن وما أخر، وليس في الحج وأصح منها في المراد ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

(٣) في (ج، ك): [بل كثير] المدفن هو: الحفرة التي تحفر من أعلى إلى أسفل مثل (البئر) لكن ليس فيه ماء يكون كالوعاء فيه فتحة من أعلاه ومن تحت واسع يتسع (٥٠٠) كيس حب (ذرة) أو أكثر.

(٤) في (ب، م): [من غير].

(٥) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥].

(٦) ساقط من (ج).

(٧) حاشية: قال الأمير: الفرث: هو السرجين في الكرش، والكرش بالكسر وككتف. بكل مجيز كالمعدة للإنسان فاستعمال للفرث. «القاموس» (١/ ٣٦٧). وعبارة الكتاب موافق لمعناه. أنوار.

(٨) خطأ في نسخة أحم مصطفى كتب [أو عسرة].

اختلاف عوامل الإعراب [وبلوغ ذلك في الكثرة والعسرة(١) إلى(٢) حد أتعب الأكابر الأذكياء(٣)] والعاقل المميز يقف أضعاف تلك المدة بين العرب [وبين](٤) العجم فلا يعرف من ذلك ما عرف الصغير، ولا يدري ما يقولون بمجرد(٥) المخالطة كالطفل الذي لا عقل له ولا تمييز، وكذلك العجمي بين العرب، ثم يترقى إلى حال التمييز وتعاقب(٦) الأحوال عليه من الصغر والكبر(٧) والضعف والقوة، والشباب والشيب، والعقل والذكاء والبلادة، والمرض والصحة، والشهوة والنفرة، والدواعي والصوارف، والعسر واليسر، والغنى والفقر، من غير اختيار منه في شيء من ذلك، فلا بد لهذه التغيرات من مغير قادر عالم مدبر حكيم.

وقد صنف في هذا المعنى كتب علم التشريح وبيان كيفية الخلقة(٨) وهو مما ينبغي الوقوف عليه أو على شيء منه(٩). وقد نقل ابن الجوزي منه جملة شافية في

---

(١) في (ج): [والعشرة].

(٢) في (ج): [إلا].

(٣) ساقط من (ب).

(٤) ساقط من (ب).

(٥) في (ج): [يقول مجرد].

(٦) في (ج، ك): [تتعاقب].

(٧) في (ج): [إلى الكبر].

(٨) حاشية: قال الرَّازِي في «مفاتح الغيب»: إن أصحاب الشرع وجدوا قريبًا من خمسة آلاف نوع من المنافع والمصالح التي دبرها الله بحكمته في تخليق الإنسان، ثم إن من وقف على هذه الأقسام المذكورة في كتب الشرع عرف أن نسبة هذا القدر المعلوم المذكور إلى ما لم يعلم ولم يذكر كالقطرة في «البحر المحيط» وعند هذا يظهر أن معرفة الإنسان حكمة الرحمن في خلق الإنسان يشتمل على عشرة آلاف مسألة أو أكثر.

قلت: وهو صريح في إثبات الرَّازِي الحكمة لله تعالى. انتهى. وهو صريح في إثبات الحكمة.

(٩) قال أحمد: (انظر مثلاً كتاب «الطب محراب الإيمان»، وكتاب «العلم يدعو للإيمان»).

أول كتابه «لقط المنافع[١] في الطب[٢]» فليطالع فيه.

فلو[٣] جاز أن يكون مثل هذا بغير صانع لجاز أن يصح[٤] لنا دور معمورة، أو مصاحف مكتوبة، أو ثياب محوكة، أو حُلى مصوغة بغير بان ولا حائك ولا كاتب ولا صائغ، فما خص خير الخالقين بأن يكفر ولا يدل عليه أثر صنعه[٥] العجيب[٦] وخلقه البديع[٧]. ولو كان هذا الأثر للطبع كما قال كثير من الفلاسفة لكان أثرًا واحدًا، كما لو جمدت النطفة بطبع البرد أو ذابت أو أنتنت[٨].

قال الإمام[٩] المؤيد بالله في الزيادات[١٠]: إن الطبع إن سلمنا وجوده لا يحصل به الشيء على قدر الحاجة، وإنما يكون بمقدار قوته وضعفه، ألا ترى أن النار تحرق لا على قدر الحاجة، بل على قدر قوتها، وتنقص عن الحاجة إذا ضعفت، وكذلك الماء الجاري، والحكيم يجريه ويقطعه على قدر الحاجة اهـ كلامه، وفيه تنبيه حسن على الفرق الجلي.

---

(١) في (ج): [لقطة المنافع] غير صحيح.
(٢) «لقط المنافع» ثم اختصره وسماه «مختار المنافع». انظر «هداية العارفين» (١/ ٥٢٠) مجلد، مؤلفه الشيخ أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد الجوزي، مات في بغداد في رمضان (٥٩٧هـ).
(٣) في (ج): [ولو].
(٤) في (ب، ج): [تصح].
(٥) في (ج): [صنيعه].
(٦) في (ب): [العجيبة].
(٧) في (أ): [وخلقته البديعة].
(٨) الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية، دل القرآن عليها وهدى الناس إليها، مكونة إنسان ومخلوق من نطفة، لم يعلم بمجرد خبر الرسول، بل هذا يعلمه بعقولهم. انظر: «النبوات» لشيخ الإسلام ص(٥٢).
(٩) ساقط من (ج).
(١٠) سبق ذكره.

فإذا عرفت هذا فانظر كيف يمكن أن يتغير المني المستوي إلى تلك الأمور المختلفة المحكمة البديعة الإحكام العجيبة الصنعة، وهل ذلك إلا بمنزلة تجويز أن يصير المداد مصحفًا معربًا لا غلط فيه ولا لحن، يطبع المداد من غير كاتب عالم، بل إحكام الإنسان أبلغ وأعجب! وقد رأيت(١) كم جمع في الأنملة الواحدة من الأصابع(٢) من الأشياء المختلفة، فوضع فيها جلدًا ولحمًا وعصبًا وشحمًا وعروقًا ودمًا ومخًّا وعظمًا وبلة وظفرًا وشعرًا، وبضعة عشر شيئًا غير ذلك، كل واحد منها يخالف(٣) الآخر قدرةً وحياةً، واستواءً وارتفاعًا، وانحدارًا وخشونة ولينًا، وحرارة وبرودة، ورطوبة ويبوسة، وصلابة ورخاوة، ثم خلق في بعضها الحياة دون بعض؛ كالشعر والظفر والعظم، وجعلها مدركة لأمور شتى، كالحرارة والبرودة واللين والخشونة والقلة والكثرة والرطوبة واليبوسة.

***

(١) خطأ في (ك).
(٢) في (ب، د): [الأصبع].
(٣) في (ج): [مخالف].

[الحكم في اختلاف الطول والقصر]

ومن لطيف الحكمة فيها اختلافها في الطول والقصر، حتى تستوي عند القبض على الأشياء، فتقوى بالاستواء، وهذا مما تخفى فيه الحكمة[1] جدًّا، أعني كون الاختلاف في ذلك سبب الاستواء عند القبض؛ ولذلك خصت بالذكر في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤] ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

***

(١) خطأ في (ج).

[بطلان مذاهب الطبائعيين]

وقد أشار الله سبحانه إلى بطلان مذاهب الطبائعيين بهذا المعنى، ونبه عليه - سبحانه وتعالى - حيث قال في كتابه الكريم: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الرعد: ٤] وآخر الآية دليل على أن العقل يدرك بذلك بطلان قول أهل الطبائع.

ومما يدل عليه عافية كثير[١] من المرضى بعد غلبة العلة وقوتها، وضعف أسباب العافية ويأس الطبيب من العلاج، فقد ذكر الأطباء أن الطب لا ينفع في بعض تلك الأحوال، فيتأمل ذلك كثيرًا، ففيه شفاء لما في الصدور.

وقد وقعت في ذلك وقلت[٢] فيه:

فيا عطسات فرّجت كل كربة ... ولم يبق في أيدي الأساة سوى الصفق
له الحمد منشيكين[٣] من غير حيلة ... ولا سبب يجري لي الريق في حلقي
بكنّ علمت الله علم ضرورة ... وكم مثلها تجلو الوساوس في الحقِّ

فإني شارفت الموت من الإسهال فعطست ثلاث[٤] عطسات، فكأنما نشطت

(١) في (ج، ك): [كثيرة] خطأ.
(٢) في (ب، ج): [فقلت].
(٣) في بعض النسخ تصحيف من (منشكين) حرفت فقال: (منشكين) والتصحيح من الأصل. ومعناه: الذي أنشأكن، أي خلقكن. وفي الحاشية الجانبية: الشكة: السلاح، والشاكة: ورم في الحلق، والشوكة: داء معروف، وحمرة تعلوا الجسد. فلينظر. والصحيح الأول.
(٤) في (ب، ج): [ثلاثًا].

من عقال[١] (ولم يكن للعطاس سبب طبيعي)[٢] قط فكانت[٣] من الآيات العجيبة.

ومما ينبغي التيقظ له في الرد عليهم أن آدم [ﷺ][٤] هو أبو البشر، وذلك معلوم ضرورة تواترًا ودلالةً جليلة. أما التواتر فواضح.

وأما الدلالة فمحال أن يكون البشر من أم وأب إلى[٥] ما لا نهاية له[٦] لأن عدم التناهي في الحوادث الماضية محال، فوجب أن يكون أولهم حادثًا من غير أم وأب[٧] ولا نطفة ولا طبيعة، وأنه صنع حكيم، وإنما علمنا من السمع أن اسمه آدم، وأنه من طين، فلو كانت الطبيعة تقتضي ذلك بنفسها من غير صانع لكان في كل زمان تظهر صور كثيرة من الطين، كصورة آدم، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى في سورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ [الحج: ٥] يعني: أولكم وأصلكم. وليس في خلق الإنسان من التراب شبهة البتة لاعتراف[٨] الطبائعية (بأنه خلاف العوائد الطبيعية)[٩]. وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النساء: ١] (ثم

---

(١) كأنما نشط من عقال: مثل يضرب لمن يتخلص من ورطة فينهض سريعًا. «مجمع الأمثال» (٢/ ١٣٢) الميداني.

(٢) في (ج): [العطاس].

(٣) في (ب، ج): [وكانت].

(٤) زيادة من (ب)، وفي (ج) نقص.

(٥) في (ب): [وإلى].

(٦) ساقط من (ب).

(٧) في (ب) زيادة مقحمة.

(٨) في (ك): [واعتراف]

(٩) ساقط من (ج).

النظر في خلق سائر الحيوان كذلك)[١] فإن انفلاق بيض[٢] الطير عن فراخها من عجيب صنع الله تعالى[٣]. وكأن بعض السلف يحتج بذلك على أن الله تعالى عليم قدير لا كعلم الخلق وقدرتهم؛ لأن قدرته أثرت فيما داخل البيضة من غير كسر لها ولا مباشرة، وعلمه أحكم صنع ما في البيضة كذلك)[٤].

وقد عظم[٥] الله تعالى هذه الدلالة فقال: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] الآية[٦] وجعل عدم الإيمان بها أكفر الكفر فقال سبحانه: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس:١٧-٢١] ونبه بقوله سبحانه على أن الموت، دع عنك الحياة، مما يستدل به على الله [تعالى][٧] كما أوضح ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الواقعة:٨٣-٨٧] وذلك أن الحي يموت بإذن الله تعالى[٨] مع اجتماع أسباب الحياة في هذا العالم الواسع، كما يعيش بإذن الله في بطن أمه بغير نفس يجري ولا هواء يمد روحه، فسبحان من هو على كل شيء قدير، ومنه المبدأ وإليه المصير!

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) في (ج): [أزيد]
(٣) في (ب) خطأ.
(٤) زيادة من (ج).
(٥) في (ب): [أعظم].
(٦) ساقط من (ب).
(٧) زيادة من (ب).
(٨) زيادة من (ب).

وقد اختار المؤمن هذه الحجة في قوله لصاحبه الكافر المخاصم له: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف:٣٧] وأثنى الله تعالى عليه بذلك وخلد ذكره في أفضل كتبه، فكيف لا يختارها[١] المؤمن لتقوية يقينه ودفع وسواس[٢] خصومه وشياطينه.

***

(١) في (ب) [يختاره].

(٢) في (ب) [وساوس].

[دلالة الآفاق]

وأما دلالة الآفاق، فما يحدث ويتجدد في العالم في طلوع القمرين والكواكب وغروبها عند دوران الأفلاك الدائرات، والسفن الجاريات، والرياح الذاريات، والنجوم[١] الثوابت منها والمعالم والرواجم[٢] - والاستدلال بالرواجم جيد لدلالته الواضحة على الفاعل المختار - كما تدل[٣] على ذلك حركة القمرين الدائمة وسائر النجوم والافلاك، وكذلك تغير أحوال الهواء بالغيوم والصواعق والبروق العجيبة المتتابعة المختلطة بالغيوم الثقال الحاملة للماء الكثير المطفئ بطبعه للنار المضاد لها[٤] وما في الجمع بينها[٥] وإنشائها[٦] وإنزال الأمطار منها بالحكمة البالغة لا تختلط قطرة بأخرى، ولو اشتدت الرياح العواصف وصغرت القطر وكثرت[٧] وتقاربت حتى تقع متفرقة غير ضارة، ولو اجتمعت لعظم

---

(١) حاشية: وهي الكامنة في الفلك الثامن سميت بالثوابت، لبطء حركتها، لا لعدمها، لا استحالة وقوف الفلك أو بعضه، وهي تتحرك على مدارات توازي نقطة ثانية أصغر تلك الدارات ما قرب منها.

حاشية: وما أحسن ما أنشده الحافظ المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في كتابه أقسام القرآن، مما ندب هذا العام:

تأمل سطور الكائنات فلها ... في الفلك الأعلى إليك يسأل
وقد خط فيها لو تأملت خطها ... ألا كل شيء ما خلى الله باطل

(٢) في لسان العرب: الرجم والمرجوم، النجوم التي يرمى بها (وجعلناها رجومًا للشياطين).

(٣) في (ب) خطأ.

(٤) في (ب) [المضادة له].

(٥) في (ج) [بينهما].

(٦) في (ج) [وإنشائهما].

(٧) في (ج) [وكبرت].

ضررها، ثم نزول البرد القوي الشديد المستحجر[١] في أوقات الخريف الذي لا يجمد فيه الماء، مع أنه لا يجمد في أيام الغيم، سواء كانت في الشتاء أو في غيره، لرطوبة الغيم، فمن أين جاء البرد المستحجر[٢] والماء إذا جمد، لا يكون على صفة البرد أبدًا، فتأتي هذه الأمطار فتعم الأرض، سهولها ووعورها وشعابها وشعافها[٣] لينبت[٤] العشب الكثير للأنعام[٥] وسائر الهوام، وتسقي الزرع[٦] وتنبت الأشجار والفواكه والأزهار والثمار، وتمد البحار والأنهار والآبار، ثم ما في اختلاف الليل والنهار، والفصول والأحوال.

وقد جمع الله تعالى ذلك في قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ إلى قوله: ﴿لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة:١٦٤] فالفكر في هذه الأمور هو النظر المأمور به، وعلى ذلك درج السلف، من غير ترتيب المقدمات على قانون أهل المنطق، بل[٧] قد شهد كتاب الله على أن ذلك يفيد البيان، حيث قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ[٨]

---

(١) في (ب،م)[المتحجر].

(٢) في (ك) [المستحجر].

(٣) حاشية (أ) [أي: رؤوس الجبال].

(٤) في (ج) [لتنبت].

(٥) في (ب) [النعام] وهو خطأ.

(٦) في (ب) [المزروع].

(٧) في (ب) [به].

(٨) حاشية قال الأمير: قال ابن تيمية: إن الضمير في قوله: (حتى يتبين لهم أنه الحق) عائد إلى الله، ويقولون هذه الآية جمعت طريق من استدل بالخالق على المخلوق، ومن استدل بالمخلوق على الخالق. قال: والصواب الذي عليه المفسرون، وعليه تدل الآية، أن الضمير عائد إلى=

أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ ثم توعد من زعم أن ذلك لم يفده بيانًا بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣ - ٥٤] وعلى هذا قال الشيخ مختار بن محمود في كتابه «المجتبى»[١] في آخر[٢] ما قيل في حقائق النظر، أنه تجريد الفكر[٣] عن الغفلات. وحكى عن شيخه محمود بن الملاحمي[٤] أنه لا يشترط في العلم بالله أن يبتني[٥] على المقدمات المنطقيات والأساليب النظريات.

وكيف ينكر هذا أو يستبعد وقد حكى الله [سبحانه][٦] وتعالى عن الهدهد، وهو من العالم البهيمي، أنه وحد الله تعالى[٧] واحتج على صحة توحيده بهذا الدليل المذكور في الآفاق، قال الله سبحانه حاكيا عنه: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٢٥] يعني: المطر والنبات. فاحتج بحدوث هذين الأمرين العجيبين المعلوم حدوثهما[٨] مع تكررهما بحسب حاجة الجميع إليهما.

=القرآن، وأن الله تعالى يري عباده من الآيات الآفاقية والنفسية ما يبين لهم أن القرآن حق، وذلك يتضمن ثبوت الرسالة، وأن يسلم لما أخبر به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كما قال تعالى: (قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد، سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق). انتهى. أنوار.

(١) تقدم التعريف به.

(٢) في (ج) [أحد].

(٣) تقدم له نقل عن الشيخ مختار تجريد القلب. ونقلنا هنالك كلام الشيخ وأنه تلفظ: بتجريد العقل.

(٤) في (ب، ج) [الملاحي]. وهو محمود بن الملاحمي الزمخشري المعتزلي.

(٥) في (ج) [يبني] وفي (ك) [ينبني].

(٦) ساقط من (ب).

(٧) زيادة من (ب).

(٨) في (ج) [حدوثهما].

وكذلك قيل لبعض الأعراب: بم عرفت ربك؟ فقال: البعرة تدل على البعير، وآثار الخطأ تدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، كيف لا تدل على العلي الكبير[(١)]. وقد أشارت الرسل - عليهم السلام - إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠].

ومما أستجيد في هذا المعنى، وتناقله السلف الصالح، قول زيد بن عمرو ابن نفيل[(٢)] [رحمه الله تعالى][(٣)]:

---

(١) انظر شرح المواقف للضد (ص٧٥).

(٢) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عدي بن كعب بن لؤي. كان - رحمه الله - ممن فر إلى الله من عبادة الأصنام، وساح في أرض الشام يطلب الدين القيم، فرأى النصارى واليهود فكره دينهم وقال: اللهم إني على دين إبراهيم. ولم يظفر بشريعة إبراهيم كما ينبغي، ولا رأى من يوقفه عليها، وهو من أهل النجاة، وقد شهد له النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بأنه «يبعث أمة وحده» وهو ابن عم الإمام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، رأى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ولم يعش حتى بعث. وكان عمه الخطاب، هو أخوه من الرضاعة، يعادي زيدًا ويؤذيه، حتى خرج من مكة ولا يأتيها إلا خفية، فمن شدة المؤذاة، سار زيد إلى الشام والجزيرة والموصل يسأل عن الدين. انظر ابن هشام (١/ ٢٢٢).
وكان يحيي الموءودة يكفلها ثم يعيدها إلى أبيها. انظر البخاري (٣٨٢٨) قال سعيد: يا رسول الله، إن أبي كان كما قد رأيت وبلغك، ولو أدرك لآمن بك واتبعك، فأستغفر له؟ قال: «نعم، فاستغفر له، فإنه يبعث أمة وحده» صحيح. أخرجه أحمد (١/ ١٩٠) والحاكم (٣/ ٤٤٠) والطبراني (٣٥٠). انظر سير أعلام النبلاء (١/ ١٢٩-١٣٢).
وعن عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل دوحتين» رواه الباغندي محمد بن سليمان. وله شاهد أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٢٦٩): قال صلى الله عيه وآله وسلم: «قد رأيته في الجنة يجر ذيولًا» سنده ضعيف، وسند الأول جيد كما قال ابن كثير في البداية (٢/ ٢٤١) ونسبه ابن حجر إلى ابن سعد والفاكهي الفتح (٧/ ١٤٣).

(٣) ساقط من (ب).

رضيت بـك اللهم ربًّا فلن أرى أديـن إلهًـا غيـرك الله ثانيـا
وأنـت الذي مـن فضل مـنٍّ ورحمةٍ بعثـت إلـى موسـى رسـولًا مناديـا
فقلت لموسى اذهب وهارون فادعُوَا إلـى الله فرعـون الـذي كان طاغيـا
وقـولا لـه أأنـت سـويت هـذه بـلا وتـدٍ حتـى اطمأنـت كمـا هيـا
وقـولا لـه أأنـت رفعـت هـذه بـلا عمـدٍ أرفـق إذا بـك بانيـا
وقـولا لـه أأنـت سـويت وسـطها منيـرًا إذا مـا جنـه الليـل هاديـا
وقـولا له من يرسـل الشـمس غدوةً فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا
وقـولا له مـن ينبت الحـب في الثرى فيصبـح منـه البقـل يهتـز رابيـا
ويخـرج منـه حبـه في رؤوسـه وفي ذاك آيـات لمـن كان واعيـا(١)

وله أيضًا:

[و](٢) أسـلمت وجهـي للـذي(٣) لـه المـزن تحمـل عذبـا زلالا(٤)

وفيه يقول ورقة بن نوفل(٥):

رشـدت وأنعمـت ابن عمـرو وإنما تجنبت تنورًا مـن النار(٦) [حاميا](٧)

---

(١) السيرة لابن هشام (١/ ٢٢٨) والنبلاء (١/ ١٣٢).
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في (ب) [لمن].
(٤) السيرة لابن هشام (١/ ٢٢٨).
(٥) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى من قريش حكيم، اعتزل الأوثان قبل الإسلام ولم يأكل من ذبائحهم، أدرك أول أيام النبوة ولم يدرك زمن الدعوة، وهو ابن عم خديجة رضي الله عنها.
(٦) انظر السيرة لابن هشام (١/ ٢٣٢) وجمهرة أنساب العرب (١/ ٤١٨) والنبلاء للذهبي (١/ ١٣٠).
(٧) ساقط من (ك).

وتفكر في تباين القمرين في الحرارة والبرودة، وبرد القمر مع استمداده في نوره من الشمس، وحرارة الشمس الشديدة، ومم[١] استمدت تلك الحرارة الدائمة المتوقدة، وهي[٢] في أرفع الأجواء[٣] الرطبة الباردة، وكيف لم تحترق وتتلاشى[٤] مع شدة حرارتها ودوامها، وعدم ما تحرقه، مثل سائر الناريات، وقد ذكر صاحب الوظائف[٥] أن في كتاب الله تعالى من الآيات في هذا المعنى [نذكر آية واحدة منها وهي قدر][٦] خمسمائة آية، وقد ذكرت في تكملة ترجيح[٧] أساليب القرآن[٨] من ذلك [ما يشفي ويكفي][٩].

ولنختم هذا المعنى بذكر آية واحدة منها، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم:٢٥] وفي آية أخرى بأنه سبحانه ﴿يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر:٤١].

وهذه حجة أجمع عليها الكفرة مع المسلمين، فإن الجميع اتفقوا على أن العالم في الهواء، أرضه وسماؤه، وما فيه من البحار والجبال وجميع الأثقال، وقد ثبت بضرورة العقل أن الثقيل لا يستمسك في الهواء إلا بممسك، وأن هذا

---

(١) في (ج) [ومنى].

(٢) ساقط من (ج).

(٣) في (ب) [الأحوال].

(٤) خطأ في (ب، م).

(٥) في (أ، د، ك) [الوضائف] ولعله كتاب (وظائف العام لابن رجب الحنبلي رحمه الله).

(٦) ساقط من (ب).

(٧) في (ج) [الأساليب].

(٨) هو للإمام المصنف ابن الوزير، انظر ص(١١٠).

(٩) في (ك) [ما يكفي ويشفي].

الإمساك الدائم المتقن[١] (لا يكون)[٢] بما لا يعقل من الرياح، كما زعمت الفلاسفة، على أن الرياح تحتاج إلى خالق يخلقها، ثم إلى مدبر يقدرها مستوية الأنفاس، موزونة القوة، لا يزيد منها شيء على شيء، حتى يعتدل[٣] [اعتدالاً][٤] أتم من اعتدال الفاعل المختار، فإن الفاعل المختار لو قصد الاعتدال التام حتى يستوي على رأسه حفنة مملوءة ماء لم يستطع[٥] تمام الاعتدال إلا برياضة شديدة، فكيف تعتدل عواصف الرياح، وتقع موزونة وزن القراريط في الصنجات المعدلة[٦] حتى يستوي عليها ثقل الأرض والجبال من غير رب [عظيم][٧] قدير عليم مدبر حكيم.

***

(١) في (ج) [المتيقن].
(٢) ساقط من (ج).
(٣) في (ب، ج) [تعتدل].
(٤) زيادة من (ب).
(٥) في (ج) [لم يستطيع].
(٦) خطأ في (ج).
(٧) زيادة من (ب).

[دلالة المعجزات]

وأما دلالة المعجزات[١] فهي [من][٢] أقوى الدلالات وأوضح الآيات، لجمعها بين أمرين واضحين لم يكن نزاع المبطلين إلا فيهما أو في أحدهما، وهما: الحدوث الضروري، والمخالفة للطبائع والعادات، وهذا هو الذي أراه الله خليله - عليه السلام - حين سأل الله طمأنينة قلبه[٣].

والذي احتج به موسى الكليم [عليه السلام][٤] على فرعون وسماه شيئًا مبينًا كما حكاه الله تعالى في سورة الشعراء حيث قال فرعون: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ قال موسى [عليه السلام][٥]: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢٩ - ٤٦].

وكل ما تعارضت فيه أنظار[٦] العقلاء وقدحت [فيه][٧] شكوك الأذكياء فلا شك

---

(١) حاشية: قال الأمير: اعلم أن للمعجز ثلاثة استعمالات: لغوية. وهو ما يعجز غيره. وعرفية. وهو ما يعجز القادر عن إتيان مثله. وشرعية. وهو كل حادث من قول الله، أو تأمره أو تمكنه معجز للمبعوث إليه، عن الإتيان بمثله أو ما يقاربه، ناقض للعبادة، مطابق لدعوى المدعي، في زمان التكليف بالفعل (مجتبى المختار) قال ابن تيمية رحمه الله: لم يأت لفظ المعجزات في القرآن، إنما ورد التعبير عنها بالآيات. أنوار.

(٢) ساقط من (ك).

(٣) انظر آية (٢٦٠) من البقرة.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) ساقط من (ب).

(٦) في (ج) [كل ما تعارضه أبطال].

(٧) ساقط من (ج، ك).

أن لأهل الإسلام من ذلك القدم المعلى في إثبات الصانع الحكيم تعالى.

وعلى كل حال فالنبوات وآياتها البينة ومعجزاتها الباهرة وخوارقها الدامغة[١] أمر كبير وبرهان منير ما طرق[٢] له معارض البتة، خصوصًا مع قدمه وتواتره، فإن آدم [عليه السلام][٣] أول البشر وأبوهم، نبي مرسل إلى أولاده[٤] ثم لم تزل رسل الله - عز و جل - تترى مبشرين ومنذرين، وعاضدين لفطرة الله التي فطر الخلق عليها، فلا أشفى ولا أنفع من النظر في كتبهم وآياتهم ومعجزاتهم وأحوالهم.

ثم اعتضد ذلك بأمرين: أحدهما استمرار نصر الأنبياء في عاقبة أمرهم وإهلاك أعدائهم بالآيات الرائعة. وثانيهما سلامتهم وأتباعهم ونجاتهم على الدوام من نزول العذاب عليهم كما نزل على أعدائهم، ولا مرة واحدة. وذلك بين في القرآن وجميع كتب الله تعالى وجميع تواريخ العالم.

ومن غريبها الذي لا يكاد أحد ينظر فيه حفظُهم مع ضعفهم من أقوياء[٥] الأعداء وأهل القدرة، مثل حفظ موسى وهارون من فرعون مع ظهور قدرته، ولذلك قالا: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ فقال الله تعالى لهما: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٥ - ٤٦] وكذلك قال نوح [عليه السلام][٦] لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ

(١) في (ك، د) [الرائعة].

(٢) في (ب، ج، ك) [العالم] وهو خطأ مضروب عليه في (الأم) بدلها (له).

(٣) في (ج) [صلى الله عليه وآله وسلم] وزيادة من (ب).

(٤) سئل صلى الله عليه وسلم: أنبيًا كان مرسلاً؟ قال: نعم. صحيح. انظر القرطبي (١/ ٢٦٣) وقد أخرجته في شرح تطهير الاعتقاد ط. مصر.

(٥) في (ب) [الأقوياء].

(٦) زيادة من (ج).

فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس:٧١] ونحو ذا[١] قال هود لقومه[٢]. وكذلك قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف:١٩٥] ولما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] ترك الحرس، وكان يحرس قبل نزولها. وقصة إبراهيم - عليه السلام - في ذلك أشهر وأبهر[٣] بل على هذا درج أهل الصلاح، ووضحت[٤] حماية الله [تعالى][٥] لأهل الصدق في التوكل،كما وعد الله تعالى به[٦]. والمختصر لا يحتمل إلا الإشارة ثم يفتح الله تعالى[٧] على المتأمل.

ومنهم من كفاه الله بالأسباب الظاهرة الخارقة، مثل ملك سليمان - عليه السلام - وإخدام الجن مع الإنس وتسخير الريح له وجميع ما حكى[٨] عنه، فهذا أيضًا يدل على الله [تعالى][٩] أوضح الدلالة، حيث جمعت قدرته الباهرة خرق العادات في نصرتهم بالأسباب الباطنة والظاهرة. وكذلك عقوبات أعداء الله الخارقة كمسخ أهل السبت[١٠] قردة.

---

(١) في (ج) [ذلك].
(٢) ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ ۝﴾ [هود:٥٥].
(٣) سورة الشعراء، آية ٦٩.
(٤) في (ب) [ووضحه].
(٥) زيادة من (ب).
(٦) سورة الطلاق آية (١٠).
(٧) ساقط من (ك).
(٨) في (ج) [حكاه].
(٩) زيادة من (ج).
(١٠) خطأ في (ك) قال المحقق [البيت].

وبمثل ذلك يعلم الله ضرورة [إذا علم ذلك][١] ضرورة؛ لأن مثل ذلك لا يصح بالطبع، وهو متواتر مع اليهود، مع ثبوته في كتاب الله، وفيه ما يدل على وقوعه ضرورة، كقوله[٢] تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٦٥-٦٦] فلو لم يكن هذا حقًّا معلومًا عند خصوم رسول الله ﷺ ما خوطبوا بذلك، ولو خوطبوا بذلك وعندهم فيه أدنى ريب لبادروا[٣] إلى التكذيب[٤] والتشنيع. وكل هذا يعلم ضرورة من العوائد المستمرة.

وكذلك نتق الجبل[٥] وفلق البحر[٦] وقصة أصحاب الفيل كذلك[٧] وأصحاب الجنة في (ن)[٨] وصاحب[٩] الجنة في الكهف[١٠] وشفاء أيوب[١١] [عليه السلام][١٢][١٣] بل منه جميع المعجزات والكرامات الخارقات.

---

(١) ساقط من (ب، ج).

(٢) في (ب) [لقوله].

(٣) في (ج) [لتبادروا].

(٤) خطأ في (ج).

(٥) سورة الأعراف آية (١٧١).

(٦) سورة الشعراء آية (٦٣).

(٧) ساقط من (ب) وخطأ في (ج).

(٨) سورة القلم (١٧).

(٩) في (ب) [صاحبا] وهو خطأ.

(١٠) سورة الكهف (٣٢).

(١١) سورة ص (٩).

(١٢) ساقط من (ب، ج).

(١٣) في (ب) مكرر.

ومن أعظمه إحياء الموتى لعيسى - عليه السلام - وكلام عيسى عليه السلام[١] في الطفولة[٢] وهو معلوم بالتواتر، وسبب غلو النصارى فيه، وهم خلائق يعلم [بخبرهم][٣] العلم الضروري.

وخسف قارون وداره، والخلق ينظرون، ونحو ذلك، وإليه [الإشارة][٤] بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم:٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٣٥﴾ [العنكبوت:٣٥].

وقد[٥] نبه الله سبحانه [وتعالى][٦] على هذه الدلالات الثلاث[٧] في أول سورة الأنعام، فتأملها، لكنه سمى[٨] المعجزات (الآيات) ثم أتبعها بإبطال اعتلالهم بالسحر، كما سيأتي في النبوات.

***

(١) زيادة من (ب).

(٢) سورة مريم (١٩).

(٣) ساقط من (ج).

(٤) ساقط من (ك).

(٥) في (ج) [ولقد].

(٦) زيادة من (ب).

(٧) حاشية: حيث قال: ﴿الذي خلق السماوات والأرض﴾ في الأول. ثم قال: ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ الثاني. ثم قال: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم﴾ في الثالث.

(٨) في (ب) [يسمي].

[أحسن ما يطالع من الكتب في قصص الأنبياء عليهم السلام]

وينبغي ههنا[1] مطالعة كتب قصص الأنبياء عليهم السلام[2] ومن أجودها كتاب ابن كثير «البداية والنهاية»[3] وكتب[4] المعجزات، مثل الشفاء للقاضي عياض[5] والمعجزات النبوية من جامع الأصول في حرف النون[6]. ولي[7] في ذلك [كتاب][8] مختصر سميته «البرهان القاطع في معرفة الصانع»[9].

ومن أحسن ما أشير[10] فيه إلى المعجزات المذكورة في كتاب الله تعالى هذه الأبيات[11]:

هو الله من أعطى هداه وصح من	هواه أراه الخارقات بحكمة
بذاك على الطوفان نوح وقد نجا	به من نجا من قومه في السفينة
وغاص على ما فاض عنه استجابة	وجد إلى الجودي بها واستقرت

(١) في (ج) خطأ.

(٢) زيادة من حاشية الأصل.

(٣) من الكتب القيمة في التاريخ تكلم عن تاريخ العلماء والأمراء، وعجائب فيه كثيرة من زمن الصحابة -رضي الله عنهم- إلى القرن السابع الهجري أيام ابن كثير رحمه الله.

(٤) في (ك) [وكتاب].

(٥) الشفاء في حقوق المصطفى -صلى الله عليه وآله وسلم- للقاضي عياض بن موسى اليحصبي أبو الفضل ت(٥٤٤هـ) رحمه الله.

(٦) جامع الأصول لابن الأثير. تقدم.

(٧) ساقط من (ج).

(٨) ساقط من (ج، ك).

(٩) البرهان القاطع، كتاب عظيم للمصنف الإمام ابن الوزير طبع عدة طبعات.

(١٠) في (ج) [أشرت].

(١١) حاشية جانبية: في (أ، ك) البيت الأول منها للسيد -رحمه الله- ومن آخرها له قوله: وصحح بأخبار التواتر..الخ وما عدا ذلك لعمر الفارض. كتبه أحمد بن عبد الله رحمه الله.

وسار ومتن الريح تحت بساطه ... سليمان بالجيشين فوق البسيطة
وقبل ارتداد الطرف أحضر من سبا ... له عرش بلقيس بغير مشقة
وأخمد إبراهيم نار عدوه ... ومن نوره عادت له روض جنة
ولما دعا الأطيار من رأس شاهقٍ ... وقد ذبحت جاءته[1] غير عصية
ومن يده موسى عصاه تلقفت ... من السحر أهوالا على النفس شقت
ومن حجر أجرى عيونًا بضربة ... بها دائمًا سقت وللبحر شقت
ويوسف إذ ألقى البشير قميصه ... على وجه يعقوب عليه بأوبة
رآه بعين قبل مقدمه بكى ... عليه بها شوقا إليه فكفت[2]
وفي آل إسرائيل مائدة من ... السماء لعيسى أنزلت ثم مدت
ومن أكمه أبرا ومن وضح غدا ... شفى وأعاد الطين[3] طيرا بنفخة
وصح بأخبار التواتر أنه ... أمات وأحيا بالدعا رب ميت
وأبعد من هذا عن السحر أنه ... رضيع ينادي باللسان الفصيحة
ينزه عن ريب الظنون عفيفة ... مبرأة عن كل سوء وريبة
وقال لأهل السبت كونوا الأهنا ... قرودًا فكانوا عبرةً أي عبرة
وصرع أهل الفيل من دون بيته ... بطير أبابيل صغارٍ ضعيفة
وأحرق روض الجنتين عقوبة ... بكاف[4] ونون عبرة للبرية[5]

(١) خطأ في (ج).
(٢) في (ج) [كفت].
(٣) في (ب) [الطير].
(٤) في (ك) [بكهف ونون] وأخطأ المحقق عفى الله عنا وعنه.
(٥) حاشية على مخطوط المكتبة المحمودية وهي أن السيد المصنف -رحمه الله- لم يذكر شيئًا من معجزات نبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- فقلت:

وأنبع ماء من بنان محمد ... فأروى جموعًا من عيون روية

[وفيما حكاه الله][1] من نبوع العيون[2] من الحجر بضرب العصا[3] دليل سمعي خاص قاطع على خلق الماء، وعلى إخراج المخلوق من العدم المحض، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود:٤٠] وكذلك خروج[4] الماء الكثير من أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[5].

وإنما ذكرت هذه الآيات لأن بعض الناس ذكر أنه ليس في هذا نص شرعي، وإنما يدل عليه العقل والعمومات[6] لا النصوص.

وأبرز ضبا ذلك الرجل الذي	أتى منكرًا من أرضه للنبوة
وعلق إيمانًا به بكلامه	وصدقه في بعثه بالرسالة فورة
فأمن الأعرابي إذ ذاك وانثنى	إلى قومه يدعوهم بنصيحة
وكلمه ذاك الغزال ومثله البعير	بلفظ من لسان فصيحة
وحن إليه الجذع بعد فراقه	إلى منبر سام رقاه لخطبة
كذاك الحصى أضحى يسبح ربه	بكفه الأشجار حيث وحيت
وجاءت على ساق إليه فحبذا	وقد شهدت للمصطفى بالرسالة
رمى بالحصى تلك الوجوه فشاهت	الوجوه وعنها أدبروا بالهزيمة
وأخبر عن موت النجاشي صحبه	بيوم وفاة فيه فاز بجنة
وخص بآيات الكتاب فأعجزت	فمن ذا الذي قد جاء منه بسورة
وكم للمصطفى من خوارق تضيء	لنا مثل الشموس المضيئة
فصلى عليه رب والآل ما سرت	نسيم الصبا عند الصباح بنفحة

كتبه الفقير إلى الله الحسين بن ناصر بن عبد الحفيظ سنة (١٠١٨هـ).

(١) ساقط من (ب).

(٢) في (ب) [العين].

(٣) سورة البقرة (٦٠).

(٤) في (ج) [خرج].

(٥) في الصحيح المسند أن عليًّا جاء بامرأة معها مزادة فيها ماء فوضع النبي – صلى الله عليه وآله وسلم– يده فوقها فنبع الماء من بين أصابعه.

(٦) في (ك) خطأ.

وقد روى الحاكم في هذا المعنى(١) حديثا [حسنًا](٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣].

[تكميل]

ثم يعتضد هذا بما يناسبه من كرامات الصالحين وعقوبات الظالمين، المذكورة في كتاب الله تعالى والمتواترة والمشاهدة، ثم ما وقع من تكرر نصر الله [تعالى](٣) للحق والمحقين، وأنهم وإن ابتُلُوا فالعاقبة لهم، على ما دل عليه قوله(٤) عز وجل:

---

(١) قال رجل لابن عباس: مم خلق الخلق؟ فقال: من الماء والريح والتراب. قال: مم خلق هؤلاء؟ قال: (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه) فقال: ما كان لنا بهذا إلا رجل من آل بيت النبي. قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٢/ ٤٥٢) قال الإمام الذهبي: خبر منكر. حاشية المستدرك (٢/ ٤٥٢).

وفي حاشية الأنوار: نروي ما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر والحاكم، وصححه، والبيهقي في الأسماء والصفات عن طاووس قال: جاء رجل إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله: مم خلق الخلق؟... ثم أتى الرجل ابن الزبير فسأله فقال مثل ابن عمرو، فأتى الرجل ابن عباس فسأله؟ فقال الإجابة أعلاه.

قال المحشي: يريد المصنف أن هذا دليل سمعي على إخراج المخلوق من العدم المحض. فاسم الإشارة في قوله (في هذا).. إلا أنه لا يخفى أن الآية من العمومات، وقد قال الخصم بدلالتها على ذلك. فقول المصنف: (فالنصوص) يريد الخاصة بمسألة المدعي، وإلا فإن عموم الآية نص أيضًا. ثم الدليل تفسير ابن عباس -رضي الله عنهما- وإخراج ابن جرير عن ابن عباس في قوله: (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه) قال: كل شيء هو من الله. انتهى.

(٢) سقط من (ب).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) في (ك) [قول الله].

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣] وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧] وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة:٢١] وقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

وقد جود الزمخشري[١] هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣][٢] وفسرها بما كان من فتوح الإسلام الخارقة ﴿فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ وفسرها ببلاد العجم ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وفسرها ببلاد العرب، وفي ذلك حديث ابن عباس الطويل: «**وكذلك الأنبياء تبتلى، ثم تكون لهم العاقبة**» رواه البخاري[٣]. ويشهد لصحته الاستقراء من التواريخ، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨] وفي الشعراء تنبيه على ذلك في آيات كثيرة يعقبها بقوله [تعالى][٤]: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:٨-٩] فتأمل[٥].

ثم ما قد[٦] وقع للإنسان من إجابة الدعوات، وكشف الكربات، وستر العورات، وتيسير الضرورات، وقضاء الحاجات، وكشف المشكلات، والإلهام إلى[٧] المعارف الخفيات، والإشارات المرشدات في المنامات الصادقات.

---

(١) «تفسير الكشاف» (٣/ ٣٩٥-٣٩٦).

(٢) ساقط من (ب، ج).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٦/ ٢٠).

(٤) سقط في (ك).

(٥) في (ك) [فيتأمل].

(٦) ساقط من (ك).

(٧) في (ب) [في].

وفي هذا يقول ابن الفارض[١] شعرًا[٢]:

وقل لي من ألقى إليك علومه   وقد ركدت منه[٣] الحواس بعفوه[٤]

وقد احتج بذلك الغزالي، وعارض به الفلاسفة[٥] في إحالتهم لعلم الغيب، وهذه الأشياء إذا ضمت إلى البراهين حصل من مجموعها قوة يقين كثيرة، ولقد قال الغزالي إنه حصل له يقين قوي بالمعاد[٦] من مجموع براهين وقرائن وتجارب.

ثم اليقين بعد هذا كله من مواهب الله تعالى عليك، فإن أنعم الله به[٧] عليك فكن من الشاكرين، وإن عرض لك الشك بعد هذا كله فاحذر أن يكون ذلك عقوبة بذنب، كما نبه الله على ذلك بقوله: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:١٠١] وقوله: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البقرة:٢١١] فافزع إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار، والتضرع والتذلل، وطلب أسباب الرقة، والتخويف العظيم لنفسك من الوقوع في الشقوة الكبرى

---

(١) ابن الفارض هو: عمر بن علي بن مرشد الحموي يلقب بسلطان العاشقين المصري المولد والدار والوفاة أشعر المتصوفين له ديوان. مات (٦٣٢هـ).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) في (ك) [منك].

(٤) في (ب) [العفوة].

(٥) الفلسفة عند اليونان هي الحكمة، والفلاسفة هم الإلهيون، والفلاسفة ملحدون لا يؤمنون بالبعث والنشور على ما جاء في الكتاب والسنة ولا يثبتون أسماء وصفات لرب العالمين. من كبارهم أرسطو وشيخه أفلاطون اليوناني ومن المتأخرين أبو نصر الفارابي وابن سينا وأشباههم. انظر التحفة المهدية (ص٤٦).

(٦) في (ك) [في المعاد].

(٧) في (أ) [عليك به] تقديم وتأخير.

بعذاب الآخرة، فإن من طبائع[١] النفوس الإيمان عند شدة الخوف، ولذلك آمن قوم يونس لما رأوا العذاب، وآمن فرعون حين شاهد الغرق، وقد نبه الله تعالى[٢] على ذلك بقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص:٨] ولذلك يرجع كثير من العقلاء عند الموت عن عقائد وقبائح وشبهات كانوا مصرين عليها، وليس ذلك لتجلي برهان حينئذ، بل لأن الطبع القاسي كان كالمعارض للبرهان، فلما لان بقي البرهان بلا معارض، وكذلك لو شاهد فرعون وغيره أعظم برهان بغير خوف ما آمنوا، قال الله تعالى[٣]: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٥] وحكى ابن خَلِّكان[٤] عن ابن سينا[٥] أنه لما عرف علة الموت أقبل على القرآن وترك ما كان عليه.

***

(١) في (ك) [صباع النفوس].

(٢) ساقط من (ب).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) ابن خلكان هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو العباس المؤرخ الحجة الأديب صاحب وفيات الأعيان من أشهر كتب التاريخ (٦٨١هـ).

(٥) ابن سيناء الحسين بن عبد الله بن سينا أبو علي الفيلسوف الرائس له مصنفات في الطب والبلاء مات (٤٤٨هـ) له طامات إن تاب رحمه الله.

[نصيحة نفيسة]

فانصح نفسك وذكرها وقل لها: لو كان معك يقين بارتفاع التكليف ما خفت، ولكنك عن قريب إن لم يرحمك مولاك تقعين في أشد العذاب، وينكشف(١) عنك هذا الارتياب. وذكرها عظيم حسرة المكذبين يوم يقال: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المرسلات:٢٩] فإن النفس كما أنها بعيدة الإيمان فإنها بعيدة الأمان، وخوفها أعظم الأعوان على إيمانها(٢) قال الله تعالى: ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُون﴾ [الأعراف:١٥٤] وقال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الذاريات:٣٧] وقال عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف:٥٥] ولأنها بوجدان(٣) الخوف عند التخويف تنزل من مرتبة القطع بالتكذيب الذي(٤) هو أول ما يروم الشيطان، فإذا نزلت من ذلك وجب عليها في العقل تصديق الثقة والعمل بالظن، كيف إذا جاء الثقة مع ظن صدقه بالمعجز وعضدته البراهين المقدمة، وإلى هذه الطريقة الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٠] وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام:٤٧] وقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ

---

(١) في (ك) [إيمانها].

(٢) في (ب) [الإيمان].

(٣) في (ب) [لوجدان].

(٤) في (ك) [التي هي].

وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨٣ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر:٨٣-٨٤] وقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧] فإن نفرت النفس من الإيمان ببعض المحارات(١) وتوهمت أنه من المحالات(٢) كثبوت القدم الذي لا نعرفه إلا بالتصديق، أو ثبوت الحكمة في العذاب وخلق أهله، فسيأتي الجواب(٣) عن ذلك في إثبات حكمة الله تعالى.

***

---

(١) فلان حور في محار: يضرب مثلاً للشيء الذي لا يصلح أو كان صالحًا ففسد. «لسان العرب» (١/ ٧٥٠).

(٢) المحال غير مقدور، وهو إثبات الشيء مع نفسه، وإثبات الأخص مع نفي الأعم، وإثبات الإثبات مع نفي الواحد، وما لا ترجع إلى هذا فليس محال، وما ليس بمحال فهو معدود.

(٣) في (ب، ج): [في].

[دفع الحيرة]

ومن أنفع ما يدفع الحيرة به أنه لابد من لزوم المحارة[١] في العقول على كل تقدير، والإسلام أقل محارات[٢] من جميع الملل الكفرية، وبالإسلام تندفع كلها، وتخرج العقول من الظلمات إلى النور، وانظر إلى هذا العالم المحسوس بالضرورة تجد المحارة العقلية لازمة لوجوده؛ لأنه لا يخلو بالضرورة من الحدوث أو القدم، فالقدم من محارات العقول، والحدوث من غير محدث من محاراتها بل من محالاتها، والمحارات[٣] أقرب من المحالات[٤] لأن الممكن البعيد أقرب من الممتنع، ولا ثالث لهذين الأمرين إلا الإسلام، وإلى هذا أشار من قال:

صــورة الكـــون محـــال وهــي[٥] حـــق في الحقيقـــة

لكنه أخطأ في تسمية المحارة محالًا، فإن كانت المحارة لازمة للإسلام فهي لما عداه ألزم، فإن كان هذا اللزوم حقًّا فالمحارة[٦] حق، والحق لا يستوحش منه، وإن كان باطلًا فالباطل حقيق ألا يستوحش من خشيته؛ لأنه لا شيء حقيقةً، فكيف الخوف من لا شيء.

***

(١) في (ج): المجازة.

(٢) في (ج): [المجازة].

(٣) في (ب): [المحارات، وفي (ج): [مجازات].

(٤) حاشية: المجال: غير مقدور. وهو إثبات الشيء مع نفيه وإثبات الأخص مع نفي الأعم، وآيات الإثبات مع نفي الواحد. ومالا ترجع إلى هذا فليس محال وما ليس بمحال فهو معدود.

(٥) في (ج): [وهي].

(٦) في (ج): [والمجازرة].

[حال من لم يثبت الرب قديمًا]

فمن لم يثبت الرب قديمًا أثبت العالم قديمًا، ومن لم يثبت له أسماءه الحسنى بلا سبب أثبت الإحكام العجيب للعالم بلا سبب، ومن لم يثبت الرب بكماله بلا سبب أثبت العالم بأحكامه وعجائبه بلا سبب، ومن لم يقبل الإيمان بالبرهان والقرآن قبل الكفر بلا قرآن ولا برهان.

وإلى هذا أشار رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- حيث قال: «**لا يزال الناس يتساءلون، حتى يقولوا: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله**»[1] وأمرنا بالاستعاذة والانتهاء حينئذ؛ لأنه يقال للكافر: فإذا أمكن وجود العالم بغير خالق فأولى منه وجود الرب بغير خالق، ودل على أنه لابد من انتهاء الموجودات الممكنة إلى واجب الوجود عز وجل.

***

(١) صحيح أخرجه البخاري كتاب الاعتصام عن أنس رضي الله عنه (٧٢٩٦) بلفظ: «لن يبرح الناس». ومسلم كتاب الإيمان (١٣٤) بلفظ: «لا يزال الناس...». وأبو داود في كتاب السنة (٤/ ٣١٩)، بزيادة: «فقولوا الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد...»، وأحمد (٣/ ١٠٢). وانظر «السلسلة الصحيحة» (١١٦).

[مادة هذه الوساوس]

واعلم أن مادة هذه الوساوس عجب الإنسان بعقله وعلمه، وظنه أنه إذا لم يعرف شيئا فهو باطل، فاعرف أنك كما قال أصدق القائلين في صفة الإنسان: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢] [حيث تحمل الأمانة وعظيم خطرها][١].

ويدل على هذا من المعقول مع المنقول أمران[٢]:

أحدهما: أن الإنسان يؤثر هواه في الإقبال على دار الفناء، وعلى شهواتها الضارة المضرة في العاجلة المشاهدة، ويقدم المرجوح على الراجح قطعًا، ويتحمل من الأمانات التي هو في تحملها مختار ما يدل على صحة ما روي من تحمل آدم - عليه السلام - لأصلها وجميعها[٣] مثل الدخول في الديون والضمانات والحقوق الزوجية وغيرها وحقوق المخالطة، والفرق بين الأحكام عند الرضا والغضب والغنى والفقر والأمان والخوف، وبذلك يعرف الفطن من طبع نفسه الظلم وجحد الحق عند رجحان الداعي إلى ذلك، ولذلك يوجد البخل من بعض الأجواد في بعض[٤] الأحوال[٥] والكذب من بعض الصادقين، ولذلك[٦] قال صالح عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٧٩] فبين أن الصارف لهم الهوى المحض لا الشبهة.

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) في حاشية (ك) [لم يذكر الآخر من الأمرين فينظر] أقول: وقد ذكر هذا في نسخة المصنف رحمه الله.

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

(٤) ساقط من (ب).

(٥) ساقط من (ج).

(٦) ساقط من (ج).

ومن هنا نقم الله على الكفار أنهم آمنوا بالباطل وكفروا بالله، فلو كان كفرهم بالحق الذي هو الله وكتبه ورسله من أجل الشبهة لكانوا[١] لعبادة الحجارة[٢] وغيرها أشد كفرًا، وذلك بين في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العنكبوت:٥٢] ونحوها قوله تعالى في قصة الخليل عليه السلام: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام:٨٠-٨٣] فبين الخليل لهم أن خوفهم وتخويفهم من أصنامهم واعتذارهم به عن[٣] الإيمان شيء باطل، ولو كان من قبيل خوف العقلاء المستند إلى الأمارات الصحيحة أو الأدلة الواضحة لكان خوفهم من الله تعالى أولى من كل وجه صحيح. ولوضوح هذا جاء فيه بأدوات الاستنكار والاستبعاد، مثل قوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ [مَآ أَشْرَكْتُمْ][٤]﴾ وقوله: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ﴾ وهذه المعارضة وأمثالها تفيد القطع بعناد الخصم، فتأملها في كتاب الله تعالى، وهي جيدة مفحمة نافعة، ولذلك سماها الله تعالى حجته[٥] ورفع بها خليله عليه السلام.

---

(١) في (ك): [لترك]، ولعلها في غير مكانها.

(٢) هكذا في «الأم»، قال سيدي صلاح بن أحمد: مراد المصنف -رحمه الله- أنهم لو تركوا الهوى ونظروا بعين الحق لكفروا بالحجارة ولتركوا عبادتها، بل كانوا لها أشد كفرًا وهذا ظاهر. ت. فقد وجد في بعض النسخ بإسقاط التبرك، وهو الظاهر لم يثبت الترك في نسخ والأول تركه.

(٣) في (ك): [من].

(٤) زيادة من (ب).

(٥) في (ب): [حجه].

ونحوهما قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف:١٤٦][(١)] وكذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر:١٢] وقوله تعالى: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل:٧٢][(٢)].

وقد يقع من أهل الإيمان شيء من ذلك في غير الكفر، ولذلك لم تقبل[(٣)] شهادة [المؤمن][(٤)] العدل لنفسه ولا على عدوه. وكذلك حكى الله عن الكفار جحدهم في يوم القيامة حتى تشهد عليهم جلودهم، وحتى يقولوا لها: لم شهدتم علينا؟ وذلك أنهم رأوا من عدل الله تعالى وحكمه بالبينات دون علمه ما أطمعهم في نفع ذلك لهم، والطبيعة واحدة، إلا ما هدى الله وأصلح، فاحذر من هذه الطبيعة أن[(٥)] تتوهم كفرها وقساوتها وجفاوتها برهانًا معارضًا لبراهين الحق، بل ولا شبهة أبدًا، ولذلك يزول شكها وريبها بمعاينة الأهوال كمعاينة هول المطلع، كما حكى ابن خلكان عن ابن سينا رأس الفلاسفة أنه لما عرف أنه ميت أعتق مماليكه وفعل من القرب الذي أمكنه، وأقبل على التضرع إلى الله تعالى[(٦)] وتلاوة كتاب الله، واضمحلت عنه

---

(١) ساقط من (ج، ك).

(٢) حاشية في الأصل: والحاصل أن القطع ببطلان الإسلام باطل بالضرورة، وكذلك القطع بصحة عبادة الحجارة ونحوها، والشك فيهما يزول بالنظر السهل القريب أو بالضرورة في بعض الأحوال، ولبعض الأشخاص فكيف يقدم المشكوك فيه على الراجح الواضح؟ فتأمل ذلك. من خط المصنف عليه السلام.

(٣) في (ك): [يقبل].

(٤) ساقط من (ج).

(٥) في (ب، ج): [تتوهم].

(٦) زيادة من (ب).

تلك الوساوس.(١) ولي في هذا أبيات حسنة، وهي هذه:

يا رب إن ابن سينا حينما حضرت ... وفاته خاف رآسي الكفر واكتربا
فكيف من لم يزل بالدين معترفًا ... إذا دنا منه هو الموت واقتربا
إن لم تغثه بجسم الظن فكيف قضى ... من خوف عدلك في مجموع ماكتسبا
يرجو الذي وهب الأيمان مبتديًا ... به وصيره في عفوه سببا
يتم معروفًا بالعفو عنه فقد ... غدا إلى الشافع المقبول منتسبا
إليه نسبته في دينه وكذا ... عند الرحامة يدعو مصطفى آل أبا
ولم يزل ناصرًا بالجهد سنته ... وإن دعا لسوى قول الرسول أبا
فارحم بحرمته يا رب وحشته ... إذا توسد ترب اللحد مغتربا
وراح عنه جميع الدافنين له ... وقد نسيه جميع الصحب والقربا
وجفت دمع الذي يبكيه منتحبًا ... وقل والله من يبكيه منتحبًا
لم يترك الحق أفعالا ومعتقدًا ... إلا القليل له ذا خلةٍ حدبا
هناك أصبح ضيفًا للكريم فلا ... يحتاج زادًا ولاكسبًا ولاسببا
وكيف والضيف مفروضٌ كرامته ... لم يعذر الله فيها العجم والعربا
لاسيما البائس المسكين قد حسنت ... منه الظنون والأسرى والغربا
فكيف من كل جود في الوجود له ... حقًّا ومن وهب الأجواد والنجبا
ومن قضى بوجوب الجود عند نزول ... الضيف لولاه رب الحمد ما وجبا
ومن له الحمد في الأخرى بذا نطقت ... في الذكر آية لم يكن لعبا
والحمد لله في دنيا وآخرة ... في آية لم يكن تعميمها كذبا
وإنما خصص الأخرى ولم تكن ... الدنيا كذاك لمعنًى ليس محتجبًا
دار البقا بالثنا أولى وكان بها ... أضعاف ما فجر الأنهار والسحبا

(١) ما بين معقوفين ليس في (أ، ج) أي هذه الأبيات.

ألا تـرى الرحمة العظمى وقسـمتها   وكـم لنا قبـل هول المـوت قد وهبا
مـا زاد في هـذه الدنيـا علـى عشـر   من عشـرها فاقض من آثـاره العجبا

فهذه هذه، ولذلك أكثر الله تعالى ورسله من الجمع بين الأدلة والوعيد وقصص المعذبين، واعتمدها مؤمن آل فرعون فأحسن في دعاء قومه إلى الإيمان وتخويفهم من العذاب الأدنى المعجل في الدنيا، ثم من العذاب الأكبر، فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝٣٠ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝٣١ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر:٣٠-٣٣] [يوم تولون مدبرين][١] الآيات، وإنما بدأ بذكر عذاب الله للكافرين في الدنيا لأنه قد كان[٢] معلومًا لهم بالضرورة، فتأثيره في النفوس أقوى، كما ذكره[٣] المؤيد[٤] بالله في قوة النفع بذكر الموت والبلى[٥] في القبور، وتصور ذلك وأمثاله.

***

(١) زيادة من (د).
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في (ج، ك): [ذكر].
(٤) في (أ) رمز لاسم المؤيد بحرف (م) وهو اصطلاح في بعض كتبهم مثل (ي) (ليحي).
(٥) في (ب): [البلاء].

[إثبات الرب والإيمان به هو الحق والأحوط]

والآن ظهر لك أن إثبات [الرب والإيمان به هو الحق والأحوط، كما تبين قبل ذلك أن إثبات](١) العلوم هو الحق، بحيث لا تخاف(٢) في هذين الاعتقادين مضرة البتة، والخوف العظيم والمضار(٣) العظيمة في عدمهما(٤) **كما قال القائل:**

قال المنجم والطبيب كلاهما ... لا تبعث الأموات قلت إليكما
إن صح قولكما فليس بضائري ... أو صح قولي فالوبال عليكما

ومثل ذلك قول الآخر:

ورغبني في الدين أن دليله ... قوي ويخشى كل شر بجحده
وكرهني للكفر أن فساده ... جلي ويخشى كل شر بقصده(٥)

بل كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ [فصلت:٥٢] الآية، كما تقدم، والمراد إيراده من غير شك لمداواة النفوس الجامحة

---

(١) ساقط من (ج، ك).

(٢) في (ب، ج): [يخاف].

(٣) في (د، ك): [للضار].

(٤) في (ج): [عدمها] حاشية قال الأمير: قوله: (فالوبال عليكما) قال ابن القيم بعد إنشاده هذين البيتين في «شرح منازل السائرين»: هذا مبني على الشك والتردد وطريقة الاحتياط فهذه طريقة أهل الريب والشك يقومون بالأمر والنهي احتياطًا، وهذه الطريقة لا تنجي من عذاب الله، ولا تحصل لصاحبها السعادة، ولا توصل إلى الأمن. انتهى.

قلت: لأنها تقوم بالأمر والنهي مع عدم تصديق بالله وبرسله فكيف ينجيه ذلك. أنوار.

(٥) في حاشية جانبية كتب: من خط مولانا محمد بن إبراهيم في نسخته التي عليها علمه اهـ.

والوساوس الغالبة، والاستعانة على تليينها بالمعارضات النافعة لتسلم العقول[١] ما يزاحمها مما يشق[٢] على الأوهام من الغيوب وتذعن لما يخالف القياس من الأحكام!

***

(١) في (ب، ج): [مما].

(٢) في (ب): [شق].

الباب الرابع
في إثبات التوحيد والنبوات وفروعها

ثم [اعلم][(١)] أن المثبتين للعلوم والربوبية اختلفوا في أمور ثلاثة:

أحدها: توحيد الرب. وقد علم بالضرورة من الدين أن خلافه كفر، ودليل السمع في هذا المقام صحيح بالاتفاق مع ما عضده من الدليل العقلي الذي نبه القرآن عليه في قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء:٢٢] ولا خفاء في ذلك، ولا خلاف فيه بين المسلمين، فلا يحتاج فيه إلى عناية، ولا شك في قوة براهينه وسقوط المعارض لها، وأنه أحوط لما في مخالفته من خوف العذاب العظيم، وسيأتي تمام الكلام فيه في فروع النبوات.

***

(١) ساقط من (ج، ك).

[الكلام في النبوات]

وأما الكلام في النبوات فاعلم أنه من أوضح المعارف، وقد تطابقت دلائل المعجزات الباهرات عليه، ولا شك مع ذلك أنه الأحوط؛ لأن التكذيب بها من الكفر المعلوم الموجب للعذاب الأكبر، وليس لمنكري النبوات من الشبه ما يعارض دلائل ثبوتها، ولا ما ينتهض لإثارة الشكوك(١) في هذا المقام البين، وإنما قدحت البراهمة(٢) في الشرائع بنحو إباحة ذبح البهائم من غير جرائم، وذلك جهل فاحش، فإن الله الذي خلقها هو الذي أحلها في دار الفناء التي كتب فيها الموت على كل حي لحكمة بالغة، وقد ساوى سبحانه بيننا وبينها [في الموت](٣) وإن اختلفت الأسباب، ولا مانع في العقل من ذلك قبل ورود الشرع على بعض الوجوه، فهؤلاء البراهمة لا ينكرون تطابق العقلاء على سقي المزارع بالماء، وإن مات بسبب ذلك كثير من الذر ونحوها من الحيوانات التي تكون في مجاري الماء، وعلى الاستقاء(٤) من المناهل، وإن كان وسيلة إلى موت حيوان الماء،

(١) في (ك): [المشكوك].

(٢) البراهمة: إحدى الفرق الهندية. قال الشهرستاني رحمه الله: انتسبوا إلى رجل منهم يقال له برهام، وقد مهد لهم ذلك في العقول... ثم قال: إن البراهمة توقوا أصنافًا، فمنهم أصحاب التناسخ. انظر «الملل والنحل» (٣/ ٣٤٦) وهم ضالون مضلون.
حاشية: قال الأمير: من الناس من يظن أنهم سموا براهم لانتسابهم إلى إبراهيم عليلهم [عليهم السلام] وذلك خطأ؛ فإن هؤلاء القوم هم المخصوصون بنفي النبوات أصلًا ورأسًا، فكيف يقولون بإبراهيم، وإنما هؤلاء انتسبوا إلى رجل منهم يقال له برهام قد مهد لهم نفي النبوات، ولهم في نفيها وجوه أربعة عدها الشهرستاني في «الملل والنحل» ولم يذكر منها ما ذكره المصنف -رحمه الله- إلا أنه ذكر أن منهم فرقة يقال لهم [البدد] يحرمون كل ذي روح. أنوار.

(٣) في (ك): [الموت]، وفي (ب): [بالموت].

(٤) في (ب، ج): [الاستسقاء].

وعلى إخراج دود البطن بالأدوية، وإن مات منها ألوف كثيرة بسبب عافية إنسان واحد من ألم لا يخاف منه الموت، ويخرج الإنسان الذبان[١] من منزله وإن[٢] هلكن من البرد[٣] أو الحر، ونحو ذلك.

وإنما أجمع أهل العقول على مثل هذا لما في فطر العقول من ترجيح خير الخيرين، واحتمال أهون الشرين عند التعارض، كما قيل: حنانيك بعض الشر أهون من بعض[٤]. ومن ذلك استحسن العقلاء تحمل المضار العظيمة في الحروب لدفع ما هو أضر منها، وقالت العرب:

بسفك الدما يا جارتي تحقن الدما ... وبالقتل تنجو كل نفس من القتل

[و][٥] جاء القرآن بذلك بأفصح عبارة وأوجزها فقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٩] والقصد أنه لا ينكر في العقول أن بالغذاء[٦] الحيوان الشريف[٧] أو يغذى بالحيوان الخسيس فيدفع[٨] بالغذاء عنه المضرة، ويكمل[٩] بالغذاء له النعمة. وعلى تسليم أن العقل

---

(١) في (ب، ج): [الذباب]. حاشية: قال الأمير: الذباب معروف. صححه أذبه وذبان وذُبن بالضم. قاموس. ونسخة الإيثار مصححة، وعود الضمير في (هلكن) يشعر بالجمع. أنوار.

(٢) في (ب، ج): [ولو].

(٣) في (ب): [و].

(٤) قاله طرفة يخاطب النعمان، وهو:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

أنظر «جمهرة العرب» ص(٨).

(٥) في (ب، م): [وقد].

(٦) في (ب): [يغذي].

(٧) ساقط من (ب).

(٨) في (ب، ج): [فتدفع].

(٩) في (ب، ج): [وتكمل].

لا يستحسن ذلك فإنه يجوز أن يحكم بحسن ذلك مالك الجميع، علام الغيوب، الذي لا معقب لحكمه ولا عالم بغيبه، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وتوهم معارضة ذلك بالتقبيح العقلي في غاية السقوط، فإن العقلاء يختلفون فيما دق من هذا الباب، وإنما يتفقون على الضروري منه الذي لم يرد الشرع به قطعًا، مثل ترجيح[1] الكذب على الصدق مطلقا، لا مقيدًا بحال الضرورة، فأي عاقل يرجح هذه الحماقة على البراهين الواضحة في النبوات.

***

(١) في (ب): [ترجح].

[حال كتاب الجاحظ في النبوات]

وقد جود الجاحظ[١] الكلام في النبوات في كتاب مفرد في ذلك[٢] وتبعه في ذلك الإمام المؤيد بالله -عليه السلام- فهذب كتابه وحسن ترصيفه[٣] وقرب متباعده، فينبغي للمسلم الوقوف عليه وحسن التأمل له، فالأمر[٤] في ذلك جلي فطري، وإنما ينبغي أن نذكر[٥] هنا الفروق بين الأنبياء -عليهم السلام- وسائر من تقع[٦] منه الخوارق من أهل السحر والطلسمات[٧] وسائر أهل الرياضات.

***

---

(١) الجاحظ هوعمرو بن بحر بن محبوب الكناني أبوعثمان البَصْري لغوي معتزلي نحوي مات سنة٢٥٥ه. اسماء المؤلفين(١/ ٨٠٢).

(٢) اسمه حجج النبوة الموضوع ضمن مجموع له باسم (آثارالحاحظ) ط- عام ١٩٦٩م.

(٣) في (ب): [ترصيعه] اسمه معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٤) في (ب): [ف].

(٥) في (ب): [يذكر].

(٦) في (ب): [يقع].

(٧) حاشية قال الأمير: علم الطلسمات: هو تأليف القوى السماويةبقوى بعض الأجرام الأرضية يبقى لزمن ذلك قوة تفعل فعلًا غريبًا في العالم الأرضي. أنوار.

[الكلام في السحر وتعلمه]

واعلم أن المتكلمين يذكرون هنا فروقًا كثيرة[١] منها أن السحر فن معروف له شيوخ يعرفونه ويعلمونه، وفيه مصنفات، ومن تولع به وطالع كتبه وتتلمذ[٢] لشيوخه عرفه، وإنما اختلف في تعلمه:

فقيل: حرام.

وقيل: فرض كفاية[٣] حتى إذا ظهر ساحر عرف سحره[٤].

وهذا باطل لوجهين:

أحدهما: أنه لم يكن في الصحابة بعد رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- من يعرفه، ولو كان فرضًا كانوا أقوم الناس به.

وثانيهما[٥]: أنه قد ثبت بالضرورة أن محمدًا [صلى الله عليه وآله وسلّم] خاتم الأنبياء، وهذا برهان يوضح لنا أن كل مدع للنبوة بعده كاذب، وأن كل خارقة تأتي على يد مدعي النبوة بعده فإنها غير صحيحة.

فإذا تقرر هذا فقد اتضح الفرق، فإن النبوات لا حيلة لأحد في اكتسابها.

***

---

(١) انظر «ترجيح أساليب القرآن» ص(١٠٨) الفرق بين السحر والمعجزة.

(٢) في (ب، ك): [تلمذ].

(٣) في حاشية كشف الظنون أنه علم يستفاد منه حصول ملكه نفسية...ألخ.وهذا كذب، فالسحر محرم قطعًا بآلشرع والعقل والعرف.

(٤) في (ج): [بسحره].

(٥) في (ج): [ثانيها].

[الفرق بين صاحب السحر والمعجزات]

الفرق الثاني: أنه لا حقيقة للسحر، ولا يبقى، وفي المعجزات ما يبقى، مثل الناقة في قوم صالح ومثل القرآن العظيم في معجزات رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ولذلك كان أبهر المعجزات، فإنه لو أمكن فيه السحر لأمكن أن جميع أشعار العرب وتواريخ العالم وجميع كتب الدنيا سحر، وهذا معلوم الفساد بالضرورة، وقد أشار إليه في القرآن الكريم(١) حيث قال الله تعالى [في(٢)] أول سورة(٣) الأنعام: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام:٧] فإنه سبحانه عاب عليهم الاعتذار عن الحق بالسحر في الموضع الذي لا يمكن فيه السحر قطعًا في عقول العقلاء، فكيف وقد جعلوه(٤) سحرًا بينًا لا سحرًا مشكوكًا فيه لشدة عنادهم! يدل على ذلك أنهم جعلوه غاية ما اقترحوا تعجيزًا وعنادًا وعتوًّا، حيث قالوا: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء:٩٣] فتأمل ذلك،

---

(١) حاشية: قال الأمير: الكلام في السحر وتعلمه: قال الفخر الرَّازِي في مفاتح الغيب: واعلم أن وصف الكفار القرآن بكونه سحرًا يدل على عظم محل القرآن عندهم وكونه معجزًا، فإنه تعذر عليهم بعد المعارضة فاحتاجوا إلى وصفه بأنه سحر. واعلم أن وصفهم القرآن بكونه سحرًا يحتمل أمرين: أن يكونوا ذكروه في معرض الذم، وعمل أنه في معرض المدح، وهذا اختلف المفسرون فقال بعضهم: أرادوا به أنه لكمال فصاحته كلام مزخرف حسن الظاهر، ولكنه ناقل في الحقيقة ولا حاصل له. وقال الآخرون: أرادوا أنه لكمال فصاحته، وتعذر معلمه جارٍ مجرى السحر. انتهى. أنوار.

(٢) ساقط من (ب، ك).

(٣) ساقط من (ب).

(٤) في (ج): [جعلوا]، وفي (ك): [جعلو].

وكذلك أمثالهم من أعداء الإسلام. وكذلك قال تعالى في سورة يونس حكاية عن موسى وقومه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧٦ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [يونس:٧٦-٧٧] فاكتفى موسى بتقريعهم حيث وضح[1] عنادهم.

الفرق الثالث: أنه لا يكون السحر إلا بشروط مخصوصة في أوقات مخصوصة، ولا يكون بحسب الاقتراح بخلاف المعجزات.

***

(١) في (ج): [أوضح].

[الفروق بين الأنبياء وغيرهم]

قلت: وهنا فروق أوضح من[١] هذه، وهي هذه الفروق بين الأنبياء وغيرهم، وذلك من وجوه:

[**الوجه**][٢] **الأول**: اتفاق [الأنبياء][٣] على التوحيد والدعاء إلى الله تعالى والترغيب فيما لديه والترهيب من عقوبته. فالأول منهم يبشر [بالآخر][٤] والآخر منهم يؤمن بالأول، وليس أحد منهم يخطئ أحدًا ولا ينقم عليه ولا ينتقصه. بخلاف سائر أرباب الخوارق وسائر العلماء والأولياء، فإنه يجري بينهم المعارضة الدالة على ارتفاع العصمة، ألا ترى أن أهل الرياضة تكون فيهم المبتدعة، بل فيهم[٥] الدهرية[٦] والبراهمة، وقد ذكر صاحب العوارف[٧] طرفًا من ذلك في الباب السابع والأربعين، وصنف شيخ الإسلام ابن تيمية مصنفًا في ذلك سماه «الفرق بين الأحوال الربانية والأحوال الشيطانية»[٨].

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) ساقط من (ب، ك).

(٣) ساقط من (ج، ك).

(٤) في (ب، ج) [الثاني].

(٥) في (ب، ج) [منهم].

(٦) هم الذين لا يؤمنون بعقيدة ولا يؤمنون بالمعاد، وإنما يؤمنون بالمحسوس فقط لذلك قالوا: أنه لا عالم إلا العالم الذي هم فيه من مطعم شهي ومنظر بهي، ولا عالم وراء عالم المحسوس. الملل والنحل (٢/ ١٤٠).

(٧) عوارف المعارف للسهروردي ص(١٨٥).

(٨) اسمه المشهور (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) طبع طبعات كثيرة. وقد اهتم الامام ابن الوزير وابن الأمير -رحمهما الله- بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، رحم الله الجميع.

الوجه الثاني: ما ذكره الشيخ مختار في «المجتبى»[١] وهو أن صاحب المعجز[٢] يفارق صاحب الحيل والسحر في الزي والرؤى والهيبة[٣] والكلام والأفعال. في[٤] كافة الأحوال أنوار التقوى تلألأ في وجه صاحب المعجزات، وآثار الصلاح تلوح في وجوه أهل الخيرات، تعرفهم بسيماهم كما قال ربهم ومولاهم، شيمتهم التحلم والاصطبار، ودينهم الصفح والعفو والاستغفار، والجود والسخاء[٥] والإيثار، والمصافاة مع المساكين والفقراء، والحنو والحدب على الضعفاء، والإعراض عن زخارف الدنيا، وعن اتباع الشهوات والهوى. وأما أصحاب السحر والحيل[٦] فرذائل التزوير لائحة في وجوههم، ومخايل الختل والغدر واضحة في جباههم، قصارى هممهم استمالة الأغبياء، وإيثار مواطن الملوك والأمراء والأغنياء[٧] وغاية أمنيتهم نيل الجاه والعز [في][٨] الدنيا، والظفر بما يوافق النفس والهوى اهـ.

وقد سبقه الرازي إلى هذا المعنى بأجود من كلامه، لكنه أطول فآثرت الاختصار[٩] [لما[١٠]] ذكره الرازي في كتاب الأربعين[١١] ونقلته وزدت عليه كثيرًا

---

(١) وقد ذكر هذ الكلام في «ترجيح أساليب القرآن على أساليب القرآن» ص(١٧٠)
(٢) في (ب، ج): [المعجزات].
(٣) في (ج، د): [الهيئة].
(٤) في (ب): [وفي].
(٥) في (ب، م): [فالسخاء].
(٦) في (د): [الحيل]، وفي (ب): [الختر].
(٧) في (ب، ج): [الأغبياء].
(٨) ساقط من (ج، ك).
(٩) في (ج، د): [اختصار.....].
(١٠) خطأ في بعض النسخ.
(١١) تكلم الرَّازِي في كتابه «الأربعين» في إثبات نبوة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في ٢٧ صفحه ورد على الفرق.

إلى[1] كتاب البرهان القاطع في معرفة الصانع وصحة الشرائع[2].

وإلى هذا الوجه الإشارة بقوله [تعالى][3]: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٩] وقوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [يونس:٧٧] كما تقدم في كلام موسى - عليه السلام - وقوله [تعالى][4]: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس:٢١] وأمثالها. وفي آية يس إشارة [إلى][5] أن الكذب على الله وعلى الخلائق[6] في غاية القبح، ونفرة العقلاء عنه متمكنة، فلا يمكن صدوره من أهل العقول الراجحة والهدى والزهد المجرب؛ لامتناع وقوع المرجوح عقلًا وسمعًا. وهذه وأضعاف أضعافها صفات الأنبياء -عليهم السلام- كما أوضحته في البرهان القاطع[7].

ثم إن الله تعالى جعل في بعض أحوال الأنبياء عليهم [الصلاة][8] والسلام فتنة للذين في قلوبهم زيغ ومرض وعمى، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠] وذلك ليبقى الابتلاء الذي اقتضته الحكمة، حتى[9]

---

(١) في (ب، د): [في].
(٢) انظر: «البرهان القاطع» ص(١٩).
(٣) زيادة من (ب، د).
(٤) زيادة من (ج).
(٥) ساقط من (ج).
(٦) في (ب): [الخلق].
(٧) «البرهان القاطع» ص(٨).
(٨) ساقط من (ج، د، ك).
(٩) في (ب، م): [حين].

كان في أسماء الله [تعالى][(١)] المبتلي[(٢)] والباطن والظاهر كما مضى. فمن كان نظره من الجهات المناسبة لاسمه الظاهر رشد[(٣)] وسعد، ومن كان نظره على العكس من ذلك وقع في المحارات وبعد من مسالك النجاة، فكن من ذلك على حذر، وافزع إلى الله واستعذبه من ذلك، وهو الهادي[(٤)] لا يهدى إلا هو[(٥)].

الوجه الثالث: أنه يظهر على كل نبي ما يميزه من السحرة وأهل الحيل. مثال ذلك إيمان السحرة بموسى واعترافهم أن الذي جاء به ليس جنس السحر، وإحياء عيسى للموتى، وذلك أن موسى - عليه السلام - كان في وقت ظهر فيه علم السحر، وعيسى - عليه السلام[(٦)] - كان في زمان[(٧)] ظهر فيه علم الطب، فجاء كل واحد منهما بما يعرفه أهل عصره[(٨)]. وكذلك محمد ﷺ كان في زمان ظهرت فيه الفصاحة، فجاء بالقرآن العظيم الذي لا يخفى عليهم ما اشتمل عليه من وجوه الإعجاز.

***

(١) ساقط من (ب).

(٢) بان للمصنف - رحمه الله - أنه في القرآن في قوله: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٠] أي ظهر له.

(٣) رشد بالفتح يرشُد بالضم ورشيد بالكسر يرشد بالفتح رسب لغة فيه. صحاح.

(٤) في (ب): [و].

(٥) في (ب، م): [الله].

(٦) زيادة من (ب).

(٧) في (ب): [زمن].

(٨) ذكر هذا الكلام ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٨٤)، و«إثبات النبوات» للمؤيد ص(١٨).

[ذكر ما ظهر لنا في حق نبينا ﷺ]

ثم إنه ظهر لنا في حق نبينا -صلى الله عليه وآله وسلم- أمور كثيرة تميزه عن السحرة والمحتالين.

[ورود البشارة به في التوراة والإنجيل]

منها ورود البشارة به في التوراة والإنجيل[١].

قال الرازي في كتابه الأربعين:[٢] والدليل على ذلك أنه ادعى أن ذكره موجود فيهما، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧] وقال حكاية عن [عيسى][٣] المسيح: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦] ومعلوم أنه لو لم يكن صادقًا في ذلك لكان هذا من أعظم المنفرات عنه لليهود والنصارى، ولا يمكن أن العاقل يقدم على فعل يمنعه من مطلوبه ويبطل عليه مقصوده، ولا نزاع بين العقلاء أنه كان أعقل الناس وأحلمهم انتهى.

---

(١) انظر تفسير: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وانظر كتاب الإنجيل (العهد القديم) السفر الأول، الإصحاح الحادي والعشرون). إرشاد «الثقات» (٤٩).

(٢) انظر: كتاب «الأربعين في أصول الدين» ص(٥٤) وانظر الصحاح الخامس عشر من إنجيل يوحنا، و«إرشاد الثقات» ص(٤٥) ولا أحب أن أذكر شيئًا منها هنا لأنها محرفة، والمحرف ضلال. أحمد.

(٣) زيادة من (ب).

[كراماته في أيام الحمل به وأيام الطفولية]

ومنها ما ظهر من كراماته في أيام الحمل به وأيام الطفولة[(١)].

مثل ما روى مسلم في الصحيح[(٢)] والنسائي[(٣)] من حديث أنس: «أن جبريل أتاه وهو يلعب مع الصبيان، فشق بطنه واستخرجه، وجاء الغلمان يسعون إلى ظئره فقالوا: إن محمدًا قد قتل! فاستقبلوه وهو منتقع[(٤)] اللون» قال أنس: قد كنت أرى ذلك المخيط في صدره.

[علم جميع من آمن به، وأهل بلده ببراءته من التهمة بالسحر]

ومنها علم جميع مَن آمن به مِن أهله وأصحابه وأهل بلده ببراءته من التهمة بالسحر.

ولا شك أن علمهم بذلك ضروري كما يعلم ذلك أحدنا في كثير من أهله وخاصته وجيرانه وأهل زمانه، ولذلك حصل معنا العلم الضروري بذلك عن خبرهم، ولو كان خبرهم عن ظن لم يحصل لنا منه علم ضروري، ومن لم يحصل له هذا العلم الضروري فذلك لتقصيره في علم الحديث والسير والتاريخ، على أنا غير محتاجين إلى شيء من هذا لما قدمناه من أنه لا يمكن السحر في القرآن لدوامه وعظيم ما اشتمل عليه من البلاغة والعلوم، ولو أمكن ذلك بالسحر

(١) في (ب، ج): [وأيام الطفولية].
(٢) «صحيح مسلم»، باب الإسراء رقم(١٦٢).
(٣) ينظر النسائي (١/ ٢١٧).
(٤) في (ك): [ممتقع] حاشية: قال الأمير: انتقع لونه وامتقع تغير من خوف أو ألم. مختصر. أنوار.

لأمكن الساحر أن يكون كلامه[1] بليغًا مفهومًا، ولما حصلت الثقة بكلام ولا كتاب على وجه الأرض.

وقد بسطت القول في هذا في البرهان القاطع[2] وهذا كافٍ على قدر هذا المختصر، وليس التأليف إلا مثل التلقيح للثمار وطرح البذور[3] في الأرض الطيبة، ثم يهب الله من البركة ما يشاء، وهو الفتاح العليم. على أن السحر إحدى الدلالات البينة على الله تعالى؛ لأن علمه من العلوم التي لا تدرك بالعقل مثل ما ذكره الغزالي في أمثاله[4] مما يعلم قطعًا أنه ينتهي إلى تعليم عالم الغيب، ولذلك جاء النص[5] الصريح في كتاب الله تعالى بأنه من تعليم مَلَكَين[6] من ملائكة الله [تعالى][7] وأن علمه أنـزل عليهما [كما قال تعالى][8]: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [البقرة:١٠٢] الآيات. ثم فيه دلالة على النبوات من جهة أخرى، وذلك أن الساحر يعجز عن معارضة الأنبياء،

(١) في (ب): [كلامه].
(٢) «البرهان القاطع في إثبات الصانع» ص(٢٢).
(٣) في (ب): [البذر].
(٤) لعله من كتبه المخطوطة.
(٥) أما كونه نصًّا صريحًا فمنازع فيه؛ لما عرف من معنى النص، ولما ذكره المفسرون في تفسير الآية من احتمال ما النفي. ولو فرض مرجوحية ذلك الاحتمال فهو مانع من دعوى النص، والله أعلم. عن خط إبراهيم بن محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى.
(٦) الصحيح أن السحر ليس من تعليم الملكين، بل هو من تعليم الشياطين: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] فهذا بين صريح. انظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ٥٠).
(٧) زيادة من (ج).
(٨) ما بين معقوفين ساقط من (ج).

وعن بلوغ درجتهم في الإعجاز الحق، فيتبين بذلك صدقهم وتمييزهم برفيع مقامهم عن السحر والسحرة، كما كان في قصة موسى - عليه السلام - مع السحرة، فيعرف[1] بذلك قدر النبوات معرفته[2] مقادير المحاسن بأضدادها. ولله الحكمة البالغة في كل شيء سبحانه وتعالى.

***

(١) في (ب، م): [فتعرف].

(٢) في (ب): [معرفة، وفي (ك): [و].

[المخالفون في أمر النبوات والإسلام]

ومما يقوي أمر النبوات والإسلام النظر في معارضها وضعفه، فإن المخالفين لذلك ضربان:

أحدهما: أهل التجاهل المتدينون بدين الآباء، وإن كان عبادة الأحجار ونحو ذلك. ولا يلتفت إلى هؤلاء مميز.

وثانيهما: أهل الفلسفة. وقد نقل الرازي عنهم الاعتراف بأن خوضهم في الربوبيات بالظن، وأنهم لا يعلمون إلا أحكام المشاهدات والمجربات، ولو لم يقروا بذلك قام الدليل القاطع عليهم بذلك، وهو اختلافهم وتكاذبهم المتباعد المتفاحش، الذي تميز الأنبياء بالعصمة منه عن جميع أهل الدعاوي الباطلة.

والنظر في هذا نفيس جدًّا، فإن الشيء إنما يزداد شرفًا على قدر خساسة ضده وصحةً على قدر ضعف معارضه، وإليه الإشارة بقول يوسف عليه السلام: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩] إلى آخر الآيات، ويقرب منه قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ [الزخرف:١٨].

ثم إن الله تعالى نبه على عظيم عناد المكذبين للأنبياء بقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ [هود:١٢] فقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ﴾ واضح في الرد عليهم بأن أصل القصد بالنبوات[1] إقامة الحجة على

---

(١) في (ب): [في النبوات].

الغافلين عن الأمر الجلي، بمجرد ما ينبه [به][(١)] العاقل[(٢)] من النذارة القائمة مقام الخاضر[(٣)] وذلك ما لا يحتاج إلى دليل قاطع على صدق النذير، بل يكفي في النذير أن يكون ممكن الصدق، غير مقطوع بكذبه في الأصل، ومثله ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] ولذلك ذهب إلى ذلك كثير من الإمامية كما ذكره صاحب كتاب الدعائم[(٤)] عنهم، لكن الله [تعالى][(٥)] زاد في إقامة الحجة ليقوى عدله على الكافرين وفضله على المؤمنين، فأيدهم بأنواع الآيات الخارقة والأمارات الصادقة.

وفي الآية دلالة[(٦)] على حسن الاحتياط في الحذر بعد سماع النُّذُر، كما هو معلوم في الفطر[(٧)] وكما تقدمت عليه الدلالة في كلام مؤمن آل فرعون وغيره، مما تقدم من الآيات الكريمة في ذلك، ولله الحمد.

ثم إن الأمة أجمعت على انقطاع الوحي بعد رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وأنه لا طريق لأحدٍ من بعده إلى معارضة ما جاء به، فمن ادعى ذلك وجوز تغيير شيء من الشريعة بذلك فكافر بالإجماع.

---

(١) ساقط من (ب، ج، ك).

(٢) في (ب): [الغافل]، وفي (د) [الغليل].

(٣) في (ب): [الحاضر] وفي حاشية جانبية: [أي: على القلب] وليست زيادة الأصل؛ لأن المصحح لم يكتب (صح). وكذلك صيغة الكلام تدل على ذلك. وقد خطأ في ذلك أحمد مصطفى.

(٤) «دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل البيت» لأبي حنيفة النعمان ابن محمد التميمي المغربي (١/ ٣٤) ولكن فيه أخطاء، ولم يذكر بعض الأمور المهمة. وقال إنما تعرف النبوة بالتوارث، لا بالدليل، وهذا مخالف للنصوص العقلية والنقلية.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) حاشية يعني قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ﴾ [هود: ١٢] الآية.

(٧) في (ب): [النظر].

خاتمة

ثم إن المثبتين للنبوات[(١)] اختلفوا في الإيمان بجميع الأنبياء، فمنهم من فرّق بين رسل الله فآمن ببعضهم وكفر ببعضهم، كاليهود والنصارى. ومنهم من آمن بجميع رسل الله ولم يفرقوا[(٢)] بين أحدٍ منهم، كالمسلمين. فلا شك في [أن][(٣)] إثبات النبوات أصح دليلًا وأحوط، ثم إن الإيمان بجميع الأنبياء كذلك، فإن المكذب برسولٍ واحدٍ كالمكذب بجميع الرسل، وهل أشقى ممن سلم من [جميع][(٤)] المهالك، حتى إذا لم يبق إلا مهلكة واحدة وقع فيها! فانظر ما أوضح الضلال في جميع ما تقدم من إنكار العلوم، ثم من إنكار الربوبية، ثم من إنكار التوحيد، ثم من إنكار النبوات، ثم من إنكار نبوة محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- خاصة وما أوضح الحق في مخالفة ذلك كله، فالحمد لله رب العالمين.

[اليهود مقرون برسول مبشر به في التوراة، لكنه عندهم غير محمد ﷺ]

ومن واضحات الأدلة[(٥)] على اليهود أنهم مقرون برسول مبشَّرٍ به في التوراة[(٦)] لكنه عندهم غير محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- فيقال لهم: تكذيبهم بمحمدٍ

(١) في (ب، م): [للنبوة].
(٢) في (ب): [يفرق].
(٣) ساقط من (ج، ك).
(٤) ساقط من (ج).
(٥) في (ب): [الدلالة].
(٦) ورد في التورة: (سأقيم لبني إسرائيل نبيًّا من إخوتهم أجعل على لسانه كلامي فمن عصاه انتقمت منه) قال الإمام ابن حزم رحمه الله: ولم تكن هذه الصفة (في محمد صلى الله عليه وآله وسلم) وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل. انظر «الفصل» (١/ ١١١).

يؤدي إلى تكذيبهم بكل مدعٍ أنه هو؛ لأنه لا يمكن أن يأتي إلا بمعجزاتٍ. وأما حديث: «تمسكوا بالسبت أبدًا»(١) فلو كان حقًّا لذكروه للنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ولم يؤمن منهم أحد(٢) لكنه موضوع في زمن الراوندي(٣) ذكره صاحب التقويم في أصول الفقه(٤) ولا حجة فيه لو صح؛ لأن المراد بذلك قد يكون مدةً طويلة وإلى غاية، كقوله تعالى: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

---

(١) موضوع من اختراع الراوندي.

(٢) قال البزدوي في كتابه «كشف الأسرار عند أصول فخر الإسلام»: ثبت أن التوراة التي في أيديهم غير موثوق بها، وما ذكروه من تأييد شريعة موسى - عليه السلام - وقيل: أول من وضع ذلك ابن الراوندي ليعارض بطلان هذا أن أحد أحبار اليهود لم يحتج بهذا الكلام على تكذيب الرسول مع حرصهم على دفع قوله. «كشف الأسرار» (٣/ ١٦٣).

(٣) في (ك): [الروندي]، وفي (ج): [الرواندي].

والراوندي: هو أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي. أو ابن الرواندي. فيلسوف ملحد، سكن بغداد، وأصله من راوند أصبهان. وقد انفرد بمذاهب إلحادية وجاهلية.

قال ابن كثير: أحد مشاهير الزنادقة، هرب من السلطان إلى يهودي، وكتب له كتابًا يدفع القرآن.

وقال ابن حجر رحمه الله: ابن الراوندي الشهير الزنديق كان متكلمًا معتزليًّا ثم تزندق واشتهر بالإلحاد وكان غاية في الذكاء.

وقال ابن الجوزي: الراوندي الملحد الزنديق. ذكرته ليعرف قدر كفره، فإنه عمدة الملاحدة والزنادقة، له كتاب «نفي الصانع والرد على مذهب أهل التو حيد» وكتاب في الطعن في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال المعري: ابن الراوندي...أحد الكفرة... نعته ابن أبي الحديد الضال بأنه القطب. وقالوا: له أكثر من (١٢) كتابًا كلها تطعن في الشريعة، وقد رد عليه ابن الخياط في كتاب الانتصار وشيخ الإسلام والذهبي وغيرهم. وفرقة الراوندية المعتزلة تنسب إليه. قيل: مات بين بغداد والرقة وقيل صلبه أحد السلاطين ببغداد ٢٩٨هـ. وقال ابن الورد في «تاريخه» (١/ ٢٤٨): ووضع كتابًا لليهود قال قولوا: قال موسى: «لا نبي بعدي» كذب وافتراء.

(٤) «تقويم الأدلة في الأصول» للقاضي زيد بن عبد الله الدبوسي الحنفي، مات سنة ٤٣٠ هـ رحمه الله.

فصل

(في تأكيد اليقين بالنبوات زيادة على ما تقدم)[١]

وذلك أن كثرتهم - عليهم السلام - قد عُلِمَت لأهل العلم بتواريخ العالم وأخبار الأمم، واشتهرت لمن كان أقل بحثًا وخبرة بهذه العلوم. وقد ورد في الأخبار أنهم عليهم السلام «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا» وكتب الله التي جاؤوا بها «مائة كتاب[٢] وأربعة كتب» رواه ابن حبان[٣] والبيهقي[٤] من حديث

(١) حاشية: قال الأمير: ما تضمنه هذا الفصل إليه هو الذي بنى عليه المصنف -رحمه الله- «البرهان القاطع في إثباب الصانع» وابتداء بهذا الذي صدره هنا. أنوار.

(٢) حاشية: فإنه أنزل على شيث خمسون صحيفة وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى قبل التوراة صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور، وأخنوخ فسره بإدريس.

(٣) انظر: «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حِبّان» للهيثمي ص(٥٠٨).

حاشية: قال الأمير رحمه الله: قلت: هو حديث جليل طويل ساقه الهيثمي في كتابه موارد الظمآن في زوائد ابن حبان، ثم قال: قلت: فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني. قال: أبو حاتم وغيره: كذاب، انتهى.

قلت: في الميزان في ترجمة إبراهيم: هو صاحب حديث أبي ذر الطويل، انفرد به عن أبيه عن جده، قال الطبراني: لم يرو هذا عن يحيى إلا ولده. وهم ثقات، وذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج حديثه في الأنواع، ثم ذكر أنه قال أبو حاتم إن إبراهيم بن هشام كذاب. وقال ابن الجوزي: قال أبو زرعة أنه كذاب. انتهى.

قلت: إلا أنه ذكر الحافظ ابن حجر أنه انفرد بتضعيف إبراهيم بن هشام وقواه غيره. قال: وللحديث شواهد، منها ما رواه ابن عساكر في أوائل تاريخه عن أحمد بن عبد الرحمن بن زهر عن عمه غير الماضي بن محمد بن أبي سلمة عن القاسم بن محمد عن أبي إدريس الخولاني قاله بطوله انتهى. أنوار.

(٤) «السنن الكبرى» للبيهقي (٩/ ٤) وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٦) ولفظه عن أبي ذر=

أبي ذر بسندين حسنين. وتواترت كثرتهم في الجملة(١).

=رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وهو في المسجد، فذكر الحديث إلى أن قال: فقلت: يا رسول الله كم النبيون؟ قال: «مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي» قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر» ثم قال: تفرد به يحيى بن سعيد السعيدي. وعند أحمد بنفس اللفظ إلا أنه قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر جمًّا غفيرًا» برقم (٢١٥٤٧) (٥/ ١٧٨) ولم يتنبه له المحقق. وجاء أيضًا عند الإمام أحمد من حديث أبي أمامة، رضي الله عنه، بلفظ: «الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشرًا جمًّا غفيرا».
والحديث بطرقه حسن.
أ- عن أبي ذر مرفوعًا.
أخرجه النسائي (٨/ ٢٧٥) والحاكم (٢/ ٢٨٢) وابن حِبّان في «المجروحين» (٣/ ١٢٩)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٦٩٩) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٦٨) والبيهقي في «السنن» (٩/ ٤). وهذا إسناد ضعيف، فإسناد أحمد فيه المسعودي ضعيف، وفي إسناد البيهقي سعيد السعيدي ضعيف لا يتابع على حديثه. وبنحوه الطبراني، وفي إسناده ابن لهيعة، وضعف بسببه، كما في «الأوسط» (٤٧١٨).
ب- عن أبي أمامة مرفوعًا أيضًا.
أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٥) رقم(٢٢٢٨٨) وفي إسناده علي بن يزيد الألهاني، ضعيف، وكذلك أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٨٧١). وأخرج ابن حِبّان (٦١٩٠) والطبراني في الكبير (٧٥٤٥) وفي «الأوسط» (٤٠٥) والحاكم (٢/ ٢٦٢) من طريق زيد بن أسلم عن أبي سلام عن أبي أمامة، وهو لفظ ابن حِبّان، وسنده صحيح بلفظ: كم بين آدم ونوح؟ قال: «عشرة قرون...» اهـ.

(١) انظر: «البرهان القاطع» للمؤلف، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٢/ ١٥١). حاشية: قال الأمير: في البرهان القاطع للمصنف -رحمه الله- وعجبهم عن متابعة المنفردات القادحات في شريف حالهم وعزيز مقامهم إلا صدق ما ادعوه... الخ. والذي هنا صحيح أيضًا، وإنهم عصموا أيضًا عما وقع للعقلاء من اختلاف المذاهب في الصانع. قلت: ولا يخفى أن هذا الوجه الذي اشتمل عليه هذا الفصل لا يجري في أوائل الأنبياء -عليهم السلام- قبل هذه الكثرة...... أنوار. زاد في «البرهان القاطع»: ويحصل في النفوس من برد اليقين لقولهم والطمأنينة بصدقهم ما يلحق بالمتواترات والمشاهدات ويرى كثيرًا من المحسوسات... الخ. أنوار.

ولا شك أن الجمع العظيم متى تفرقت أوطانهم وقبائلهم وأغراضهم وأزمانهم ومذاهبهم، ولم يكونوا من أهل الصناعات النظرية والرياضات الفلسفية والقوانين المنطقية، ثم اتفقوا على القطع بصحة أمر لا دافع(١) له ولا مانع منه، بحيث لو اجتمع عيون الفطناء وحذاق الأذكياء ومهرة العلماء على واحد منهم يشككون عليه في اعتقاده، لما رفع(٢) إليهم رأسًا ولا التفت(٣) إليهم أصلًا - تعلمنا(٤) علما عاديًّا تجريبيًّا ضروريًّا أنهم ما تواطئوا على التعمد للمباهتة(٥) والتجري على التدليس والمغالطة، وأنه ما جمع متفرقات عقائدهم، وألف نوافر طباعهم، وربط بين جوامح مختلفات اختياراتهم، وعصمهم عن متابعة سنة العقلاء في اختلاف مذاهبهم، مع طول أنظارهم، إلا صدق ما ادَّعَوه من شريف علمهم وحالهم، وصحة ما بنَوا عليه دينهم ويقينهم من استناد هذه العوالم والخلائق والآثار والحوادث إلى رب عظيم ومدبر حكيم، واضطراره لهم بالمعجزات والقرائن إلى الاجتماع على هذا الدين القويم والشأن العظيم، وحينئذ لا تردد العقول ولا توقف الأذهان عن الجزم على صدقهم(٦) وثلج الصدور لصحة خبرهم، فكيف إذا عضد هذا الجمع(٧) العظيم من البراهين النيرة والقرائن الواضحة والشواهد الصادقة ما لم يحصره الأذكياء والعارفون على مرور الدهور والقرون، حتى قال الله تعالى في كتابه المكنون: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٥].

---

(١) في (ب، م): [لا داعي].

(٢) في (ب): [لما يرفع].

(٣) في (م): [لم يلتفت].

(٤) في (ب، ج): [فعلمنا]، وفي (ك): [العلمنا].

(٥) في (ج): [للمباهات].

(٦) في (ب): [لصدقهم]، وفي (ج): [بصدقهم].

(٧) في (ب): [الجميع].

فمن [ذلك ما][1] ذكره الإمام المؤيد بالله في كتابه في « إثبات النبوات» قال عليه السلام[2]: وأنتم إذا تأملتم أحوال الفترات[3] التي كانت بين آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - ازددتم معرفة بحسن تدبير الله تعالى لخلق الله بابتعاث الرسل وتجديد[4] ما درس أو كاد يدرس من الشرائع والملل، وأنه - عز وجل- ابتعث حين علم الصلاح في الابتعاث، ومد الفترة حين علم اقتران المصلحة بها؛ لأن الفترة على ما يقوله بعض أهل التاريخ[5] على اختلاف بينهم فيه[6] - والله أعلم بتحقيق[7] ذلك - كانت بين آدم ونوح -صلى الله عليهما- سبعمائة عام[8] وإنما كان ذلك كذلك، والله أعلم، على مقدار ما يلوح لنا وتبلغه مقدار أفهامنا أن آدم أهبط إلى الأرض وهو أبو[9] البشر وأول الإنس، ولم يكن في زمانه شيء من الكفر وعبادة الأصنام، ولم يكن غيره، وغير زوجته حواء وأولادهما، وكانوا يعرفون حاله، فلم يكن في أمره شك

(١) ساقط من (ج).

(٢) انظر: إثبات نبوة النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- لأحمد بن حسين بن هارون الزيدي ٤٢١هـ ص(١٧).

(٣) حاشية جمع فترة، أي: انقطاع الوحي وفتور إرسال الرسل.

(٤) في (ب، م): [وتجديده].

(٥) في (ب، م): [التواريخ].

(٦) انظر: الروايات في الفترات بين الأنبياء في تاريخ ابن عساكر» (١/ ٢٥).

(٧) حاشية: هذا عائد إلى بيان حكمة الله في تحديد الرسالة ووجه اختلاف زمن النبوات. اهـ.

(٨) حديث أبي أمامة: «فكم كان بينه وبين نوح قال عشرة قرون» على شرط مسلم أخرجه ابن حِبّان في «صحيحه»، وابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١٠١)، وجاء موقوفًا على ابن عباس عند الطَّبَري في «تاريخ الأمم والملوك» (١/ ٩٠).

(٩) في (ك): [أب].

عندهم بوضوح[١] أمره وظهور آياته وقلة من بعث إليهم، فامتد زمان الفترة، وكان بينهما مع[٢] ذلك شيث[٣] وإدريس[٤] - عليهما السلام - فاستحدث الناس الكفر وعبادة الأصنام، واتخذوا ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا[٥] فابتعث الله - عز وجل - نوحا، عليه السلام، يدعوهم إلى التوحيد وخلع الأصنام والأنداد، فلبث فيهم كما قال الله تعالى: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤] فغرَّقهم الله بالطوفان حين تمت عليهم حجته وعلم أنه لا يصلح منهم أحد كما أوحى ذلك إلى نوح عليه السلام.

***

(١) في (أ، ج): [الوضوح].

(٢) في (ب): [مع شيث ذلك].

(٣) معناه هبة الله، وكان نبيًّا عن أبي ذر مرفوعًا (أنه أنزل عليه خمسون صحيفة). انظر «البداية والنهاية» (١/ ٩٨-٩٩).

(٤) كان اسمه خنوخ أول ابن آدم أعطى النبوة بعد آدم وشيث. «البداية» (١/ ٩٩).

(٥) هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، لما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجلسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى هلك أولئك ونسخ العلم فعبدت. صحيح عن ابن عباس وغيره.

[فائدة في الفترة بين الأنبياء عليهم السلام]

ثم كانت الفترة بين نوح وإبراهيم - عليهما السلام - نحو سبعمائة عام[١] وإنما كانت هذه المدة نحو ذلك لأن الغرق أعاد حال نوح إلى نحو حال آدم -صلى الله عليهما وسلم-[٢] في ظهور أمره وابتداء[٣] البشر منه، مع أنه لم يكن بقي من الكفار أحد، إلا أن الناس كانوا قد[٤] عرفوا عبادة الأصنام واتخاذ الأنداد من دون الله -عز وجل- فأسرعوا بعده إلى الكفر وعبادة الأصنام[٥] وكان الله تعالى قد بعث هودًا إلى عاد لما ازداد تمردهم، وصالحًا بعده إلى ثمود، ثم لما ازداد الكفر ظهورًا وانتشارًا ابتعث الله -عز وجل- إبراهيم فدعاهم إلى الله تعالى، وكسر أصنامهم ونبههم على خطأ أفعالهم، وجدد لهم الذكرى وأنزل -عز وجل- عليه الصحف. وبعث لوطًا - عليه السلام- إلى قوم مخصوصين، حين ازداد عتوهم واستحدثوا من الفاحشة ما لم يكن قبلهم، ثم كانت الفترة بينه وبين موسى - صلى الله عليهما وسلم- نحو أربعمائة سنة، وإنما كان[٦] كذلك،

---

(١) ذكر ابن الأثير في «الكامل في التاريخ»: وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة، وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف سنة وثلاثمائة وسبع وثلاثين سنة. وعن عبدالله بن بسر قال: وضع رسول الله يده على رأسي وقال: هذا الغلام يعيش قرنًا. فعاش مائة سنة، وفي إسناده الواقدي، فيكون الحديث ضعيف ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨] «المستدرك» (٢/ ٥٤٩).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) في (ج): [ابيد].

(٤) في (ب،ج): [قد كانوا].

(٥) انظر: «قصص الأنبياء» لابن كثير. محمد حامد الفقي محققًا.

(٦) في (ج): [كانت].

والله أعلم؛ لأن إبراهيم ﷺ[١] مضى والكفر باقٍ بينهم ظاهر، ولم تكثر أتباعه الكثرة الظاهرة على ما بلغنا[٢]. وبعث الله بعده إسماعيل وإسحاق ويعقوب - عليهم السلام - والأسباط وشعيبًا قبل مبعث موسى - عليه السلام- وقبل أيوب -عليه السلام-[٣] وكأن قد بعث قبل موسى -عليه السلام- وتغيرت أحوال بني إسرائيل، وقل قبول الناس للحق[٤] وظهر الكفر وبلغ مبلغًا لم يكن بلغه من قبل؛ لأن فرعون ادعى الربوبية فاستعبد[٥] بني إسرائيل، فعظم الأمر وازداد الكفر، واتسع الخرق[٦] ونسي الحق، فلذلك قصرت مدة هذه الفترة حتى بعث موسى ﷺ مع تلك الآيات العظام، كالعصا واليد البيضاء ومجاوزة بني إسرائيل البحر، بعد أن انفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وتغريق فرعون ومن معه إلى غير ذلك من الحجر الذي انفجرت منه العيون، وما كان ظهر قبل ذلك من الجراد والقمل والضفادع والدم، وغير ذلك مما يطول ذكره[٧] وأنزل عليه التوراة وبين فيها [الأحكام][٨] والحلال والحرام، وظهر أمره أتم الظهور.

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) قال ابن الأثير في «الكامل في التاريخ» (١/ ١٠٠): وآمن مع إبراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به، على خوف من نمرود وملئهم.

(٣) ساقط من (ب، ج).

(٤) في (م): [الحق].

(٥) في (ب، ج): [واستعبد].

(٦) في (د): [الخوف] وورد فوقها تصحيح [الخرق] وفي (ج): [الخوف] حاشية في نسخة المصنف رحمه الله: الخوف [وخطين] بالخرق بخط بعض الآباء.

(٧) قال تعالى مجملاً لهذه الآيات: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء: ١٠١].

(٨) ساقط من (ج).

[السبب في أن أعلام موسى أكثر وآياته أظهر]

وإنما كانت أعلام موسى أكثر[1] وآياته أظهر لأن بني إسرائيل، والله أعلم، كانوا أجهل الأمم وأغلظهم طبعًا وأبعدهم عن الصواب وأبلدهم عن استدراك الحق؛ ألا ترى أنهم بعدما جاوز الله بهم البحر وغرّق آل فرعون وهم ينظرون قالوا لموسى حين مروا على قوم [عاكفين][2] على أصنام لهم: يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة. واتخذوا العجل وعبدوه، وظنوا أنه إلههم وإله موسى، وأنه نسي، فبحسب هذه الأحوال اقتضت الحكمة إيضاح الآيات والأعلام وتكثيرها لهم.

ثم بعث يوشع ويونس، ثم بعث داود وأنزل عليه الزبور، وبعث سليمان وآتاه الله الملك مع تلك الآيات العظيمة، ثم بعث بعده زكريا ويحيى - صلى[3] الله عليهم- وكانت الفترة بين موسى وعيسى [صلى الله عليهما][4] نحو ألفي سنة، لعظم آيات موسى وعظم الكتاب الذي أنزل معه، ولما بعث بينهما من الأنبياء -عليهم السلام- وهذه المُدة أطول المُدد التي كانت بين من ذكرنا عليهم السلام.

ثم لما تزايد الكفر وتغيرت أحوال بني إسرائيل، وشاع الإلحاد في الفلاسفة، بعث الله عيسى - عليه السلام - بتلك الآيات الباهرة، وبقي فيهم ما بقي، ثم أكرمه الله تعالى ورفعه إليه. ثم كانت الفترة بينه وبين نبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- نحو ستمائة عام[5]. وكانت هذه المدة أوسط المدد وذلك، والله

---

(١) في (ك): [أكبر].

(٢) في نسخة [يعكفون].

(٣) في (ج): [صلوات].

(٤) زيادة من (ج).

(٥) المدة بالتحديد: (خمسمائة وسبعون سنة). انظر: إثبات النبوة للنبي لابن هارون ص(١٧).

أعلم؛ لأن حجج الله تعالى كثرت فيها لبقاء التوراة والزبور والإنجيل، ومع ذلك كثر الضلال.

[القول في المسيح]

وقيل في المسيح قولان عظيمان: أحدهما ما قالته اليهود. والثاني ما قالته النصارى[1].

***

(١) قال اليهود إنه عدو ولقبوه ابن بغي، قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦] والنصارى قالوا: ابن الله ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨] وعقيدتهم فيه مختلفة:

أ - فالنصارى الأرثوذكس يقولون إن عيسى هو الله. أعوذ بالله من قولهم.

ب- والكاثوليك والبروتستانت يقولون إن عيسى إله من آلهة ثلاثة. كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

[ذكر ما يختص بنبينا محمد ﷺ من الآيات الباهرة]

ثم بعث الله تعالى النبي محمدًا - صلى الله عليه وآله وسلم - وختم به الرسالة - ونحن من مبعثه على نحو من أربعمائة عام[1] - فدل ذلك على قرب الساعة وأزوف[2] القيامة، وحقق ذلك قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١] وقوله [تعالى][3]: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١] وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» وأشار بأصبعيه[4] اهـ[5].

قلت: وهذا كلامه[6] - عليه السلام - في هذا التاريخ المتقدم فكيف بنا اليوم وقد دخلنا في المائة التاسعة أكثر من ثلثها.

قال عليه السلام: فانظروا رحمكم الله في حسن نظر الله [تعالى][7] لعباده بما ذكرنا، فاعتبروا[8] به واستعدوا للدوام والبقاء، فله خلقتم، فكأن الواقعة قد وقعت، والحاقة قد حقت، فريق في الجنة وفريق في السعير، فلا يصدنكم الشيطان

---

(١) ونحن الآن في عام ١٤٢٩هـ. إنا لله وإنا إليه راجعون. المحقق.

(٢) في (ج): [خطاء].

(٣) زيادة من (ب، ج).

(٤) صحيح أخرجه البخاري من حديث سهل وأنس وأبي هريرة (١١/ ٣٤٧) مع «الفتح» برقم(٤٩٣٦)، ورواه مسلم عن جابر (٢/ ٥٩٢)، وابن ماجه، كتاب الفتن (١/ ١٧)، وأحمد (٤/ ٣٠٩).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) (م بالله). أي: المؤيد بالله.

(٧) زيادة من (ج).

(٨) في (ج، ك): [واعتبروا].

وأتباعه عنها كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه:١٥-١٦] وفقنا الله وإياكم لطاعته واتباع مرضاته.

قلت: ومع قرب مبعث [رسول الله](١) محمد - صلى الله عليه وآله وسلم- من القيامة فلم يخل الله [تعالى](٢) عباده من تجديد الآيات وما يقوم مقام تجديدها، وذلك بأمور أعظمها إعجاز القرآن العظيم وبقاؤه(٣) في الأمة وحفظه له عن التغيير.

وقد جود الإمام المؤيد بالله -عليه السلام- ومن سبقه من علماء الإسلام القول في ذلك، وقد جمعه -عليه السلام- في كتابه في النبوات وجوَّده، وإن كان قال - عليه السلام- أنه لم يزد على ما [قاله السلف](٤) وإنما أوجز من كلامهم ما جعله البسط متباعد الأطراف، أو بسط ما جعله الإيجاز خفي الأغراض، فقد أفاد وأجاد وأحسن وزاد، فينبغي مطالبة كتابه في ذلك، وكتاب الجاحظ فيه أيضًا فإنه السابق له -عليه السلام- إلى ذلك والمشهور بالتجويد في هذه المسالك.

ومن نفيس كلامه في ذلك قوله: ومن الدليل على إعجاز القرآن أن النبي ابتدأ الإتيان بهذا القرآن على غاية الإحكام والإتقان، وقد ثبت جريان العادة أن كل أمر

---

(١) زيادة من (ج).

(٢) زيادة من (ج).

(٣) في حاشية: (وربما كان بقاؤه كذلك لما كانت النبوة قد انقطعت فإن الله كان يجدد أديان المرسلين المشاهير بأنبياء يخلفونهم ويظهر على أيديهم الآيات، ويجدد المعارف، فقام إعجاز القرآن وبقاؤه مع قصر المدة وأزوف القيامة مقام ذلك، والله أعلم) من خط المصنف رحمه الله.

(٤) في (ب): [ما قالوه].

يقع على وجه لا يصح وقوعه عليه إلا بعلوم تحصل للفاعل له، لا يصح وقوعه ابتداء على غاية الإحكام والإتقان، وأن بلوغه الغاية يتعذر إلا على مر الدهور والأعصار، وتعاطي جماعة فجماعة له، وأنه لا فرق في ذلك بين شيء وشيء من الأمور[(١)] التي هي منظوم الكلام ومنثوره، وما يتعلق بالتنجيم، والطب والفقه، والنحو[(٢)] والصناعات التي هي النساجة[(٣)] والصياغة، والبناء أو[(٤)] ما أشبه ذلك، فإذا ثبت ذلك، وثبت وقوع القرآن على الوجه الذي بيناه ثبت أنه وقع على وجه انتقضت به العادة، فجرى مجرى قلب العصا حية، وإحياء الموتى، والمشي على الماء والهواء... إلى آخر ما ذكره[(٥)] في[(٦)] ذلك، ولولا أن ذكره يناقض ما قصدت من الاختصار لذكرته فهذا أعظم الآيات لبقائه في أمة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم- وفناء آيات الأنبياء في أعصارهم - عليهم السلام- ولكن الله [تعالى][(٧)] لما علم أن النبوة قد انقطعت جعل هذا المعجز الجليل باقيًا على مر الدهور[(٨)] جديدًا على طول العصور.

---

(١) في (ب، م): [الأمور في منظوم] والكلام لا يستقيم.

(٢) في (د) زيادة» [أو]. وفي (ك).

(٣) في (م): [النساخة].

(٤) في (ب، ج): [البناء وما].

(٥) في (ب): [ذكروه].

(٦) في (ج) زيادة: [عليه السلام].

(٧) زيادة من (ج).

(٨) وفي هذا المعنى يقول البوصيري في البردة:

دامت لدينا ففاقت كل حجر فما لنبيين إذ جاءت ولم تدم

كيف يكون نبوغ الماء خارجًا عن ذاته الشريفة فلينظر.

صاحب البردة ضال، وشراحها ضالون، وفيها ضلالات فلا ينبغي لأحد أخذها لما فيها من الضلال والشرك.

[الله عز وجل يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها رأس كل مائة عام]

الأمر الثاني: ما أشار إليه رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- حيث قال: «**إن الله يبعث لأمتي من يجدد لها دينها رأس كل مائة عام**»(١). وهذه إشارة إلى ما منّ الله تعالى به على أهل الإسلام من الأئمة الهداة للأنام - عليهم السلام- ومن سائر العلماء الأعلام والصالحين الكرام(٢) وما يجعل الله تعالى فيهم من الأسرار، ويجدد بهم من الآثار(٣) ويوضح بهم من المشكلات، ويبين بهم من الدلالات، ويرد بعلومهم

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود في «سننه» رقم(٤٢٨٢) عن أبي هريرة بلفظ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها». والحاكم في «مستدركه» (٤/ ٥٢٢)، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في «الصحيحة» (٥٩٩)، و«صحيح الجامع» (١٨٧٤).

(٢) في (ب، م): [ومما].

(٣) وتحقيق ذلك أن في كل مائة سنة قائمًا يدعو إلى طاعة الله تعالى وإحياء دينه؛ ففي رأس المائة الأولى الإمام زيد بن علي وأخوه محمد بن علي الباقر -عليهما السلام- وفي رأس المائتين محمد بن إبراهيم والقاسم بن إبراهيم، وفي رأس الثلاثمائة أبناء الهادي المرتضي والناصر والناصر الكبير أيضًا الحسن بن علي عليهم، وفي رأس أربعمائة المؤيد بالله وأخوه أبو طالب عليه السلام، وفي رأس خمسمائة يحيى بن القاسم بن المؤيد هو أبو طالب الصغير على ما قيل، وفي رأس ستمائة المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان، وفي رأس سبعمائة المهدي أحمد ابن يحيى المرتضي وإبراهيم وتاج الدين ومطهر بن يحيى. هذا ما اتفق في الماضي من أئمة أهل البيت -عليهم السلام- ورقم هذا في المائة الثامنة والقائم المنصور بن الناصر المهدي بن الهادي -عليهم السلام- والله أعلم ما يرعف به الزمان في المستقبل وكذلك أئمة العلم من الفقهاء فإنهم معاصرون لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

في هذا يبين المجددين من أهل البيت، أقول: لعل منهج مجددين في نواح وهم قلة، والمجددون من العلماء على كل رأس مائة سنة كما في الحديث المتقدم، منهم الإمام أحمد بن حنبل والإمام الشافعي وشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن الوزير والعلامة الصنعاني والشوكاني وابن باز، وغيرهم من المجددين في الإسلام. وهناك كتاب منتقد ذكر فيه الفلاسفة وبعض الملاحدة=

من الجهالات، ويؤيدهم به[1] من الكرامات وصادق المبشرات من رؤيا الحق الواردة في محكم الآيات وصحيح الروايات[2].

[نصر الله تعالى لحماة الإسلام المجاهدين]

الأمر الثالث: نصر الله تعالى لحماة الإسلام المجاهدين وإنجازه[3] ما وعدهم به في كتابه المبين من نصره للمؤمنين، وعلى لسان رسوله الصادق الأمين، من حفظه لهذا الدين على كثرة الكافرين والمفسدين والملاحدة والمتمردين، ولو نذكر القليل من ذلك لطال، وقد اشتملت عليه تواريخ الإسلام، تواريخ [الأزمان][4] وتواريخ الرجال، والحمد لله رب العالمين.

وأما ما يختص بنبينا[5] محمد - صلى الله عليه وآله وسلم- من الآيات الباهرة والدلالات الواضحة فأكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يذكر[6] وقد صنفت في ذلك مصنفات كثيرة، منها كتاب الشفاء للقاضي عياض المالكي وغيره، لكن تقصيها هنا مما لم تدع إليه الحاجة، إذ لا منازع من أهل الإسلام في نبوته ﷺ ولا شاكٌّ ولا مشكك فيها، وإنما المراد هنا إرشاد المختلفين من

=والعقلانيين، وهذا ليس تجديدًا في الدين حين يأتي البدع والضلالات ويقول: مجدد. فهذا مخالف للحديث مفهومه ومنطوقه.

(١) في (أ): [ويؤيدوهم به].

(٢) في (ج، خ) زيادة: [إن في كل مائة].

(٣) في (ج): [وإنجاز].

(٤) ساقط من (ب، ك).

(٥) في (ب): [يختص به].

(٦) في (ك): [ينكر] خطأ.

أمته إلى أوضح الطرق وأنصافها وأهداها إلى اتباع سنته والسلامة من مخالفته، ولكنا نتبرك ونتشرف بذكر شيء يسير[1] منها على جهة الإشارة والرمز إلى جمل من ذلك على حسب ما يليق بهذا المختصر، فنقول كما قال غير واحد من علماء الإسلام.

***

(١) ساقط من (ج، ك).

[معجزاته عليه السلام]

إن معجزاته - عليه السلام -[١] قسمان: حسية وعقلية.

أما الحسية فثلاثة أقسام: أحدها: أمور خارجة عن ذاته. وثانيها: أمور في ذاته. وثالثها: أمور في صفاته.

[القسم الأول]

أما القسم الأول: وهو الأشياء الخارجة عن ذاته.

مثل انشقاق القمر[٢] وطاعة الشجر في المشي إليه[٣] وتسليم الحجر عليه[٤] وحنين الجذع[٥] إليه، ونبوع الماء[٦] من بين أصابعه، وإشباع الخلق الكثير من الطعام[٧] القليل، وشكاية[٨] الناقة[٩] وشهادة الشاة المشوية[١٠] وإظلال السحاب

(١) من هنا إلى آخر الباب مقتبس من «الأربعين» للرازي انظر ص(٣٠٩-)، و«البرهان القاطع» للمصنف ص(١٩).

(٢) صحيح. أخرجه البخاري (٦/ ٦٣١) مع «الفتح»، ومسلم (٢١٥٨)، وأحمد (١/ ٣٧٧)، وانظر تفصيل هذا في كتاب «الشفاء» لعياض (١/ ١٨٣).

(٣) صحيح. الترمذي عن ابن عباس، وأحمد (٤/ ١٧٠). وابن ماجه (١٣٣٦)، والدارمي في «المقدمة» (١/ ١٠).

(٤) «صحيح مسلم» (١٨٧٢)، وأحمد (٥/ ٨٩)، والترمذي (٥٩٤).

(٥) «صحيح البخاري» مع «الفتح» (٦/ ٦٠١)، وأحمد (١/ ١٠٩)، والترمذي (٥٩٤).

(٦) صحيح، أخرجه البخاري (٦/ ٥٨٠) مع «الفتح»، ومسلم (٢٣٠٨).

(٧) صحيح، أخرجه البخاري (٦/ ٥٨٦) مع «الفتح»، ومسلم كتاب الإيمان (٥٦).

(٨) في (ب، ج): [شكاة].

(٩) صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ١٧٢)، وأبو داود (٣/ ٢٣)، والشفاء لعياض (١/ ٢٠٣).

(١٠) «صحيح البخاري» (٧/ ٤٩٧) مع «الفتح»، ومسلم (١٧٢١).

قبل[١] مبعثه. وما كان من حال أبي جهل وصخرته[٢] حين أراد أن يضرب بها على رأسه، وما كان من شاة أم[٣] معبد حين مسح يده المباركة على ضرعها. وأمثال ذلك، ولو ذكرت طرق ذلك وأسانيده لمنع عن المقصود بالاختصار وأخرج عنه إلى التآليف الكبار.

[القسم الثاني]

وأما القسم الثاني: وهي[٤] الأمور العائدة إلى ذاته.

فهو مثل ما كان من الخاتم[٥] بين كتفيه، والنور الذي كان ينتقل من أب إلى أب إلى أن خرج إلى الدنيا[٦] وما شوهد من خلقته وصورته التي يحكم علم الفراسة بأنها دالة على نبوته[٧].

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي في «المناقب» (٥٩٠).

(٢) انظر الشفاء (١/ ٢٣١).

(٣) انظر الشفاء(١/ ٢٢٠). وانظر: «الصحيح المسند من دلائل النبوة» للعلامة الوادعي فهو كتاب قيم.

(٤) في (ك): [وهو].

(٥) صحيح، أخرجه البخاري في «المناقب» (٦/ ٥١٦) مع «الفتح»، ومسلم (١٨٢٣).

(٦) انظر السيرة لابن هشام (١/ ١٦٥)، والشفاء (١/ ٦٣).

(٧) عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - المدينة انجفل الناس إليه وقيل، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء تكلم به أن قال: «يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام» صحيح أخرجه ابن ماجه (٤٢٣)، وانظر «الشفاء» (١/ ١٥٨).

[القسم الثالث]

وأما القسم الثالث: وهو ما يتعلق بصفاته.

فهي كثيرة، ونحن نشير إلى بعضها، فمن ذلك أن أحدًا ما سمع منه كذبًا لا في أمور الدين ولا في أمور الدنيا(١) ولو صدر عنه شيء من ذلك مرة واحدة لاجتهد أعداؤه في نشره وإظهاره.

الثاني: أنه ما فعل قبيحًا منفرًا عنه لا قبل النبوة ولا بعدها(٢).

الثالث: أنه لم يفر عن أحد من أعدائه لا قبل النبوة ولا بعدها وإن عظم الخوف واشتد الأمر مثل يوم أحد ويوم الأحزاب(٣).

الرابع: أنه كان عظيم الشفقة والرحمة على أمته، كما قال [الله](٤) تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر:٨] وقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [الكهف:٦](٥) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر:٨٨] وقال [تعالى](٦): ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

---

(١) يدل لذلك أنهم كانوا يقولون «الصادق الأمين» قبل البعثة، وبعدها قالوا: والله ما هو بكاهن ولا كذاب. وقصة هرقل عظيم الروم حين سأل أبا سفيان: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: لا. أخرجه البخاري (١/ ٣١) فتح، ومسلم (١٣٩٣).

(٢) انظر الشفاء (١/ ١٠٥).

(٣) انظر حديث البراء في البخاري (٦/ ٦٩) فتح، ومسلم (١٤٠٠)، وأحمد (٤/ ٢٨١).

(٤) زيادة من (ج).

(٥) ساقط من (ج، ك).

(٦) زيادة من (ب).

الخامس: أنه كان في أعظم الدرجات في الكرم والسخاء[١] حتى أن الله [تعالى][٢] علمه التوسط في ذلك حيث قال [له][٣]: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء:٢٩].

السادس: أنه ما كان للدنيا في قلبه وقع[٤].

السابع: أنه كان في غاية الفصاحة[٥].

الثامن: أنه بقي على طريقته المرضية من أول عمره إلى آخره، والمزور لا يمكنه ذلك، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦].

التاسع: أنه - عليه الصلاة[٦] والسلام - كان مع أهل الغنى والثروة في غاية البعد عن المطامع والترفع عنها، ومع الفقراء والمساكين في غاية القرب منهم والتواضع لهم واللطف بهم.

العاشر: أنه كان في كل واحدة من هذه الأخلاق الكريمة في الغاية القصوى من الكمال، ولا[٧] يتفق ذلك لأحد من الخلق غير أهل العصمة من الله تعالى، فكان اجتماع ذلك في صفاته من أعظم المعجزات.

***

---

(١) أخرجه الدارمي في مقدمة «السنن» (١/ ٣٤).

(٢) زيادة من (ج).

(٣) زيادة من (ب، ج).

(٤) انظر الشفاء (١/ ٥٥).

(٥) انظر الشفاء (١/ ٤٤).

(٦) في (ب، ج): [أنه عليه الصلاة والسلام].

(٧) في (ك): [ولم].

[المعجزات العقلية، وتقسيمها إلى أنواع]

وأما المعجزات العقلية فهي ستة أنواع:

النوع الأول: أنه ظهر بين(١) قبيلة ما كانوا من أهل العلم، ومن بلدة(٢) ما كان فيها أحد من العلماء في ذلك العصر، بل كانت الجهالة غالبة عليهم، ولم يتفق له سفر من تلك البلدة إلا مرتين، كلاهما إلى الشام، وكانت مدة سفر قليلة، ولم يذهب أحد من العلماء والحكماء إلى بلدته حتى يقال إنه تعلم العلم من ذلك الحكيم، فإذا خرج من مثل هذه البلدة ومثل هذه القبيلة رجل بارع الكمال، فائق على فحول الرجال، من غير أن يمارس شيئًا من العلوم، ولا يخالط أحدًا من العلماء البتة، ثم بلغ في معرفة [ذات(٣)] الله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه هذا المبلغ العظيم، الذي عجز عنه جميع الأذكياء من العقلاء، بل عجزوا عن القرب منه والمداناة له، بل أقر الكل بأنه لا يمكن أن يزاد في تقرير أصول الدلائل ومهمات المعارف على ما ورد في القرآن العظيم، ثم ذكر قصص الأولين وتواريخ المتقدمين، بحيث لم يتمكن أحد من الأعداء العارفين بذلك أن يخطئه في شيء منها، بل بلغ كلامه في البعد من الريب إلى أن قال بذلك أن يخطئه في شيء منها، بل بلغ كلامه في البعد من الريب إلى أن قال عند مجادلتهم له: ﴿تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١] فحادوا عن ذلك وعرفوا صدقه وإجابة دعوته، ولم يقدر أحد من أعدائه أن ينسب إليه أنه أخذ ذلك من مطالعة كتاب ولا صحبة أستاذ، وكانت هذه الأحوال ظاهرة معلومة عند الأصدقاء والأعداء،

---

(١) في (ك): [من].

(٢) في (ك): [بلدته].

(٣) ساقط من (ب).

والقرباء والبعداء، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٩] وقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨] وقال: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس:١٦] وكل من له عقل سليم وطبع مستقيم علم أن هذه الأحوال لا تيسر(١) إلا بالتعليم الإلهي والتوفيق الرباني.

[رسول الله كان قبل إظهار دعوى الرسالة غير باحث عن هذه الأمور ولا مشغول بها]

النوع الثاني: أنه - عليه السلام - كان قبل إظهاره دعوى الرسالة غير باحث عن هذه الأمور ولا مشغول بها ولا(٢) جرى على لسانه حديث النبوة لنفسه ودعوى الرسالة، والذي يدل على ذلك أنه لو اتفق له خوض في هذه المطالب لقال الكفار أنه أفنى عمره في ذلك وفي جمع القرآن، حتى قدر عليه(٣) بعد طول التأمل والتدبر وجاء به، ولما لم يذكر هذا عن أحد من الأعداء مع شدة حرصهم على الطعن فيه وفي نبوته علمنا جواز ذلك، ومعلوم أن من انقضى من عمره أربعون سنة ولم يخض في شيء من هذه المطالب، ثم إنه خاض فيها دفعة واحد وأتى بكلام عجز الأولون والآخرون عن معارضته، فصريح العقل يشهد بأن هذا لا يكون إلا على سبيل الوحي من الله تعالى.

---

(١) في (ب، ك): [لا تتيسر].

(٢) في (ب): [ولا].

(٣) في (ب): [على ذلك].

[بيان أن النبي ﷺ تحمل في أداء الرسالة أنواع المتاعب والمشاق]

النوع الثالث: أنه تحمل - عليه [الصلاة][1] والسلام - في أداء الرسالة أنواع المتاعب والمشاق، فلم يغيره ذلك عن المنهج الأول، ولم يطمع في مال أحد ولا في جاهه، بل صبر على تلك المشاق والمتاعب، ولم يظهر في عزمه فتور ولا في اصطباره قصور، ثم إنه لما قهر الأعداء وقويت شوكته ونفذت أوامره في الأموال والأرواح لم يتغير عن منهجه الأول في الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، وكل من أنصف علم أن المزور - وحاشاه [عليه السلام[2]] من ذكر ذلك - لا يكون كذلك، فان المزور إنما يروج الكذب والباطل على الحق لكي يتمكن من الدنيا ، فإذا وجدها لم يملك نفسه عن الانتفاع بها لكيلا يكون ساعيًا في تضييع مطلوبه، بل تضييع دنياه وآخرته، وذلك ما لا يفعله أحد من العقلاء.

[النبي ﷺ مستجاب الدعوة]

النوع الرابع: من معجزاته العقلية أنه كان مستجاب الدعوة[3] وذلك معلوم بالتواتر الضروري لمن عرف سيرته وأخباره وأحواله، بل لمن طالع كتب آياته وأعلامه، وذلك ثابت في الكتب الست بالأسانيد المعروفة، من حديث جابر بن عبد الله وأبي هريرة والسائب بن يزيد وأبي زيد ابن أخطب ويزيد بن أبي عبيد وابن مسعود وأنس والبراء بن عازب وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب، ج): [صلى الله عليه وآله وسلم].

(٣) انظر «الأربعين» للرازي ص(٣١٢)، و«الشفاء» (١/ ٢١٤).

[صفة النبي ﷺ في التوراة]

النوع الخامس: ورود البشارة به [صلى الله عليه وآله وسلم[١]] في التوراة والإنجيل، والدليل على ذلك أنه ادعى ذلك، كما ذكره الله تعالى[٢] في كتابه الكريم، ومعلوم أنه لو لم يكن صادقًا في ذلك لكان هذا من أعظم المنفرات لأهل الكتاب عنه، ولا يصح من العاقل أن يقدم على فعل ما يمنعه من مطلوبة ويحول بينه وبين ما يحاوله، ولا نزاع بين[٣] العقلاء أنه كان من أوفر الناس عقلًا وأحسنهم تدبيرًا وأرجحهم حلمًا[٤].

قال بعض العارفين: فآدم [عليه السلام[٥]] كانت أوامره بنصرته لأولاده لا تحصى، ونوح عهد إلى أتباعه باتباعه ووصى، والخليل كان أكثرهم اجتهادًا في ذلك وحرصًا، وبنوه تواصوا به، وإسماعيل أكثرهم فحصًا، وتوراة موسى نطقت بنعته وصفاته وأبانت عن معانيه وآياته، وأوضح برهان على ذلك ودليل ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:١٩٧] وزبور داود أفصح بصدق معجزاته وأعرب عن ظهور بيناته، وإنجيل عيسى شهد بأنه الخاتم الذي يشكر دينه ويحمد، وصرح به قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦] والأخبار ببعثه من الأحبار أكثر[٦] من أن ينكر ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا

---

(١) في (أ): [عليه السلام].
(٢) في (أ، ج، ك): [عليه السلام].
(٣) في (ب): [من].
(٤) في (ب، م): [علمًا].
(٥) ساقط من (ج).
(٦) في (ب، ج): [تذكر].

عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف:١٥٧] فاسمع أنباءهم ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦].

ومن صفته في التوراة على ما ثبت في صحيح البخاري: «**يا أيها النبي، إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء؛ بأن يقولوا: لا إله إلا الله. يفتح بها آذانًا صُمًّا وأعينًا عُميًا وقلوبًا غلفًا**»(١) ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران:٨١] كما روي في تفسيرها عن علي وابن عباس - رضي الله عنهما - أن الله ما بعث نبيًّا إلا وأخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه(٢).

[إخباره ﷺ عن الغيوب وصدقه في ذلك]

النوع السادس: إخباره عن الغيوب وصدقه في ذلك. وهذا باب واسع معلوم بالتواتر الضروري لأهل المعرفة بالأخبار، والتقصي فيه يخرجنا عما قصدناه من الاختصار، فليطالع في(٣) مظانه(٤) فإنما القصد الإشارة، وفي القرآن منه الكثير الطيب

---

(١) أخرجه الدارمي في «المقدمة» (١/ ٥). عن عبد الله بن سلام.

(٢) «تفسير الطبري» (٢/ ٣٣١) رقم(٧٣٣١)، و«تفسير ابن كثير» في نفس الآية، وكان المحقق جعل الأثر مقبولًا، وكذلك الشيخ أحمد شاكر في مختصر ابن كثير مشاه (١/ ٣٨٧).

(٣) في (ج، د): [مكانه].

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٦١٠) فتح.

كما ذكره المؤيد بالله -عليه السلام- وغيره مثل الجاحظ[١] والرازي[٢] والقاضي عياض[٣] وغيرهم، وفي دواوين الإسلام من ذلك عن علي - عليه السلام - وجابر بن سمرة وأبي هريرة وأبي ذر وجابر بن عبدالله وحذيفة وعمر بن الخطاب وأنس وعاصم ابن كليب وعائشة وأبي حميد الساعدي وثوبان وعدي بن حاتم[٤].

[ذكر أمثلة على ذلك]

ومما تواتر من ذلك حديث: «**تقتلك يا عمار الفئة الباغية**[٥]» كما ذكره[٦] الذهبي في ترجمة عمار من النبلاء[٧] واتفق البخاري ومسلم على صحته وتخريجه من حديث أبي سعيد الخدري[٨] ولفظ البخاري: «**ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**» ورواه مسلم من حديث أبي قتادة[٩] وأم سلمة، وكلها عند[١٠] أحمد بن حنبل في المسند[١١]

(١) انظر آثار الجاحظ، قدم له وأشرف عليه عمر أبو النصر، القسم الثاني عشر: حجج النبوة ص(٢٦٢).
(٢) انظر كتاب «الأربعين» للرازي ص(٣١٣).
(٣) انظر كتاب «الشفاء» (١/ ١٥٧).
(٤) انظر أحاديثهم في «جامع الأصول» لابن الأثير (١١/ ٣١١).
(٥) صحيح، وقد ذكر بألفاظ عدة في الصحيحين وغيرهما.
(٦) في (ج، ك): [ذكر].
(٧) «النبلاء» (١/ ٢٩٩).
(٨) «صحيح البخاري» (١/ ٥٤١) «صحيح مسلم» (٢٢٣٥).
(٩) صحيح في مسلم (٢٢٣٦).
(١٠) في (ب): [عن] وهو خطأ.
(١١) «المسند» من حديث ابن عمرو (٢/ ١٦١)، وعن أبي سعيد (٣/ ٥)، وعن أم سلمة (٦/ ٣٠٠)، وعن خزيمة (٥/ ٢١٥)، وعن عمرو بن العاص (٤/ ١٩٧).

ورواه الترمذي من حديث خزيمة بن ثابت[١] والطبراني من حديث عمر ابن الخطاب[٢] وعثمان بن عفان وعمار وحذيفة وأبي أيوب وزياد وعمرو بن حزم ومعاوية وعبد الله بن عمرو وأبي رافع[٣] ومولاة لعمار[٤] وغيرهم.

وقال ابن عبد البر: تواترت الإخبار بذلك، وهو من أصح الحديث[٥]. وقال ابن دحية: لا مطعن في صحته، ولو كان فيه مطعن لرده معاوية وأنكره[٦]. وكذلك قال المؤيد[٧] بالله في كتابه في النبوات. وعن أحمد ابن حنبل أنه روي من ثمانية وعشرين طريقًا. وإنما ذكرت طرفًا من أسانيده على طريق الإجمال لوقوعه على ما أخبر [به[٨]] في عصر الصحابة - رضي الله عنهم- ولولا خشية الإطالة لذكرت الأسانيد في كل حديث.

***

(١) «سنن الترمذي» (٥/ ٦٦٩)، ولعله عن أبي هريرة عن خزيمة عند أحمد. وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» عن جماعة من الصحابة (١/ ٥٤٣).

(٢) انظر «معجم الطبراني» (١/ ٢٣٠٠).

(٣) نفس المصدر.

(٤) في (ب، م): [لعماره].

(٥) «الاستيعاب» (٣/ ١١٤٠).

(٦) «مسند أحمد» (٢/ ٢٠٦) قال المحقق أحمد مصطفى: فمعاوية لم يرد الحديث ولكنه حمله على محمل آخر. وقد رد عليه الناشر بأن هذا عذر متهافت... والناشر هو الدار اليمنية الرافضية صنعاء فاحذر.

(٧) في (ب): [الإمام].

(٨) ساقط من (ج، ك).

[حديث هرقل]

ولنختم هذا النوع بهذا الحديث الجليل والعلم الكبير[٩] من أعلام[١٠] نبوة سيدنا محمد، ونذكر هنا حديث هرقل، وهو قيصر ملك الروم حين جاءه كتاب رسول الله فجمع من بأرضه من العرب، وكان فيهم أبو سفيان، فسأله عن حسب رسول الله وصدقه قبل دعوى النبوة، وعن أتباعه وثبوتهم على دينه، وعن حربه كيف هو، وعن وفائه، وبما يأمر. الحديث بطوله خرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس[١١].

***

(٩) في (ج، ك): [الكثير].

(١٠) في (ب، م): [النبوة نبوة].

(١١) أخرجه البخاري (١/ ٣١) فتح رقم(٧). «صحيح مسلم» (١٣٩٧).

الباب الخامس
في الاحتراز من بدع أهل الإسلام

وهو قسمان: مقدمات عامة جملية، ومسائل مهمة[١] تفصيلية

القسم الأول: المقدمات

والآن قد[٢] تخلصنا من جميع[٣] الشكوك التي بين أهل الملل الخارجة عن الإسلام بأبين طريق، وتحققنا بالاضطرار أنه لا يمكن أن يوجد في العالم أقوم منهجًا من منهج الإسلام المشتمل على التوحيد والإيمان بجميع رسل الله وكتبه، ولا أحوط[٤] ولا أنزه ولا أبعد من كل مكروه في الأعمال والأقوال والأخلاق والعقائد، وأن من فر من الإسلام كراهية لأمر وقع في أعظم مما فر منه من المحارات والمحالات والضلالات والشناعات، فيجب علينا شكر النعمة بحسن التخلص، والاحتياط والإنصاف فيما وقع بين أهل الإسلام من الاختلاف لوجهين:

[وجوب النصيحة للمسلمين]

أحدهما: وجوب النصيحة للمسلمين والتقرب بذلك إلى أرحم الراحمين،

---

(١) في (ج، م): [مبهمة].

(٢) في (ب، م): [وقد].

(٣) في (ب، ج، ك): [جملة].

(٤) ساقط من (ب، د). في (ب، ك): [كتب الله ورسله].

فقد ثبت في الحديث الصحيح أن «**الدين النصيحة**» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قـال: «**لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين ولعامتهم**»(١) وهذا(٢) كله(٣) إجماع من المسلمين.

[الاحتراز من الهلاك بعد طول السلامة]

وثانيهما: الاحتراز من الهلاك بعد طول السلامة مما تقدم من ضلالات أهل الملل الكفرية، والحذر من أن يكون ممن ذمهم الله تعالى بقوله: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ [يونس:٩٣] فلا أشقى(٤) ممن فاته رضا ربه والنجاة من عذابه بعد أن لم يبق بينه وبينه إلا اليسير. فنسأل الله تمام هدايته؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله ولا هداية إلا به، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

[المراد بالمبتدعة وأهل السنة]

واعلم أني قد أذكر المبتدعة وأهل السنة كثيرًا في كلامي، فأما المبتدعة فإنما أعني بهم أهل البدع الكبرى الغلاة ممن كانوا. فأما البدع(٥) الصغرى فلا يسلم

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم (١/ ٧٥) رقم(٥٥)، وأحمد (١/ ٣٥١). والترمذي (٤/ ٣٢٤)، وأبو داود (٤/ ١٥٦)، ولفظه: (إن الدين...).

(٢) في (ب، ج): [وهذه].

(٣) في (ب، د): [كلمة].

(٤) في (ب، م): [أشفى].

(٥) في (ج): [أهل البدع].

منها[١] طائفة غالبًا. وأما أهل السنة فقد أريد بهم[٢] أهلها على الحقيقة، وقد أريد بهم من تسمى بها وانتسب إليها، فتأمل مواقع ذلك.

[أول ما ينبه طالب الحق والنجاة عليه]

فأول ما ينبه طالب الحق والنجاة عليه أن يعلم أنه لا يصح أن يخفى على أهل الإسلام دين رسولهم الذي بعث إليهم وأقام بين أظهرهم يبينه لهم حتى تواترت شرائعه[٣] وصفاته، مع قرب العهد من ابتداء الافتراق واتصال الأخبار وكثرة العلماء والرواة، بل قد تواتر إليهم ولم يخف عليهم ما لا تعلق له بالدين من صورته، فإنهم يعلمون ضرورة أنه لم يكن أعور ولا أعرج ولا أسود ولا فاحشًا ولا مماريًا ولا فيلسوفًا ولا شاعرًا ولا ساحرًا ولا منجمًا.

***

(١) في (ج): [منهم].

(٢) في (ج): [أريدهم].

(٣) في (ج) زيادة: [لهم].

فإن قيل: فمن أين جاء الاختلاف الشديد؟

[منشأ البدع]

فاعلم أن منشأ معظم البدع يرجع إلى أمرين واضح بطلانهما، فتأمل ذلك بإنصاف وشد عليه يديك، وهذان الأمران الباطلان هما: الزيادة في الدين بإثبات ما لم يذكره الله تعالى ورسله [عليهم السلام[1]] من مهمات الدين الواجبة، والنقص منه بنفي بعض ما ذكره الله تعالى ورسله من ذلك بالتأويل الباطل.

[أصول الزيادة والنقص]

ولهذين الأمرين الباطلين أصلان؛ عقلي وسمعي.

أما الأصل الأول وهو العقلي، فذلك أنه عرض للمبتدعة بسبب الخوض فيما لا تدركه العقول من الخفيات التي أعرض عنها السلف نحو مما عرض للبراهمة[2] الذين حكموا برد النبوات من إيجاب أمور سكت الشرع عن بعضها ونهى عن بعضها، واستقباح أمور ورد الشرع بتحسينها، لكنهم خالفوا البراهمة في أنهم صدقوا الشرع في الجملة وصدقوا هذه القوادح في تفاصيل الشرع، وراموا الجمع بينهما فوقعوا لذلك في أشياء واهية كما تراه واضحًا - إن شاء الله تعالى -[3] في هذا المختصر، ولزمهم ما التزموا من أن رسل الله - عليهم

---

(١) ساقط من (ب، ك).

(٢) تقدم التعريف بهم.

(٣) زيادة من (ب، ج).

السلام- قصروا في البيان عمدًا امتحانًا للمكلفين وتعريضًا للعلماء الراسخين للثواب العظيم في تأويل كلام[١] رب العالمين.

ولا شك أن الحق في خلاف هذا، فقد نص الله [تعالى[٢]] على أن الرسل إنما أرسلت ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء:١٦٥] وأنزل علينا في كتابه المبين على لسان رسوله الأمين ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة:٣].

وصح التحذير من البدع[٣].

ومَنَّ الله علينا بإقرار أهل البدعة[٤] بذلك وانعقاد الإجماع من الجميع على تحريم الابتداع في الدين كما يأتي بيانه، فوجب [علينا[٥]] أن نصنع في القوادح في تفاصيل الإسلام التي عرضت لبعض أهل الكلام مثلما صنعنا معًا في الرد على البراهمة[٦] في القوادح التي قدحت في جملة الإسلام.

وذلك أن نعتقد أن الحق في تلك القوادح التفصيلية هو فيما[٧] جاء من عند الله بدليل المعجزات الباهرة، ونعلم أن للبصائر أوهامًا في الخفيات من الأحكام مثلما ثبت للأبصار[٨]

(١) في (ب، ج، د): [التأويل لكلام].
(٢) ساقط من (ب، د).
(٣) حديث: «إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة» أخرجه أحمد (٣/ ٣١٠)، ومسلم (٢/ ٥٩٢) عن جابر رضي الله عنه.
(٤) في (ب، ج، د): [البدع].
(٥) زيادة من (ب).
(٦) سبق الرد عليهم. وهم من أهل الضلال، بل من شرهم.
(٧) في (ج، د): [هو ما].
(٨) مصحح من نسخة المصنف.

في الخفيات من الأوهام، فلا نتبع في الخفيات وهم البصائر ولا وهم الأبصار، فنكون[١] كمن قدم ضوء النجوم على ضوء النهار، بل نتبع[٢] الجلي[٣] من المعقول[٤] والمنقول ونرد[٥] إليه الخفيات على العقول، وننتفع بالجلي، ونقف فيما دق[٦] وخفي ونصنع في الانتفاع[٧] بالبصائر مثلما[٨] صنعنا في الانتفاع بالأبصار، ولا نقف[٩] الجلي على الخفي، ولا نرجح[١٠] الخفي على الجلي. فهذا ما لا يخفى ترجيحه عقلًا ولا سمعًا.

أما العقل فلأن الإنسان بجس[١١] ما يحسنه وما لا يحسنه، وما يعرفه وما يجهله، كما يحسن الجوع والظمأ والبصر والعمى.

وأما السمع فلقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦] وإذا أردت معرفة هذا من غير تقليد[١٢] فطالع كتاب الملخص للرازي في علم اللطيف وكتاب التذكرة لابن متويه، ولا تقتصر على التذكرة فإنها مختصرة، مع أن كتاب الرازي معدود في الوسائط في هذا الفن لا في البسائط. ومن البسائط فيه شرح

---

(١) في (ج، ك): [فيكون].
(٢) في (ج): [تتبع].
(٣) مكررة في (ج، د).
(٤) في (ج، د) خطأ.
(٥) في (ج، ك): [ويراد].
(٦) في (ج، د): [عما].
(٧) في (ج، د): [بالانتفاخ].
(٨) في (ب): [كما].
(٩) في (ك): [يقف].
(١٠) في (ج، ك): [يرجع].
(١١) في (ب، د): [يحسن].
(١٢) في (ج): [تغليبه].

الملخص هذا للكاتبي[1] وشرح الإشارات والتنبيهات للخواجه[2]. ذكر ذلك ابن ساعد الأنصاري[3] في كتابه إرشاد القاصد إلى [أسنى[4]] المقاصد في ذكر أنواع العلوم والمصنفات فيها.

وأما الأصل الثاني وهو السمعي، فهو اختلافهم في أمرين:

أحدهما: في معرفة المحكم والمتشابه[5] أنفسهما والتمييز بينهما، حتى يرد المتشابه إلى المحكم[6].

وثانيهما: اختلافهم؛ هل يعلمون تأويل المتشابه؟ ثم اختلافهم في تأويله، على تسليم أنهم قد عرفوا المتشابه.

ولنذكر سبب وقوع المتشابه على العقول من حيث الحكمة والدقة في كتب الله [تعالى[7]]

---

(١) في (ج) خطأ. وهو: علي بن عمر الكاتبي القزويني الشيعي المعروف بدبيران (مات ٦٧٥هـ)، له مؤلفات.

(٢) محمد بن محمد الطُّوسي نصير الدين الفيلسوف الشيعي شرح الملخص للرازي، وهو تلميذ نصير الطُّوسي. «هداية العارفين» (١/ ٧١٣) من قم، ولد بطوس (ت ٦٧٢هـ) من مؤلفاته: «تلخيص المحصول» للرازي، وحل مشكلات الإشارة لابن سينا، وقال ابن القيم: نصير المشركين هو المدعو خواجا محمد نصير الطُّوسي وزير هولاكو التتر. «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٤٢)، و«مفتاح السعادة» و«مصباح السيادة» (١/ ٣١٨).

(٣) «إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد» لمحمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري الأكفاني انظر: ص(٣٤، ٣٥).

(٤) خطأ في (د).

(٥) خطأ في (ج).

(٦) حاشية: لا يضر فإنه أراد به الأصل الأول العقلي، فذكره هنا هو التسبب وقع للبراهمة من أتباعها في أمور ورود الشرع بتجنبها إلى آخرها فالسلف يذكرون في هذا بسبب ما استنكروه. فتدبر. كاتبه.

(٧) زيادة من (ب).

أولًا. والمشهور أن سببه الابتلاء بالزيادة في مشقة التكليف لتعظيم الثواب[(١)]، وهذا أنسب بالمتشابه من جهة[(٢)] اللفظ.

[وأما[(٣)] الأول] فوقع لي أن سببه زيادة علم الله على علم الخلق، فإن العوائد التجريبية والأدلة السمعية دلت على امتناع الاتفاق في تفاصيل الحكم وتفاصيل التحسين والتقبيح، ولذلك وقع الاختلاف بين أهل العصمة من الملائكة والأنبياء كما قال تعالى حاكيًا عن رسول الله ﷺ: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص:٦٩] وحكى الله تعالى اختلاف سليمان وداود، وموسى وهارون، وموسى والخضر، وصح في الحديث اختلاف (موسى[(٤)] وآدم) (واختلاف الملائكة في حكم قاتل المائة نفس)[(٥)] إلى أمثال لذلك، قد أفردتها لبيان امتناع

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٤/ ١١).

(٢) في (ب): [حيث].

(٣) في (ب، ك): [أنا] وهو خطأ، ولم يتنبه له المحقق وفقه الله.

(٤) عن أبي هريرة قال عليه الصلاة والسلام: «احتج آدم وموسى فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة! فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ثم تلوموني على أمر قدر علي قبل أن أخلق!» فقال صلى الله عليه وسلم: «فحج آدم موسى» مرتين. أخرجه البخاري (٤/ ١٣١)، ومسلم (٢٠٤٢).

(٥) عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمل المائة، فدُلَّ على عالم، فأتاه فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم. فأُمر أن يخرج من الأرض التي هو فيها، فحين خرج مات في نصف الطريق بين البلدين، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط! فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسوا، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فكان إلى القريبة الصالح أقرب بشبر، فجعل من أهلها» أخرجه أحمد (٣/ ٧٣)، ومسلم (٢١١٨).

الاتفاق في نحو ذلك، وأن علة الاختلاف التفاضل في العلم، فوجب من ذلك أن يكون في أحكام الله تعالى وحكمه ما تستقبحه[١] عقول البشر؛ لأن الله تعالى لو ماثلنا في جميع الأحكام والحكم دل على مماثلتنا[٢] له في العلم المتعلق بذلك وفي مواده[٣] ولطائفة وأصوله وفروعه، ولذلك تجد الأمثال والنظراء في العلوم أقل اختلافًا خصوصًا من المقلدين. وإنما عظم الاختلاف بين الخضر وموسى لما خص به الخضر [عليهما السلام][٤].

[فائدة ورود المتشابه أدل على الله]

وهذه فائدة نفيسة جدًّا، وبها يكون ورود المتشابه أدل على الله تعالى[٥] وعلى صدق أنبيائه؛ لأن الكذابين إنما يأتون بما يوافق الطباع كما هو دين القرامطة[٦] والزنادقة[٧] وقد أشار السمع إلى ذلك بقوله تعالى[٨]: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ

(١) في (ك): [ما يسقبحه].

(٢) في (ب، ج): [مماثلته لنا].

(٣) في (ج، ك): [مولده].

(٤) زيادة من (ب، م).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) هم فرقة من الباطنية نسبوا إلى حمدان بن قرمط، يعتقدون النبوة في كل من يقودهم، وقد اعتقدوا في زرادشت ومزدك وماني، وقد أباحوا جميع المحرمات. انظر «عقد الجمان» للعيني حوادث سنة (٢٧٨)، و«تفسير القرطبي» (٤/ ١٤).

(٧) للزندقة معان كثيرة، وهي تدل على كل إنكار لأصل من أصول العقيدة، أو على كل رأي يؤدي إلى ذلك، أو على كل بدعة في تفسير النصوص الشرعية أو في فهم العقيدة بحسب الهوى. أحمد مصطفى.

(٨) ساقط من (ج، د).

لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [المؤمنون:٧١] وقال في رسوله[١] صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [الحجرات:٧].

وكيف يستنكر اختلاف الإنسان الظلوم الجهول، وعلام الغيوب الذي جمع معارف العارفين في علمه مثل ما أخذه العصفور في منقاره[٢] من البحر الأعظم[٣]! بل كيف لا يختص هذا الرب العظيم[٤] بمعرفة ما لا نعرفه من الحكم اللطيفة التي تستلزم[٥] تفرده بمعرفتها أن يتفرد بمعرفة حسن ما تعلقت به وتأويله! وبهذا ينشرح صدر العارف للإيمان بالمتشابه والإيمان بالغيب في تأويله. فلنذكر (بعد هذا)[٦] كل واحد من الأمرين المقدم[٧][٨] ذكرهما على الإيجاز.

***

(١) في (ب، ج): [رسول الله].

(٢) في (ج، د): [بمنقاره].

(٣) الحديث الذي يشير إلى ذلك تقدم.

(٤) في (ب، م): [الأعظم].

(٥) في (ب، ج): [يستلزم].

(٦) ما بين قوسين ساقط من (ج).

(٧) خطأ في طبعة أحمد مصطفى [بدل المقدم، الندم] ولم يتنبه له الناشر.

(٨) من المحكم والمتشابه من نسخة المصنف. لعلها تفسيرية لما تقدم.

حاشية بخط سيدي صلاح بن أحمد رحمه الله: على هذه الحاشية ما لفظه: يظهر لي أن هذه الحاشية غلط - أعني جهة (المحكم والمتشابه) - والصواب والله أعلم أن المراد بالأمرين ماهية المحكم والمتشابه، وهل يعلمون تأويله إلى آخر ذلك التفسير. انتهى.

والصواب أن الأمرين هما اختلافهما هل يعلمون تأويل المتشابه وهو صريح كلام المصنف رضي الله عنه. وهذا هو الأمر الثاني فيما ظهر لي، والله أعلم ما يقتضيه «السياق» من خط سيدي صلاح بن أحمد.

أما الأمر الأول: وهو اختلافهم في ماهيتهما.

[معرفة المحكم]

فمنهم من قال: المحكم ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا، والمتشابه ما احتمل أكثر من معنى.

فهؤلاء رجعوا بالمحكم إلى النص الجلي وما عداه متشابه.

وعزاه الإمام يحيى إلى أكثر المتكلمين وطوائف من الحشوية[1].

ومنهم من قال: المحكم ما كان إلى معرفته سبيل، والمتشابه ما لا سبيل إلى معرفته بحال. نحو قيام الساعة والحكمة في العدد المخصوص في حملة العرش وخزنة النار.

***

(١) الحشوية: فرقة تمسكوا بظواهر القرآن، ووقعوا في التجسيم، وهم منسوبون إلى الحشوية، أي: رذال الناس. انظر: «دائرة المعارف الإسلامية» (٣/ ٤٤٧)، و«الملل والنحل» (١/ ١٠٥).

[معرفة المتشابه]

ومنهم من قصر المتشابه على آيات مخصوصة.

ثم اختلفوا فمنهم من قال: هي الحروف المقطعة في أوائل السور.

ومنهم من قال: آيات الشقاوة والسعادة.

ومنهم من قال: المنسوخ.

ومنهم من قال: القصص والأمثال.

ومنهم عكس فقال: المحكم آيات مخصوصة، وهي آيات الحرام والحلال[١] وما عداها متشابه.

إلى غير ذلك، حكى الجميع الإمام يحيي في الحاوي[٢] واختار أن المحكم: ما علم المراد بظاهره بدليل عقلي أو نقلي، والمتشابه ما لا[٣] يعلم المراد منه، لا على قرب ولا على بعد. مثل قيام الساعة والأعداد المبهمة.

***

(١) في (ك) تقديم وتأخير [الحرام والحلال].

(٢) السيد يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن محمد العلوي اليمني الملقب بالمؤيد الزيدي. ولد بصنعاء (٦٦٩) توفي بحصن هران بذمار سنة (٧٤٩) من كتبه «الاختيارات الزيدية»، و«الحاوي في الفقه»، و«التوحيد والعدل»، و«المعيار». «هداية العارفين» (٢/ ٥٢٦).

(٣) في (ب، ج): [ما لم].

[كلام بديع لشيخ الإسلام في المحكم والمتشابه]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في القاعدة الخامسة من جواب المسألة(١) التدمرية:(٢) إنا نعلم ما أخبرنا الله تعالى(٣) به من وجهٍ دون وجهٍ لقوله [تعالى](٤): ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ﴾ [النساء:٨٢] وهذا يعم المحكم والمتشابه. وجمهور الأمة على أن الوقف عند قوله [تعالى](٥): ﴿إلا الله﴾ وهو المأثور عن أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وغيرهم. وعن مجاهد وطائفة أن الراسخين يعلمون تأويله. ولا منافاة بين القولين عند التحقيق. والتأويل(٦) على ثلاثة وجوه:

[التأويل على ثلاثة وجوه]

الأول: كلام الأصوليين. وهو ترجيح المرجوح لدليل.

الثاني: أن التأويل هو التفسير. وهو اصطلاح المفسرين، كما أن الأول اصطلاح الأصوليين، ومجاهد إمام التفسير عند الثوري والشافعي والبخاري وغيرهم.

---

(١) في نسخة [التدبيرية]، وفي (ج، د): [التدرية] وهو خطأ.

(٢) الرسالة التدمرية في العقيدة كتاب عظيم لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي ابن تيمية -رحمه الله رحمةً واسعة- مات سنة (٧٢٨هـ)، انظر التدمرية (٣٤-٤٨)(ولنا فيه إجازة من شيخنا العلامة عبد الله بن عبد العزيز الخضير حفظه الله تعالى).

(٣) زيادة من (ب، د).

(٤) ساقط من (د).

(٥) زيادة من (ب، د).

(٦) في (ج): [فالتأويل].

والثالث: أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام لقوله [تعالى][(١)]: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣].

فتأويل أخبار المعاد وقوعها يوم القيامة، كما قال في قصة يوسف لما سجد أبواه وأخوته: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:١٠٠] ومنه قول عائشة رضي الله عنها:[(٢)] كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**» يتأول القرآن[(٣)]. تعني[(٤)] قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر:٣][(٥)].

---

(١) ساقط من (ج، ك).

(٢) ساقط من (ج، ك).

(٣) «صحيح البخاري» في كتاب الأذان (١/ ١٩٢-)، ومسلم (١/ ٣٥٠)، وأحمد (٦/ ٤٣).

(٤) في (ج): [معنى] حاشية: أي أتباعه - صلى الله عليه وآله وسلم - المأمور به في التسبيح والاستغفار.

(٥) حاشية: وقال ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه «درء تعارض العقل والنقل»: وقد ذكرنا في غير موضع أن لفظ التأويل في القرآن يراد به ما يؤول الأمر إليه، وإن كان موافقًا لمدلول اللفظ ومفهومه. ويراد به تفسير الكلام وبيان معناه، وإن كان موافقًا له. وهو اصطلاح المفسرين المتقدمين، كمجاهد وغيره. ويراد صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك. وتخصيص لفظ التأويل بهذا المعنى إنما يوجد في كلام بعض المتأخرين، فأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين، كالأئمة الأربعة وغيرهم، فلا يخصون لفظ التأويل بهذا المعنى، بل يريدون بالتأويل المعنى الأول أو الثاني، ولهذا لما ظن طائفة من المتأخرين أن لفظ التأويل في القرآن والحديث في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] أريد به هذا المعنى الاصطلاحي الخاص، واعتقدوا أن الوقف في الآية عند قوله (إلا الله) لزم من ذلك أن يعتقدوا أن لهذه الآيات والأحاديث معاني تخالف مدلولها المفهوم منها، وأن ذلك المعنى المراد بها لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه الملك الذي نزل به (وهو جبريل عليه السلام) ولا يعلمه محمد ولا غيره من الأنبياء، ولا يعلمه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأن محمدًا - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يقرأ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وغير ذلك من آيات الصفات، بل يقول: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا...» ونحو ذلك، وهو لا يعرف معاني هذه=

ومنه قول ابن عيينة[(١)]: السنة هي تأويل الأمر والنهي. فإن نفس الفعل المأمور به هو تأويل الأمر به، ونفس الموجود المخبر به هو تأويل الخبر. وبهذا يقول أبو عبيد[(٢)] وغيره.

والفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة[(٣)] كما ذكروا ذلك في تفسير اشتمال الصماء[(٤)] لأن الفقهاء يعلمون نفس ما أمر به ونهى عنه لعلمهم بمقاصد الرسول [صلى الله عليه وآله وسلم][(٥)] كما يعلم أتباع بقراط[(٦)] وسيبويه[(٧)] من مقاصدهما، ما لا يعلم بمجرد اللغة.

=الأقوال، بل معانيها التي دلت عليها لا يعلمها إلا الله، ويظنون أن هذه طريقة السلف. وهؤلاء أهل التضليل والتجهيل الذين حقيقة قولهم أن الأنبياء وأتباعهم جاهلون ضالون، لا يعرفون ما وصف الله به نفسه. انتهى.

(١) هو: سفيان بن عيينة بن ميمون، شيخ الإسلام الحافظ، ولد (١٠٧هـ) له أكثر من سبعة ألف حديث، مات سنة (١٧٨هـ) رحمه الله رحمة واسعة، وكان مجاهدًا في الدفاع عن السنة ونشرها. «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٦٢).

(٢) في (ب، م): [أبو عُبَيْدة] وهو خطأ. وهو: أبو عبيد القاسم بن سلام. وقد أخطأ أحمد مصطفى فذكر أبا عبيد آخر.

(٣) أي: بهذا القسم منه.

(٤) عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - نهى عن لبستين: اشتمال الصماء، وأن يحتبي الرجل يثوب ليس بين فرجه وبين السماء شيء. أخرجه البخاري (٣٦٧). ومعناه: أن يشتمل يثبوب واحد ليس عليه غيره، ثم يرفعه من أحد جانبيه ويضعه على منكبيه فيبدو منه فرجه.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) قال الشهرستاني: بقراط واضع الطب الذي قال بفضله الأوائل والأواخر، وكان أكثر حكمته في الطب وشهرته به، من حكمه: استهينوا بالموت فإن مراراته في خوف. «الملل والنحل» (٢/ ١٠٢).

(٧) سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو بشر إمام في النحو، ولد في شيراز، وقدم البصرة، ولزم الخليل بن أحمد، وصنف كتابه، وعاد إلى الأهواز وتوفي بها شابًّا رحمه الله. وسيبويه بالفارسية: رائحة التفاح.

ولكن تأويل الأمر والنهي لابد من معرفته بخلاف الخبر.

إذ عرفت ذلك فتأويل ما أخبر الله به[١] عن ذاته المقدسة بما لها من الأسماء والصفات هو حقيقة ذاته المقدسة، وتأويل ما أخبر الله به[٢] من الوعد والوعيد هو نفس الثواب والعقاب، وليس شيء منه مثل المسميات بأسمائه في الدنيا، فكيف بمعاني أسماء الله [تعالى][٣] وصفاته!

لكن[٤] الإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم تعبر عنه بالأسماء[٥] المعلوم معانيها في الشاهد، ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد، مع الفارق المميز[٦] وفي الغائب «**ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» كما ورد في صفة الجنة[٧] كيف بالذات المقدسة... إلى قوله[٨]:

ومما يوضح ذلك كله أن الله تعالى وصف القرآن كله بأنه محكم، وبأنه متشابه، وفي آية أن بعضه محكم وبعضه متشابه، فالإحكام الذي يعمه هو الإتقان، وهو تمييز الصدق من الكذب في أخباره، والغي من الرشاد في أوامره. والتشابه الذي يعمه هو ضد الاختلاف المنفى عنه في قوله تعالى[٩]: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ

---

(١) في (ب): [به الله].

(٢) في (ج): [به الله].

(٣) زيادة من (ب).

(٤) في (ب): [ولكن].

(٥) في (ك): [يغير عنه بالأسماء].

(٦) في (ج): [والمميز].

(٧) حديث صحيح أخرجه مسلم، وأحمد عن سهل بن سعد، وأبي هريرة، والبزار، والطيالسي عن أبي سعيد، وانظر: «صحيح الترغيب» (٤/ ٢٢٧) بلفظ: «في الجنة ما لا عين رأت...».

(٨) حاشية: أي: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٩) زيادة من (ب).

عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢] وهو الاختلاف المذكور في قوله[١]: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات:٨-٩] فالتشابه هنا تماثل الكلام وتناسبه، بحيث يصدق بعضه بعضًا[٢].

فالإحكام العام في معنى التشابه العام بخلاف الإحكام الخاص والتشابه الخاص، فإنهما متنافيان؛ فالتشابه الخاص مشابهة الشيء لغيره من وجه، ومخالفته من وجه آخر، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله، وليس كذلك. والإحكام الخاص هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر. يعني على من عرف ذلك الفصل.

وهذا التشابه الخاص إنما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما، ثم من الناس من لا يهتدي إلى ذلك الفاصل فيكون مشتبهًا عليه ومنهم من يهتدي له فيكون محكمًا في حقه.

فالتشابه حينئذ يكون من الأمور الإضافية، فإذا تمسك النصراني بقوله [الله] تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩][٣] ونحوه على[٤] تعدد الآلهة، كان المحكم كقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة:١٦٣] ونحو ذلك مما لا يحتمل إلا معنًى واحدًا يزيل ما هناك[٥] من الاشتباه. انتهى.

---

(١) ساقط من (ب). و[تعالى] ساقطة من جميع النسخ غير الأصل.

(٢) حاشية: أي: تشبه بعضه بعضًا في عدم اختلافه، بل بعضه يصدق البعض الآخر بإحكام العام لجميعه في معنى التشابه العام في الإتقان المذكور.

(٣) ساقط من (ب، ج).

(٤) في (ج): [من].

(٥) في (ب، ج): [هنالك].

[استدراك من المصنف على شيخ الإسلام]

وقد ترك الإمام والشيخ وجهًا آخر من المتشابه الذي[1] يحتاج إلى التأويل مما لا يعلمه إلا الله على الصحيح، وذلك وجه الحكمة[2] المعينة فيما لا تعرف العقول وجه حسنه، مثل خلق أهل النار وترجيح عذابهم على العفو عنهم، مع سبق العلم وسعة الرحمة وكمال القدرة على كل شيء. والدليل على أن الحكمة الخفية[3] فيه تسمى تأويلًا له ما ذكره الله تعالى في قصة[4] موسى والخضر، فإن قوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٨] صريح في ذلك، وهذا مراد في الآية؛ لأن الله [تعالى][5] وصف الذين في قلوبهم زيغ بابتغائهم تأويله وذمهم بذلك، وهم لا يبتغون علم [العاقبة][6] عاقبة الخبر عن الوعد والوعيد وما يؤول إليه، على ما فسره الشيخ، فهم لا يبتغون الجنة والنار والقيامة وذات الرب [سبحانه][7] كما يبتغيها[8] طالب العيان، إنما يستقبحون شيئًا من الظواهر بعقولهم، فيتكلفون لها معاني كثيرة يختلفون فيها، وكل منهم ينفرد[9] بمعنًى من غير حجة صحيحة إلا مجرد[10] الاحتمال، وربما خالف ذلك التأويل المعلوم من الشرع فتأولوه، وربما استلزم الوقوع في أعظم مما فروا منه.

(١) في (ب): [الذين] وهو خطأ.
(٢) في (ب، د) خطأ.
(٣) في (ب، ج): [خفية].
(٤) في (ج، د): [قضية].
(٥) ساقط من (ب، ك).
(٦) ساقط من (ك).
(٧) ساقط من (ج، ك).
(٨) في (ب، ج): [يبغيها].
(٩) في (ب، ج): [تنفرد].
(١٠) في (ج): [بمجرد].

والذي وضح لي [في هذا][(١)] وضوحًا لا ريب فيه بحسن توفيق الله أمور.

[عدم جواز الكلام في ذات الله تعالى على جهة التصور والتفصيل]

أحدها: أن الكلام في ذات الله تعالى على جهة التصور والتفصيل أو على جهة الإحاطة على حد علم الله كلاهما [باطل[(٢)] بل] من المتشابه الممنوع الذي لا يعلمه إلا الله تعالى؛ لقوله تعالى[(٣)]: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠] ولقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] وإنما يتصور[(٤)] المخلوقات وما [هو][(٥)] نحوها، ولما روي من النهي عن التفكر في ذات الله والأمر بالتفكر في آلاء الله[(٦)]. ولما اشتهر عن أمير المؤمنين – عليه السلام– أن ذلك مذهبه حتى رواه عنه الخصوم، ومن أشهر ما حفظ عنه –عليه السلام– في ذلك قوله: في امتناع معرفة الله –عز وجل– على العقول امتنع منها بها وإليها حاكمها[(٧)]. ومن التفكر في الله والتحكم فيه والدعوى الباطلة على العقول والتكلف لتعريفها ما لا تعرفه حدثت هنا البدع المتعلقة بذات الله وصفاته وأسمائه، فمن أكبرها قول البهاشمة[(٨)] من

(١) ساقط من (ج، ك).

(٢) ساقط من (ج، ك).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) في (ب): [تتصور].

(٥) ساقط من (ج، د).

(٦) حديث صحيح: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله» أو «في الله» أخرجه أبو نعيم في «الحلية» عن ابن عباس. وهو في «صحيح الجامع» للعلامة الألباني رحمه الله.

(٧) «نهج البلاغة» لابن أبي حديد (١/ ٢١٦) الكتاب المكذوب، ما كان ينبغي للمؤلف –رحمه الله– أن ينقل منه.

(٨) تقدم ذكرهم وأنهم من أهل البدع والضلال.

المعتزلة أن الله - تعالى عن قولهم - لا يعلم من ذاته غير ما يعلمونه.

قال بن أبي الحديد[١] في شرح النهج: وهذا مما يصرح به أصحابنا ولا يتحاشون عنه.

وقد كثرت عليهم الردود حتى تولى الرد عليهم في ذلك كثير من أصحابهم المعتزلة، كابن أبي الحديد وغيره، حتى قال في ذلك قصائد كثيرة[٢] بليغة منها:

سافرت فيك العقول فما ... ربحت إلا عنا السفر
رجعت حسري فما وقفت[٣] ... لا على عين ولا أثر[٤]
فلحى الله الأولى زعموا ... أنك المعلوم بالنظر
كذبوا أن الذي زعموا ... خارج عن قوة البشر[٥]

فإذا كان هذا كلام إمام معارفهم والحامي عن حماهم فما ظنك بغيره من خصومهم! فاعرض[٦] على فطرتك التي فطرك الله عليها؛ هل تجد علمك بالله مثل علم الله! وأنت الحكم كما قال أمير المؤمنين - عليه السلام - فإن الإنسان

(١) شرح «نهج البلاغة» (٤/ ١٠٠) على دور النشر ألا تطبعه وأن يمنع بيعه وشراؤه، فإنه مكذوب باطل مبطل.
(٢) خطأ اعتمد أحمد مصطفى على المطبوع الذي فيه الأخطاء، ففيه أخطاء كثيرة.
(٣) في (ب): [وقعت].
(٤) حاشية قال الأمير: قوله: (ولا أثر) بما يصعب «تفسيره» وتأويله يظهر من قوله منك في البيت السابق. من خط سيدي صلاح. قال ابن الأمير رحمه الله: قلت: يأتي بيان الرد على هذه الأبيات عند ذكر المصنف لها كلها في قوله الثالث التصرف في عبارات الكتاب والسنة الخ. أنوار.
(٥) مكرر في (ك).
(٦) مكرر في (د، ك).

يعرف أحوال نفسه وعلمه وجهله مثل عافيته وألمه. وقد بسطت القول في الرد عليهم في دعوى العلم بالذات كعلمه تعالى، في ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان[1]. وكفى بقول أمير المؤمنين -عليه السلام- في ذلك، ولم يعلم له مخالف في الصدر الأول، وكفى به -عليه السلام- سلفًا وقدوةً وإمامًا وحجة في هذه المشكلة.

ومن أبياتي في الرد عليهم كنت قلتها وهي أيضًا:

لي في القديم مقال غير مبتكر ... سبحانه عن خيال الوهم والفكر
أجله أن يحيط الناظرون به ... ذاتًا وأين قوى النظار والنظر
فالعلم قسمان تصديق ومعرفة ... تختص بالذات والتصديق بالخبر[2]

ومنها:

الله أكبر هذا قاطع ولنا ... عليه أكبر برهان من الزبر
تنزه الرب في الذكر المنزل أن ... يحيط علمًا به خلق من البشر
تمدحًا لم يكن في الذكر مختلفًا ... قطعًا ولا غلطًا من وهم ذي نظر
وفي الحديث دلالات لنا ولنا ... حديث موسى كليم الله والخضر
وفي كلام أمير المؤمنين لنا هدى ... هذا وحسبك برهانا لمنتصر
وفي وصيته ابن المصطفى حسنًا ... دلائل لفقيه القلب معتبر
وعن وجوه الكراسي قد رواه لنا ... عبد الحميد بشرح النهج ذي العبر
وجنح القول فيه بالقصائد أمثالا ... تسير مسير الشمس والقمر

---

(١) «ترجيح أساليب القرآن» للمصنف ص(١٢٩).

(٢) انظر الأبيات في «أساليب القرآن» ص(١٣٢) وهي للمؤلف نفسه. وهي عندنا مصححة كما قال الناسخ من نسخة المصنف بخطه عليهم السلام.

تلك الأُلَى حكمت بالمنع قد حكمت ... بها الملائك أهل القرب والنظر
والراسخين وأدنى من له أدب ... وكل متعظ لله منكسر
فلا ترجح عليهم غير محتفل ... شيوخ جبة إن جاوزوا فلا تجر
والفرق كالصبح لا يخفى على أحد ... والخبر تميز فليس الخبر كالخبر(١)

[ولبعض الأصحاب أبيات في هذا المعنى جيدة](٢).

***

(١) نفسه. المرجع السابق.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب، ك).

[ذكر بعض بدع المشبهة]

ومن البدع في هذا الموضع بدع المشبهة(١) على اختلاف أنواعهم، وبدع المعطلة على اختلافهم أيضًا؛ فغلاتهم(٢) يعطلون الذات والصفات والأسماء الجميع، ومنهم الباطنية(٣) ودونهم الجهمية(٤) ومن الناس من يوافقهم في بعض ذلك دون بعض، وقد بسطت القول في ذلك في الوهم الخامس عشر من

(١) قال الشهرستاني: هم جماعة من الشيعة الغالية. مثل الهشاميين من الشيعة، ومثل مضر وكهمس وأحمد الهجمي، قالوا: معبودهم على صورة ذات أعضاء وأعراض إما روحانية أو جسمانية ... اهـ. «الملل والنحل» (١/ ٨٦). أحمد. وقد أخطأ في ذكر أهل الحديث أنهم حشوية؛ لأنه جاهل بالحديث وبأهله، وقد ضاع بين علم الكلام والعقليات التي جعلته عالمًا بالجهل لا يدري أين هو، والدليل كلامه حين تاب قبل الموت أنه دخل في الكلام ثم خرج وهو في حيرة وأنه عليه أن يتوب من ذلك كله. رحمه الله، وغفر لنا وله.

(٢) في (ج): [فغلا].

(٣) هم الإسماعيلية؛ لقبوا بذلك لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنًا ولكل تنزيل تأويلاً. قالوا في الخالق -جل شأنه- أن لا نقول موجود ولا عالم ولا قادر... وهم نفاة الصفات ومعطلة الذات. وقد كفرهم العلماء لجعلهم النبوة في أحد أشخاصهم في كل زمان، بل وهم يسبون النبي محمدًا -صلى الله عليه وآله وسلم- وقد وقع من بعض شياطينهم وسجن وأدب في اليمن فليتنبه لهم. وادعاؤهم بعض صفات الألوهية فيه مثل برهان الدين الهندي الذي هو نبيهم في هذا الزمان، يحملونه على رؤوسهم، يقولون: (ويحمل عرش ربك) ويسجدون له، ويعتقدون فيه اعتقاد ربوبية... وقد قال في مقابلة صحفية: نحن أفضل من البقر إذا سجد لنا الناس. ولهم وجود في نجران، واليمن ومصر. قاتلهم الله أنى يؤفكون.

(٤) الجهمية: أصحاب جهم بن صفوان، ظهرت بدعته بترمذ، يقولون: نفى الأسماء والصفات، ويطعنون بذلك في صفات الله وأسمائه، وهذا من الإلحاد الذي حرمه الله، فالجهم قتله مسلم المازني في (مرو) آخر خلافة بني أمية. انظر: «الملل والنحل» (١/ ٨٦)، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي.

«العواصم»[١] في نحو مجلد، ويأتي إلى ذلك إشارة في هذا المختصر كافية إن شاء الله تعالى[٢].

فالفريقان المشبهة والمعطلة إنما أُتُوا من تعاطي علم ما لا يعلمون، ولو أنهم سلكوا مسالك السلف بالإيمان[٣] بما ورد من غير تشبيه لسلموا، فقد أجمعوا[٤] على أن طريقة السلف أسلم ولكنهم ادعَوا أن طريقة الخلف أعلم، فطلبوا العلم من غير مظانه، بل طلبوا علم ما لا يعلم، فتعارضت أنظارهم العقلية، وعارض بعضهم بعضًا في الأدلة السمعية، فالمشبهة ينسبون خصومهم إلى رد آيات الصفات ويدعون فيها ما ليس [فيها][٥] من التشبيه، والمعطلة ينسبون خصومهم وسائر أئمة الإسلام جميعًا إلى التشبيه، ويدعون في تفسيره ما لا تقوم عليه حجة، والكل حُرِمُوا طريق الجمع بين الآيات والآثار، والاقتداء بالسلف الأخيار، والاقتصار على جليات الأنظار[٦] وصحاح الآثار.

وقد روى الإمام[٧] أبو طالب - عليه السلام - في أماليه[٨] بإسناده من حديث

---

(١) انظر: «العواصم» (١/ ٧٧١-٧٩٨) ط جديدة. نقل أحمد مصطفى أن الكتاب غير مطبوع، ولعله لم يجده تلك «الأيام» كاملًا، والآن هو مطبوع في (٩) مجلدات بتحقيق الأستاذ/ شعيب الأرنؤوط -جزاه الله خيرًا- وطبع أخيرًا في ثلاث مجلدات في مؤسسة الرسالة.

(٢) سيأتي قريبًا -إن شاء الله-.

(٣) في (ب، ج): [الإيمان].

(٤) في (د، ك): [اجتمعوا].

(٥) ساقط من (ب).

(٦) في (ب): [الأبصار].

(٧) خطأ من نقل أحمد مصطفى عن المطبوع.

(٨) «تيسير المطالب من أمالي الإمام أبي طالب» ترتيب جعفر أحمد الأنباري الباب (١٤) خطاب: مخطوط في مكتبة العبيكان بالرياض، رقم(٦٥ مذ) وهو موجود في مكتبة صنعاء. وقد ضاع بعضه.

زيد بن أسلم أن رجلاً سأل أمير المؤمنين -عليه السلام- في مسجد الكوفة فقال: يا أمير المؤمنين هل تصف لنا ربنا فنزداد له حبًّا! فغضب -عليه السلام- ونادى: الصلاة جامعة. فحمد الله وأثنى عليه إلى قوله: فكيف يوصف الذي عجزت الملائكة، مع قربهم من كرسي كرامته وطول ولههم إليه، وتعظيم جلال عزته، وقربهم من غيب ملكوت قدرته، أن يعلموا من علمه إلا ما علمهم، وهم من ملكوت القدس بحيثهم[١] ومن معرفته على ما فطرهم عليه فقالوا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢] فعليك أيها السائل بما دل عليه القرآن من صفته[٢] وتقدمك فيه الرسل بينك وبين معرفته، فأتم به واستضئ[٣] بنور هدايته، فإنما هي نعمة وحكمة أوتيتها، فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك في الكتاب فرضه ولا في سنة النبي [صلى الله عليه وآله وسلم][٤] ولا عن أئمة الهدى أثره، فَكِلْ علمه إلى الله سبحانه، فإنه منتهى حق الله عليك[٥].

[وقد][٦] روى السيد [أبو طالب][٧] في الأمالي أيضًا الحديث المشهور في كتاب الترمذي عن علي - عليه السلام - عن رسول الله -صلى الله عليه وآله

(١) في (ب، م): [كلهم]، وفي (ج): [بحييهم].
(٢) في (ج): [صفتك].
(٣) في (ك): [واستضن]، وفي (ج): [واستبصر].
(٤) زيادة من (ب).
(٥) ضعيف عن علي. واختراعات أهل البدع كثيرة مثل هذا. والله أعلم، ولم ينبه عليه المحقق وفقه الله. وانظر: شرح «نهج البلاغة» (٦/ ٣٩٨).
(٦) زيادة من (ب).
(٧) ساقط من (ب). وفي (ج): [ط].

وسلم- أنه قال: «**ستكون فتنة**» قلت: فما المخرج منها؟ قال: «**كتاب الله؛ فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم، [فهو الفاصل بين الحق والباطل]**(١) **من ابتغى الهدى من غيره أضله**»(٢) الله إلى قوله: «**من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم**»(٣) ورواه في أماليه بسند آخر عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه(٤) ورواه ابن الأثير(٥) في الجامع عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فهو مع شهرته في شرط أهل الحديث متلقى بالقبول عند علماء الأصول. ولكن(٦) المبتدعة يرون تصانيفهم أهدى منه لبيانهم، فيها على زعمهم المحكم من المتشابه، فمنهم من صرح بذلك وقال إن كلامه أنفع من كلام الله [تعالى](٧) وكتبه أهدى من كتب الله. وهم الحسينية(٨) أصحاب الحسين

(١) ساقط من (ج، ك).

(٢) حاشية: تمام الخبر: وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثر الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي تند...... الجن وإذا سمعته، حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيَ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝﴾ [الجن: ١-٢]. انتهى من خط سيدي صارم الدين رحمه الله.

(٣) أخرجه الترمذي -رحمه الله- في «السنن» في فضائل القرآن الكريم (٥/ ١٧٢) بعض أهل العلم يحسنه مرفوعًا، ومنهم من يصححه موقوفًا على علي رضي الله عنه. وأخرجه غير الترمذي.

(٤) «تيسير المطالب» الباب (١٣)، فضائل القرآن. أحمد.

(٥) «جامع الأصول» لابن الأثير (٨/ ٤٦٣-٤٦٤) عن عبد الرحمن بن عمر، وقيل عن عمر بن الخطاب، والله أعلم بالصواب.

(٦) في (ك): [لكن].

(٧) زيادة من (ب، د).

(٨) الحسينية شذوذ لا تنظر إليهم ولا ينبغي عدهم في الفرق لانقطاعهم في أصحاب الحسين بن القاسم، وعدم اتباعهم فمنشأ مذهبهم تغير المراح لا الاحتجاج اهـ. سيدي صلاح بن أحمد.

بن القاسم العياني[١][٢]. وقد حمله[٣] الإمام المطهر بن يحيى[٤] على الجنون، وقيل لم يصح[٥] عنه. ومنهم من يلزمه ذلك، وإن لم يصرح به فهذا الأمر الأول من المتشابه وهو التحكم بالنظر في ذات الله تعالى وما يؤدي اليه.

[الأمر الثاني من المتشابه: النظر في سر القدر السابق]

الأمر الثاني من المتشابه الواضح تشابهه والمنع منه هو النظر في سر القدر السابق بالشرور[٦] مع عظيم رحمة الله تعالى وقدرته على ما يشاء، وقد ثبت في كتاب الله تعالى تحير الملائكة الكرام -عليهم السلام- في ذلك وسؤالهم عنه بقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم ساق خبر آدم وتعليمه [الأسماء كلها][٧]

(١) في (ب، م) [العناني] وهو خطأ.

(٢) المهدي العياني هو الحسين بن القاسم بن علي العياني، المهدي لدين الله، من كبار الزيدية في اليمن، قام بالإمامة في صنعاء، وقاتله بعض من عارضه فقتل في (البون) شمال صنعاء، له بعض المصنفات مثل «التحدي للعلماء والجهال»، مات سنة ٤٠٤هـ.

(٣) في (ج، د): [حمل].

(٤) المطهر بن يحيى بن المرتضى من أبناء الهادي أحد كبار الزيدية، قام بالدعوة سنة ٦٧٦هـ، لقب بالمتوكل، كانت بينه وبين معاصريه معارك، وكادوا أن يظفروا به بتنعيم في (جبل اللوز) فانتشر ضباب اختفى به ونجا بمن معه، فلقب (بالمضلل بالغمامة) مات ودفن في (ذروان حجة) شمال صنعاء (٦٩٧هـ) له كتاب «درء الغواص في طبقات الخواص». «الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٥٤).

(٥) حاشية: روى مسلم الحجي عن الحسين بن القاسم نفسه إن كان ينكره ذلك وينكر أنه قال فمذهب ينكره من هو أصله هل يعد مذهبًا. من خط سيدي صلاح بن أحمد رحمه الله.

(٦) في (ب، م): [الشرور].

(٧) ساقط من (ب، ك).

وتفضيله في ذلك عليهم، إلى قوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:٣٠ - ٣٣] وفي ذلك إشارة واضحة إلى ما سيأتي بيانه من أن مراد الله [تعالى][١] بالخلق هم[٢] أهل[٣] الخير، والخلق كلهم كالشجرة، وأهل الخير ثمرة تلك الشجرة، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] وفي حديث الخليل [عليه السلام][٤] حين دعا على العصاة قال الله له: «**كف عن عبادي، إن قصر[٥] عبدي مني إحدى ثلاث: إما أن يتوب فأتوب عليه، أو يستغفرني فأغفر له، أو أخرج من صلبه من يعبدني**» رواه الطبراني.[٦]

وقال الغزالي في «كتاب العلم» من[٧] [الإحياء][٨] من أقسام العلوم الباطنة[٩]: ولا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرًّا ببعض الخلق، كما يضر نور الشمس

---

(١) ساقط من (ب، ج، ك).
(٢) ساقط من (ج، خ).
(٣) حاشية: قال الأمير: هنا مناسبة كبيرة ما أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عن سعيد بن جُبَيْر أنها قالت اليهود لموسى: أيخلق ربك خلقًا ويعذبهم؟ فأوحى الله إليه: يا موسى ازرع. قال: قد زرعت. قال: احصد. قال: قد حصدت. قال: دس. قال: دسست. قال: ذره. قال: ذريته.س قال: فما بقي شيء فيه خير. قال: كذلك لا أعذب من خلقي إلا من لا خير فيه. انتهى. من الدرر المَعْمَري. أنوار
(٤) ساقط من (ج، ك).
(٥) في (ج، د، ك): [قصارى]، وفي (ج): [مصير].
(٦) ضعيف. انظر الطبراني في «الأوسط». وأخرجه الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٠١) قال: وأخرجه الطبراني في «الأوسط»: وفيه علي بن أبي علي اللهبى، وهو متروك.
(٧) في (ب، م): [في].
(٨) في (ج، د): [إحياء علوم الدين].
(٩) في ط المحقق [الباطنية] وهو خطأ.

أبصار الخفافيش، وكما يضر ريح الورد بالجعل، وكيف يبعد هذا وقولنا: أن كل شيء بقضاء من الله وقدر حق في نفسه، وقد أضر سماعه بقوم، حيث أوهم ذلك عندهم دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم، وألحد ابن الراوندي[1] وطائفة من المخذولين بمثل ذلك، وكذلك سر القدر لو أفشي أوهم عند أكثر الخلق عجزًا؛ إذ تقصر أفهامهم عن إدراك[2] ما يزيل هذا الوهم [عنهم][3].

وقال في شرح الأسماء الحسنى[4] في شرح الرحمن الرحيم: والآن إن خطر لك نوع من الشر لا ترى فيه خيرًا، وأن[5] تحصيل ذلك الخير من غير شر أولى، فاتهم عقلك القاصر في كلا الطرفين، فإنك مثل أم الصبي الذي ترى الحجامة شرًّا محضًا، والغبي الذي يرى القصاص شرًّا محضًا؛ لأنه ينظر إلى خصوص شخص المقتول وأنه في حقه شر محض، ويذهل عن الخير العام الحاصل للناس كافة، ولا يدري أن التواصل بالشر الخاص إلى الخير العام خير محض، لا ينبغي حكيم أن يهمله[6]. هذا أو قريب من هذا[7].

***

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) «إحياء علوم الدين» (١/ ٥٢) وتخريج العراقي.

(٣) ساقط من (ب، ك).

(٤) في (ب): [أسماء الله]، وساقط من (ج).

(٥) في (ب، ج): [أو أن].

(٦) في (ج، د): [يهمل].

(٧) «المقصد الأسنى» للغزالي -رحمه الله- ص(٤١).

[بيان ما في كلام الغزالي السابق]

وفي بعض كلامه نظر قد أوضحته في العواصم[1] والسر في ذلك أن الله تعالى لا يريد الشر لكونه شرًّا قطعًا وإنما يريده وسيلة إلى الخير الراجح، كما قال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِي الْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:١٧٩] وكما صح في الحدود والمصائب أنها كفارات[2] فهذا هو سر القدر في الجملة، وإنما الذي خفي تفصيله ومعرفته في عذاب الآخرة وشقاوة الأشقياء، فمن الناس من كبر ذلك عليه، وأداه إلى الحكم بنفي التحسين والتقبيح، فصرحوا بنفي حكمة الله تعالى، وهم غلاة الأشعرية، إلا بمعنى إحكام المصنوعات في تصويرها لا سواه[3].

ومن الناس من أداه ذلك إلى القول بالجبر، ونفي قدرة العباد واختيارهم.

ومنهم من جمع بينهما.

ومن الناس من جعل الوجه في تحسين ذلك من الله عدم قدرته سبحانه على هدايتهم. وهم جمهور المعتزلة، لكنهم يعتذرون عن تسميته عجزًا ويسمونه غير مقدور كما سيأتي.

ومنهم من جعل العذر في ذلك أن الله لا يعلم الغيب. وهم غلاة القدرية نفاة الأقدار.

***

(١) انظر «العواصم» (٢/ ٤٨٢) ط جديدة.

(٢) جاء حديث: «وما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه». عن أبي سعيد وأبي هريرة عن رسول الله ﷺ. أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٣)، ومسلم (١٩٩١). والبخاري في «الصحيح».

(٣) في (ب): [لا سواه].

[جملة أحاديث القدر]

وقد تقصيت الردود الواضحة عليهم والبراهين الفاضحة لهم في العواصم[١] وجمعت في ذلك ما لم أسبق إليه ولا إلى قريب منه في علمي، فتمت هذه المسألة في مجلد ضخم، وبلغت أحاديث وجوب الإيمان بالقدر اثنين وسبعين، وأحاديث صحته مائة وخمسة وخمسين[٢] الجملة مائتان وسبعة وعشرون حديثًا من غير الآيات القرآنية والأدلة البرهانية.

وصنف ابن تيمية[٣] في «بيان الحكمة في العذاب الأخروي» وتبعه تلميذه ابن القيم الجوزية[٤] وبسط ذلك في كتابه «حادي الأرواح إلى ديار[٥] الأفراح» فأفردت ذلك في جزء لطيف وزدت عليه.

***

---

(١) «العواصم» (٢/ ٤٨٠-٥٠٥).

(٢) في (ج، ح): [مائة وخمسين].

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١/ ٨١) و(١/ ٢٧)، و«حادي الأرواح» (٢٨٨) في الباب السبعون.

(٤) ابن القيم: هو الإمام محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى- إمام من الأئمة العلماء الزهاد المخلصين ولا نزكيه على الله، له مؤلفات عظيمة: «زاد المعاد»، و«مدارج السالكين»، و«إعلام الموقعين»، و«الداء والدواء»، و«مفتاح دار السعادة»، «بدائع الفوائد» و«حادي الأرواح» وغيرها، مات (٧٥١هـ) رحمه الله.

(٥) في (ج، د): [دار]. وفي عنوانه: [بلاد الأفراح].

[منع الكلام من تعين الحكمة في القدر]

ومضمون كلامهم أنه لا يجوز اعتقاد أن الله يريد الشر لكونه شرًّا، بل لابد من خير راجح يكون ذلك الشر وسيلة إليه، وذلك الخير هو(١) تأويل ذلك الشر السابق له على نحو تأويل الخضر لموسى، وطردوا ذلك في شرور الدارين معًا، ونصر ذلك الغزالي في شرح [الأسماء عند ذكر](٢) الرحمن الرحيم(٣). ولنورد في ذلك حديثًا واحدًا مما يدل على المنع من الخوض في تعيين الحكمة في ذلك، فنقول: قال البيهقي في كتابه الأسماء والصفات:(٤)

عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس: لما بعث الله موسى وكلمه قال: اللهم أنت رب عظيم، ولو شئت أن تطاع لأطعت، ولو شئت ألا تعصى [ما](٥) عُصِيت، وأنت تحب أن تطاع، وأنت في ذلك تعصى، فكيف هذا يا رب؟ فأوحى الله إليه: إني لا أُسأَل عما أفعل وهم يُسأَلون. فانتهى موسى.

ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد(٦) وعزاه إلى الطبراني، وزاد فيه: فلما بعث الله

---

(١) يعني وجه الحكمة في الشر السابق.

(٢) ساقط من (ب، ك).

(٣) «المقصد الأسنى» ص(٤٠).

(٤) كتاب «الأسماء والصفات» للإمام البيهقي -رحمه الله- كتاب عظيم، وأحسن من حققه أو أفضل تحقيق له تحقيق الشيخ الفاضل عبد الله الحاشدي وفقه الله. ط- مكتبة السوادي، الرياض.

(٥) في (ب، ج): [لما].

(٦) ضعيف «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٩). قال: رواه الطبراني وفيه أبو يحيى القتات، وهو ضعيف عند الجمهور.

عزيرًا سأل الله مثل ما سأل موسى ثلاث مرات[١] فقال الله تعالى[٢] له: أتستطيع أن تصر صرة من الشمس؟ قال: لا. قال: أفتستطيع أن تجيء بمكيال من الريح؟ قال: لا. قال: أفتستطيع أن تجيء بمثقال أو قيراط[٣] من نور؟ قال: لا. قال: فهكذا لا تقدر على الذي سألت عنه، أما إني لا أجعل عقوبتك إلا أن[٤] أمحو اسمك من الأنبياء فلا تذكر فيهم. فلما بعث الله عيسى ورأى منزلته سأل عن ذلك كموسى وأجيب عنه[٥] بمثل ذلك وقال الله تعالى:[٦] لئن لم تنته لأفعلن بك كما فعلت بصاحبك بين يديك. فجمع عيسى من معه فقال: القدر سر الله تعالى فلا تَكَلَّفوه[٧].

وروى الطبراني[٨] عن وهب عن ابن عباس أنه سئل عن القدر فقال: وجدت [أجرأ][٩] الناس فيه حديثًا أجهلهم به، وأضعفهم فيه حديثًا أعلمهم به، ووجدت الناظر فيه كالناظر في شعاع الشمس، كلما ازداد [فيه][١٠] نظرًا ازداد فيه تحبيرًا.

---

(١) في (ب، ج): [مرات].
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في (ب): [بقيراط].
(٤) في (ب، ج): [أني].
(٥) في (ب، ج): [عليه].
(٦) في (ك) زيادة: [له].
(٧) ضعيف أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص(١٧١)، والهيثمي (٧/ ١٩٩).
(٨) ضعيف «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للهيثمي (٧/ ٢٠١)، وفيه: وجدت أجرأ الناس. قال: وفيه يزيد بن أبي سلمة ضعفه ابن معين. «المجمع» ط. دار الكتاب العربي.
(٩) في (أ): [أصول]. وفي (ب، ج): [أطول]، والصواب من «المجمع»، كما هو واضح أعلاه.
(١٠) ساقط من (ب، م).

قلت: ويشهد لهذه[١] الآثار ما جاء في كتاب الله من قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة:٣٠] والجواب الجملي[٢] عليهم كما مر.

[جملة أحاديث النهي عن الخوض في القدر]

وأما أحاديث النهي عن الخوض في القدر فعشرة أحاديث، رجال بعضها ثقات، وبعضها شواهد [لبعض][٣] كما أوضحته في العواصم[٤].

وأقل من هذا مع شهادة القرآن والبرهان لذلك يكفي المنصف وما حدث بسبب الخوض [فيه][٥] من الضلالات زيادة عبرة وحيرة.

***

(١) خطأ في (ب، م): [الآيات].

(٢) في (ج، د): [الجلي].

(٣) ساقط من (ج، ك).

(٤) انظر «العواصم» (٢/ ٥٠٧-٥٦٥).

(٥) ساقط من (ب، م).

[القول في الحروف المقطعة في أوائل السور]

الأمر الثالث: من المتشابه الحروف المقطعة أوائل السور، فإن الجهل بالمراد[١] بها معلوم، كالألم والصحة، والفرق بينها وبين [قوله][٢] (أقيموا الصلاة) ونحو ذلك ضروري، ودعوى التمكن من معرفة معانيها تستلزم[٣] جواز أن ينزل الله سورة كلها كذلك، أو كتابًا من كتبه الكريمة، ويستلزم جواز أن يتخاطب العقلاء بمثل ذلك ويلوموا من طلب منهم بيان مقاصدهم، ونحو ذلك، وهذا هو اختيار زيد بن علي - عليه[٤] السلام - والقاسم[٥] والهادي[٦] - عليهما السلام- وهو

(١) في (ج، د) خطأ.

(٢) ساقط من (ب، ج، م).

(٣) في (ك): [يستلزم].

(٤) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين العلوي الهاشمي القرشي، يقال له (زيد الشهيد) من الخطباء المشهورين. قال أبو حنيفة: ما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أسرع جوابًا ولا أبين قولًا منه. أقام في الكوفة. ونسبت إليه طوائف الزيدية: ١- زيدية الديلم (في إيران) شيعة اثنا عشرية. ٢- زيدية اليمن، معتزلة خالفوه في الأصول والفروع. زيد من أهل السنة والجماعة ولم يأخذ عن واصل بن عطاء، وإنما ناظره، والمعتزلة قد كذبوا على الله في نفي صفاته، فكيف لا يكذبون على زيد -رحمه الله- فلا أحد يقول إنه معتزلي إلا المعتزلة ومنهم زيدية اليمن، وكيف يكون معتزليًّا وواصل بن عطاء الضال يطعن في الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه! وانظر كتاب الإمام ابن الأمير الصَّنْعاني رحمه الله «إقامة الدليل على ضعف أدلة تكفير التأويل» بتحقيقنا. وكذلك كتاب «الإمام زيد المفترى عليه» ط في عام ١٤٠٣هـ بجامعة أم القرى. وقد أخطأ كل من نسبه إلى الاعتزال.

(٥) المنصور العياني: هو القاسم بن علي العياني، أبو الحسين المنصور بالله من كبار الزيدية في اليمن اشتهر في الشام، وأنفذ رسله إلى اليمن سنة ٣٨٨هـ، وبويع له ورحل إلى الحجاز، ودخل اليمن فاستقر بصنعاء، مات ٣٩٣هـ.

(٦) الهادي: يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسني العلوي الرسي، إمام زيدي=

نص في تفسيرهما المجموع[1] وكذلك [الإمام][2] يحيى -عليه السلام- ذكره في «الحاوي».

وقولهم إنا مخاطبون بها، فيجب أن نفهمها مقلوب وصوابه أنا [لا][3] نفهمها، فيجب ألا نكون مخاطبين بفهمها. وقد ذكرت في الحجة على أنها غير معلومة أكثر من عشرين حجة في تكملة ترجيح أساليب القرآن[4].

***

=معتزلي، سكن الفرع من الحجاز، نشأ بالفقه والشجاعة، وظهر في زمنه علي بن الفضل القرمطي المكرمي الكافر، تغلب على أكثر بلاد اليمن، وقصد الكعبة (٢٩٨هـ) ليهدمها فقاتله الهادي رحمه الله. ومات في صعدة (٢٩٨هـ)، وكثر ملوك اليمن من ذريته، له مؤلفات كثيرة منها: «الأحكام» والسنة والحلال والحرام» وغيرها. وهو معتزلي المعتقد، حرر مذهبًا يسمى المذهب الهادوي. ورحمه الله رحمة واسعة، حين قاتل الباطني علي بن الفضل.

(١) «المجموع في التفسير» للهادي يحيى بن الحسين، فسر فيه القرآن من المنافقين إلى النبأ، أكمل «تفسيره» حفيده، وهو مخطوط.

(٢) زيادة من (ب، م) والإمام يحيى هو بن حمزة الحسيني.

(٣) زيادة من (ب، ج).

(٤) «ترجيح أساليب القرآن» ص(١٤٧).

[المجمل الذي لا يظهر معناه بعلم ولا ظن]

الأمر الرابع: من المتشابه المجمل الذي لا يظهر معناه بعلم ولا ظن، سواء كان بسبب الاشتراك في معناه أو لغرابته أو عدم صحة تفسيره في اللغة والشرع، أو غير ذلك، وقد وقع الوهم في المجمل لنوح -عليه السلام- كيف لغيره! وذلك (في)[1] قوله: ﴿إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ [هود:٤٥]﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ﴾ [هود:٤٦].

***

(١) ساقط من (ب، ج) حاشية: كان لا ينبغي أن يمثل بنبي الله نوح -عليه السلام- فهم أعلى وأرفع من أن يمثل بهم -عليهم السلام- وغفر الله للمصنف.

[القول في المحكم]

وأما المحكم فهو ما عدا المتشابه. وغالبه[١] النص الجلي، والظاهر الذي لم يعارض، والمفهوم الصحيح الذي لم يعارض، والخاص والمقيد وإن عارضهما العام والمطلق، ويلحق بهذا فوائد: الأولى:

[الصحيح في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ الوقف على (الله)]

بدليل ذم مبتغي تأويل المتشابه في الآية. وهو اختيار الإمام يحيى في «الحاوي» واحتج بأن [أما] للتفصيل على بابها، والتقدير: [وأما] الراسخون. بدليل قوله تعالى[٢]: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران:٧] كما تقول: أما زيد فعالم وعمرو جاهل. أي: وأما عمرو فجاهل.

[إيضاح ذلك]

يوضحه أن المخالف مسلِّم أن هذا هو الظاهر منها، لكنه يقول إنه يجب تأويلها على أن المراد ذمهم بابتغاء تأويله الباطل، فقيد[٣] إطلاق الآية بغير حجة، ويجعلها من المتشابه، مع أنها الفارقة بين المحكم والمتشابه، وهذا خُلْف.

(١) في (ج، خ): [وغايته].
(٢) زيادة من (ب، ج).
(٣) في نسخة [فيقيد].

وقد روى الحاكم عن[١] ابن عباس أنه: قرأ (ويقول الراسخون) وقال: صحيح. ورواه الزمخشري في كشافه[٢] قراءة عن أُبي وغيره، ورواه الإمام أبو طالب في أماليه[٣] عن علي - عليه السلام- ولم يتأوله ولم[٤] يطعن فيه، وهو في النهج[٥] أيضًا، وهو نص لا يمكن تأويله، فإن لفظه عليه السلام:

اعلم أيها السائل أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن الاقتحام على السدد المضروبة دون الغيوب الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح[٦] الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علمًا، وسمى تركهم التعمق فيما[٧] لم يكلفهم البحث عنه رسوخًا، فاقتصر على ذلك. انتهى بحروفه.

وأيضًا فلا يجب علم جميع المكلفين بذلك عند الخصوم، إذ في [المكلفين][٨] الأمي والعجمي ونحوهم، وإذا كان علم البعض يكفي ويخرج الخطاب بذلك عن العبث جاز أن يكون ذلك البعض هو رسول[٩] الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ومن شاء الله من ملائكته وخواص عباده، والله سبحانه أعلم.

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٢/ ٢٨٩).
(٢) «الكشاف عن حقائق التنزيل» للزمخشري المعتزلي (١/ ٤١٣). والكشاف ليس مرجعًا في الحديث، وهذا ينبغي أن لا يعتمد عليه.
(٣) تيسير المطالب من أمالي الإمام أبي طالب. مخطوط.
(٤) في (ب، م): [ولم]. في (ج، خ) خطأ.
(٥) ش»نهج البلاغة» (٦/ ٤٠٣).
(٦) في (ج، م): [مما].
(٧) ساقط من (ج، خ، م).
(٨) في (ب): [المتكلفين].
(٩) في (ج، م): [ورسول].

[إذا تعارض العام والخاص فالمحكم هو الخاص]

الفائدة الثانية: إذا تعارض العام والخاص[١] فالمحكم هو الخاص والبناء عليه واجب، وفيه الجمع بينهما، وفي العكس طرح الخاص مع رجحانه بالنصوصية. وهي قاعدة كبيرة فاحفظها، ولا خلاف فيها في الاعتقاد[٢] لعدم الفائدة في التاريخ فيه، ولذلك أجمعوا على إثبات الخلة للمتقين[٣] وتأويل نفي الخلة المطلق. فتأمل [أمثال][٤] ذلك.

الفائدة الثالثة: إذا كان التحسين العقلي مع بعض السمع فهو المحكم والمتشابه مخالفه لما وضح من تأويل الخضر بموافقة العقل، وفي مخالفة[٥] هذه القاعدة عناد بين وضلال كبير فاعرفها واعتبر مواضعها ترشد إن شاء الله [تعالى][٦].

***

(١) وقد أشار القاسم والهادي (عليهما السلام) إلى هذا وإلى أنه لا تكليف علينا فيها فلا يجب علينا فهمها، من خط سيدي صارم الدين. حاشية أخرى: ينظر ما وقع لنوح -عليه السلام- من قبيل المجمل وهل هو إلا عام يحتمل التخصيص فأتى نوح -عليه السلام- من حيث إنه حمله على عمومه، وقد صرح بذلك في حواشي الفصول له، من خط سيدنا حامد -رحمه الله- عن خط السيد هاشم بن يحيى.

(٢) في (ج، م): [الاعتقاد].

(٣) قال تعالى: (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وفي قوله تعالى: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) فاستثنى الله تعالى المتقين من نفي الخلة، وسيأتي بيان هذا في طريق المعرفة لصحيح التفسير اهـ.

(٤) ساقط من (ب، م).

(٥) في (ج، م): [مخالفته].

(٦) زيادة من (ب، ج، م).

فصل

إذا عرفت ما قدمت لك بما عرفت[١] في هذا المختصر أو به، وبما أرشدك[٢] إلى مطالعته مما هو أبسط منه في هذا المعنى، مثل «ترجيح أساليب القرآن» وتكملته، فاعلم أن معظم ابتداع المبتدعين من أهل الإسلام راجع إلى هذين الأمرين الباطلين الواضح بطلانهما كما تقدم، وهما الزيادة[٣] في الدين والنقصان[٤] منه، ثم يلحق بهما التصرف فيه بالعبارات المبتدعة بعد رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وليس بأمر ثالث، لأنه من الزيادة في الدين، لكنه تفرد[٥] بالكلام وحده لطول[٦] القول فيه، وعظم المفسدة المتولدة عنه.

***

(١) في (ب): [عرفته].

(٢) في (ح): [بما أن شدك].

(٣) في (ب): [لزيادة].

(٤) في (ب): [والنقص].

(٥) في (ح): [مفرد].

(٦) في (ج) [وطول].

[من الزيادة في الدين
أن يرفع المظنون في العقليات أو الشرعيات إلى مرتبة المعلوم]

فمن الزيادة في الدين أن يرفع المظنون في العقليات أو الشرعيات إلى مرتبة المعلوم، وهذا حرام بالإجماع، وإنما يختلف الناس في التفطن لأسبابه، وسيأتي ذكر أسبابه في آخر الكلام في الزيادة في[1] الدين مقسومًا موضحًا في صور أربع يأتي بيانها بعون الله تعالى.

[ومن الزيادة في الدين
أن يدخل فيه ما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ]

ومن الزيادة في الدين أن يدخل فيه ما لم يكن على عهد رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وعهد أصحابه رضي الله عنهم. مثل القول بأنه لا موجود إلا الله، كما هو قول الاتحادية[2] وأنه لا فاعل ولا قادر إلا الله، كما هو قول

---

(١) سيأتي في الوجه الحادي عشر من الوجوه الدالة على منع الزيادة في الدين. كاتبه

(٢) هم الاتحاديون أصحاب وحدة الوجود. وهي الفرقة التي تقول بأن الله هو هذه الأكوان، وهم كما قال شارح النوسية: هم أكفر من اليهود والنصارى؛ لأن النصارى الكفار قالوا: إن الله هو المسيح فقط، ولم يقولوا بأنه الأكوان جميعها، قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

حاشا النصارى أن يكونوا مثله ... وهم الحمير وعابدو الصلبان
هم خصصوه بالمسيح وأمه ... وأولاء ما صانوه عن حيوان

وقالوا: إن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق، ليس غيره ولا سواه. انظر شرح نونية ابن القيم، لابن عيسى رحم الله الجميع (١/ ١٤٢).

الجبرية[1] وأمثال ذلك من الغلو في الدين، وإنما وردت الشرائع بتوحيد الله في الربوبية، وذلك بلا إله إلا الله له الأسماء الحسنى، وتوابع ذلك المنصوصة والمجمع عليها، كتوحيده بالعبادة.

[ومثل][2] القول بأن لله تعالى صفة[3] لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله[4] الله - صلى الله عليه وآله وسلم- ولا هي من أسمائه الحسنى، ولا من مفهوماتها ولوازمها، وأن معرفة هذه الصفة واجبة واختراع اسم لها وهي الصفة الأخص عند بعض المعتزلة، ويسمونها صفة المخالفة أيضًا، وإنها المؤثرة في سائر صفات الكمال الذاتية[5] الأربع، وهي كونه حيًّا قديمًا عالمًا [قادرًا][6] وبها تخالف ذات الله سائر الذوات. وقد كفى في رد ذلك أبو الحسين وأصحابه كما ذكره مختار في الباب السادس[7] من خاتمة أبواب العدل من كتابه المجتبى.

ومن ذلك إثبات أهل الاتحاد[8] لمثل ذلك أو نحوه[9] فإنهم يفرقون بين الله

---

(١) الجبرية. الجبر: نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى. والجبرية أصناف؛ فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلًا ولا قدرة على الفعل أصلًا. والجبرية المتوسطة: هي التي لا تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلًا. فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرًا ما في الفعل وسمى ذلك كسبًا فليس بجبري. «الملل والنحل» الشهرستاني (١/ ٨٥).

(٢) في (ب): [ومن ذلك].

(٣) وتسمى عند أبي هاشم: صفة المخالفة والصفة الأخص.

(٤) في (ب): [رسول الله].

(٥) في (ج): [الآتية].

(٦) ساقطة من (ج، ك).

(٧) صوابه في المسألة السادسة كما في المجتبى. صح. ختم أبواب العدل بأربعين مسألة وجعل الكلام على الصفة الأخص في المسألة السادسة من الأربعين. كاتبه.

(٨) في (ج): [الإلحاد] وهو خطأ.

(٩) في (ج): [أو نحو ذلك].

تعالى وبين اسمه الأحد، فيجعلون الأحد مؤثرًا في الله الواحد وفي سائر أسمائه، ويجعلون الأحد سابقًا في رتبة الوجود على الله، ويجعلون الله في الرتبة الثانية، والأحد في الأولى، ويسمون الثانية هم والفلاسفة بأسماء مبتدعة، منها الحضرة العمائية والواحدية [والأحدية][١] ومنها حضرة الارتسام، ومنها مرتبة الربوبية والألوهية، ومنها الحقيقة الإنسانية الكمالية[٢] ومنها مرتبة الإمكان، كما حققه الفرغاني في شرح «نظم السلوك» وكثيرًا ما يكررون الفرق بين الحضرة الأحدية والحضرة الواحدية، ويعنون بالأحدية الوجود المطلق، وهو عندهم الحق الذي لا نعت له ولا وصف، كقول الملاحدة سواءً في نفي أسماء الله[٣] تعالى، لكنهم يثبتون الأسماء الحسنى للواحد [لا][٤] للأحد[٥] وهذا يلزمهم قول[٦] الثنوية[٧] لكنهم يعتذرون [عنه][٨] بأن الله وأسماءه الحسنى كلها خيالية لا حقيقة لها، ولا لشيء بعدها [ولا وجود لها][٩]

---

(١) ساقط من (ج، ك).

(٢) ساقط من (ج).

(٣) في (ب): [أسمائه].

(٤) ساقط من (ج، ك).

(٥) في (ك): [الأحد] بل هم كما قال ابن القيم في شرح منازل السائرين: فهذا قول النصارى بعينه بل هو شر منه، فإنهم خصوه بالمسخ وهؤلاء عموا أن كل موجود عند الاتحادية - الموحد والواحد أو الموحد - واحد، وأنه تعدد في الحقيقة اهـ كاتبه.

(٦) في (ك): [البثوية] وهو خطأ.

(٧) هي القول بأن النور والظلمة أصلان خالقان ومتساويان في الأزلية. وليس في الإسلام فرقة أو مذهب ثنوي بالمعنى الصحيح. والثنوية من حيث هي اصطلاح على مذهب خاص من مذاهب التكفير، مقصورة على ثلاثة من غير المسلمين وأشياعهم وهم: ابن نصان وماني مزك. «دائرة المعارف الإسلامية» (٦/ ٢١١) أحمد مصطفى.

(٨) ساقط من (ج، ك).

(٩) زيادة من (ب).

فكل ما عدا الوجود المطلق عندهم خيال كطيف [الخيال في][١] الأحلام من الأنبياء والجنة والنار. ومن صح هذا منه فهو كفر بين وجهل فاحش، فإنه لا ثبوت للوجود المطلق في الخارج البتة، وإنما المعلوم وجوده عقلًا وشرعًا هو ما نفَوا وجوده من الله الواحد الرب الذي له الأسماء الحسنى والمثل الأعلى، وما نفوه من حقيقة وجود جميع كتبه ورسله وخلقه ومعادهم[٢] [فالله المستعان][٣].

***

(١) ساقط من (ج، د، ك).

(٢) في (ب): [ومعاده].

(٣) ساقط من (ج).

[ذكر ما انفردت به الأشعرية]

ومن ذلك ما انفردت به الأشعرية من دوام وصف الله تعالى بالكلام ووجوب ذلك[١] في القدم والأبد، وجعله مثل صفة العلم، لا يجوز خلوه عنه طرفة عين، وقد أوضح الجويني القدح في ذلك في [مقدمات][٢] كتابه «البرهان في أصول الفقه»[٣] كما سيأتي تحقيقه.

***

(١) في (ب): [ووجوده].

(٢) في (ب): [مقدمة].

(٣) «البرهان في أصول الفقه» لعبد الملك بن عبد الله، إمام الحرمين، مخطوطة في جامعة الملك سعود رقم ١ أو ٢١٦ ب م. ف ٤٧٩ / ٧ و ٨ من ص(١-٢٤) أحمد مصطفى. وهو مطبوع.

[القول في إثبات صفة الكلام لله تعالى]

فالشرع لم يرد إلا بأن[١] الله تعالى متكلم[٢] وأنه كلم موسى تكليمًا، ونحو ذلك، وما زاد على هذا فبدعة في الدين قد أدت إلى التفرق المنهي عنه، وإلى إلزامات قبيحة كما سيأتي.

***

(١) في (ج): [بإذن].
(٢) في (ك): [يتكلم].

[بدعة إثبات الذوات في العدم]

ومن ذلك ما [اتفق][1] عليه الاتحادية وبعض المعتزلة، بل جمهورهم، وهو إثبات الذوات في العدم[2] والأزل، بل إثبات العالم كله فيهما، ودعوى الفرق بين ثبوته في العدم ووجوده فيه، فإنهم يقولون: هو ثابت فيه[3] غير موجود.

وقد جود الرد عليهم في ذلك صاحبهم الشيخ أبو الحسين وأصحابه مثل محمود بن الملاحمي في كتابه «الفائق» [والشيخ][4] مختار في كتابه «المجتبى» وكشفوا الغطاء عن بطلان ذلك وكفوا المؤنة.

ومن نظر في كلامهم في ذلك وما يلزم منه من الإلزامات الصعبة[5] الفاحشة تيقن مضرة الزيادة في الدين على ما جاء به سيد المرسلين.

***

(١) في (ك): [اتفقت].
(٢) في (ب): [القدم].
(٣) ساقط من (ب).
(٤) ساقط من (ج، ك).
(٥) في (ج): [الصفقية] وهو خطأ.

[بدعة النقصان في الدين]

ومثال النقص من الدين قول من يقول: إن الله تعالى[١] ليس برحمن ولا رحيم ولا حليم - باللام - على الحقيقة لكن[٢] على المجاز. وقول من يقول: أنه سبحانه ليس بحكيم[٣] على الحقيقة إلا[٤] بمعنى محكم لمصنوعاته، لا أن له في ذلك الأحكام حكمة أصلًا.

***

(١) زيادة من (ب).
(٢) في (ب): [بل].
(٣) في (ج) [حكيم].
(٤) في (ب): [بل].

[فائدة نفيسة]

والمقصود معرفة طريق النجاة بأمر واضح، ولا يخفى على من له أدنى عقل وتمييز[١] من المسلمين أن نجاة أهل الإسلام في اتباع رسول الله[٢] -صلى الله عليه وآله وسلم- ولزوم ما جاء به من غير تصرف فيه [بزيادة][٣] ولا نقص[٤] ولا ابتداع عبارة[٥] لم تكن، وسواء كانت تلك الزيادة أو النقص حقًّا أو باطلًا، فإن زيادة الحق المبتدع في الدين قد يجر إلى الفضول والباطل ويوقع في التفرق المحرم في كتاب الله تعالى، بل قد صار إدخاله في الدين والمراء فيه بدعة من البدع[٦] المحرمة.

فالحزم في ترك هذه الأمور كلها، وترك التعادي عليها، وفي الوقف في حكم من زاد أو نقص، وتأخير الفصل معه إلى يوم الفصل؛ لأن غير ذلك يؤدي إلى التفرق المحرم بنص كتاب الله تعالى؛ إلا من رد المعلوم بالضرورة من الدين، وهو يعلمه، ونحن نعلم أنه يعلمه، فإنه كافر متى[٧] كان من المكلفين، ولا يجوز الوقف في أمره مع تواتر[٨] ذلك عنه وتحققه منه، كما سيأتي في بابه. وقد نزل[٩]

---

(١) في (ب): [بين].

(٢) في (ب): [الرسول].

(٣) زيادة من (ب، م).

(٤) في (ب): [نقصان].

(٥) في (ج): [عبادة] خطأ.

(٦) في (ج) [بدعة].

(٧) في (ب، م): [حتى].

(٨) في (ح، خ): [بيان].

(٩) في (ج): [وقد دل].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦] في رغبتهم إلى غير القرآن من محض الخير، كيف بالرغبة فيما لا يؤمن شره! كيف ما تحقق شره!

وفي نحو ذلك حديث معاذ الذي أخرجه أبو داود(١) في السنة.

وذكر الشيخ(٢) مختار في «المجتبى» في المسألة السادسة من خاتمة أبواب العدل

(١) إسناده حسن «سنن أبي داود» (٤/ ٢٠٢) رقم (٤٦١١) ولفظه: عن ابن شهاب أن أبا إدريس الخولاني عائذ الله أخبره أن يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ بن جبل أخبره قال: كان لا يجلس مجلس للذكر حين يجلس إلا قال: الله حكم قسط هلك المرتابون. فقال معاذ يومًا: إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعبد والحر، فيوشك قائل أن يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن! ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره! فإياك وما ابتدع؛ فإن ما ابتدع ضلالة، وأحذركم زيفة الحكيم؛ فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق؟ قال: بلى اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي قال لها ما هذه ولا يثنيك ذلك عنه فإنه لعله أن يراجع وتلقى الحق إذا سمعته فإن على الحق نورًا اهـ وهذا نفسه في حاشية أنوار.

أقول: يزيد بن عميرة الزبيري الكندي السكسكي الحمصي، وقال بعضهم: الحارث بن عميرة ولا يصح. قاله البخاري. روى عن أبي بكر وعمر ومعاذ بن جبل وابن مسعود ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين، وعنه أبو مسعود وأبو إدريس الخولاني وشهر بن حوشب. ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة العليا التي تلي الصحابة، وقالوا: أدرك الجاهلية. ثقة من كبار التابعين. انظر: تهذيب التهذيب (٨٩٤٣)، (٦/ ٢٢١).

ذكرت هذه الترجمة لأن الحاكم في المستدرك قال: الحارث بن عميرة، ووافقه الذهبي في الحاشية. وهذا خطأ، قد ذكرناه في حديث مر في هذا الكتاب. وخطأنا الإمام ابن الوزير أنه قال: يزيد بسبب الخطأ في المستدرك. فنرجع عن ذلك. والحمد لله على كل حال.

(٢) ساقط من (ج، د).

ما لفظه: اعلم أن شيوخ المعتزلة إلى زمن الشيخ أبي هاشم، لم ينصوا على إثبات الصفات ولا على نفيها، إلى أن صرح بإثباتها أبو هاشم وصرح بنفيها أبوعلي وأبو القاسم البلخي والإخشيد[1] وأبو الحسين.

قلت:[2] فقد علم تعظيم خلفهم لسلفهم.

***

(١) في (ك): [والأخشاد] وابن الأخشيد (٢٠٧-٣٢٦) هو: أحمد بن علي بن بيغجود، أبو بكر بن الأخشيد، من رؤساء المعتزلة وزهادهم، من تصانيفه: «نقل القرآن» و«الإجماع» و«اختصار تفسير الطبري». «الأعلام» (١/ ١٧)، دار العلم، وذكره البَغْدادي في «الفرق بين الفرق» بابن الأخشيد بالدال: «الفرق بين الفرق»» للبغدادي ص(١٩٣).

(٢) في (ب): [وقد].

[الاقتداء بالسلف خير من الاقتداء بالخلف]

وعلم أن الاقتداء بسلفهم خير من الاقتداء بخلفهم بالنص في خير القرون أن ادعوا منهم أحدًا وبإقرارهم، هذا لو اجتمع خلفهم على أمر، وأما مع اختلاف خلفهم، واجتماع سلفهم على ترك الخوض فيما خاض فيه خلفهم، فأدى خوضهم فيه إلى الاختلاف والتأثيم، فلا يشك منصف أن الاقتداء بسلفهم أرجح، فإن نفاة الصفات ألزموا[١] المثبتين تركيب الذات[٢] وما يترتب[٣] عليه، بل ألزموهم ذلك في مجرد قولهم أن الوجود غير الموجود، ومن أثبت الصفات ألزم النفاة تعطيل الأسماء الحسنى ومخالفة الإجماع، فلزم التمسك بما اعترفوا بأن السلف كانوا مجتمعين عليه سلفهم وسلف سائر فرق[٤] الإسلام وترك ما اختلفوا[٥] فيه، ويسعنا[٦] ما وسع السلف الصالح للإجماع على صلاحهم.

فإذا عرفت هذا في الجملة فلنعد إلى ذكر.

***

(١) في (ب، م): [التزمرا] حاشية: معنى نفاة الصفات أن يقول المعتزلي إنه تعالى حي عليم، وينكر أنه يتصف بالحياة والعلم والقدرة. ولهم كلام في الفرق بين المعاني التي يحتاج إلى محل كالقدرة والعلم وبين الصفات كالعالم والقادر، وقد نازعهم الرازي في صحة التفرقة بكلام طويل.. أشار إليه المصنف في العواصم.

(٢) في (ج، د): [الباب] وهو خطأ.

(٣) في (ك): [وما يتركب].

(٤) في (ب، م): [سائر الفرق الإسلامية].

(٥) خطأ في (ك).

(٦) في (ج) [ووسعنا].

[الدليل الشافي على بطلان الزيادة والنقصان في الدين]

الدليل الثاني[1] على بطلان هذين الأمرين المضلين للأكثرين، وهما الزيادة والنقصان في الدين، ثم نتبع ذلك بزيادة في بيان[2] المنع من التصرف في الكتاب والسنة بدعوى التعبير عنهما وترك عباراتهما، فنقول:

أما الأمر الأول وهو (الزيادة في الدين) فسببه تجويز خلو كتب الله تعالى وسنن رسله الكرام عليهم [الصلاة][3] والسلام عن بيان بعض مهمات الدين اكتفاءً بدرك العقول لها، ولو بالنظر الدقيق، ليكون ثبوتها بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بطرق[4] النظر العقلي. هذا مذهب أهل الكلام.

ومذهب أهل الأثر أنه ممنوع، والدليل على منعه وجوه:

الوجه الأول: قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة:٣] [وإذا][5] قلنا بوجوب ما أوجبه أهل الكلام لزم أنه بقي أهم الدين وأوجبه من تقرير القواعد التي يجب بها تأويل السمع وبيان التأويل على التفصيل في آيات الصفات، وكثير من الأسماء الحسنى كالرحمن الرحيم الحكيم، وما يؤدي إلى التفرق المنصوص [على][6] تحريمه لأنه خوض في دقائق يستحيل اتفاق الأذكياء فيها[7] بالعادات المستمرة، فإنها

(١) في (ك): [الشافي].
(٢) [في]زيادة من (ب، م).
(٣) ساقط من (ج، م).
(٤) في (ك): [بطريق].
(٥) في (ب): [فإذا].
(٦) زيادة من (ب، م).
(٧) في (ب): [عليها].

استمرت العوائد على اختلاف العقلاء متى خاضوا في نحو ذلك، حتى الطائفة الواحدة، ولذلك كانت المعتزلة عشر فرق، وأهل السنة كذلك أو قريبًا منه، وكذلك سائر الفرق حتى قيل: إن الاتفاق في الخفيات ممتنع كالافتراق [في](١) الضروريات. فإذا كان الاتفاق في الخفيات ممتنعًا [كالافتراق في الضروريات](٢) وقد ثبت تحريم الافتراق، لزم من ذلك تحريم الخوض في الخفيات ما لم يدل على وجوبه دليل صحيح.

الوجه الثاني: أنه لا نزاع أنه لا يجوز إثبات العقول لزيادة في الشريعة لا تدرك(٣) بالعقل، وإنما النزاع فيما تدركه العقول مثل نفي الولد عن الله [تعالى](٤) ونفي الثاني، لكن السمع دل على أنه لا يجوز خلو كتب الله تعالى عن بيان مثل ذلك، قال الله تعالى في نفي الولد عنه جل جلاله(٥): ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ﴾ [الأنبياء:٢٤] وقال سبحانه في نفي الثاني: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف:٤] فهاتان الآيتان تدلان على أنه لا يجوز خلو كتب الله تعالى وسنن أنبيائه عن أمر كبير من مهمات الدين العقلية، وكذلك

(١) ساقط من (ب).

(٢) زيادة من (ب، م).

(٣) في (ب): [لا يدركها].

(٤) زيادة من (ب).

(٥) حاشية الأصل للمصنف: عند قوله: قال الله تعالى في نفي الولد عنه - جل جلاله - قال فيه: قوله: قال الله في نفي الولد إلى من قبل. كذا بالأصل، ولا يخفى أن هذا من قبيل الدليل على نفي الثاني. فالصواب الاستدلال بقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦] اهـ.وهو كلام حسن أملاه حسين بن عبد الله أي: العمري رحمه الله.

قوله[(١)] تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل:٦٤].

فثبت أن ما خلت عنه كتب الله تعالى فليس من مهمات الدين، وأن زيادته في الدين محرمة؛ ألا ترى أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- حذر أمته من فتنة الدجال[(٢)] وعظمها، وأخبر عن الأنبياء كلهم أنهم حذروا أممهم منها[(٣)] مع أن بطلان دعواه معلوم بالعقل؛ لأنه يدعي الربوبية، وهو بشر يحتاج إلى الأكل والشرب، وينام ويعجز ويجهل ويمرض ويبول ويتغوط وينكح، دع [عنك] كونه جسمًا مركبًا من لحم ودم وعظام وعصب، فلم يكلنا ربنا - سبحانه وتعالى - إلى معرفة عقولنا لحدوث[(٤)] ما كان على هذه الصفات واستحالة ربوبيته[(٥)] الحادثات، بل زاد في البيان على لسان رسوله - عليه السلام - حتى أبان لنا أنه أعور، وأنه مكتوب بين عينيه [كفر][(٦)] يقرؤه من يكتب ومن لا يكتب، فلو كان يجوز عليه الإهمال لكان ذلك أحق ما يهمل؛ لقوله في الأحاديث الصحيحة: «**ما خفي عليكم من شيء فلا يخفى عليكم إن ربكم ليس بأعور**»[(٧)] لأنه قد تقرر

---

(١) في (ب): [قولهم] وهو خطأ.

(٢) في (ب، م): [الرجال] وهو خطأ.

(٣) كما جاء في صحيح البخاري ومسلم وأحمد أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد حذر قومه...» البخاري (٣٠٥٧).

(٤) في (ب، ج): [بحدوث] وهذا أصح.

(٥) في (ب، ج): [ربوبية الحادث].

(٦) ساقط من (ب). وفي (ج): هكذا [كـ فـ ر].

(٧) رواه البخاري في كتاب الفتن (٨/ ١٠٢) رقم (٣٠٥٧) ورواه مسلم في كتاب الفتن (٤/ ٢٢٤)، (٢٩٣١) ولفظه: عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الناس فأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه: إنه أعور، وإن الله ليس بأعور».

أنه ليس كمثله شيء سبحانه عقلًا وسمعًا، فيجب ألا يكون بشرًا كاملًا فكيف يكون بشرًا ناقصًا معيبًا، فدل الحديث على تأكيد ما دل القرآن عليه في الآيتين المتقدمتين[١].

الوجه الثالث: قوله [تعالى][٢]: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥] ولا معنى للإرسال إلا البيان، وإلا لصح[٣] أن يرسل الله تعالى رسولًا أبكم غير ناطق، وقد ورد[٤] القرآن بتقبيح إرسال الأعجمي إلى العربي لذلك في قوله تعالى: ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت:٤٤] بل نص الله تعالى [على][٥] أنه أرسل كل رسول[٦] بلسان قومه ليتم لهم البيان.

وقد أجمعت الأمة على أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة[٧] فكل ما لم يبين من العقائد في عصر النبوة فلا حاجة إلى اعتقاده، ولا الخوض فيه والجدال والمراء[٨] سواء كان إلى معرفته سبيل أو لا، وسواءً كان حقًّا أو لا، وخصوصًا متى أدى الخوض فيه إلى التفرق المنهي عنه، فيكون في إيجابه إيجاب ما لم ينص على وجوبه، وإن أدى إلى المنصوص على تحريمه، وهذا بين[٩] الفساد.

---

(١) في (ج) [المقدمتين].
(٢) ساقط من (ب).
(٣) في (ج): [يصح].
(٤) خطأ في بعض المطبوعات.
(٥) ساقط من (ج، د).
(٦) في (ج، د): [رسولاً] وهو خطأ.
(٧) انظر في ذلك كتاب: «الإحكام في أصول الأحكام» أبي الحسن علي بن أبي علي الآمدي (٣/ ٤١).
(٨) في (ب): [والمراد] وهو خطأ.
(٩) في (ب، ج): [عين].

قالت الخصوم: العقل يكفي بيانًا في العقليات، فلا يجب البيان فيها من الشرع.

قلنا:[1] إن أردتم الجليات التي لا يقع في مثلها التنازع، أو لا يحتاج في الدين إلى معرفتها، أو لا يحتاج البليد فيها إلى تفهيم[2] الذكي، أو الظنية التي لا إثم فيها على المخطئ - فمسلم ولا يضر تسليمه.

ومن القسم الأول من هذا علم الحساب وإن دق بعضه، فإن طرقه معلومة الصحة عند الجميع، ولذلك لم تمنع دقته من الوفاق فيه، وكذلك كثير من علم العربية والمعاني والبيان والبلاغة.

وإن أردتم القسم الآخر، وهو ما يحتاج إليه في الدين، ويكون مفروضًا على جميع المسلمين من الخاصة والعامة أجمعين، ويقع في مثله الخفاء والنزاع والاختلاف الكثير، ويأثم المخطئ فيه ولا يسامح - فغير مسلم لكم أن مثل هذا يوكل إلى عقول العقلاء ويترك[3] الرسل بيانه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] فلم يكتف سبحانه بحجة العقل حتى ضم إليها حجة الرسالة[4] مع أن معرفته - سبحانه وتعالى - ونفي الشركاء عنه من أوضح المعارف العقلية، ولذلك قالت[5] الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠] وقد مر بيان ذلك في مقدمات هذا المختصر.

[وفي][6] هذه الآية وما في معناها من السمع حجة على أن ما لم يبينه الله تعالى

---

(١) في (د): [قلت].

(٢) في (ج): [أن يفهم].

(٣) في (ب، ج): [وتترك].

(٤) حاشية: فهو عقلي شرعي. السيد إبراهيم الأمير.

(٥) في (ج): [قال].

(٦) ساقط من (ج).

سمعًا لم يعذب المخطئ فيه، إن شاء الله [تعالى][1] لكن يخشى على من خاض فيما لم يبينه الله أن يعذب على الابتداع، وقد بين الله تحريمه، وبيان تحريم ذلك في قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦] وبقوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٦٦] فنسأل الله السلامة.

الوجه الرابع: قوله تعالى في وصف القرآن الكريم[2]: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩] وقوله سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍۚ﴾[3] [الأنعام:٣٨] ولا شك

---

(١) زيادة من (ب، ج).

(٢) ساقط من (ب).

(٣) حاشية جانبية: الذي يذكره الأكثرون من المفسرين أن المراد بالكتاب اللوح، وهو الأظهر من سياق الكتاب العزيز، وفي «زاد المسير» لابن الجوزي -رحمه الله تعالى- في الكتاب قولان أحدهما: أنه اللوح المحفوظ. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس: ما تركنا شيئًا إلا وقد كتبناه في أم الكتاب. وإلى هذا المعنى ذهب قتادة وابن زيد.

والثاني: أنه القرآن. روى عطاء عن ابن عباس: ما تركنا من شيء إلا وقد بينا لكم.

فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به الخاص، فيكون المعنى إما مبينًا وإما مجملًا وإما دلالة كقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩] أي: لكل شيء يحتاج إليه أمر الدين التقوى. ليس هذا من المفاهيم المعروفة في الأصول، وإنما هو مقدر ومقابلة الملفوظ. والله أعلم.

وفي تفسير أبي السعود وغيره تفسير كتبها بصحيفة أعمالهم، وفي «الدر المنثور» حمله روايات عن السَّكَن في تفسير.

ليس في راوٍ راوٍ واحد.: إنه كتاب.. نبئها الذي أرسل إليها فلا يتم الاستدلال له.

ويوضحه أن قوله تعالى، وترى كلامه عطف على قوله: (يخسر المبطلون) وقوله قبله (يوم القيامة) بقوله فالرواية (يوم القيامة) فتأمل. والله أعلم.

الآية (١٥٢) من سورة الأنعام، وهم يثبتون التكلم فلا جلالة فيها أزلت الصحيح. إسماعيل هاشم.

أنه[1] يدخل في ذلك بيان مهمات الدين الاعتقادية وإن كانت عقلية، ويدخل فيه ما بينه الرسول[2] [صلى الله عليه وآله وسلم][3] لقوله تعالى في القرآن[4]: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر:٧] ولقوله تعالى في خطابه[5] النبي عليه السلام: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤] فهذا بيان جملي، ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[6] الحديث.

ومما يصلح الاستدلال به في هذا المقام قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةًۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ [الجاثية:٢٨] فلولا أن كتابها هو موضع الحجة عليها في أمور الدين ومهماته ما اختص بالدعاء إليه. ونحوها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَۗ﴾ [الشورى:١٧] فجعل الكتاب في بيان الدين وحفظه وتمييز الحق من الباطل كالميزان في حفظ[7] الحقوق الدنيوية وحفظها، بل جعل الحق مختصًّا به بالنص، والميزان معطوفًا عليه بالمفهوم، أي: والميزان بالحق، وقال بعد الأمر بوفاء الكيل والوزن: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾[8] [البقرة:٢٨٦] لأنه يحتاج إلى المعاملة بالكيل والوزن، وإن وقع التظالم الخفي في مقادير مثاقيل

(١) ساقط من (ب).

(٢) في (ب): [النبي].

(٣) زيادة من (ب، م).

(٤) ساقط من (ج، خ).

(٥) في (ب): [في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم].

(٦) روى أحمد مثله من حديث المقدام بن معديكرب الكندي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه......» الحديث. في «مسند أحمد» (٤/ ١٣١).

(٧) في (ب، ج): [في بيان].

(٨) في (ب، ج، م) آية: ﴿لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الذر، أو أقل منه، ولم يقل [مثل][1] ذلك بعد الأمر بلزوم كتابه واتباع رسله؛ لأنه لا حاجة ولا ضرورة إلى البدعة في الاعتقاد.

وأما الفروع العملية، فلما وقعت الضرورة إلى الخوض فيها بالظنون لم يكن فيها حرج بالنص والإجماع. فتأمل ذلك فإنه مفيد. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩] واتفق أهل الإسلام على أن المراد بالرد إلى الله ورسوله: الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله، ولو لم يكونا وافيين ببيان مهمات الدين ما أمرهم الله[2] بالرجوع إليهما عند الاختلاف.

***

(١) ساقط من (ب، ج).
(٢) ساقط من (د، ك).

[الإجماع على تحريم البدعة في الدين]

الوجه الخامس: في الدليل على منعه [أيضًا][(١)] الإجماع على تحريم البدعة في الدين، وما زال الصحابة والتابعون[(٢)] لهم بإحسان يحذرون من ذلك، حتى تمت النعمة وقامت الحجة بموافقة المتكلمين والغلاة على ذلك في الجملة، حتى رمى بعض المتكلمين بعضًا بذلك عند الضجر من الخوض في تلك المباحث والشناعات، فقال الشيخ تقي الأمة خاتمة أهل الأصول العجالي المعتزلي في آخر الرد على أصحابه المعتزلة، حيث حكموا بثبوت العالم قبل خلقه في العدم المحض والأزل الذي لا أول له، ما لفظه:

إن كل من سمع ذلك من العقلاء، قبل أن يتلوث خاطره بالاعتقادات التقليدية، فإنه يقطع ببطلان هذه المذاهب ويتعجب أن يكون في الوجود عاقل تسمح نفسه بمثل هذه الاعتقادات، ويلزمهم أن يجوزوا فيما يشاهدونه من هذه الأجسام والأعراض أن تكون كلها معدومة لأن الوجود[(٣)] غير مدرك عندهم، وإلا لزم أن يرى الله تعالى لوجوده، بل إنما تناوله الإدراك للصفة المقتضاة عندهم، وهي صفة التحيز وهيئة السواد والبياض[(٤)] فيهما، غاية الأمر [أن][(٥)] الجوهرية عند بعضهم تقتضي التحيز بشرط[(٦)] الوجود، لكن الترتب في [أن] الوجود لا يقتضي الترتيب في العلم، كما في صفة الحياة والعلم، فيلزمهم أن يشكوا بعد هذه

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ج): [والتابعين].

(٣) في (د): [الموجود].

(٤) في (ج): [البيان].

(٥) ساقط من (ج).

(٦) في (ج): [ليشرط].

المشاهدة في وجودها[١] وكل[٢] مذهب يؤدي إلى هذه التمحلات والخصم مع هذا يزداد سفاهة ولجاجًا، فالواجب على العاقل الفطن الإعراض عنه والتمسك بقوله تعالى[٣]: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣] ومن ذم من السلف الكلام والمتكلمين إنما عَنَوا أمثال[٤] هؤلاء ظاهرًا[٥] والله الموفق. انتهى بحروفه. ذكره علامة المعتزلة الشيخ مختار بن محمود في كتابه «المجتبى»[٦] عاضدًا له ومنتصرًا به.

فهذا كلام المتكلمين بعضهم في بعض، بل كلام الطائفة الواحدة منهم بعضهم في بعض، وفيه الاعتراف بذم البدعة وأهلها، وصدور ذلك من السلف الصالح، فسبحان من أنطقهم بالحجة عليهم، كما أنطق جلود الجاحدين يوم القيامة بمثل ذلك.

ولا شك أن إيجاب أمر كبير يجب من أجله التعسف في تأويل ما لا يحصى من آيات كتاب الله تعالى، وتقبيح ظواهره، بل تقبيح ممادحه مثل الحكم بأن الرحمن اسم ذم[٧] لله تعالى في الظاهر السابق إلى الأفهام إن لم يتأول، وأن نفيه عن الله مدح [يليق][٨] بجلال الله من غير قرينة، والقول بتكفير من لم يعرف هذا

---

(١) في (د): [وجودهما].

(٢) في (ب، ج، د): [وكل].

(٣) ساقط من (ج، د).

(٤) في (ج، د): [بمثال]. حاشية: يذكر على المسألة الثالثة من مسائله، فإن أبواب العدل في الثانية منها، وهي مسألة إثبات أن صانع العالم موجود.

(٥) ساقط من (ج).

(٦) في المجتبى فيما شاهده.

(٧) في (ج، د): [الله] وهو خطأ.

(٨) في (ب، ج): [لائق].

واستحلال سفك دمه، ووجوب دوام عذابه في الآخرة من غير[1] أن يجري لذلك ذكر في زمن النبوة والصحابة - هو من أعظم البدع وأفحشها وأنكرها.

الوجه السادس: الأحاديث الواردة في النهي عن البدعة.

ولا حاجة إلى سردها بجميع ألفاظها وأسانيدها، مع الإجماع على صحة هذا المعنى كما مر في الوجه الذي قبله[2].

الوجه السابع: ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**اتركوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم**»[3] وما في معنى ذلك مثل حديث: «**إن الله حد حدودًا فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلا تضيعوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير [نسيان]**[4] **فلا تتعرضوا لها**»[5] وفي هذا المعنى أحاديث جمة مجموعها يفيد

(١) قال أحمد: غير واضحة. فما ندري ما أشكل عليه.

(٢) ساقط من (ج).

(٣) الحديث رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٨/ ١٤٢) ومسلم في كتاب الحج (٢/ ٩٧٥) والترمذي في كتاب العلم (٥/ ٤٧) والنسائي في كتاب الحج (٣/ ١١٠) وابن ماجه (١/ ٣) ولفظ البخاري عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».

(٤) في (ب): [بيان] وهو خطأ.

(٥) صحيح الحديث عن أبي ثعلبة، رضي الله عنه، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» رواه الدارقطني بسند صحيح. وحسنه الحافظ أبو بكر السمعاني في «أماليه» والنووي في «الأربعين»، وله شواهد في «مسند البزار»، و«مستدرك الحاكم» وصححه وغيرهما.

العلم بأن الشرع ورد بحصر الواجبات والمحرمات، وأن السؤال عما لم يرد به حرام، حتى ثبت في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص: «**إن من أعظم المسلمين إثمًا في المسلمين من سأل عن شيء فحرم من أجل مسألته**»[١] ولقد علمهم رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- حتى كيفية قضاء الحاجة[٢].

وفي ذلك يقول السيد الإمام يحيى بن منصور الهادوي[٣] المفضلي[٤] عليه السلام:

ما باله حتى السواك[٥] أبانه ... وقواعد الإسلام لم تتقرر

في أبيات له طويلة في تقرير هذا المعنى، وقد كتبتها في «ترجيح أساليب القرآن»[٦] هي وأمثالها.

فإن قيل: هذا في معنى غير العقائد؟

قلنا: العقائد أولى بذلك؛ لأنه لا يجوز أن يتجدد فيها للخلف ما لم يكن واجبًا على السلف، بخلاف الفروع فقد[٧] تجدد الحوادث، ويقع للمتأخر فيها ما لم[٨] يقع للمتقدم.

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٨٥٩)، ومسلم (٢٣٥٨).

(٢) حديث أن الرسول-صلى الله عليه وسلم- علمهم الاستنجاء. رواه مسلم في كتاب الطهارة (١/ ٢٢٣) من حديث سلمان الفارسي.

(٣) في (ب، ج): [الهادروي]، وفي (د): [الهادي]، ولعلها [الهادوي].

(٤) في (ج): [المفضل].

(٥) في (م): [السوك].

(٦) «ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان» ص(٣٣).

(٧) في (ج): [هذا].

(٨) في (ج، د): [ما لا].

الوجه الثامن: أن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ما زال يوصي أمته بالرجوع إلى كتاب الله تعالى[١] عند الاختلاف، والتمسك به عند الافتراق، وكان ذلك هو وصيته عند موته[٢] وجاء ذلك عنه على كل لسان حتى اعترفت به المبتدعة كما اعترفت بورود النهي عن البدع وصحته، ولله الحمد والمنة.

بل[٣] جاء ذلك صريحًا في كتاب الله تعالى على أبلغ صيغ التأكيد، قال الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء:٥٩ - ٦١] ويؤكده قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] لا شك أن القرآن العظيم أعظم ما قضى به ودعا إليه، ثم سنته التي هي تفسير القرآن وبيانه، كما أجمعت عليه الأمة في تفاصيل الصلاة والزكاة وسائر أركان الإسلام، وفي المواريث وغيرها.

ومن ذلك ما جاء فيمن لم يحكم بما أنزل الله من الآيات الكريمة في آية ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] وفي آية ﴿الظالمون﴾ وفي آية ﴿الفاسقون﴾

---

(١) زيادة من (ج، د).

(٢) في الحديث الذي رواه البخاري عن طلحة قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى أوصى صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كيف كتب على الناس الوصية أمروا بها، ولم يوصي؟ قال: أوص بكتاب الله.... «صحيح البخاري» فضائل القرآن، «فتح الباري» (٩/ ٦٧) ورواه مسلم في كتاب الوصية (٣/ ١٢٥٦).

(٣) زيادة في (م) مقحمة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] وقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥] وقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢] وما أبلغ قوله: ﴿فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[١] وأعظم موقعه عند المتأملين؛ لأن العلوم تقل وتتلاشى في جنب علم الله [تعالى][٢] بما ينفع ويصلح من البراهين والأساليب وما يضر ويفسد[٣] من ذلك، بل قد جاء [في][٤] الحديث الصحيح: «**إن علم الخلائق في جنب الله [تعالى]**[٥] **كما يأخذه الطائر من البحر بمنقاره**»[٦] [و][٧] مما جاء في ذلك من طريق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [عليه السلام][٨] عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال في القرآن الكريم: «**فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، من ابتغى الهدى من غيره**[٩] **أضله الله**[١٠]» إلى قوله: «**من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم...**» الحديث بطوله كما تقدم.

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) زيادة من (ب، م).

(٣) في (ج): [ويفيد].

(٤) زيادة من (ب).

(٥) زيادة من (ب، م).

(٦) الحديث صحيح تقدم تخريجه.

(٧) ساقط من (ج).

(٨) زيادة من (ك).

(٩) في (ب، ج): [في].

(١٠) ساقط من (ج) وتقدم تخريجه والحكم عليه أن بعض العلماء يحسنه مرفوعًا، وبعضهم يحسنه من كلام علي بن أبي طالب مرفوعًا.

الوجه التاسع: أن [الدين][1] قد[2] جاء به الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم- وفرغ منه، ولم يبق بعد تصديقه به بدلالة المعجزات الباهرات إلا اتباع الدين المعلوم الذي جاء به، لا استنباطه بدقيق النظر، كما صنعت الفلاسفة الذين لم يتبعوا الرسل، وعلى هذا درج السلف.

ولذلك قال مالك لمن جادله: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا لجدله ما أنـزل على محمد [صلى الله عليه وآله وسلم][3].

وروى مالك في الموطأ عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال: يا أيها الناس قد سنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على [السنة[4]] الواضحة ليلها كنهارها، إلا أن تضلوا بالناس يمينًا وشمالا[5]. وروى ابن ماجه نحوه[6] مرفوعًا من حديث أبي الدرداء[7].

يوضحه أنه لو كان الدين مأخوذًا من النظر لكنا قبل النظر غير عالمين ما هو دين الإسلام وإنما نخترعه نحن، وهذا باطل ضرورة. يزيده وضوحًا وجهان:

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) خطأ في (د).

(٣) انظر: مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١،٢) العبارة أوردها الغزالي في «الإحياء» (١/ ١٦٠) بلفظ. وقال مالك رحمه الله: أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه في كل يوم لدين جديد.

(٤) ساقط من (ج، د، ك).

(٥) «موطأ الإمام مالك» كتاب الحدود (٢/ ٨٢٤).

(٦) في (ب) [نحو هذا].

(٧) حسن «سنن ابن ماجه». المقدمة (١/ ٤)، وفيه قال أبو الدرداء: (صدق رسول الله-صلى الله عليه وسلم- تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها، سواء) قال المحقق: هذا الحديث مما انفرد به المصنف. لعله يريد ابن ماجه.

أحدهما: الأحاديث الصحيحة المشهورة، بل المتواترة، في حصر أركان الإسلام والإيمان والتنصيص عليها، وتداول الصحابة فمن بعدهم لها، يرويها سلفهم لخلفهم، وخلفهم عن سلفهم، واضحة جامعة لشرائط الإسلام والإيمان، واحترام أهلهما(١) وأنه لا يحل دم امرئ جمعها(٢) ودان بها(٣).

وفي معناها من كتاب الله [تعالى(٤)] قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥] وكذلك قوله [تعالى(٥)]: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ [آل عمران:١٩] وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

***

(١) في (ج): [أهلها].

(٢) في (ج، د): [وذات بينها].

(٣) مثل حديث: «أمرت أن أقاتل الناس»، رواه البخاري في كتاب الإيمان (١/ ١١).

(٤) زيادة من (ب، د).

(٥) زيادة من (ب، د).

[إجماع الأمة على تكفير من خالف الدين المعلوم بالضرورة]

وثانيهما(١): إجماع الأمة على تكفير من خالف الدين المعلوم بالضرورة، والحكم بردته إن كان قد دخل فيه قبل خروجه منه، ولو كان الدين مستنبطًا بالنظر لم يكن جاحده كافرًا، فثبت أن الرسول [صلى الله عليه وآله وسلم](٢) قد جاء بالدين القيم تامًّا كاملًا، وأنه ليس لأحد أن يستدرك عليه، ويكمل له دينه من بعده.

الوجه العاشر: أن الله تعالى نقم(٣) التفرق بعد مجيء الرسل والكتب [على](٤) من قبلنا، ولولا أن فيما جاءت به يوجب الوفاق ما خص ذمهم بتلك الحال، قال الله تعالى: ﴿مَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ وقبلها: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ الآيات إلى: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:١ - ٥] ففسر البينة بقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية، وقال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران:١٩] وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ [آل عمران:١٠٥].

***

(١) في (ج): [وثانيها].
(٢) زيادة من (ب،د).
(٣) في (ب): [ذم].
(٤) ساقط من (ب، م).

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات رقم الصفحة

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

فهرس الموضوعات رقم الصفحة

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

فهرس الموضوعات رقم الصفحة

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات	رقم الصفحة
لمن يصلح له هذا المختصر	٣٨٦
الطائفة الثانية: أهل التعليم من الإمامية	٣٨٧
الطائفة الثالثة: أهل النظر	٣٨٨
هذا المختصر هو لبيان الحق وتقريره في هذه الأمور السبعة	٣٨٩
بيان أن هذا المختصر لا يصلح إلا لمن وضع له	٣٩١
المعاني الثمانية التي يصنف لها	٣٩٣
طلاب الحق اليوم شبيه بطلابه في أيام الفترة	٣٩٥
فائدة نفيسة	٣٩٧
الإيمان بالله وكتبه ورسله ومتابعتهم ومعرفة ما جاءوا به أفضل ما في الوجد بأسره	٣٩٨
سبب تطويل القول في هذا الأمر	٣٩٩
غربة طلب الحق	٤٠١
أفضلية العلم على العمل	٤٠٣
طريقة التصنيف في علم العقيدة الدينية، وبيان منهج المصنف في هذا الكتاب	٤٠٩
فائدة نفيسة	٤١٠
فصل تصحيح النية واستعمال النظر	٤١٣
تقسيم العلوم إلى ما لا يحتاج إليه في الدين، وما يحتاج إليه	٤١٣
المصنفات في ذكر أعداء العلوم وأسمائها	٤١٥
التوكل أفضل من الطب	٤١٦
علم اللطيف أساس علم الكلام	٤١٧

فهرس الموضوعات — رقم الصفحة

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

فهرس الموضوعات — رقم الصفحة

***